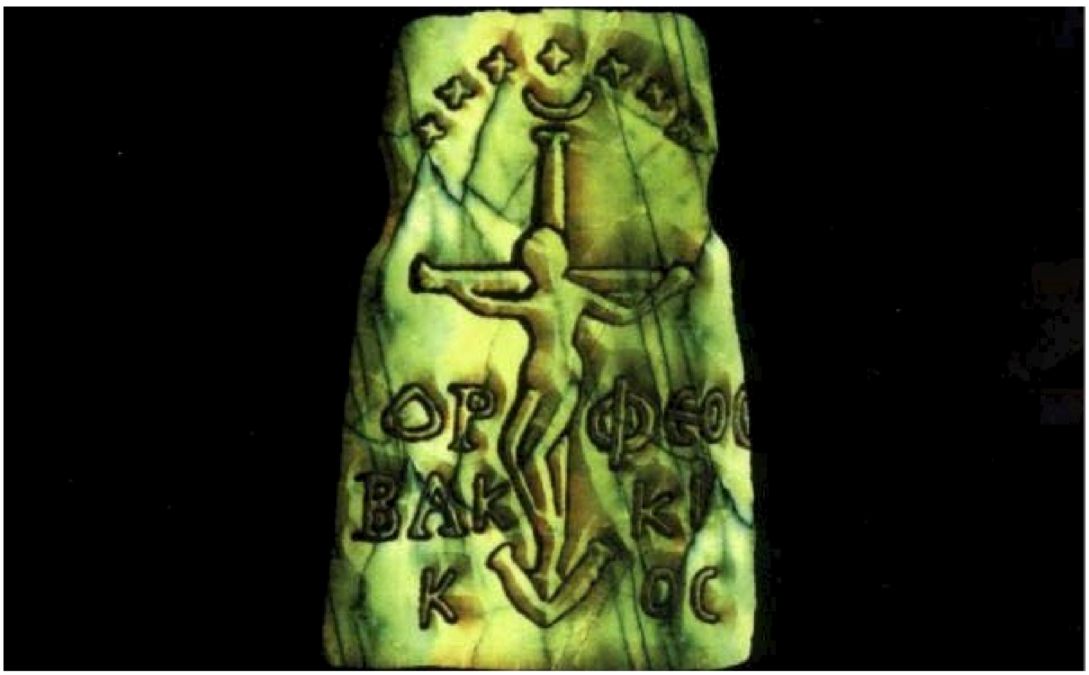
"An erudite and well-researched book stuffed with plenty of controversial ideas."
—Book of the Year 1999, *The Daily Telegraph*

THE JESUS MYSTERIES



' WAS TH E @ G NA E U

A PAGAN GOD?

TIMOTHY FREKE & PETER GANDY

إن أوجه التشابه بين الوثنية والمسيحية التي يطرحها فريك وغاندي مثيرة للإعجاب. الأستاذ جي. إيه. ويلز، مؤلف كتاب أسطورة يسوع.

سيشكل كتاب أسرار يسوع صدمة إلى حد ما. سيجد المسيحيون المؤمنون ذلك مزعجاً؛ وسيشعر الإنجيليون بالرعب منه؛ ولا شك أن الأصوليين سينسبونه إلى الشيطان. يوضح تيموثي فريك وبيتر غاندي بشكل واضح لا لبس فيه أن الكثير من المعتقدات والممارسات المسيحية تستند إلى التقاليد الوثنية. سيتم رفض هذه الأطروحة المثيرة للجدل من قبل العديد من القراء، لكن التوثيق الدقيق للمصادر، القديمة والحديثة على حد سواء، سيجعل الآخرين يتساءلون عما إذا كان ينبغي أخذ هذا الكتاب على محمل الجد أكثر من العديد من عمليات إعادة كتابة التاريخ الحديثة.

Amazon.co.uk

سيمنح أسلوب هذا الكتاب الحيوي والنشط القارئ العادي نظرة ثاقبة نادرة لما يمكن تسميته العصر الجديد للعصور القديمة، وبالتالي أيضاً على البدايات الغامضة والمثيرة للاهتمام للمسيحية. سيقدر الباحثون التوثيق الشامل، المحدد في مئات الحواشي. الأستاذ ألفار إليغارد، مؤلف كتاب يسوع: قبل مئة عام من ميلاد المسيح.

قوي، مثير للجدل، ومكتوب بشكل ممتاز للغاية. كتاب رائع من البداية إلى النهاية، وقراءة ممتعة حقاً. يمثل هذا الكتاب علامة فارقة، وإذا نجح، كما آمل، فإنه سيشعر بلا شك بحرارة النار الأكاديمية التي يشعلها.

مارك فيدلر، مؤلف كتاب مرآة النجوم

يسوع المسيح - رجل أم أسطورة؟ يعتقد فريك وغاندي بالرأي الأخير، وفي هذا الكتاب الضخم والسهل الفهم، شرعا في إثبات ذلك. بعد بحث شامل، يصعب اعتبار هذا العمل مجرد عمل آخر من أعمال الكتب غير الخيالية الشعبية التي تسعى لجذب الانتباه مع القليل من المحتوى الجوهري. القائمة، غلاسكو وإدنبرة

المؤلفون

بيتر غاندي حاصل على درجة الماجستير في الحضارة الكلاسيكية، متخصص في ديانات الأسرار الوثنية القديمة. يحمل تيموثي فريك شهادة بكالوريوس مع مرتبة الشرف في الفلسفة، وهو مرجع في مجال التصوف العالمي، وله أكثر من 20 كتابًا منشورًا على المستوى الدولي. وقد شاركوا معاً في تأليف ثلاثة منشورات سابقة:

الدليل الكامل للتصوف العالمي (1997)، والهرمسية: الحكمة المفقودة للفراعنة (1997)، وحكمة الفلاسفة الوثنيين (1998).

ترجمة مجموعة الروح، ما في الجنة إلا الله

أسرار يسوع

هل كان "يسوع الأصلي" إلهاً وثنياً؟

تيموثي فريك وبيتر غاندي

مع شكر خاص لإيلين فريك، ومحررتنا ليزي هاتشينز، ووكيلتنا سوزان ميرز، وميشيل بيلي وجميع العاملين في شركة ثورسونز.

ثورسونز: دار نشر تابعة لهاربر كولينز، 77-85 طريق
فولهام بالاس

Hammersmith, London W6 8JB

.The Thorsons website address is: www.thorsons.com

نُشر لأول مرة بواسطة ثورسونز عام 1999؛ وهذه الطبعة عام 2000.

يتوفر سجل فهرسة لهذا الكتاب في المكتبة البريطانية. ISBN: 0 7225 3677 1

طُبع وغُلّف في بريطانيا العظمى بواسطة شركة أومنيا بوكس المحدودة، غلاسكو.

هذا الكتاب مُهدى إلى المسيح

الذي بداخلك.

المحتويات

[لم يتم بعد مسح وتنسيق أقسام المراجع، وقائمة الشخصيات، والفهرس، وحقوق الصور.]

الفكرة التي لا يمكن تصورها

قال يسوع: "إني أخبر أسراري لمن هم أهل لها". ‘
إنجيل توما

في الموقع الذي يقف فيه الفاتيكان الآن، كان يوجد في السابق معبد وثني. هنا كان الكهنة الوثنيون يمارسون طقوساً مقدسة وجدها المسيحيون الأوائل مزعجة للغاية لدرجة أنهم حاولوا محو كل دليل على ممارستها على الإطلاق. ما هي هذه الطقوس الوثنية الصادمة؟ ربما تضحيات بشعة أو حفلات جنسية فاحشة؟ هذا ما تم إيهامنا به. لكن الحقيقة أغرب بكثير من هذه الرواية.

في حين أن المؤمنين المجتمعين اليوم يعبدون ربهم يسوع المسيح، كان القدماء يعبدون إلهاً بشرياً آخر، مثل يسوع، ولد بأعجوبة في 25 ديسمبر أمام ثلاثة رعاة. في هذا المعبد القديم، كانت الجماعات الوثنية تمجد في الماضي مخلصًا وثنيًا قيل إنه، مثل يسوع، صعد إلى السماء ووعد بالعودة مرة أخرى في نهاية الزمان ليحكم على الأحياء والأموات. في نفس المكان الذي يحتفل فيه البابا بالقداس الكاثوليكي، احتفل الكهنة الوثنيون أيضاً بوجبة رمزية من الخبز والنبيذ تخليداً لذكرى مخلصهم الذي أعلن، تماماً مثل يسوع:

"من لا يأكل من جسدي ويشرب من دمي، حتى يصير واحداً معي وأنا معه، فلن يعرف الخلاص". 2

عندما بدأنا في اكتشاف مثل هذه أوجه التشابه غير العادية بين قصة يسوع والأساطير الوثنية، شعرنا بالذهول. لقد نشأنا في ثقافة تصور الوثنية والمسيحية على أنهما وجهتا نظر دينيتان متناقضتان تماماً. كيف يمكن تفسير هذه التشابهات المذهلة؟ أثار الأمر فضولنا وبدأنا البحث بشكل أوسع. كلما تعمقنا في البحث، كلما وجدنا المزيد من أوجه التشابه. ولتفسير الكم الهائل من الأدلة التي كنا نكتشفها، شعرنا بأننا مضطرون إلى مراجعة فهمنا الكامل للعلاقة بين الوثنية والمسيحية، وإلى التشكيك في المعتقدات التي كنا نعتبرها سابقًا غير قابلة للنقاش، وإلى تخيل الاحتمالات التي بدت مستحيلة في البداية. قد يجد بعض القراء استنتاجاتنا صادمة، وقد يجدها آخرون هرطقية، لكنها بالنسبة لنا مجرد أبسط وأوضح طريقة لتفسير الأدلة التي جمعناها.

لقد اقتنعنا بأن قصة يسوع ليست سيرة مسيح تاريخي، بل هي أسطورة مبنية على قصص وثنية خالدة. لم تكن المسيحية وحياً جديداً وفريداً من نوعه، بل كانت في الواقع تكييفاً يهودياً لديانة الأسرار الوثنية القديمة. هذا ما أطلقنا عليه اسم "أطروحة أسرار يسوع". قد يبدو الأمر بعيد المنال في البداية، تماماً كما بدا لنا في البداية. في نهاية المطاف، هناك قدر كبير من الهراء غير المدعوم بالأدلة مكتوب عن يسوع "الحقيقي"، لذلك يجب التعامل مع أي نظرية ثورية بجرعة صحية من الشك. لكن على الرغم من أن هذا الكتاب يقدم ادعاءات غير عادية، إلا أنه ليس مجرد خيال مسلٍ أو تكهنات مثيرة. وهو يستند بقوة إلى المصادر التاريخية المتاحة وأحدث الأبحاث العلمية. وبينما نأمل أن نكون قد جعلنا الكتاب في متناول القارئ العام، فقد أدرجنا أيضًا ملاحظات وافية تتضمن المصادر والمراجع وتفاصيل أكثر لأولئك الذين يرغبون في تحليل حججنا بشكل أكثر شمولاً.

على الرغم من أنها لا تزال جذرية ومثيرة للتحدي حتى اليوم، إلا أن العديد من الأفكار التي نستكشفها ليست جديدة على الإطلاق. منذ عصر النهضة، رأى المتصوفون والعلماء أصول المسيحية في الديانة المصرية القديمة. وقد قدم علماء ذوو رؤية ثاقبة في مطلع القرن التاسع عشر تخمينات مماثلة لتخميناتنا. في العقود الأخيرة، أشار الأكاديميون المعاصرون مراراً وتكراراً إلى الاحتمالات التي نأخذها في الاعتبار. لكن قلة قليلة تجرأت على التصريح بجرأة بالاستنتاجات الواضحة التي توصلنا إليها. لماذا؟ لأن القيام بذلك من المحرمات.

على مدى ألفي عام، هيمنت على الغرب فكرة أن المسيحية مقدسة وفريدة من نوعها، بينما الوثنية بدائية ومن عمل الشيطان. إن مجرد التفكير في أنهما قد يكونان جزءاً من نفس التقاليد كان أمراً لا يمكن تصوره ببساطة. لذلك، على الرغم

من أن الأصول الحقيقية للمسيحية كانت واضحة طوال الوقت، إلا أن قلة قليلة تمكنت من رؤيتها، لأن القيام بذلك يتطلب قطيعة جذرية مع تكييف ثقافتنا. لقد تمثلت مساهمتنا في الجرأة على التفكير في ما لا يمكن تصوره، وتقديم استنتاجاتنا في كتاب شعبي بدلاً من كتاب أكاديمي جاف. هذا بالتأكيد ليس القول الفصل في هذا الموضوع المعقد، لكننا نأمل أن يكون بمثابة دعوة مهمة لإعادة تقييم كاملة لأصول المسيحية.

أسرار الوثنية

في المآسي اليونانية، تكشف الجوقة عن مصير الأبطال قبل بدء المسرحية. أحيانًا يكون من الأسهل فهم الرحلة إذا كان المرء على دراية مسبقة بالوجهة والتضاريس التي سيتم قطعها. قبل الخوض في التفاصيل، نود أن نتتبع عملية اكتشافنا ونقدم لمحة موجزة عن الكتاب.

لقد تشاركنا هوسًا بالتصوف العالمي طوال حياتنا، الأمر الذي دفعنا مؤخرًا إلى استكشاف الروحانية في العالم القديم. إن الفهم الشعبي يتخلف حتماً كثيراً عن أحدث الأبحاث العلمية، ومثل معظم الناس، كانت لدينا في البداية نظرة غير دقيقة وقديمة عن الوثنية. لقد تعلمنا أن ننظر إليها على أنها ثقافة خرافية تنغمس في عبادة الأصنام والتضحية الدموية، وفلاسفة جافين يرتدون التوغات ويتعثرون بشكل أعمى نحو ما نسميه اليوم "العلم". كنا على دراية بالعديد من الأساطير اليونانية التي أظهرت الطبيعة المتحيزة والمتقلبة للآلهة والإلهات الأولمبية. وبشكل عام، بدت الوثنية بدائية وغريبة تماماً. لكن بعد سنوات عديدة من الدراسة، تغير فهمنا.

كانت الروحانية الوثنية في الواقع نتاجاً متطوراً لثقافة متطورة للغاية. لم تكن الديانات الرسمية للدولة، مثل عبادة الآلهة الأولمبية عند الإغريق، سوى مظاهر خارجية من البذخ والاحتفالات. لقد عبّرت الروحانية الحقيقية للشعب عن نفسها من خلال "الأديان السرية" النابضة بالحياة والغامضة. في البداية، انتشرت هذه الأسرار وازدهرت في جميع أنحاء البحر الأبيض المتوسط القديم، وألهمت أعظم عقول العالم الوثني، الذين اعتبروها المصدر الأساسي للحضارة.

كان لكل تقليد من تقاليد الأسرار أسرار خارجية، تتكون من أساطير كانت معروفة للجميع وطقوس مفتوحة لأي شخص يرغب في المشاركة. كانت هناك أيضًا أسرار داخلية باطنية، وهي سر مقدس لا يعرفه إلا أولئك الذين خضعوا لعملية قوية من التأهيل. كان لدى المتأهلين في الأسرار الباطنية المعنى الصوفي للطقوس والأساطير الخاصة بالأسرار الخارجية التي تم الكشف عنها لهم، وهي عملية أدت إلى التحول الشخصي والتنوير الروحي.

كان فلاسفة العالم القديم هم الأساتذة الروحيون للأسرار الباطنية. كانوا متصوفين وصانعي معجزات، أقرب إلى المعلمين الروحيين الهندوس منهم إلى الأكاديميين المتحجرين. على سبيل المثال، يُذكر الفيلسوف اليوناني العظيم فيثاغورس اليوم بنظريته الرياضية، لكن قلة من الناس يتصورونه كما كان في الواقع - حكيمًا مبهرًا كان يُعتقد أنه قادر على تهدئة الرياح بشكل خارق وإحياء الموتى.

كانت في صميم الأسرار أساطير تتعلق بإله يموت ويبعث، وكان معروفاً بالعديد من الأسماء المختلفة. في مصر كان أوزوريس، وفي اليونان ديونيسوس، وفي آسيا الصغرى آتيس، وفي سوريا أدونيس، وفي إيطاليا باكوس، وفي بلاد فارس ميثراس. في جوهر الأمر، كل هؤلاء الرجال الذين يدّعون الألوهية هم نفس الكائن الأسطوري. وكما كان الحال منذ القرن الثالث قبل الميلاد.4 في هذا الكتاب سنستخدم الاسم المركب "أوزوريس-ديونيسوس" للدلالة على طبيعته الشاملة والمركبة، وأسمائه الخاصة عند الإشارة إلى تقليد غامض محدد.

منذ القرن الخامس قبل الميلاد، سخر فلاسفة مثل زينوفانيس وأمبادوقليس من أخذ قصص الآلهة والإلهات حرفياً. لقد اعتبروها رموزاً للتجربة الروحية الإنسانية. لذلك، لا ينبغي فهم أساطير أوزوريس- وديونيسوس على أنها مجرد حكايات مثيرة للاهتمام، بل كلغة رمزية تشفر التعاليم الصوفية للأسرار الباطنية. ولهذا السبب، على الرغم من أن التفاصيل قد تم تطويرها وتكييفها بمرور الوقت من قبل ثقافات مختلفة، إلا أن أسطورة أوزوريس-ديونيسوس ظلت كما

هي في جوهرها.

تشترك الأساطير المختلفة لآلهة الأسرار في ما أسماه عالم الأساطير العظيم جوزيف كامبل "نفس التشريح". وكما أن كل إنسان فريد من نوعه جسديًا، ومع ذلك فمن الممكن الحديث عن التشريح العام لجسم الإنسان، فكذلك من خلال هذه الأساطير المختلفة، من الممكن رؤية كل من تفردها وتشابهها الأساسي. قد تكون المقارنة المفيدة هي العلاقة بين مسرحية روميو وجولييت لشكسبير وقصة الحي الغربي لبرنشتاين. أحدهما مأساة إنجليزية من القرن السادس عشر تدور حول عائلات إيطالية ثرية، بينما الآخر مسرحية موسيقية أمريكية من القرن العشرين تدور حول عصابات الشوارع. ظاهرياً، تبدو مختلفة تماماً، لكنها في جوهرها نفس القصة. وبالمثل، فإن الحكايات التي تُروى عن الآلهة في الأسرار الوثنية هي نفسها في الأساس، على الرغم من أنها تتخذ أشكالاً مختلفة.

كلما تعمقنا في دراسة النسخ المختلفة لأسطورة أوزوريس-ديونيسوس، كلما أصبح من الواضح أن قصة يسوع تحمل جميع سمات هذه الحكاية الخالدة. حدثًا تلو الآخر، وجدنا أننا قادرون على بناء سيرة يسوع المفترضة من الزخارف الأسطورية التي كانت تتعلق سابقًا بأوزوريس-ديونيسوس:

- أوزوريس-ديونيسوس هو الله المتجسد، المخلص و"ابن الله".
- أبوه هو الله وأمه عذراء بشرية.
- يولد في كهف أو حظيرة أبقار متواضعة في 25 ديسمبر أمام ثلاثة رعاة.
- وهو يمنح أتباعه فرصة الولادة من جديد من خلال طقوس المعمودية.
- يحوّل الماء إلى خمر بطريقة عجيبة في حفل زفاف.
- يدخل المدينة منتصراً على ظهر حمار بينما يلوح الناس بسعف النخيل تكريماً له.
- يموت في عيد الفصح كذبيحة من أجل خطايا العالم.
- بعد موته ينزل إلى الجحيم، ثم في اليوم الثالث يقوم من بين الأموات ويصعد إلى السماء في مجد.
- ينتظر أتباعه عودته كقاضٍ في آخر الزمان.
- يتم الاحتفال بموته وقيامته من خلال وجبة طقسية من الخبز والنبيذ ترمز إلى جسده ودمه.

هذه مجرد بعض الزخارف المشتركة بين حكايات أوزوريس-ديونيسوس و"سيرة" يسوع. لماذا لا تُعتبر هذه التشابهات الملحوظة من المعلومات الشائعة؟ لأننا، كما اكتشفنا لاحقاً، بذلت الكنيسة الرومانية المبكرة كل ما في وسعها لمنعنا من إدراكها. لقد دمرت بشكل منهجي الأدب المقدس الوثني في برنامج وحشي للقضاء على الأسرار - وهي مهمة قامت بها بشكل كامل لدرجة أن الوثنية تعتبر اليوم ديانة "ميتة".

على الرغم من أنها تبدو لنا مفاجئة الآن، إلا أن أوجه التشابه هذه بين الدين المسيحي الجديد والأسرار القديمة كانت واضحة للغاية بالنسبة لكتاب القرون القليلة الأولى الميلادية. انتقد الوثنيون المسيحيون، مثل الكاتب الساخر سيلسوس، قائلين إن هذا الدين الحديث لا شيء.

أكثر من مجرد انعكاس باهت لتعاليمهم القديمة. كان آباء الكنيسة الأوائل، مثل جاستن الشهيد وترتليان وإيرينيئوس، منزعجين بشكل مفهوم ولجأوا إلى الادعاء اليائس بأن هذه التشابهات كانت نتيجة "محاكاة شيطانية ". باستخدام واحدة من أكثر الحجج سخافة على الإطلاق، اتهموا الشيطان بـ "الانتحال بالتوقع"، أي بنسخ قصة يسوع الحقيقية بشكل خبيث قبل حدوثها بالفعل في محاولة لتضليل السذج! لقد بدا لنا آباء الكنيسة هؤلاء لا يقلون دهاءً عن الشيطان الذي كانوا يأملون في إدانته.

وقد زعم معلقون مسيحيون آخرون أن أساطير الأسرار كانت بمثابة "أصداء مسبقة" للمجيء الحرفي ليسوع، أشبه ما تكون بالتنبؤات أو الرؤى. هذه نسخة أكثر سخاءً من نظرية "التقليد الشيطاني"، لكنها بدت لنا سخيفة بنفس القدر. لم يكن هناك شيء سوى التحيز الثقافي الذي جعلنا نرى قصة يسوع على أنها التتويج الحرفي للعديد من أسلافها الأسطورية. من وجهة نظر محايدة، بدا الأمر وكأنه مجرد نسخة أخرى من نفس القصة الأساسية.

التفسير الواضح هو أنه مع تحول المسيحية المبكرة إلى القوة المهيمنة في العالم الوثني السابق، تم دمج الزخارف الشائعة من الأساطير الوثنية في سيرة يسوع. هذا احتمال طرحه العديد من اللاهوتيين المسيحيين. على سبيل المثال، غالباً ما يُنظر إلى الولادة العذرية على أنها إضافة لاحقة دخيلة لا ينبغي فهمها حرفياً. تم "استعارة" هذه الزخارف من الوثنية بنفس الطريقة التي تم بها اعتماد المهرجانات الوثنية كأيام قديسين مسيحيين. هذه النظرية شائعة بين أولئك الذين يبحثون عن يسوع "الحقيقي" المختبئ تحت وطأة الحطام الأسطوري المتراكم.

على الرغم من جاذبيتها الظاهرية في البداية، إلا أن هذا التفسير بدا لنا غير كافٍ. لقد جمعنا مجموعة شاملة من أوجه التشابه لدرجة أنه لم يتبق سوى عدد قليل من العناصر المهمة في سيرة يسوع لم نجدها متنبأ بها من خلال الأسرار. علاوة على ذلك، اكتشفنا أن تعاليم يسوع نفسها لم تكن أصلية، بل سبق أن توقعها الحكماء الوثنيين! لو كان هناك يسوع "حقيقي" في مكان ما تحت كل هذا، لكان علينا أن نعترف بأننا لا نستطيع أن نعرف عنه شيئاً على الإطلاق، لأن كل ما تبقى لنا هو تراكمات وثنية لاحقة! بدا هذا الموقف سخيفاً. بالتأكيد كان هناك حل أكثر أناقة لهذه المعضلة؟

الغنوصيون

وبينما كنا نتساءل عن هذه الاكتشافات، بدأنا نشكك في الصورة السائدة عن الكنيسة الأولى ونلقي نظرة على الأدلة بأنفسنا. لقد اكتشفنا أنه بعيدًا عن كونهم جماعة موحدة من القديسين والشهداء كما يوحي لنا التاريخ التقليدي، فإن المجتمع المسيحي المبكر كان في الواقع يتألف من مجموعة كاملة من الجماعات المختلفة. يمكن تصنيف هذه المدارس بشكل عام إلى مدرستين مختلفتين. من ناحية أخرى، كان هناك من سنطلق عليهم اسم "الحرفيين"، لأن ما يميزهم هو أنهم يأخذون قصة يسوع على أنها سرد حرفي للأحداث التاريخية. كانت هذه المدرسة المسيحية هي التي تبنتها الإمبراطورية الرومانية في القرن الرابع الميلادي، لتصبح الكاثوليكية الرومانية وجميع فروعها اللاحقة. من ناحية أخرى، كان هناك أيضاً مسيحيون مختلفون جذرياً يُعرفون باسم "الغنوصيين".5

تعرض هؤلاء المسيحيون المنسيون للاضطهاد حتى تم إبادتهم من قبل الكنيسة الرومانية الحرفية بشكل شامل لدرجة أننا لم نكن نعرف عنهم إلا القليل حتى وقت قريب إلا من خلال كتابات منتقديهم. لم ينجُ سوى عدد قليل من النصوص الغنوصية الأصلية، ولم يُنشر أي منها قبل القرن التاسع عشر. إلا أن هذا الوضع تغير بشكل كبير مع اكتشاف رائع في عام 1945 عندما عثر فلاح عربي على مكتبة كاملة من الأناجيل الغنوصية مخبأة في كهف بالقرب من نجع حمادي في مصر. وقد أتاح ذلك للعلماء الوصول إلى العديد من النصوص التي كانت متداولة على نطاق واسع بين المسيحيين الأوائل، ولكن تم استبعادها عمداً من قانون العهد الجديد - الأناجيل المنسوبة إلى توما وفيليب، والنصوص التي تسجل أعمال بطرس والتلاميذ الاثني عشر، ونهاية العالم المنسوبة إلى بولس ويعقوب، وما إلى ذلك.

لقد بدا لنا من الغريب أن يتم اكتشاف مكتبة كاملة من الوثائق المسيحية المبكرة، تحتوي على ما يُزعم أنها تعاليم

المسيح وتلاميذه، ومع ذلك فإن قلة قليلة من أتباع يسوع المعاصرين يعرفون بوجودها. لماذا لم يسارع كل مسيحي لقراءة هذه الكلمات المكتشفة حديثًا للمعلم؟ ما الذي يحصرها في عدد قليل من الأناجيل المختارة لإدراجها في العهد الجديد؟ يبدو أنه على الرغم من مرور 2000 عام على تطهير الغنوصيين، وخلال هذه الفترة انقسمت الكنيسة الرومانية إلى البروتستانتية وآلاف الجماعات البديلة الأخرى، إلا أن الغنوصيين لا يزالون لا يعتبرون صوتاً شرعياً للمسيحية.

أولئك الذين يستكشفون الأناجيل الغنوصية يكتشفون شكلاً من أشكال المسيحية غريباً تماماً عن الدين الذي يعرفونه. وجدنا أنفسنا ندرس كتيبات باطنية غريبة تحمل عناوين مثل "أقنوم الأركونات" و"فكر نوريا". لقد شعرنا وكأننا في إحدى حلقات مسلسل ستار تيك - وبطريقة ما كنا كذلك. كان الغنوصيون حقاً "مستكشفين نفسيين" استكشفوا بجرأة الحدود النهائية للفضاء الداخلي، باحثين عن أصول الحياة ومعناها. كان هؤلاء الناس متصوفين ومفكرين أحرار مبدعين. كان من الواضح لنا لماذا كان أساقفة التسلسل الهرمي للكنيسة الحرفية يكرهونهم بشدة.

بالنسبة للمتشددين الحرفيين، كان الغنوصيون زنادقة/هراطقة خطرين. في مجلدات من الأعمال المناهضة للغنوصية - وهي شهادة غير مقصودة على قوة وتأثير الغنوصية داخل المسيحية المبكرة - صوروهم على أنهم مسيحيون "تقلدوا عقائد السكان الأصليين". زعموا أنهم تلوثوا بالوثنية التي كانت تحيط بهم وتخلوا عن نقاء الإيمان الحق. من ناحية أخرى، اعتبر الغنوصيون أنفسهم التقليد المسيحي الأصيل والأساقفة الأرثوذكس "كنيسة مقلدة".6 وادعوا معرفة الأسرار الباطنية السرية للمسيحية التي لم يمتلكها الحرفيون.

بينما كنا نستكشف معتقدات وممارسات الغنوصيين، اقتنعنا بأن الحرفيين كانوا على حق في شيء واحد على الأقل: لم يكن الغنوصيون مختلفين كثيراً عن الوثنيين. ومثل فلاسفة الأسرار الوثنية، آمنوا بالتناسخ، وكرموا الإلهة صوفيا، وانغمسوا في الفلسفة اليونانية لأفلاطون. كلمة "غنوصيون" تعني "العارفون"، وهو اسم اكتسبوه لأنهم، مثل المتأهلين في الأسرار الوثنية، اعتقدوا أن تعاليمهم السرية لديها القدرة على نقل "الغنوص" - المعرفة التجريبية المباشرة "للإله". وكما كان هدف المتأهل الوثني أن يصبح إلهاً، كذلك بالنسبة للغنوصيين كان هدف المتأهل المسيحي هو أن يصبح مسيحًا.

ما لفت انتباهنا بشكل خاص هو أن الغنوصيين لم يكونوا مهتمين بيسوع التاريخي. لقد نظروا إلى قصة يسوع بنفس الطريقة التي نظر بها الفلاسفة الوثنيون إلى أساطير أوزوريس-ديونيسوس - على أنها رمزية مشفرة بتعاليم صوفية سرية. لقد بلور هذا الإدراك لدينا إمكانية رائعة. ربما كان تفسير أوجه التشابه بين الأساطير الوثنية وسيرة يسوع واضحاً أمام أعيننا طوال الوقت، لكننا كنا منغمسين جداً في طرق التفكير التقليدية لدرجة أننا لم نتمكن من رؤيته.

أطروحة أسرار يسوع

إن الرواية التاريخية التقليدية التي ورثناها عن سلطات الكنيسة الرومانية هي أن المسيحية تطورت من تعاليم المسيح اليهودي وأن الغنوصية كانت انحرافاً لاحقاً. تساءلنا: ماذا سيحدث لو انعكست الصورة واعتُبرت الغنوصية هي المسيحية الحقيقية، تمامًا كما ادعى الغنوصيون أنفسهم؟ هل يمكن أن تكون المسيحية الأرثوذكسية انحرافاً لاحقاً عن الغنوصية، وأن الغنوصية كانت مزيجاً من اليهودية وديانة الأسرار الوثنية؟ كانت هذه بداية أطروحة أسرار يسوع.

بكل صراحة، كانت الصورة التي ظهرت لنا على النحو التالي. كنا نعلم أن معظم حضارات البحر الأبيض المتوسط القديمة قد تبنت الأسرار القديمة، وقامت بتكييفها مع أذواقها الوطنية الخاصة، وابتكرت نسختها الخاصة من أسطورة الإله الذي يموت ويبعث. ربما يكون بعض اليهود قد تبنوا، بالمثل، الأسرار الوثنية وأنشأوا نسختهم الخاصة من هذه الأسرار، والتي نعرفها الآن باسم الغنوصية. ربما يكون المتأهلون في الأسرار اليهودية قد اقتبسوا الرمزية القوية لأساطير أوزوريس -ديونيسوس في أسطورة خاصة بهم، وكان بطلها هو يسوع، الإله اليهودي الذي مات وقام من بين الأموات.

إذا كان الأمر كذلك، فإن قصة يسوع لم تكن سيرة ذاتية على الإطلاق، بل كانت وسيلة مصممة بوعي لتعاليم روحية مشفرة أنشأها الغنوصيون اليهود. كما هو الحال في الأسرار الوثنية، فإن التأهل في الأسرار الباطنية من شأنه أن يكشف عن المعنى الرمزي للأسطورة. لعل أولئك الذين لم يكونوا متأهلين في الأسرار الباطنية قد اعتبروا أسطورة يسوع حقيقة تاريخية عن طريق الخطأ، وبهذه الطريقة نشأت المسيحية الحرفية. لعل الأسرار الباطنية للمسيحية، التي علمها الغنوصيون لكن أنكرها الحرفيون، كشفت أن قصة يسوع لم تكن سردًا واقعيًا لزيارة الله الوحيدة لكوكب الأرض، بل كانت قصة تعليمية صوفية مصممة لمساعدة كل واحد منا على أن يصبح مسيحًا.

إن قصة يسوع تحمل كل سمات الأسطورة، فهل يمكن أن تكون كذلك بالفعل؟ في النهاية، لم يقرأ أحد الأناجيل الغنوصية المكتشفة حديثًا ويأخذ قصصها الخيالية على أنها حقيقية حرفيًا؛ بل يُنظر إليها بسهولة على أنها أساطير. إن الألفة والتحيز الثقافي هما فقط ما يمنعنا من رؤية أناجيل العهد الجديد بنفس النظرة. لو أن تلك الأناجيل قد ضاعت منا أيضاً ولم يتم اكتشافها إلا مؤخراً، فمن كان سيقرأ هذه الحكايات لأول مرة ويصدق أنها روايات تاريخية عن رجل ولد من عذراء، ومشى على الماء وعاد من الموت؟ لماذا ينبغي لنا أن نعتبر قصص أوزوريس، وديونيسوس، وأدونيس، وآتيس، وميثراس، وغيرهم من المنقذين الوثنيين الغامضين مجرد خرافات، بينما نصادف نفس القصة تقريبًا في سياق يهودي ونعتقد أنها سيرة نجار من بيت لحم؟

لقد تربينا كلانا كمسيحيين، وفوجئنا عندما وجدنا أنه على الرغم من سنوات من الاستكشاف الروحي المنفتح، إلا أنه لا يزال من الخطورة بمكان حتى مجرد التفكير في مثل هذه الأفكار. يصل التلقين المبكر إلى أعماق النفس. كنا في الواقع نقول إن يسوع كان إلهاً وثنياً وأن المسيحية كانت نتاجاً هرطقياً للوثنية! يبدو الأمر شائناً. ومع ذلك، فقد فسرت هذه النظرية أوجه التشابه بين قصص أوزوريس-ديونيسوس ويسوع المسيح بطريقة بسيطة وأنيقة. إنها أجزاء من أسطورة واحدة متطورة.

أجابت أطروحة أسرار يسوع على العديد من الأسئلة المحيرة، لكنها فتحت أيضاً معضلات جديدة. أليس هناك دليل تاريخي لا جدال فيه على وجود يسوع الإنسان؟ وكيف يمكن أن تكون الغنوصية هي المسيحية الأصلية في حين أن القديس بولس، وهو أقدم مسيحي نعرفه، كان مناهضاً للغنوصية بشدة؟ وهل من المعقول حقاً أن شعباً منعزلاً ومعادياً للوثنية مثل اليهود قد تبنى أسرار الوثنية؟ وكيف يمكن أن يحدث أن يتم تصديق أسطورة تم إنشاؤها بوعي على أنها تاريخ؟ وإذا كانت الغنوصية تمثل المسيحية الحقيقية، فلماذا سيطرت المسيحية الحرفية على العالم باعتبارها الدين الأكثر تأثيراً على مر العصور؟ يجب الإجابة على كل هذه الأسئلة الصعبة بشكل مُرضٍ قبل أن نتمكن من قبول نظرية جذرية مثل أطروحة أسرار يسوع بكل إخلاص.

التستر الكبير

لم يكن تفسيرنا الجديد لأصول المسيحية يبدو غير محتمل إلا لأنه يتعارض مع الرأي السائد. مع تعمقنا في أبحاثنا، بدأت الصورة التقليدية تتلاشى تماماً من حولنا. وجدنا أنفسنا متورطين في عالم من الانقسامات والصراعات على السلطة، والوثائق المزورة والهويات الزائفة، والرسائل التي تم تحريرها وإضافة معلومات إليها، والتدمير الشامل للأدلة التاريخية. لقد ركزنا بشكل دقيق على الحقائق القليلة التي كنا واثقين منها، كما لو كنا محققين على وشك حل لغز جريمة قتل مثيرة، أو ربما بشكل أدق كما لو كنا نكشف عن إجهاض قديم وغير معترف به للعدالة. لأنه، مراراً وتكراراً، عندما فحصنا بشكل نقدي ما تبقى من أدلة حقيقية، وجدنا أن تاريخ المسيحية الذي ورثناه عن الكنيسة الرومانية كان تشويهاً فادحاً للحقيقة. في الواقع، الأدلة تدعم تماماً أطروحة أسرار يسوع! كان من الواضح بشكل متزايد أننا تعرضنا للخداع عمداً، وأن الغنوصيين كانوا في الواقع المسيحيين الأصليين، وأن تصوفهم الفوضوي قد تم اختطافه من قبل مؤسسة استبدادية أنشأت منه ديناً عقائدياً - ثم فرضت بوحشية أكبر عملية تستر في التاريخ.

كان أحد اللاعبين الرئيسيين في عملية التستر هذه شخصية تدعى يوسابيوس، الذي قام في بداية القرن الرابع بتجميع التاريخ المبكر الوحيد للمسيحية الذي لا يزال موجودًا حتى اليوم من الأساطير والتلفيقات وخياله الخاص. لقد اضطرت جميع الروايات التاريخية اللاحقة إلى الاعتماد على مزاعم يوسابيوس المشكوك فيها، لأنه لم تكن هناك معلومات أخرى يمكن الاستناد إليها. تم وصم كل من كان لديه منظور مختلف عن المسيحية بالهرطقة وتم القضاء عليهم. وبهذه الطريقة وصلت إلينا الأكاذيب التي جُمعت في القرن الرابع كحقائق ثابتة.

كان يوسابيوس يعمل لدى الإمبراطور الروماني قسطنطين، الذي جعل المسيحية الدين الرسمي للإمبراطورية ومنح المسيحية الحرفية القوة التي تحتاجها لبدء القضاء النهائي على الوثنية والغنوصية. أراد قسطنطين "إله واحد، دين واحد" لترسيخ ادعائه بـ "إمبراطورية واحدة، إمبراطور واحد". أشرف على وضع قانون الإيمان النيقاوي

- وهو بند الإيمان الذي يردد في الكنائس حتى يومنا هذا - وتم نفي المسيحيين الذين رفضوا الموافقة على هذا القانون من الإمبراطورية أو إسكاتهم بطريقة أخرى.

ثم عاد هذا الإمبراطور "المسيحي" إلى دياره من نيقية وأمر بخنق زوجته وقتل ابنه. لقد تعمّد البقاء دون تعميد حتى فراش موته حتى يتمكن من مواصلة فظائعه ويحصل في الوقت نفسه على غفران الذنوب ومكان مضمون في الجنة من خلال التعميد في اللحظة الأخيرة. على الرغم من أنه كان لديه "مستشاره الإعلامي" يوسابيوس الذي قام بتأليف سيرة ذاتية متملقة له، إلا أنه كان في الواقع وحشًا - تمامًا مثل العديد من الأباطرة الرومان قبله. هل من المستغرب حقاً أن يتبين أن "تاريخ" أصول المسيحية الذي وضعه موظف في خدمة طاغية روماني هو مجرد مجموعة من الأكاذيب؟

تكتب إيلين باجلز، إحدى أبرز المراجع الأكاديمية في مجال المسيحية المبكرة:

> المنتصرون هم من يكتبون التاريخ - بطريقتهم الخاصة. لا عجب إذن أن الروايات التقليدية لأصول المسيحية قد حددت المصطلحات أولاً (حيث أطلقوا على أنفسهم اسم "الأرثوذكس" وعلى خصومهم اسم "الزنادقة/الهراطقة")؛ ثم شرعوا في إثبات - على الأقل بما يرضيهم - أن انتصارهم كان حتمياً تاريخياً، أو بتعبير ديني، "بإرشاد من الروح القدس". لكن اكتشافات [الأناجيل الغنوصية] في نجع حمادي تعيد فتح أسئلة جوهرية.

التاريخ يكتبه المنتصرون بالفعل. لطالما كان خلق تاريخ مناسب جزءًا من ترسانة التلاعب السياسي. لقد صنعت الكنيسة

الرومانية تاريخًا لانتصار المسيحية الحرفية بنفس الطريقة الحزبية التي صنعت بها هوليوود، بعد ألفي عام، حكايات "رعاة البقر والهنود" لسرد "كيف تم الفوز بالغرب" وليس "كيف تم خسارة الغرب". التاريخ ليس مجرد رواية، بل يصنع. من الناحية المثالية، يتمثل الدافع في شرح الأدلة التاريخية والتوصل إلى فهم دقيق لكيفية تشكيل الحاضر من خلال الماضي. لكن في كثير من الأحيان، يكون الهدف ببساطة هو تمجيد الوضع الراهن وتبريره. إن مثل هذه الروايات التاريخية تخفي بقدر ما تكشف.

ليس من السهل الجرأة على التشكيك في التاريخ المتداول. من الصعب تصديق أن شيئاً قيل لك إنه صحيح منذ الطفولة يمكن أن يكون في الواقع نتاجاً للتزييف والخيال. لا بد أنه كان من الصعب على أولئك الروس الذين نشأوا على حكايات "العم العدو" ستالين اللطيف أن يتقبلوا أنه كان مسؤولاً بالفعل عن وفاة الملايين. لا بد أن ذلك قد أثر على مصداقية الأمر عندما ادعى معارضو نظامه أنه قتل بالفعل العديد من أبطال الثورة الروسية. لا بد أن الأمر بدا سخيفاً عندما زعموا أنه قام حتى بإزالة صور منافسيه من الصور الفوتوغرافية وتلفيق أحداث تاريخية بالكامل. لكن كل هذه الأشياء صحيحة.

من السهل أن نعتقد أن شيئًا ما يجب أن يكون صحيحًا لأن الجميع يعتقد ذلك. لكن الحقيقة غالباً ما تظهر فقط من خلال الجرأة على التشكيك في الأمور التي لا جدال فيها، ومن خلال التشكيك في المفاهيم التي يتم الإيمان بها بشكل شائع لدرجة أنها تعتبر أمراً مفروغاً منه. إن أطروحة أسرار يسوع هي نتاج انفتاح ذهني كهذا. عندما خطرت لنا الفكرة لأول مرة، بدت سخيفة ومستحيلة. الآن يبدو الأمر واضحاً وعادياً. تم بناء الفاتيكان على موقع معبد وثني قديم لأن الجديد يبنى دائماً على القديم. وبالمثل، فإن المسيحية نفسها تستند في أسسها إلى الروحانية الوثنية التي سبقتها. ما هو أكثر منطقية من افتراض التطور التدريجي للأفكار الروحية، مع ظهور المسيحية من الأسرار الوثنية القديمة في سلسلة تاريخية متصلة؟ إن السبب الوحيد الذي يجعل هذه الفكرة تبدو هرطقية وصادمة هو أن التاريخ التقليدي كان شائعاً جداً لفترة طويلة.

استعادة المسيحية الصوفية

وبينما كانت القطع الأخيرة من اللغز تتجمع في مكانها، عثرنا على صورة صغيرة مخبأة في ملاحق كتاب أكاديمي قديم. كان رسماً لتميمة تعود إلى القرن الثالث الميلادي. لقد استخدمناها كغلاف لهذا الكتاب. يُظهر الرسم شخصية مصلوبة سيتعرف عليها معظم الناس على الفور على أنها يسوع. ومع ذلك، فإن الكلمات اليونانية تسمي الشخصية "أورفيوس باكوس"، وهو أحد الأسماء المستعارة لأوزوريس- ديونيسوس. لمؤلف الكتاب الذي وجدنا فيه الصورة، كانت هذه التميمة حالة شاذة. لمن يمكن أن تكون هذه التميمة؟ هل كان إلهًا وثنيًا مصلوبًا أم نوعًا من التوليف الغنوصي بين الوثنية والمسيحية؟ في كلتا الحالتين، كان الأمر محيراً للغاية. أما بالنسبة لنا، فقد كانت هذا التميمة مفهومًة تماما. لقد كان ذلك تأكيداً غير متوقع لأطروحة أسرار يسوع. قد تكون الصورة إما ليسوع أو لأوزوريس-ديونيسوس. بالنسبة للمتأهلين، كان هذان الاسمان يشيران أساساً إلى نفس الشخصية.

إن اكتشاف هذه التميمة "بالصدفة" جعلنا نشعر وكأن الكون نفسه يشجعنا على نشر نتائجنا. لقد تم طرح أطروحة أسرار يسوع بطرق مختلفة من قبل المتصوفين والعلماء على مر القرون، ولكنها دائماً ما تم تجاهلها. بدا الأمر الآن وكأنه فكرة حان وقتها. لكننا كنا نشعر ببعض الشكوك حيال كتابة هذا الكتاب. كنا نعلم أن ذلك سيثير حتمًا غضب بعض المسيحيين، وهو أمر لم نكن نرغب في القيام به. بالتأكيد كان من الصعب أن يكون المرء محاطاً باستمرار بالأكاذيب والظلم دون أن يشعر بقدر معين من الغضب إزاء التشويه السلبي للغنوصيين، وأن يدرك الثراء العظيم للثقافة الوثنية دون أن يشعر بالحزن لأنها دمرت بلا مبالاة. لكننا لا نمتلك أي نوع من الأجندة المعادية للمسيحية. بل على العكس تماماً.

أولئك الذين قرأوا أعمالنا الأخرى سيعرفون أن اهتمامنا ليس بمزيد من الانقسام، ولكن بالاعتراف بالوحدة التي تكمن في قلب جميع التقاليد الروحية - وهذا الكتاب الحالي ليس استثناءً. اعتقد المسيحيون الحرفيون الأوائل خطأً أن قصة يسوع تختلف عن قصص أوزوريس-ديونيسوس الأخرى لأن يسوع وحده كان شخصية تاريخية وليست أسطورية. وقد جعل هذا الأمر المسيحيين يشعرون بأن إيمانهم يتعارض مع جميع الإيمانات الأخرى - وهو ليس كذلك. نأمل أن تتمكن المسيحية، من خلال فهم أصولها الحقيقية في التطور المستمر للروحانية الإنسانية العالمية، من تحرير نفسها من هذا العزلة التي فرضتها على نفسها.

في حين أن أطروحة أسرار يسوع تعيد كتابة التاريخ بشكل واضح، فإننا لا نراها تقوض الإيمان المسيحي، بل تشير إلى أن المسيحية في الواقع أغنى مما كنا نتصور سابقاً. إن قصة يسوع هي أسطورة خالدة تمتلك القدرة على نقل المعرفة الخلاصية التي يمكن أن تحول كل واحد منا إلى مسيح، وليس مجرد تاريخ لأحداث وقعت لشخص آخر قبل 2000 عام. كان الإيمان بقصة يسوع في الأصل الخطوة الأولى في الروحانية المسيحية - الأسرار الظاهرية. كان من المفترض أن يشرح المعلم المستنير أهميتها عندما يكون الباحث ناضجاً روحياً. هذه الأسرار الباطنية منحت معرفة روحانية بالله تتجاوز مجرد الإيمان بالعقائد. على الرغم من أن العديد من المتصوفين المسيحيين الملهمين عبر التاريخ قد أدركوا بشكل حدسي هذا المستوى الرمزي الأعمق من الفهم، إلا أننا كثقافة لم نرث سوى الأسرار الظاهرية للمسيحية. لقد حافظنا على الشكل، لكننا فقدنا المعنى. نأمل أن يساهم هذا الكتاب ولو بجزء بسيط في استعادة الإرث المسيحي الصوفي الحقيقي.

أسرار الوثنية

"طوبى للرجل السعيد الذي يعرف الأسرار التي شرعها الآلهة، ويقدس حياته، ويوحد روحه مع روحه في وحدة صوفية، ويطهر نفسه بالطقوس المناسبة، ويدخل في نشوة عزلة الجبال؛ الذي يلتزم بالطقوس الصوفية التي أباحتها الأم العظيمة؛ الذي يتوج رأسه باللبلاب، ويهز عصاه في عبادة ديونيسوس."
يوربيديس

الوثنية دين "ميت" - أو بتعبير أدق دين "تم استئصاله". لم يختفِ ببساطة في غياهب النسيان. لقد تم قمعها وإبادتها بشكل فعال، ودُنست معابدها وأضرحتها وهُدمت، وأُلقيت كتبها المقدسة العظيمة في النيران. لم يتبق أي نسب حي لتفسير معتقداتها القديمة. لذا، يجب إعادة بناء النظرة الوثنية للعالم من الأدلة الأثرية والنصوص التي نجت، مثل أحجية ميتافيزيقية عملاقة.

كانت كلمة "وثني" في الأصل مصطلحًا ازدرائيًا يعني "ساكن الريف"، وقد استخدمها المسيحيون للإشارة إلى أن روحانية القدماء كانت مجرد خرافة ريفية بدائية. لكن هذا غير صحيح. كانت الوثنية هي الروحانية التي ألهمت الروعة التي لا مثيل لها لأهرامات الجيزة، والهندسة المعمارية الرائعة للبارثينون، والمنحوتات الأسطورية لفيدياس، والمسرحيات القوية ليوريبيدس وسوفوكليس، والفلسفة السامية لسقراط وأفلاطون.

قامت الحضارة الوثنية ببناء مكتبات ضخمة لإيواء مئات الآلاف من الأعمال الأدبية والعلمية العبقرية. تكهن فلاسفتها الطبيعيون بأن الإنسان قد تطور من الحيوانات.2 وأدرك فلكيوها أن الأرض كروية الشكل، وأنها تدور حول الشمس مع الكواكب.4 بل إنهم قدروا محيطها بدقة تصل إلى درجة واحدة.5 وقد احتضن العالم الوثني القديم عددًا من السكان لم يُضاهى في أوروبا حتى القرن الثامن عشر.6 وفي اليونان، أنجبت الثقافة الوثنية مفاهيم الديمقراطية، والفلسفة العقلانية، والمكتبات العامة، والمسرح، والألعاب الأولمبية، واضعةً بذلك مخططًا لعالمنا الحديث.

ما هي الروحانية التي ألهمت هذه الإنجازات الثقافية العظيمة؟ يربط معظم الناس الوثنية إما بالسحر الريفي أو بأساطير آلهة الأولمبية كما سجلها هسيودوس وهوميروس. لقد احتضنت الروحانية الوثنية كلا الأمرين بالفعل. مارس سكان الريف عبادة الطبيعة الشامانية التقليدية للحفاظ على خصوبة الأرض، ودعمت سلطات المدينة الديانات الرسمية للدولة، مثل عبادة آلهة الأولمبية، للحفاظ على سلطة الوضع الراهن.

إلا أن هناك تعبيراً ثالثاً، أكثر غموضاً، عن الروح الوثنية، هو الذي ألهم العقول العظيمة في العالم القديم. كان المفكرون والفنانون والمبتكرون في العصور القديمة من المتأهلين في ديانات مختلفة تُعرف باسم "الأسرار". كان هؤلاء الرجال والنساء الرائعون يعتبرون الأسرار جوهر وروح ثقافتهم. يكتب المؤرخ اليوناني زوسيموس أنه بدون الأسرار المقدسة، ستكون حياة اليونانيين لا تُطاق، لأن "الأسرار المقدسة هي التي تُبقي الجنس البشري بأكمله متماسكًا".7 ويُعرب السياسي الروماني البارز شيشرون عن حماسه قائلًا:

> لقد نقلتنا هذه الأسرار من وحشية ريفية إلى حضارة راقية ومتطورة. تُسمى طقوس الأسرار "طقوس التأهيل"، وفي الحقيقة تعلمنا منها المبادئ الأولى للحياة. لقد اكتسبنا الفهم ليس فقط لكي نعيش بسعادة، بل أيضاً لكي نموت بأمل أفضل. 8

بخلاف الطقوس التقليدية للأديان الرسمية للدولة، والتي صُممت للمساعدة في التماسك الاجتماعي، كانت الأسرار شكلاً فردياً من أشكال الروحانية التي قدمت رؤى صوفية وتنويراً شخصياً.9 خضع المتأهلون لعملية سرية من التأهيل أدت إلى تحول عميق في حالة وعيهم. يكشف الشاعر بيندار أن المطلع على الأسرار "يعرف نهاية الحياة وبدايتها التي وهبها الله له".10 يكتب لوسيوس أبوليوس، الشاعر والفيلسوف، عن تجربته في التأهيل الروحي باعتبارها ولادة روحية جديدة احتفل بها كعيد ميلاده، وهي تجربة شعر تجاهها "بدين امتنان" "لا يمكنه أبدًا أن يأمل في سداده".11 يروي أفلاطون، الفيلسوف الأكثر تأثيرًا على مر العصور:

> "لقد شاهدنا الرؤى المباركة ودخلنا في السر الذي يمكن أن يسمى حقًا بالمبارك، والذي احتفلنا به في حالة من البراءة. لقد شاهدنا رؤى هادئة وسعيدة وبسيطة وأبدية، متألقة بنور نقي." 12

كان الفلاسفة الوثنيون العظماء هم الأساتذة المستنيرين للأسرار. على الرغم من أنهم غالباً ما يصورون اليوم على أنهم مثقفون "أكاديميون" جافون، إلا أنهم كانوا في الواقع "معلمين" غامضين.

كان أمبادوقليس، مثل معلمه فيثاغورس، شخصيةً كاريزميةً تصنع المعجزات.13 أما سقراط فكان متصوفًا غريب الأطوار، يميل إلى الانتكاس فجأةً إلى حالات من النشوة الروحية، يجده أصدقاؤه خلالها شارد الذهن لساعات.14 طلب مواطنو أفسس من هِرَقْليطُس أن يصبح مشرعًا، لكنه رفض العرض ليتمكن من مواصلة اللعب مع الأطفال في المعبد.15 صدم أناكسوغوراس عامة الناس بهجره التام لمزرعته لتكريس حياته بالكامل لـ"الفلسفة العليا".16 لم يكن ديوجانس يملك شيئًا، وعاش في جرة عند مدخل معبد.17 كتب الكاتب المسرحي المُلهم يوريبيدس أعظم مآسيه خلال خلواتٍ منعزلة في كهفٍ منعزل.18

كان جميع هؤلاء الحكماء ذوي الخصائص الفريدة من نوعها غارقين في التصوف الخاص بالأسرار، والذي عبروا عنه في فلسفتهم. يخبرنا أوليمبيودوروس، أحد أتباع أفلاطون، أن معلمه أعاد صياغة الأسرار في كل مكان.19 كانت أعمال هِرَقْليطُس مشهورة حتى في العصور القديمة بكونها غامضة وغير مفهومة، ومع ذلك يشرح ديوجانس أنها واضحة تمامًا لمن لديه معرفة بالأسرار. يكتب عن دراسته لهِرَقْليطُس:

> "إنه طريق صعب، مليء بالظلام والغموض؛ ولكن إذا قادك أحد المتأهلين في الطريق، فإنه يصبح أكثر إشراقًا من إشعاع الشمس." 20

يكمن جوهر الفلسفة الوثنية في فهم أن كل الأشياء واحدة. تهدف الأسرار إلى إيقاظ تجربة سامية لهذه الوحدة داخل المريد. يصرح سالوستيوس قائلاً: "كل طقوس التأهيل تهدف إلى توحيدنا مع العالم ومع الإله". 21 يصف أفلوطين المريد وهو يتجاوز إحساسه المحدود بذاته كأنا منفصلة ويختبر الاتحاد الصوفي مع الله:

> "وكأنه قد حمل بعيدًا، أو استحوذ عليه إله، فإنه يصل إلى العزلة في سكون هادئ، لا ينحرف في كيانه ولا ينشغل بنفسه، في حالة راحة تامة ويصبح راحة حقيقية. إنه لا يتحدث مع تمثال أو صورة، بل مع الألوهية نفسها. وهذا ليس موضوعًا للرؤية، بل هو نمط آخر من الرؤية، وانفصال عن الذات، وتبسيط الذات والاستسلام لها، وتوق إلى التواصل، وسكون وتأمل موجه نحو التحول. من رأى نفسه على هذا النحو فقد بلغ شبه الله؛ فليترك نفسه وليجد غاية رحلته. 22

لا عجب أن سوباتروس، المتأهل، تأمل شعرياً قائلاً: "خرجت من قاعة الأسرار وأنا أشعر كأنني غريب عن نفسي" 23

المشهد المقدس في إليوسيس

ما هي تلك الأسرار القديمة التي يمكن أن تثير مثل هذا الرهبة والخشوع والتقدير الصادق؟ لقد مارست ديانة الأسرار لآلاف السنين، وخلال تلك الفترة انتشرت في جميع أنحاء العالم القديم، واتخذت أشكالاً مختلفة عديدة. كان بعضها في حالة هياج، والبعض الآخر في حالة تأمل. تضمنت بعضها تضحيات حيوانية دموية، بينما أشرف على البعض الآخر نباتيون متشددون. في لحظات معينة من التاريخ، كانت الأسرار تُمارس علنًا من قبل شعوب بأكملها، وكانت الدولة تؤيدها أو على الأقل تتسامح معها. وفي أوقات أخرى كانت هذه الأمور صغيرة النطاق وسرية، خوفاً من الاضطهاد من قبل السلطات غير المتعاطفة. لكن جوهر كل هذه الأشكال من الأسرار كان أسطورة رجل إله يموت ويبعث.

كانت الأسرار اليونانية التي احتُفل بها في إليوسيس تكريماً للإلهة الأم العظيمة والإله ديونيسوس أشهر طقوس الأسرار على الإطلاق. دُمِّرَ مزار إليوسيس نهائيًا على يد جماعات من الرهبان المسيحيين المتعصبين عام 396 ميلاديًا، ولكن حتى هذا العمل التخريبي المأساوي، كانت تُقام فيه طقوس الأسرار لأكثر من 11 قرنًا.24 في أوج شعبيتها، كان الناس يأتون من جميع أنحاء العالم المعروف آنذاك ليتم تنصيبهم: رجال ونساء، أغنياء وفقراء، عبيد وأباطرة 25 - حتى كاهن براهمي من الهند.26

في كل عام، كان حوالي 30 ألف مواطن أثيني ينطلقون في رحلة حج حافية لمسافة 30 كيلومترًا إلى موقع إليوسيس المقدس على الساحل للاحتفال بأسرار ديونيسوس الخريفية.27 وكانوا يستعدون لهذا الحدث الديني المهم لأيام من خلال الصيام وتقديم القرابين والخضوع للتطهير الطقسي. وبينما كان أولئك الذين على وشك الانضمام يرقصون على طول "الطريق المقدس" إلى إليوسيس، مصحوبين بإيقاع محموم من الصنج والدفوف، اعترضهم رجال ملثمون قاموا بإساءة معاملتهم وإهانتهم، بينما قام آخرون بضربهم بالعصي.28 وفي مقدمة الموكب كان يُحمل تمثال ديونيسوس نفسه، ليقودهم إلى الأمام. بعد طقوس الاستحمام العاري في البحر وغيرها من مراسم التطهير، وصل الحشد إلى الأبواب الكبيرة لـ"الحرم الداخلي"، وهي قاعة ضخمة مصممة خصيصًا لهذا الغرض. لا يُسمح بالدخول إلى هنا إلا للقلة المختارة ممن تم تأهيلهم بالفعل أو على وشك التأهيل في الأسرار السرية.

ما هو الاحتفال المهيب الذي أقيم خلف هذه الأبواب المغلقة والذي أثر بعمق في الفلاسفة والفنانين ورجال الدولة والعلماء العظماء في العالم القديم؟ أقسم جميع المتأهلين على السرية، وكانوا يعتبرون الأسرار مقدسة لدرجة أنهم حافظوا على هذا القسم.29 ومع ذلك، من خلال عدد كبير من التلميحات والقرائن، نعلم أنهم شهدوا مشهدًا مسرحيًا رائعًا. لقد انبهروا بالأصوات وأبهرتهم الأضواء. لقد غمرتهم ألسنة اللهب الهائلة وارتجفوا على وقع أصداء جرس ضخم يهز الأعصاب. كان الكاهن الأكبر، كبير كهنة الأسرار، حرفياً "رجل استعراض" قام بتدبير إعادة تمثيل درامية مرعبة ومغيرة للأسطورة المقدسة. كان هو نفسه يرتدي زي الشخصية المحورية - الإله ديونيسوس.30 يكتب أحد الباحثين المعاصرين:

> 'وهكذا كان الدين الغامض دراما إلهية تصور أمام أعين المراقبين المتميزين قصة الصراعات والمعاناة والانتصار لإله راعي، ومعاناة الطبيعة التي تنتصر فيها الحياة في النهاية على الموت، ويولد الفرح من الألم. كانت طقوس الأسرار بأكملها تهدف بشكل خاص إلى تسريع الحياة العاطفية. لم يتم إهمال أي وسيلة لإثارة المشاعر في مسرحية العاطفة، سواء عن طريق استحضار استعدادات دقيقة أو عن طريق توفير محفزات خارجية. ترقبات ذهنية متوترة وقد تعززت هذه الظاهرة بفترة من الامتناع، والصمت المطبق، والمواكب المهيبة، والاحتفالات الفخمة، والموسيقى الصاخبة والعنيفة أو الهادئة والساحرة، والرقصات المبهجة، وشرب الخمور، والتدليك الجسدي، وتناوب الظلام الدامس والضوء الساطع، ومشاهدة الملابس الاحتفالية الرائعة، والتعامل مع الرموز المقدسة، والإيحاء

الذاتي، وإلهامات الكاهن الأعظم - هذه وغيرها من أسرار النشوة العاطفية كانت رائجة.

إن هذا التمثيل الدرامي لأسطورة ديونيسوس هو أصل المسرح.32 لكن المتأهلين لم يكونوا جمهورًا سلبيًا. لقد كانوا مشاركين شاركوا في شغف الرجل الإلهي الذي مثّل موته وولادته من جديد رمزياً موت وولادة روحية لكل واحد منهم. كما يوضح أحد الخبراء المعاصرين:

كان ديونيسوس إله النشوة الأكثر بركة والحب الأكثر سحراً. لكنه كان أيضاً الإله المضطهد، الإله المتألم والمحتضر، وكان على كل من أحبهم، وكل من حضروا معه، أن يشاركوه مصيره المأساوي. ' 33

من خلال مشاهدة المأساة الرهيبة لديونيسوس، شارك المتأهلون في إليوسيس في معاناته وموته وقيامته، وبالتالي اختبروا تطهيرًا روحيًا يُعرف باسم "التطهير". 34

لم تقدم الأسرار عقائد دينية ليتم الإيمان بها فحسب، بل أسطورة يجب الدخول فيها. لم يكن الهدف من التأهيل تعلم شيء ما، بل كان يتعلق بتجربة حالة وعي متغيرة. يعترف بلوتارخ، وهو كاهن وثني كبير، بأن أولئك الذين تأهلوا لم يتمكنوا من تقديم أي دليل على المعتقدات التي اكتسبوها. يؤكد أرسطو: "ليس من الضروري للمتأهل أن يتعلم أي شيء، بل أن يتلقى انطباعات وأن يكون في حالة ذهنية معينة."35 ويتحدث الفيلسوف برقلس عن الأسرار باعتبارها تستحضر "تعاطف النفس مع الطقوس بطريقة غير مفهومة لنا وإلهية، بحيث يصاب بعض المتأهلين بالذعر، ويمتلئون بالرهبة الإلهية؛ بينما يندمج آخرون مع الرموز المقدسة، ويتخلون عن هويتهم، ويصبحون في حضرة الآلهة، ويختبرون التلبس الإلهي."36

لماذا كان للأسطورة التي جسدتها الأسرار تأثير عميق كهذا؟

تعاليم سرية مشفرة

في العصور القديمة، لم تكن كلمة "ميثوس (mythos)" تعني شيئًا "غير صحيح"، كما هو الحال بالنسبة لنا اليوم. ظاهريًا، كانت الأسطورة مجرد قصة مسلية، لكنها بالنسبة للمتأهلين كانت بمثابة قانون مقدس يحوي على تعاليم روحية عميقة.37 ويعلق أفلاطون قائلًا: "يبدو أن أولئك الذين وضعوا لنا طقوس التأهيل لم يكونوا حمقى، بل إن هناك معنى خفيًا في تعاليمهم".38 ويوضح أن "أولئك الذين كرّسوا حياتهم للفلسفة الحقيقية" هم من سيدركون "المعنى الخفي" المُشفّر في أساطير الأسرار، وبالتالي سيتحدون تمامًا مع الإنسان الإلهي في تجربة تنوير صوفي.39

لم يكن الفلاسفة القدماء أغبياء لدرجة الاعتقاد بأن أساطير الأسرار كانت صحيحة حرفياً، بل كانوا حكماء بما يكفي لإدراك أنها كانت مدخلاً سهلاً إلى الفلسفة الصوفية العميقة التي تكمن في قلب الأسرار. يكتب سالوستيوس:

'إن الرغبة في تعليم جميع الناس حقيقة الآلهة تجعل الحمقى يحتقرونها لأنهم لا يستطيعون التعلم، وتجعل الأخيار كسالى، بينما إخفاء الحقيقة بالأساطير يمنع الأولين من احتقار الفلسفة ويجبر الآخرين على دراستها.' 40

كان دور الكهنة والفلاسفة في الأسرار هو فك رموز الأعماق الخفية للمعنى الروحي الموجود داخل أساطير الأسرار. يشرح هيليودوروس، كاهن الأسرار، ما يلي:

> "لا يكشف الفلاسفة واللاهوتيون عن المعاني الكامنة في هذه القصص للعامة، بل يقدمون لهم ببساطة تعليمات تمهيدية في شكل أسطورة." أما أولئك الذين بلغوا أعلى مراتب الأسرار، فإنهم يتأهلون في معرفة واضحة في خلوة المزار المقدس، في ضوء شعلة الحقيقة المتوهجة. 41

تم تقسيم الأسرار إلى مستويات مختلفة من التأهيل، والتي قادت المتأهل خطوة بخطوة عبر مستويات متعمقة من الفهم. تفاوتت عدد مستويات التأهيل في مختلف تقاليد الأسرار، ولكن بشكل أساسي كان يتم توجيه المتأهل في الأسرار الظاهرية، حيث يتم فهم الأساطير بشكل سطحي على أنها قصص دينية، إلى الأسرار الباطنية، حيث يتم الكشف عن الأساطير على أنها استعارات روحية. أولاً، تم تطهير المتأهل طقوسياً. ثم تم تعليمهم التعاليم السرية بشكل فردي.42 وكانت أعلى مرحلة هي عندما فهم المتأهل المعنى الحقيقي للتعاليم واختبر أخيرًا ما يسميه ثَاوُن الأزميري "الصداقة والتواصل الداخلي مع الله".

الأسرار الدولية

سيطرت الأسرار على العالم الوثني. لا يوجد إله آخر ممثل على آثار اليونان وإيطاليا القديمة بقدر ما هو ممثل ديونيسوس، إله أسرار إليوسيس.43 وهو إله له أسماء عديدة: ياكوس، وباساريوس، وبروميوس، وإيوس، وسابازيوس، وزاجريوس، ويهيونيوس، ولينايوس، وإليوثيريوس، والقائمة تطول.44 ولكن هذه ليست سوى بعض أسمائه اليونانية! يُعدّ الإنسان الإلهي شخصية أسطورية حاضرة في كل مكان في جميع أنحاء البحر الأبيض المتوسط القديم، ومعروفة بطرق مختلفة لدى العديد من الثقافات.

قبل خمسة قرون من ميلاد المسيح، اكتشف المؤرخ اليوناني هيرودوت، المعروف باسم "أبو التاريخ"، هذا الأمر عندما سافر إلى مصر. على ضفاف بحيرة مقدسة في دلتا النيل، شهد مهرجانًا ضخمًا يقام كل عام، حيث قدم المصريون عرضًا دراميًا أمام "عشرات الآلاف من الرجال والنساء"، يمثل موت وقيامة أوزوريس. كان هيرودوت مطلعاً على الأسرار اليونانية، وأدرك أن ما يسميه "آلام أوزوريس" هو نفس الدراما التي شاهدها المطلعون تُعرض أمامهم في إليوسيس باسم آلام ديونيسوس.45 أسطورة أوزوريس المصرية هي الأسطورة البدائية لإنسان إله الأسرار، وتعود جذورها إلى عصور ما قبل التاريخ. قصته قديمة جداً لدرجة أنه يمكن العثور عليها في نصوص الأهرامات التي كُتبت منذ أكثر من 4500 عام! 46

كان هيرودوت يسير على خطى يوناني عظيم آخر في رحلته إلى مصر.

قبل عام 670 قبل الميلاد، كانت مصر دولة مغلقة، على غرار التبت أو اليابان في الآونة الأخيرة، ولكن في هذا العام فتحت حدودها، وكان فيثاغورس من أوائل اليونانيين الذين سافروا إليها بحثًا عن الحكمة القديمة.47 يذكر التاريخ فيثاغورس باعتباره أول "عالم" في العالم الغربي، ولكن على الرغم من أنه من الصحيح أنه جلب معه العديد من النظريات الرياضية إلى اليونان من مصر، إلا أنه بالنسبة لمعاصريه، كان سيبدو بعيدًا كل البعد عن "العلمي" بالمعنى الحديث.

كان فيثاغورس، الحكيم المتجول ذو الكاريزما، يرتدي رداءً أبيض ويتوج بتاج ذهبي، عالماً وكاهناً وساحراً في آن واحد.48 أمضى 22 عاماً في معابد مصر، وأصبح من المطلعين على أسرار مصر القديمة.49 وعند عودته إلى اليونان، بدأ ينشر الحكمة التي تعلمها، ويجري المعجزات، ويحيي الموتى، ويعطي النبوءات.

استلهم تلاميذه من فيثاغورس، فابتكروا ديانة يونانية سرية على غرار الأسرار المصرية. لقد أخذوا إله النبيذ المحلي ديونيسوس، الذي كان إلهاً ثانوياً تم تجاهله تقريباً من قبل هسيودوس وهوميروس، وحولوه إلى نسخة يونانية من أوزوريس المصري العظيم، إله الأسرار. أدى ذلك إلى ثورة دينية وثقافية حولت أثينا إلى مركز العالم المتحضر.50

كان أتباع فيثاغورس نماذج للفضيلة والمعرفة، وكان جيرانهم يعتبرونهم من المتشددين. كانوا نباتيين متشددين، ودعوا إلى عدم العنف تجاه جميع الكائنات الحية، وتجنبوا طوائف المعابد التي كانت تمارس التضحية بالحيوانات. وهذا ما جعل من المستحيل عليهم المشاركة في الديانة الأولمبية التقليدية لأثينا. ونظرًا لإجبارهم على العيش على هامش المقبولية، فقد نظموا أنفسهم في كثير من الأحيان في مجتمعات تتشارك جميع الممتلكات، مما أتاح لهم حرية تكريس أنفسهم لدراساتهم الصوفية في الرياضيات والموسيقى وعلم الفلك والفلسفة.51 ومع ذلك، انتشرت ديانة الأسرار بسرعة بين عامة الناس، وفي غضون بضعة أجيال، ألهمت أسرار أوزوريس المصرية، التي تُعرف الآن بأسرار ديونيسوس، مجد أثينا الكلاسيكية.

بنفس الطريقة التي قام بها الإغريق بدمج أوزوريس مع إلههم الأصلي ديونيسوس لإنشاء الأسرار اليونانية، قامت ثقافات البحر الأبيض المتوسط الأخرى التي تبنت ديانة الأسرار بتحويل أحد آلهتها الأصلية إلى إله الأسرار الذي يموت ويبعث. لذلك، فإن الإله الذي كان يُعرف باسم أوزوريس في مصر وأصبح ديونيسوس في اليونان كان يُطلق عليه اسم آتيس في آسيا الصغرى، وأدونيس في سوريا، وباكوس في إيطاليا، وميثراس في بلاد فارس، وهكذا. كانت أشكاله كثيرة، لكنه في جوهره كان نفس الشخصية الخالدة، والتي أشير إلى هويتها الجماعية باسم أوزوريس-ديونيسوس.52

ولأن القدماء أدركوا أن جميع آلهة الأسرار المختلفة كانت في الأساس نفس الكائن الأسطوري، فقد تم دمج عناصر من أساطير وطقوس مختلفة وإعادة دمجها باستمرار لإنشاء أشكال جديدة من الأسرار. في الإسكندرية، على سبيل المثال، قام حكيم كاريزمي يُدعى تيموثيوس بدمج أوزوريس وديونيسوس عن وعي لإنتاج إله جديد للمدينة يُدعى سيرابيس.53 كما قدم سردًا مفصلاً لأسطورة الإله الغامض آتيس.

تلقى لوسيوس أبوليوس طقوس انضمامه إلى الأسرار المصرية من كاهن كبير يحمل اسم الإله الفارسي ميثراس. سُكّت العملات المعدنية التي تحمل صورة ديونيسوس على أحد وجهيها وميثراس على الوجه الآخر.54 ويخبرنا أحد المصادر الحديثة أن المتأهلين في الأسرار، "الذين امتلكوا معرفة طقوسهم السرية الخاصة"، "لم يجدوا صعوبة في التوافق مع أي دين رائج".55

ومثل الدين المسيحي الذي حل محلها، امتدت الأسرار عبر الحدود الوطنية، مقدمة روحانية ذات صلة بجميع البشر، بغض النظر عن أصولهم العرقية أو وضعهم الاجتماعي. حتى في وقت مبكر يعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد، أطلق فلاسفة مثل ديوجانس وسقراط على أنفسهم لقب "كوزموبوليتانيين" - أي "مواطنين الكون" - بدلاً من أي بلد أو ثقافة معينة، وهو ما يشهد على الطبيعة الدولية للأسرار.56

كتب أحد الباحثين المعاصرين، معلقاً على اندماج ودمج تقاليد الأسرار المختلفة:

'لقد قطع هذا شوطاً طويلاً نحو فطام عقول البشر عن فكرة وجود آلهة منفصلة من مختلف الأمم، ونحو تعليمهم أن جميع الآلهة الوطنية والمحلية ليست سوى أشكال مختلفة لقوة عظيمة واحدة. لولا ظهور المسيحية والديانات الأخرى، لما كان هناك شك في أن جميع الآلهة اليونانية الرومانية كانت ستندمج باستمرار في ديونيسوس.' 57

أوزوريس-ديونيسوس ويسوع المسيح

كان لأوزوريس-ديونيسوس جاذبية عالمية لأنه كان يُنظر إليه على أنه شخصية "كل إنسان" تمثل رمزياً كل متأهل. من خلال فهم الأسطورة الرمزية لإله الأسرار، يمكن للمتأهلين أن يدركوا أنهم، مثل أوزوريس-ديونيسوس، كانوا أيضًا "إلهًا متجسدًا". كانوا هم أيضاً أرواحاً خالدة محبوسة داخل جسد مادي. من خلال المشاركة في موت أوزوريس-ديونيسوس، مات المتأهلون رمزياً عن طبيعتهم الأرضية الدنيا. من خلال مشاركتهم في قيامته، ولدوا من جديد روحياً واختبروا جوهرهم الأبدي والإلهي. كان هذا هو التعليم الصوفي العميق الذي شفرته أسطورة أوزوريس-ديونيسوس لأولئك الذين تم إدخالهم في الأسرار الباطنية، والتي اختبرها المتأهلون بأنفسهم بشكل مباشر.

يشرح السير واليس بادج، الذي كان أمينًا للآثار في المتحف البريطاني، في معرض حديثه عن الإله أوزوريس، إنسان إله الأسرار المصري:

> "كان المصريون في كل فترة نعرفها يعتقدون أن أوزوريس كان من أصل إلهي، وأنه عانى الموت والتشويه على يد قوى الشر، وأنه بعد صراع عظيم مع هذه القوى قام من جديد، وأنه أصبح منذ ذلك الحين ملك العالم السفلي وقاضي الموتى، و لأنه انتصر على الموت، فإن الصالحين قادرون أيضًا على الانتصار عليه." 58
>
> لقد مثّل للبشر فكرة الإنسان الذي كان إلهاً وإنساناً في آن واحد، وكان يمثل للمصريين في جميع العصور الكائن الذي يستطيع، بسبب معاناته وموته كإنسان، أن يتعاطف معهم في مرضهم وموتهم. كما أن فكرة شخصيته البشرية قد أرضت رغباتهم وتطلعاتهم للتواصل مع كائن، على الرغم من أنه كان إلهيًا جزئيًا، إلا أنه كان يشترك معهم في الكثير من الصفات. في الأصل، كانوا ينظرون إلى أوزوريس على أنه رجل عاش على الأرض كما عاشوا، وكان يأكل ويشرب، وعانى من موت قاسٍ، وانتصر على الموت بمساعدة آلهة معينة، ونال الحياة الأبدية. لكن ما فعله أوزوريس كان بإمكانهم فعله أيضاً. 59

هذه هي السمات الرئيسية التي تميز أساطير جميع آلهة الأسرار . ما كتبه بادج عن أوزوريس يمكن قوله بالمثل عن ديونيسوس، وآتيس، وأدونيس، وميثراس، وبقية الآلهة. كما يصف الكتاب أيضاً يسوع المسيح، الإنسان الإلهي اليهودي الذي مات وقام من بين الأموات. ومثل أوزوريس-ديونيسوس، فهو أيضاً إله متجسد وإله القيامة. كما يعد أتباعه بالولادة الروحية من خلال المشاركة في آلامه الإلهية.

الخلاصة

كانت الأسرار بلا شك قوة بالغة التأثير في العالم القديم. دعونا نراجع ما اكتشفناه عنهم:

- ألهمت الأسرار الوثنية أعظم عقول العالم القديم.
- لقد مارستها جميع الثقافات تقريباً في منطقة البحر الأبيض المتوسط بأشكال مختلفة.
- وقد شملت هذه الأسرار أسراراً ظاهرية كانت متاحة للجميع وأسراراً باطنية سرية لا يعرفها إلا أولئك الذين خضعوا لعملية قوية من التأهيل الصوفي.
- كان جوهر الأسرار أسطورة إله يموت ويبعث - أوزوريس-ديونيسوس.
- كشفت الأسرار الباطنية أن أساطير أوزوريس-ديونيسوس هي استعارات روحية تشفر تعاليم روحية.

السؤال الذي أثار فضولنا هو ما إذا كان بإمكان الأسرار أن تؤثر بطريقة ما على ما ورثناه باعتباره "سيرة" يسوع وتشكله؟ بخلاف آلهة الأسرار الوثنية المختلفة، يُنظر إلى يسوع تقليديًا على أنه شخصية تاريخية وليست أسطورية، فهو حرفيًا رجل كان تجسيدًا لله، عانى ومات وقام من بين الأموات ليجلب الخلاص للبشرية جمعاء. لكن هل يمكن أن تكون هذه العناصر من قصة يسوع في الواقع قصصًا أسطورية موروثة من الأسرار الوثنية؟

بدأنا في دراسة أساطير أوزوريس-ديونيسوس عن كثب، بحثاً عن أوجه التشابه مع قصة يسوع. لم نكن مستعدين للعدد الهائل من أوجه التشابه التي اكتشفناها.

تقليد شيطاني

"بعد أن سمعوا ما أُعلن على لسان الأنبياء من أن المسيح سيأتي وأن الأشرار بين الناس سيعاقبون بالنار، قدمت الأرواح الشريرة الكثيرين ليُطلق عليهم أبناء الله، ظنًا منها أنها ستكون قادرة على زرع فكرة في الناس مفادها أن الأشياء التي قيلت بخصوص المسيح ليست سوى حكايات عجيبة، مثل الأشياء التي قالها الشعراء." 1
جاستن الشهيد

على الرغم من أن أوجه التشابه الملحوظة بين أساطير أوزوريس-ديونيسوس و"سيرة" يسوع المسيح المفترضة غير معروفة بشكل عام اليوم، إلا أنها كانت واضحة للوثنيين والمسيحيين على حد سواء في القرون القليلة الأولى الميلادية. انتقد الفيلسوف الوثني والساخر سيلسوس المسيحيين لمحاولتهم تمرير قصة يسوع على أنها وحي جديد بينما كانت في الواقع تقليدًا رديئًا للأساطير الوثنية. يسأل:

هل هذه الأحداث المميزة خاصة بالمسيحيين فقط؟ وإذا كان الأمر كذلك، فكيف تكون فريدة؟ أم أن ما لدينا يُعتبر خرافات وما لديهم يصدق؟ ما هي الأسباب التي يقدمها المسيحيون لتمييز معتقداتهم؟ في الحقيقة، ليس هناك شيء غير عادي على الإطلاق فيما يؤمن به المسيحيون، باستثناء أنهم يؤمنون به على حساب حقائق أكثر شمولاً عن الله. 2

كان المسيحيون الأوائل يدركون تماماً هذه الانتقادات.3 كيف يمكن للأساطير الوثنية التي سبقت المسيحية بمئات السنين أن تشترك في الكثير مع سيرة المخلص الوحيد يسوع؟ في محاولة يائسة لإيجاد تفسير، لجأ آباء الكنيسة إلى واحدة من أكثر النظريات سخافة على الإطلاق. منذ زمن جاستن الشهيد في القرن الثاني فصاعدًا، أعلنوا أن الشيطان قد سرق المسيحية عن طريق التوقع من أجل تضليل الناس! 4 ولأن الشيطان كان يعلم أن ابن الله الحقيقي سيأتي حرفياً ويسير على الأرض، فقد نسخ قصة حياته قبل حدوث ذلك، وابتكر أساطير أوزوريس-ديونيسوس.

كتب ترتليان، أحد آباء الكنيسة، عن "التقليد الشيطاني" للشيطان في صنع أسرار ميثراس:

"إن الشيطان، الذي تتمثل مهمته في تحريف الحقيقة، يقلد الظروف الدقيقة للأسرار المقدسة الإلهية. يقوم بتعميد أتباعه ويعدهم بمغفرة الذنوب من النبع المقدس، وبذلك يؤهلهم في دين ميثراس. وهكذا يحتفل بتقديم الخبز كقربان، ويُدخل رمز القيامة. فلنعترف إذن بمكر الشيطان، الذي يقلد بعض الأشياء الإلهية. 5

من خلال دراسة أساطير الأسرار، يتضح سبب لجوء هؤلاء المسيحيين الأوائل إلى مثل هذا التفسير اليائس. على الرغم من عدم وجود أسطورة وثنية واحدة توازي تمامًا قصة يسوع، إلا أن الزخارف الأسطورية التي تشكل قصة الإنسان الإلهي اليهودي كانت موجودة بالفعل لقرون في القصص المختلفة التي رويت عن أوزوريس-ديونيسوس وأعظم أنبيائه. دعونا نقوم برحلة عبر "سيرة" يسوع ونستكشف بعض أوجه التشابه غير العادية هذه.

ابن الله

على الرغم من ادعاء المسيحية بأن يسوع هو "الابن الوحيد لله"،6 فإن أوزوريس-ديونيسوس، بكل أشكاله العديدة، يُعتبر أيضًا ابن الله. يسوع هو ابن الله، ومع ذلك فهو مساوٍ للآب. ديونيسوس هو 'ابن زيوس، إله في كمال طبيعته، الأكثر رعبًا، مع أنه الأكثر لطفًا بالبشرية'.7 يسوع هو 'إله الحق من إله الحق'.8 ديونيسوس هو 'رب إله مولود من إله!' 9

يسوع هو الله في صورة بشرية. يكتب القديس يوحنا عن يسوع بأنه "الكلمة الذي صار جسداً".10 ويشرح القديس بولس أن "الله أرسل ابنه في شبه جسد الخطيئة". 11 كان ديونيسوس يُعرف أيضًا باسم باكوس، ومن هنا جاء عنوان مسرحية يوريبيدس "الباكوسيات"، حيث ديونيسوس هو الشخصية المركزية. في هذه المسرحية، يشرح ديونيسوس أنه أخفى "ألوهيته في شكل بشري" من أجل إظهارها "للبشر الفانين".12 ويقول لتلاميذه: "لهذا السبب غيرت شكلي الخالد واتخذت صورة إنسان". 13

وكما هو الحال مع يسوع، فإن الإله الوثني في العديد من أساطيره يولد من أم عذراء بشرية. في آسيا الصغرى، والدة آتيس هي العذراء كوبيلي.14 وفي سوريا، تسمى والدة أدونيس العذراء ميرا. في الإسكندرية، وُلد أيون من العذراء كوري.15 وفي اليونان، وُلد ديونيسوس من عذراء بشرية تُدعى سيميلي، والتي رغبت في رؤية زيوس في كامل مجده، فحملت منه بطريقة غامضة عن طريق إحدى صواعقه.16

كان من التقاليد الشائعة، والمسجلة في أكثر النصوص غير القانونية اقتباسًا في المسيحية المبكرة، أن يسوع قضى سبعة أشهر فقط في رحم مريم.17 ويذكر المؤرخ الوثني ديودوروس أن سيميلي، والدة ديونيسوس، قيل أيضًا إن حملها لم يدم سوى سبعة أشهر. 18

يُقر جاستن الشهيد بأوجه التشابه بين ولادة يسوع من عذراء والأساطير الوثنية، ويكتب:

> "عندما نقول إن الكلمة ولدت لنا بدون اتحاد جنسي بصفته يسوع المسيح معلمنا، فإننا لا نضيف شيئاً يتجاوز ما قيل عن أولئك الذين يُطلق عليهم أبناء زيوس." 19

لم تكن أسطورة "ابن الله" أكثر تطوراً في أي مكان آخر منها في مصر، الموطن القديم للأسرار. حتى المسيحي لاكتانتيوس أقرّ بأن الحكيم المصري الأسطوري هرمس تريسميجستوس قد 'وصل بطريقة ما إلى الحقيقة، لأنه قال كل شيء عن الله الآب، وعن الابن'20 في مصر، كان يُنظر إلى الفرعون لآلاف السنين على أنه تجسيد للإله أوزوريس، وكان يُمدح في التراتيم باعتباره ابن الله.21 وكما كتب عالم مصريات بارز،

> "كان على كل فرعون أن يكون ابن الله وأماً بشرية حتى يكون هو الإله المتجسد، مانح الخصوبة لبلاده وشعبه." 22

في العديد من الأساطير، يتم تصوير أنبياء أوزوريس-ديونيسوس العظماء أيضًا على أنهم منقذون وأبناء الله. قيل إن فيثاغورس كان ابن أبولو وامرأة بشرية تدعى بارثينيس، واسمها مشتق من كلمة بارثينوس التي تعني "عذراء".23 كما اعتُقد بعد وفاة أفلاطون أنه ابن أبولو.24 ويذكر فيلوستراطوس في سيرته الذاتية لأبولونيوس أن الحكيم الوثني العظيم

كان يُعتبر "ابن زيوس". كان يُعتقد أن أمبادوقليس إنسان إله ومخلص نزل إلى هذا العالم لمساعدة النفوس الحائرة، فأصبح "كالمجنون، ينادي الناس بأعلى صوته ويحثهم على رفض هذا العالم وما فيه والعودة إلى عالمهم الأصلي السامي والنبيل".25

حتى أن الزخارف الأسطورية من الأسرار أصبحت مرتبطة بالأباطرة الرومان الذين قاموا، لأسباب سياسية، بترويج أساطير حول طبيعتهم الإلهية التي تربطهم بأوزوريس-يونيسوس. يوليوس قيصر، الذي لم يكن يؤمن هو نفسه بالخلود الشخصي،26 لُقِّب بـ"الله المتجلي، المنقذ العام للحياة البشرية".27 وكان خليفته، أغسطس، كذلك "منقذ الجنس البشري العالمي".28 حتى أن نيرون الطاغية يُخاطَب على لوحة مذبح بـ"الله المخلص إلى الأبد".29 في عام 40 قبل الميلاد، استنادًا إلى أساطير الأسرار، كتب الشاعر الروماني والعارف فرجيل "نبوءة" صوفية مفادها أن عذراء ستلد طفلًا إلهيًا.30 في القرن الرابع الميلادي، ادعى المسيحيون الحرفيون أنهم تنبأوا بمجيء يسوع، ولكن في ذلك الوقت فُسِّرت هذه الأسطورة على أنها تشير إلى أغسطس، الذي قيل إنه "ابن أبولو"، المُقَدَّر له أن يحكم الأرض ويجلب السلام والازدهار.31 في سيرته الذاتية لأغسطس، يقدم سويتونيوس مجموعة من "العلامات" التي تشير إلى الطبيعة الإلهية للإمبراطور. يكتب أحد الخبراء المعاصرين:

> "تتضمن بعض النقاط اللافتة للنظر التي تتشابه مع روايات الأناجيل عن ميلاد المسيح. من المفترض أن مجلس الشيوخ، بشكل مثير للسخرية وغير معقول، قد أصدر مرسوماً بحظر تربية الأطفال الرومان الذكور في عام ميلاد أغسطس بسبب نذير يشير إلى ولادة ملك روما. إضافة إلى هذه المذبحة للأبرياء، يُقدّم لنا نبوءة: فقد حلمت والدته أتيا أثناء زيارتها لمعبد أبولو أن الإله قد أنعم عليها بنعمته في صورة ثعبان؛ ووُلد أغسطس بعد تسعة أشهر." 32

نقش كُتب في الفترة الزمنية التي يُفترض أن يكون يسوع قد عاش فيها يقول:

> "لقد منح هذا اليوم الأرض مظهراً جديداً تماماً. كان العالم سيتجه نحو الدمار لولا أن انبثقت من المولود الآن نعمة عامة. إنه محق في حكمه على من يدرك في هذا الميلاد بداية الحياة، فقد انتهى الآن ذلك الزمن الذي كان فيه الرجال يشفقون على أنفسهم لمجرد ولادتهم. لا يحصل الفرد أو المجتمع في أي يوم آخر على مثل هذه الفائدة كما في يوم الميلاد هذا، المليء بالبركات للجميع. لقد ملأ القدر الذي يحكم كل شيء هذا الرجل بمواهب من أجل خلاص العالم تجعله مخلصاً لنا وللأجيال القادمة؛ سيضع حداً للحروب، ويقيم كل شيء على نحو لائق. بظهوره تتحقق آمال أسلافنا؛ فهو لم يتجاوز الأعمال الصالحة في العصور السابقة فحسب، بل من المستحيل أن يظهر أحد أعظم منه. لقد جلب ميلاد الله للعالم بشارة سارة مرتبطة به. يبدأ عهد جديد مع عيد ميلاده." 33

لكن هذا ليس احتفالاً مسيحياً بميلاد يسوع. إنه ليس حتى تأبيناً للإنسان الإلهي للأسرار. إنه تكريماً لأغسطس. كانت هذه الزخارف الأسطورية شائعة للغاية بحلول القرن الأول قبل الميلاد لدرجة أنها استخدمت لتلفيق أساطير مفيدة سياسياً للإمبراطور الحي.

يسرد سيلسوس عدداً من الشخصيات التي تنسب إليها الأساطير نسباً إلهياً وولادة معجزة، ويتهم المسيحية باستخدام الأساطير الوثنية بشكل واضح في اختلاق قصة ميلاد يسوع من عذراء.34 وهو ينتقد المسيحيين الذين يفسرون هذه الأسطورة على أنها حقيقة تاريخية، ويعتبر فكرة أن الله يمكن أن ينجب طفلاً من امرأة بشرية أمراً سخيفاً بكل وضوح.35

ميلاد المسيح

وكما يحتفل المسيحيون بميلاد يسوع، احتفل المنتسبون إلى الأسرار بميلاد أوزوريس- ديونيسوس، الذي كان "طفل الله العجيب، السر"36 و"صاحب الميلاد المعجز"37 (انظر اللوحتين 1 و 2). يروي أحد آباء الكنيسة، هيبوليتوس، عن الصوت العالي لكاهن أسرار إليوسيس الذي "يصرخ" معلناً الميلاد الإلهي.38 ويكتب أحد علماء الكلاسيكيات المعاصرين:

> "ولد الطفل الصوفي في إليوسيس من عذراء؛ وضع هؤلاء القدماء لأنفسهم العقيدة المقدسة "ستحبل العذراء وتلد ابناً"، 39 وفي الليل أُعلن "ولد لنا ولد، وأُعطي لنا ابن"." 40

قيل إنه عند ولادة أوزوريس، أعلن صوت: "لقد ولد رب الأرض كلها". 41 ترنيمة مصرية قديمة تعلن: "أيها الطفل الإلهي، ملك الأرض، أمير العالم السفلي". 42 قصيدة مصرية رائعة أخرى، تذكرنا بالعديد من الترانيم المسيحية، تبتهج:

> "لقد وُلد! لقد وُلد! تعالوا واعبدوه! الأمهات المانحات للحياة، الأمهات اللواتي أنجبنه، نجوم السماء التي تزين الفجر.
>
> يا أسلاف نجمة الصباح. أيها النساء والرجال، تعالوا واعبدوه، الطفل الذي ولد في الليل.
>
> لقد وُلد! لقد وُلد! تعالوا واعبدوه! يا سكان دوات، ابتهجوا أمامه.
>
> يا آلهة السماوات، اقتربوا وانظروا إليه، يا أهل الأرض، تعالوا واعبدوه!
>
> انحنوا أمامه، اركعوا أمامه، أيها الملك المولود في الليل.
>
> لقد وُلد! لقد وُلد! تعالوا واعبدوه! شاب كالقمر في إشراقه وتغيراته، تجوب خطواته أرجاء السماء.
>
> نجوم لا تهدأ ولا تغرب، اعبدوا ابن الله! يا سماء ويا أرض، تعالوا واعبدوه!
>
> انحنوا أمامه، اركعوا أمامه! اعبدوه، وسجدوا له!
>
> الله الذي يولد في الليل." 44

ولد يسوع في حظيرة متواضعة. في أسرار ديونيسوس، كان يُقام زواج مقدس، يُنجب منه الطفل الإلهي، في البوكوليون، أو ما يُعرف بـ"إسطبل الثيران".45 ومع ذلك، فإن الكلمة التي تُترجم عادةً إلى "إسطبل" في الأناجيل هي كاتاليمنا، والتي تعني حرفيًا مأوى مؤقتًا أو كهفًا.46 وكان من التقاليد المسيحية المبكرة الشائعة أن يسوع وُلد في كهف.

هذه صورة قديمة جداً. الكهف هو رحم الأرض الأم. كانت هناك كهوف مقدسة للإله اليوناني بان، وهو اسم آخر

لديونيسوس، في جميع أنحاء العالم القديم. قيل إن الإله الفارسي ميثراس ولد في كهف. بحسب الأساطير الأورفية، وُلد ديونيسوس أيضاً في كهف، حيث تُوّج على الفور بلقب "ملك العالم".47

زار "المجوس الثلاثة" وثلاثة رعاة الطفل يسوع. في الأناجيل، يُطلق على "الحكماء الثلاثة" في الواقع اسم "المجوس". كان المجوس أتباعًا للإله الفارسي للأسرار ميثراس. يُحتفل بعيد ميلاده في 25 ديسمبر - وهو نفس التاريخ الذي يُحتفل فيه بعيد ميلاد يسوع. ويُقال إن ثلاثة رعاة شهدوا ولادة ميثراس! 48

أحضر المجوس هدايا من الذهب واللبان والمر إلى يسوع. يتحدث الحكيم الوثني أمبادوقليس عن عبادة الله بـ "قرابين من المر واللبان غير المختلطين، وإلقاء سكب العسل الذهبي على الأرض".49 وقد تم استخدام المر كبخور مقدس خلال مهرجان أدونيس. في بعض الأساطير قيل إنه ولد من شجرة المر. وفي روايات أخرى، يُطلق على والدته اسم ميرا.50

قيل إن يسوع ولد في بلدة بيت لحم الصغيرة. اسم "بيت لحم" يعني "بيت الخبز". يذكر القديس جيروم حقيقة مثيرة للاهتمام مفادها أن بيت لحم كانت مظللة ببستان مقدس للإله الأسرار أدونيس، الذي كان يعتبر إله الذرة ويمثله الخبز! 51

في قصة يسوع، وجد المجوس الثلاثة يسوع في بيت لحم باتباع نجم. كانت أسرار أدونيس في أنطاكية القديمة يحتفل بها بالهتافات التي تقول إن "نجم الخلاص قد أشرق في الشرق".52 كان هذا هو نجم الصباح، وهو في الواقع كوكب الزهرة. الزهرة هي أحد أسماء الإلهة التي تعتبر في بعض الأساطير قرينة أوزوريس-ديونيسوس. في مصر كانت تُدعى إيزيس. لآلاف السنين، ارتبطت بالنجم الساطع سيريوس عند أقدام كوكبة أوريون، والذي كان يمثل أوزوريس. كان الظهور الأول لنجم سيريوس بمثابة نذير سنوي أعلن عن ارتفاع مياه فيضان النيل، والذي ارتبط بقوة أوزوريس في تجديد العالم.53 وهكذا تنبأ النجم بقدوم الرب.

يخبرنا القديس إبيفانيوس أنه في الإسكندرية كان يتم الاحتفال بميلاد أوزوريس-ديونيسوس باسم أيون في 6 يناير. في الليلة السابقة، كان المعبد يعج بأصوات المزامير والغناء، وبلغ ذروته عند صياح الديك. ثم ذهب المشاركون على ضوء المشاعل إلى مزار تحت الأرض، حيث أحضروا صورة للإله منحوتة من الخشب وعليها علامة الصليب على اليدين والركبتين والرأس. كان أبرز ما في هذا الاحتفال للأسرار هو الإعلان: "اليوم في هذه الساعة أنجبت العذراء كوري أيون". 54

لا بد أن القديس إبيفانيوس قد وجد هذا الأمر مصادفة محيرة، إذ أنه، شأنه شأن العديد من المسيحيين الأوائل، احتفل بنفس التاريخ، 6 يناير، باعتباره عيد ميلاد يسوع - كما تفعل الكنيسة الأرمنية حتى يومنا هذا.55 وحده الله يعلم ما الذي فهمه من "علامات إشارة الصليب على اليدين والركبتين والرأس"!

كان هناك جدل كبير في المسيحية المبكرة حول ما إذا كان ميلاد المسيح في 25 ديسمبر أو 6 يناير. هل كان ذلك لأن لا أحد يستطيع التذكر؟ أم أن السبب ببساطة هو أن المسيحيين الأوائل لم يكونوا متأكدين مما إذا كان ينبغي مزامنتها مع ميلاد ميثراس أو مع ميلاد أيون، وكلاهما كانا تمثيلين مختلفين لإله الأسرار الأبدي؟

لم يتم اختيار هذه التواريخ بشكل عشوائي. كان كلاهما في السابق تاريخ الانقلاب الشتوي، وهو أقصر يوم في السنة، والذي يشير إلى نقطة تحول السنة وعودة الشمس المانحة للحياة. بسبب الترنح المداري للاعتدالات، يتغير هذا التاريخ قليلاً بمرور الوقت. لذا، على الرغم من أن الانقلاب الصيفي انتقل تدريجياً من 6 يناير إلى 25 ديسمبر، إلا أن بعض التقاليد استمرت في الاحتفال به في الليلة المألوفة.56 ويصادف اليوم حوالي 22 ديسمبر. يحتفل الاحتفال السنوي بميلاد إله الأسرار بموت السنة القديمة وولادتها المعجزة كسنة جديدة في تاريخ الانقلاب الصيفي.

كان أوزوريس-ديونيسوس يمثل الشمس، وكان يُمثَّل بها، كما كان يسوع، الذي يسميه كليمنت الإسكندري، أحد

آباء الكنيسة، "شمس البر".57 ومن باب التوازن، استمدت سيميلي، والدة ديونيسوس العذراء، اسمها من إلهة القمر العذراء سيليني.58 وبالمثل، تم تشبيه الملاك جبرائيل الذي جاء إلى مريم ليبشرها بميلاد يسوع بالقمر.

المعمودية

تبدأ مهمة يسوع بمعموديته على يد يوحنا المعمدان. رأى علماء الأساطير مثل جوزيف كامبل دوافع أسطورية قديمة وراء هذه القصة. يكتب كامبل:

"كانت طقوس المعمودية طقوسًا قديمة تنحدر من مدينة معبد إريدو السومرية القديمة، لإله الماء إيا، "إله بيت الماء". في العصر الهلنستي، كانت إيا يسمى أوانس، وهو باليونانية Ioannes، وباللاتينية Johannes، وبالعبرية Yohanan، وبالإنجليزية John (يوحنا). لذلك، اقترح العديد من العلماء أنه لم يكن هناك يوحنا أو يسوع، بل إله ماء وإله شمس فقط. 59

عند فحص قصص يوحنا المعمدان ويسوع، يبدو أننا بوضوح في منطقة أسطورية. قصتاهما تعكسان بعضهما البعض بشكل مثالي. كلاهما ولدا ولادة معجزة. ولد يوحنا (يحيى) لامرأة عجوز. ولد يسوع (عيسى) لامرأة شابة. والدة يوحنا عقيمة. والدة يسوع لم تكن مخصبة. يولد يوحنا في يوم الانقلاب الصيفي عندما تبدأ الشمس في الغروب. ولد يسوع بعد ستة أشهر في الانقلاب الشتوي عندما تبدأ الشمس في التزايد مرة أخرى - ومن هنا جاء إعلان المعمدان عن يسوع: "ينبغي أن يكبر هو، وأن أنقص أنا". 60 ولد يوحنا في برج السرطان الفلكي، الذي كان يمثل عند القدماء بوابة النفوس للتجسد. ولد يسوع في برج الجدي الفلكي، الذي كان يمثل عند القدماء بوابة خروج للنفوس من التجسد إلى الخلود.61 عمد يوحنا بالماء وعمد يسوع بالنار والروح. يُحتفل بميلاد المسيح في مهرجان عودة الشمس الوثني في 25 ديسمبر. يُحتفل بميلاد يوحنا المعمدان في شهر يونيو، ليحل محل مهرجان وثني كان يُقام في منتصف الصيف ويُحتفل فيه بالماء.62

كانت المعمودية طقساً مركزياً في الأسرار المقدسة. منذ زمن بعيد، كما في ترانيم هوميروس، نسمع أن الطهارة الطقسية كانت شرطًا للخلاص، وأن الناس كانوا يُعمَّدون ليُغفر لهم جميع ذنوبهم السابقة.63 تُظهر نصوص الأهرامات أن الفرعون المصري كان يُعمَّد احتفاليًا قبل مراسم ولادته الطقسية كتجسيد لأوزوريس.64 في بعض طقوس الأسرار، كان يُرمز إلى المعمودية ببساطة برش الماء المقدس. وفي حالات أخرى، تضمن ذلك الغمر الكامل.65 وقد تم العثور على خزانات معمودية في قاعات التأهيل والأضرحة.66 وفي إليوسيس، كان المتأهلون يطهرون أنفسهم طقسياً في البحر. في طقوس انضمامه، وبعد صلاة الاعتراف، خضع لوسيوس أبوليوس لحمام التطهير، ثم معمودية الرش.67 وفي أسرار ميثراس، خضع المتأهلين لمعموديات متكررة لغسل خطاياهم. كانت هذه الطقوس تجري في شهري مارس أو أبريل، في نفس الوقت الذي كان المسيحيون في القرون اللاحقة يعمدون فيه مهتدائهم الجدد، والذين يُطلق عليهم اسم "الموعوظين".68

كانت أوجه التشابه بين الطقوس المسيحية والوثنية واضحة للمسيحيين الأوائل.69 ويخبرنا ترتليان، أحد آباء الكنيسة:

> "في بعض الأسرار، يتم تأهيل الأعضاء عن طريق المعمودية، ويتصورون أن نتيجة هذه المعمودية هي التجديد وغفران عقوبات خطاياهم." 70

بحسب القديس بولس، هناك ثلاثة أفعال رمزية في معمودية الغمر الكامل. يرمز دخول الماء إلى الموت، والغطس تحته إلى الدفن، والخروج منه إلى القيامة.71 يتوافق هذا التفسير الرمزي للمعمودية تمامًا مع طقوس الأسرار، التي كانت تمثل أيضًا موتًا وقيامة روحانيين.72 في الكنيسة الأولى، كان يُلبس المعمَّدون الجدد أثوابًا بيضاء، ويُمنحون اسمًا جديدًا، ويُقدَّم لهم العسل للأكل.73 وبالمثل، في أسرار ميثراس، كان يُسكب العسل على أيدي المتأهلين الذين "وُلدوا من جديد"

روحيًا، ويُوضع على ألسنتهم، كما جرت العادة مع الأطفال حديثي الولادة.74

إن أوصاف المؤلفين المسيحيين للمعمودية المسيحية لا يمكن تمييزها عن أوصاف الوثنيين للمعمودية السرية. كان المسيحيون الجدد يذهبون إلى المعمودية عراة، ثم بعد خروجهم من الماء يرتدون ملابس بيضاء ويسيرون في موكب إلى الكنيسة حاملين شمعة ويرتدون تاجاً. وهذا مطابق للموكب الذي كان يُحتفل فيه بأسرار ديونيسوس في إليوسيس، حيث كان المتأهلون يرتدون ملابس بيضاء، ويضعون تاجًا على رؤوسهم ويحملون شعلة في أيديهم، ويسيرون إلى المعبد وهم يُنشدون الترانيم.75 وقد وجد جاستن الشهيد أوجه التشابه بين طقوس المعمودية المسيحية والوثنية مزعجة للغاية. لقد لجأ مرة أخرى إلى حجة "التقليد الشيطاني". وادعى أن الشياطين الشريرة حرضت على محاكاة ساخرة للمعمودية المسيحية في طقوس وثنية.

أما في الأسرار المقدسة، فلم يكن التطهير من خلال المعمودية بالماء فقط، بل كان أيضاً بالهواء والنار. يخبرنا لوسيوس أبوليوس أنه قبل أن يُعتبر جديراً بالاقتراب من الإله، كان عليه أن "يسافر عبر جميع العناصر".76 يكتب سيرفيوس:

> يتم كل تطهير إما بالماء أو بالنار أو بالهواء؛ لذلك تجد في جميع الأسرار هذه الطرق الثلاث للتطهير. إما أن يقوموا بتطهيرك بالكبريت المحترق أو غسلك بالماء أو تهويتك بالريح؛ ويتم ذلك الأخير في أسرار ديونيسوس. 77

تتحدث الأناجيل أيضاً عن معمودية ثلاثية العناصر. في إنجيل متى، يتنبأ يوحنا المعمدان بمجيء يسوع، قائلاً:

> "الآن أغسلكم بالماء لتغيير القلوب، لكن الذي سيأتي بعدي أقوى مني. أنا لستُ كبيرة بما يكفي لحمل حذائه. سيغمركم بنسمة مقدسة ونار. وبيديه مذراة، سينظف أرض الدراس، ويجمع الحبوب لوضعها في الصومعة والقشور لحرقها في النار التي لا تنطفئ."78

في هذه الترجمة، تمت ترجمة المصطلح المألوف "الروح القدس" بشكل صحيح من اليونانية الأصلية إلى "النَفَس المقدس"، مما يبرز بوضوح فكرة المعمودية بالهواء. يخبرنا يوحنا أن يسوع سيستخدم مذراة، تُستخدم لغربلة الحبوب. في أسرار إليوسيس، تم استخدام مثل هذه المروحة في التعميد بالهواء. في رسومات المزهريات وغيرها من التمثيلات، يتم تصوير المتأهلين وهم يرتدون الحجاب ويجلسون مع مروحة تذرية تلوح فوق رؤوسهم.79 كان ديونيسوس يُعرف باسم "صاحب المروحة التذرية". قيل إنه عند ولادته وُضع في مهدٍ على شكل مروحة، تمامًا كما كان يُوضع المتأهل رمزياً عند ولادته الروحية الجديدة.80

بنفس الطريقة التي كان يُولد بها المتأهل في الأسرار الوثنية من جديد من خلال التطهير بالهواء، كذلك يعد يسوع بالولادة من جديد من خلال التنفس. في إنجيل يوحنا، يسأله نيقوديموس: "كيف يمكن للإنسان أن يولد في سن الشيخوخة؟ هل يستطيع أن يدخل بطن أمه مرة ثانية ويولد؟" أجاب يسوع:

> "الحق الحق أقول لكم: كل من لم يولد من ماء ونفس لا يمكنه أن يدخل ملكوت الله. ما يولد من الجسد فهو جسد، وما يولد من النفس فهو نفس. لا تندهش لأنني أخبرتك أنه يجب أن تولد من جديد. تهب الرياح حيثما تشاء وتسمع صوتها، لكنك لا تعرف من أين تأتي أو إلى أين تذهب؛ الأمر سيان مع كل من ولد من نفس. 81

المعجزات

اعتقد المسيحي المصري المبكر بازيليد أن يسوع تعمّد في 6 يناير، وهو تاريخ تم الاحتفال به لقرون في مصر باعتباره "يوم أوزوريس".82 وقد أحيا بعض المسيحيين ذكرى هذا التاريخ باعتباره اليوم الذي "قدّس فيه المسيح الماء". أقاموا الصلوات في منتصف ليل الخامس من يناير، ثم سارعوا جميعاً بأباريقهم إلى النهر للحصول على الماء الذي كان يُعتقد الآن أنه مقدس ويمتلك قوى تطهيرية. على مدى مئات السنين قبل الميلاد، كان المصريون يفعلون الشيء نفسه تماماً وفي الوقت نفسه تماماً. قيل إن ليلة الخامس من يناير كانت وقتاً اكتسبت فيه مياه النيل قوى خارقة، بفضل نعمة أوزوريس. كان المصريون يستقون هذه المياه في جرار ويحتفظون بها في منازلهم كحماية من كل شر. 83

كانت ليلة 5 يناير أيضًا هي الوقت الذي كان يُعتقد فيه أن ديونيسوس قد حوّل الماء إلى خمر بطريقة معجزة.84 ووفقًا لبلينيوس، في جزيرة أندروس، كان يتدفق جدول من الخمر في معبد ديونيسوس ويستمر لمدة سبعة أيام، ولكن إذا أُخذت عينات منه من المعبد، فإنها تتحول على الفور إلى ماء. كما سمعنا أن نبعاً في ناكسوس قد أنتج نبيذاً عطرياً بطريقة عجيبة.

خلال المهرجان اليوناني المسمى ثيا، تم وضع ثلاثة أحواض فارغة في غرفة بحضور المواطنين والأجانب. ثم تم إغلاق الغرفة وختمها، وكان بإمكان أي شخص يرغب في ذلك إحضار ختمه الخاص لإضافته إلى الختم الموجود على الباب. وفي اليوم التالي ظلت الأختام سليمة، لكن أولئك الذين دخلوا الغرفة وجدوا أن الأحواض الثلاثة قد امتلأت بالنبيذ بأعجوبة. يؤكد لنا باوسانياس أن المواطنين والأجانب على حد سواء قد شهدوا تحت القسم على صحة هذا التقرير.85

بحسب الأسطورة، حدثت معجزة تحويل الماء إلى خمر لأول مرة في حفل زفاف ديونيسوس وأريادني.86 وتُنسب المعجزة نفسها إلى يسوع في وليمة عرس قانا.87 وفي القرن الرابع الميلادي، روى القديس إبيفانيوس معجزات مماثلة كانت لا تزال تحدث في السادس من يناير، وادعى أنه شرب من نبع كان يتدفق منه الخمر. لكنه لم يعد ينسب المعجزات إلى ديونيسوس، بل إلى يسوع. بالنسبة لإبيفانيوس، حدثت مثل هذه المعجزات الآن "في الساعة التي أمر فيها يسوع بأخذ الماء إلى رئيس الوليمة، فحوّل الماء إلى خمر".88

ونُسبت معجزات أخرى ليسوع إلى رجل الدين الوثني. يقال إن أسكليبيوس، الذي تبعه أبقراط، "أبو الطب"، قد عالج المرضى وأحيا الموتى. كان يُعرف باسم "عاشق البشر". كانت المقارنة بين عجائب أسكليبيوس ومعجزات يسوع سمة أساسية في الكتابات الوثنية المعادية للمسيحية.89 ورداً على ذلك، وصف المسيحيون الأوائل يسوع بأنه الطبيب الأعظم من أسكليبيوس العظيم. تجادل كل من سيلسوس الوثني وأوريجانوس المسيحي بنفس القدر من الاقتناع حول مزايا أسكليبيوس كمخلص أو يسوع كمخلص.90 وقد استولى المسيحيون الأوائل على العديد من النقوش المنسوبة إلى أسكليبيوس، وذلك ببساطة عن طريق استبدال اسمه باسم يسوع.91

اشتهر العديد من الأنبياء العظماء لأوزوريس-ديونيسوس بكونهم صانعي عجائب متجولين قاموا بنفس الأعمال الخارقة للطبيعة المنسوبة إلى صانع العجائب المتجول يسوع. اشتهر فيثاغورس بشكل خاص بمعجزاته. ومثل يسوع، قيل إنه أجرى العديد من المعجزات الشافية، وبينما كان يتنقل من مدينة إلى أخرى، انتشر الخبر بأنه قادم "لا ليعلّم، بل ليشفي".92 وفي كتابه "حياة فيثاغورس"، يزعم يامبليخوس أن معجزات فيثاغورس التي لا تُحصى تضمنت "تهدئة أمواج الأنهار والبحار حتى يتمكن تلاميذه من المرور فوقها بسهولة أكبر. 93 وبحسب إنجيل مرقس، أجرى يسوع المعجزة نفسها لفائدة تلاميذه على بحر الجليل. 94 من الواضح أن هذه المعجزة كانت جزءًا من السير الأسطورية للعديد من صانعي المعجزات الوثنيين، حيث يضيف يامبليخوس:

> وقد تحققت القدرة على إحداث مثل هذه المعجزات على يد أمبادوقليس الأغريجنيتي، وإبيمينيدس الكريتي، وأباريس الهايبربوري، وقد قاموا بذلك في أماكن كثيرة.95

في إنجيل يوحنا، ساعد يسوع تلاميذه بأعجوبة في اصطياد كمية كبيرة من السمك.96 وقد قام فيثاغورس أيضاً بهذا العمل الخارق للطبيعة في أسطورة سجلها بورفيريوس.97 تنبأ فيثاغورس بأعجوبة بالعدد الدقيق للسمك الذي سيتم صيده، لكن القصة لا تذكر ما هو هذا العدد. في رواية الإنجيل، لم يقدم يسوع مثل هذا التنبؤ، ولكن قيل لنا أن عدد الأسماك التي تم صيدها بلغ 153 سمكة بالضبط. يبدو هذا للوهلة الأولى حقيقة غير ذات صلة أدرجها كاتب الإنجيل لمجرد إضفاء طابع درامي. لكن الباحثين خلصوا إلى أن ذكرها كان مقصوداً وله أهمية بالغة.98

من المرجح أن عدد الأسماك التي توقع فيثاغورس صيدها كان 153 سمكة بالضبط. اشتهر الفيثاغوريون بمعرفتهم بالرياضيات واعتبروا الرقم 153 رقمًا مقدسًا.99 وقد تم استخدامه في نسبة رياضية أطلق عليها أرخميدس اسم "مقياس السمكة" لإنتاج الرمز الصوفي لـ vesica piscis أو "علامة السمكة" - تقاطع دائرتين ينتج عنه شكل يشبه السمكة. كان هذا رمزًا فيثاغوريًا قديمًا استخدمه المسيحيون الأوائل لتمثيل عقيدتهم. إن حقيقة إمكانية إنتاج رمز السمكة الغامض هذا من عدد الأسماك التي تم اصطيادها في رواية معجزة يسوع تشير بقوة إلى أنه تم اقتباسه من معجزة فيثاغورس الأصلية، وأن قصة هذه المعجزة قد شفرت صيغًا هندسية مقدسة.

يُستخدم رمز السمكة على نطاق واسع اليوم كرمز للمسيحية، ولكنه نشأ في الهندسة المقدسة الوثنية. يتم جمع دائرتين، ترمز إلى الروح والمادة، معًا في زواج مقدس. عندما يلامس محيط أحدهما مركز الآخر، فإنهما يتحدان لتكوين شكل السمكة المعروف باسم vesica piscis. نسبة الارتفاع إلى الطول لهذا الشكل هي 153:265، وهي صيغة عرفها أرخميدس في القرن الثالث قبل الميلاد باسم "مقياس السمكة". إنها أداة رياضية قوية، كونها أقرب عدد صحيح تقريبي للجذر التربيعي للعدد ثلاثة والنسبة المتحكمة في المثلث متساوي الأضلاع.

كان أمبادوقليس، تلميذ فيثاغورس، صانع عجائب متجولاً آخر. ومثل فيثاغورس ويسوع، كان رجلاً إلهياً معلناً عن نفسه، معلناً نفسه لشعب أكراغاس على أنه "إله خالد، لم يعد فانياً". تبعه الناس بأعداد غفيرة، وزينوه بالأشرطة وطلبوا منه المعجزات.101 ومثل يسوع، قيل إنه كان لديه معرفة بالمستقبل. ومثل يسوع، قام بتعليم الحقائق الروحية وعلاج الأمراض. كان يُعرف باسم "مُهدئ الرياح"، ومثل يسوع، كان يمتلك القدرة على التحكم في الرياح والأمطار.102 وقد أكد لتلاميذه أنهم، نتيجةً لما سيعلمهم إياه، سيتمكنون من استعادة قوة الحياة من العالم السفلي لرجلٍ مات.103 ويُقال إن أمبادوقليس نفسه قد أعاد إلى الحياة امرأةً كانت ميتةً لمدة 30 يومًا، تمامًا كما يُقال إن يسوع قد أقام لعازر بعد 500 عام.104

كان أبولونيوس التياني رجل دين متجولًا آخر، يُزعم أنه كان يشفي المرضى ويتنبأ بالمستقبل ويحيي الموتى.105 ورغم أنه لم يكن حاضرًا جسديًا، فقد قيل إنه أعاد ابنة قنصل روماني إلى الحياة بنفس الطريقة التي يُقال إن يسوع أعاد بها ابنة جايروس، رئيس المجمع اليهودي، إلى الحياة، دون أن يزورها حتى.106

ومثل يسوع، قام أبولونيوس أيضاً بطرد الأرواح الشريرة. بل إنه يصف مشاهدته لمعجزة إطعام تشبه معجزة يسوع "إطعام الخمسة آلاف"، وهي معجزة خارقة للطبيعة يخبرنا سيلسوس أنها "وهم" قام به العديد من الرجال المقدسين.107 ومع ذلك، مثل يسوع، الذي يدعي أنه لا يتم الاعتراف بنبي في بلده،108 يتم تصوير الرجال الإلهيين في الأساطير الوثنية عادةً على أنهم مرفوضون من قبل وطنهم. كتب أبولونيوس التياني في رسالة: "ما العجب إذا كان موطني، حتى الآن، يتجاهلني بينما يعتبرني الآخرون مساوياً لله؟" 109

تخبرنا الأناجيل أنه في إحدى المناسبات طرد يسوع رجلاً من الشياطين الذين أطلقوا على أنفسهم اسم "الفيلق"، لأن عددهم كان "حوالي 2000". ألقى يسوع بهذه الشياطين في قطيع كبير من الخنازير التي اندفعت من حافة تل وغرقت.110 ويُلاحظ نفس هذا النمط في طقوس أسرار إليوسيس.111 وكجزء من طقوس التطهير قبل التأهيل، اغتسل نحو ألفي متأهل في البحر مع خنازير صغيرة.112 وقد طردت طقوس الاغتسال هذه كل شرور إلى الخنازير، التي

ضُحّي بها بعد ذلك، كرمز لنجاسات المتأهلين أنفسهم، وذلك بمطاردتهم فوق وادٍ سحيق.113

حتى معجزة "التكلم بألسنة" في عيد العنصرة تم التلميح إليها في الأساطير الوثنية. بعد موت يسوع، وجد التلاميذ أنفسهم يتحدثون بمعجزة بألسنة غريبة سمعها الآخرون كلغة أمهم.114 وقد وردت تقارير عن الظاهرة نفسها قبل قرون في تروفونيوس وديلوس، حيث بدا للبعض أن الكاهنات يتحدثن بكلام غير مفهوم، بينما سمعهن شهود آخرون يتحدثن بلغاتهن الأم المختلفة.115 ويؤكد بوركيرت، أحد أبرز علماء الكلاسيكيات المعاصرين، أن هذه المعجزات الوثنية والمسيحية "قد تمت مقارنتها بحق".116 وأكد المسيحيون أن ادعاء يسوع بأنه ابن الله الوحيد قد ثبت من خلال معجزاته. كان هذا الأمر سخيفاً بشكل واضح بالنسبة لسيلسوس. ويخبرنا قائلاً: "لقد حدثت المعجزات والعجائب في كل مكان وفي كل زمان"، ويذكر عدداً من الحكماء الوثنيين ورجال الدين المشهورين بصنع المعجزات.117 وكان الرد المسيحي المعتاد على هؤلاء النقاد الوثنيين هو الادعاء بأنه في حين أن معجزات يسوع كانت علامة على ألوهيته، فإن المعجزات الوثنية كانت من أعمال الشيطان. يرد سيلسوس بغضب:

> "يا إلهي! أليس من السخف أن نعتبر، بناءً على نفس الأعمال، رجلاً إلهاً بينما منافسيه مجرد "سحرة".118

الإنسان الإلهي وتلاميذه

أحاط يسوع نفسه باثني عشر تلميذاً. يُعتبر هذا عادةً رمزاً لأسباط إسرائيل الاثني عشر. إلا أن فكرة القبائل الاثنتي عشرة هذه هي في حد ذاتها إشارة رمزية إلى علامات الأبراج الاثنتي عشرة في علم التنجيم البابلي، والتي تبناها اليهود أثناء وجودهم في المنفى في بابل.119 كان البروج رمزًا بالغ الأهمية في العالم الوثني. يتم تمثيل أوزوريس-ديونيسوس رمزياً باعتباره المركز الروحي الثابت لعجلة التغيير الدوارة التي تمثلها العلامات الـ 12. بصفته ميثراس، وديونيسوس، وأيون، وهيليوس، فإنه غالبًا ما يُصوَّر في مركز دائرة الأبراج.120 خلال مراسم التأهيل في أسرار ميثراس، أحاط 12 تلميذًا بالإنسان الإلهي، تمامًا كما أحاط التلاميذ الـ 12 بيسوع. كان أتباع الميثرائية يرتدون ملابس تمثل الأبراج الاثني عشر، ويطوفون حول المتأهل الذي يمثل ميثراس نفسه.121

إن دائرة الاثني عشر حول دائرة مركزية مستمدة من الهندسة المقدسة، وكانت تحمل معنى صوفياً عميقاً لأتباع فيثاغورس. تصوّر الفيثاغوريون، الذين اشتهروا في العالم القديم بمعرفتهم بالرياضيات، الله على هيئة كرة كاملة.122 واكتشف القدماء أنه إذا أحاطت كرة بكرات أخرى من نفس الأبعاد تمامًا، بحيث تكون جميع الكرات متلامسة، فإن الكرة المركزية ستكون محاطة بـ 12 آخرون بالضبط.123 إن صورة الإنسان الإلهي وتلاميذه الاثني عشر تشفر مثل هذه التعاليم من الهندسة المقدسة.

في الأناجيل، لا يتعرف تلاميذ يسوع في البداية على أنه ابن الله، ولكنه يتجلى لاحقًا أمام بطرس ويوحنا ويعقوب، كاشفًا عن نفسه بكل مجده الإلهي.124 وبالمثل، في مسرحية باكوس ليوريبيدس، يظهر ديونيسوس لتلاميذه أولاً كرجل دين متجول، ولكنه يتجلى لاحقًا بشكل مجيد. عندما يدركون ألوهيته الحقيقية، يهتفون:

> "لكن انظر! من هذا الذي يرتفع فوق باب القصر؟ إنه ديونيسوس نفسه قد أتى، لم يعد متنكراً في هيئة بشرية، بل في مجد ألوهيته!"125

بالنسبة لتلاميذه، يسوع هو المخلص. ديونيسوس هو كذلك "الذي جاء ليجلب الخلاص".126 ويناديه أتباعه قائلين: "تعال يا مخلص". 127 في كتاب "الباكوسيات" يفرحون:

> لقد نجونا! يا له من فرح أن أسمع رنين ندائكِ الباكوسي! كنا جميعاً وحيدين، مهجورين؛ لقد أتيت، ونحن نفرح."128

خلال مهمته، تعرض يسوع للهجوم بسبب سلوكه الذي بدا فاسقاً. في إنجيل لوقا، يوبخ "أهل هذا الجيل" لإدانتهم يوحنا المعمدان الذي جاء "لا يأكل خبزاً ولا يشرب خمراً" بأنه "ممسوس"، ثم لإدانتهم "ابن الإنسان" الذي جاء "يأكل ويشرب" بأنه "أكول وشارب، صديق جباة الضرائب والخطاة".129 وبالمثل، اتُهم أتباع ديونيسوس في كثير من الأحيان بالمس الشيطاني والسلوك الفاحش. كانت "حفلاتهم الجنسية" سيئة السمعة، على الرغم من أنها في الواقع لم تكن علاقات جنسية أكثر من "ولائم الحب" المماثلة التي احتفل بها المسيحيون الأوائل. مثل يسوع، يأتي ديونيسوس "يأكل ويشرب"، ولكنه يحمل رسالة روحية عميقة إلى الناس العاديين. لقد كان إلهًا للنشوة الإلهية و"إله الشعب" الذي كان غالبًا ما يُشتم ويُخشى من قبل السلطات الدينية والعلمانية، تمامًا كما هو الحال مع يسوع. لكن للأسرار جانب أكثر زهداً أيضاً، يمكن مقارنته بجانب يوحنا المعمدان المتقشف. استُلهمت التقاليد الرهبانية المسيحية المبكرة التي أسسها القديس أنطونيوس من المجتمعات الفيثاغورية الزاهدة الموجودة في جميع أنحاء البحر الأبيض المتوسط.130

ركوب الحمار

بحسب رواية الإنجيل، في أوج شهرته، دخل يسوع إلى القدس راكباً بينما كانت الحشود تغني له وتضع أغصان النخيل في طريقه.131 ويُقال تقليدياً إن الحشود كانت تلوح بسعف النخيل. كانت النخلة رمزية في الأسرار.132 يكتب أفلاطون عن "نخلة حكمة ديونيسوس".133 بدأ المهرجان العظيم لإله الأسرار آتيس بـ"دخول حاملي القصب"، والذي تلاه "دخول الشجرة"، وهي شجرة صنوبر دائمة الخضرة عُلّق عليها تمثال للإله.134 ويشير أحد الباحثين المعاصرين إلى ما يلي:

> "من المستحيل تجاهل الارتباطات بدخول يسوع إلى القدس محاطاً بحاملي سعف النخيل، وحمله للصليب أو الشجرة التي أصبحت رمزه الرئيسي." 135

تذكر الأناجيل أن يسوع بذل جهداً كبيراً للتأكد من أنه يركب حماراً. في رسومات المزهريات، يُصوَّر ديونيسوس غالبًا وهو يمتطي حمارًا، يحمله للقاء حبيبته.136 ويكتب الكاتب المسرحي أرِسْطُفان عن "الحمار الذي حمل الأسرار".137

عندما سار حشد الحجاج في أثينا على الطريق المقدس إلى إليوسيس للاحتفال بالأسرار المقدسة، كان حمار يحمل سلة تحتوي على الأدوات المقدسة التي ستستخدم لصنع تمثال ديونيسوس، بينما كانت الحشود تهتف بمديح ديونيسوس وتلوح بحزم من الأغصان.138 وبهذه الطريقة، كما دخل يسوع إلى القدس، ركب ديونيسوس منتصراً إلى موته.

غالباً ما يُنظر إلى الرمز الأسطوري المتمثل في "ركوب الحمار" على أنه علامة على التواضع. لكن له أيضاً معنى أكثر غموضاً. كان الحمار عند القدماء يرمز إلى الشهوة والقسوة والشر. لقد مثلت رمزياً الذات "الحيوانية" الدنيا التي يجب التغلب عليها وإخضاعها من قبل المتأهل في الأسرار. كتب لوسيوس أبوليوس قصة بعنوان "الحمار الذهبي"، وهي قصة رمزية عن طقوس التأهيل. وفيها يتحول لوسيوس إلى حمار بسبب حماقته ويخوض العديد من المغامرات التي

تمثل مراحل من مراحل التأهيل. في طقوس انضمامه النهائية، يعود إلى هيئته البشرية. ترمز هذه القصة إلى تغلب الطبيعة الدنيئة على المتأهل، ثم من خلال الانضمام إلى الأسرار، يعيد اكتشاف هويته الحقيقية.139

أخبرت الإلهة المصرية إيزيس لوسيوس أن الحمار هو أكثر الحيوانات التي تكرهها.140 وذلك لأنه مقدس للإله ست، الذي يُعتبر في الأساطير المصرية قاتل أوزوريس.141 وقد سجل بلوتارخ مهرجانًا مصريًا دُفعت فيه الحمير من فوق المنحدرات في احتفال انتقامي لمقتل أوزوريس. يمثل "ست" رمزًا للذات الدنيا للمتأهل، والتي تقتل الذات العليا الروحية (أوزوريس) ويجب قتلها مجازيًا حتى تولد الذات الروحية من جديد. كان الحمار أيضاً رمزاً شائعاً للطبيعة "الحيوانية" الدنيا في أسرار ديونيسوس اليونانية. تُصوّر لوحة على مزهرية حمارًا مُضحكًا بعضو ذكري منتصب يرقص بين أتباع ديونيسوس.142 ويُظهر تصميم على إبريق نبيذ حميرًا تمارس الجنس.143 وفي تصميم آخر، يظهر حاج يتوقف ليشد ذيل حمار.144 وكان من بين الصور الشائعة لمعاناة الآخرة في العالم السفلي صورة رجل محكوم عليه بضفر حبل إلى الأبد، يأكله حماره باستمرار، رمزًا للذات الدنيا التي تحاول باستمرار تقويض الإنجازات الروحية للذات العليا.145 أما صورة الرجل الإلهي وهو يمتطي حمارًا منتصرًا، فكانت ترمز إلى سيطرته على طبيعته الحيوانية الدنيا.

الرجل العادل والطاغية

بحسب الأناجيل، فإن يسوع رجل بريء وعادل، وبتحريض من رؤساء الكهنة اليهود، تم اقتياده أمام الحاكم الروماني بيلاطس وحُكم عليه بالإعدام بتهم ملفقة. تم العثور على نفس الفكرة الأسطورية قبل خمسة قرون في مسرحية يوريبيدس "الباكوسيات"، التي تتحدث عن ديونيسوس. مثل يسوع في أورشليم، ديونيسوس غريب هادئ ذو شعر طويل ولحية، يأتي بدين جديد. في الأناجيل، لا يؤمن كبار الكهنة اليهود بيسوع ويزعمون أن "تعاليمه تسبب السخط بين الناس 146 إنهم يتآمرون لإحداث موته". في مسرحية الباكوسيات، الملك بنثيوس هو حاكم مستبد لا يؤمن بديونيسوس. يوبخه لإحضاره "هذا المرض الجديد الذي يلوث الأرض"، ويرسل رجاله للقبض على رجل الدين البريء، معلناً:

"وإذا أمسكتم به، فسوف يُرجم حتى الموت.

سيتمنى لو أنه لم يحضر طقوسه الباكوسية إلى طيبة." 147

ومثلما شعر رؤساء الكهنة اليهود بالرعب من ادعاء يسوع الكفري بأنه ابن الله، فإن الملك بنثيوس يثور غضباً على قصص النسب الإلهي لديونيسوس:

مهما كان الرجل، أليس غروره أمراً

شائناً؟ ألم يستحق أن يُشنق؟ 149

مثل يسوع، يسمح ديونيسوس لنفسه بشكل سلبي بأن يُقبض عليه ويُسجن. يقول الحارس الذي يقبض عليه للملك بنثيوس:

'لقد طاردناه، وها هو ذا. لكن يا سيدي، وجدنا أن الوحش كان وديعًا؛ لم يحاول الهرب، بل مدّ يديه ليتم ربطهما؛ لم يتغير لونه، بل حافظ على لونه الزاهي، مبتسمًا، يخبرنا

بربطه واقتياده؛ لم يسبب لنا أي مشكلة على الإطلاق، بل انتظرنا فقط. بطبيعة الحال شعرت

ببعض الإحراج. قلت: "أرجو المعذرة يا سيدي".

"لا أريد اعتقالك؛ إنه أمر الملك." 150

يروي الحارس الأشياء العجيبة التي شاهد ديونيسوس وهو يقوم بها ويحذر الملك بنثيوس قائلاً: "يا سيدي، لقد جاء هذا الرجل إلى هنا محملاً بالمعجزات". لكن الملك يشرع في استجواب ديونيسوس الذي، مثل يسوع أمام بيلاطس، لن يخضع لسلطته. عندما ذكّر بيلاطس يسوع بأنه يملك القدرة على صلبه، أجاب يسوع: "لم يكن لك أي سلطان عليّ لو لم يُعطَ لك من فوق". 151 وبالمثل، يرد ديونيسوس على تهديدات بنثيوس قائلاً: "لا شيء يمكن أن يمسني إلا إذا كان مقدراً". 152 وكما قال يسوع عن مضطهديه: "إنهم لا يعلمون ما يفعلون"، 153 يقول ديونيسوس لبنثيوس: "أنت لا تعلم ما تفعل، ولا ما تقول، ولا من أنت". 154

وبينما كان يسوع يُقتاد إلى الصلب، حذر الجموع من البكاء عليه، بل على أنفسهم وأطفالهم الذين سيعانون من أجل جريمة إعدامه، قائلاً:

"لأن الأيام ستأتي حتماً حين يقولون: طوبى للأرحام العاقر التي لم تلد طفلاً، وللأثداء التي لم ترضع طفلاً". ثم يقولون للجبال: "اسقطي علينا"، وللتلال: "غطينا". 155 وبينما يُقتاد بعيدًا، يهدد ديونيسوس أيضًا بالانتقام الإلهي، معلنًا:

لكنني أحذرك: ديونيسوس الذي تقول إنه مات،

سيأتي مسرعاً للانتقام من هذا التدنيس. 156

كان العديد من الفلاسفة العظماء في تقليد الأسرار أيضًا "رجالًا صالحين" عانوا من موت ظالم على أيدي السلطات المستبدة. أحد هؤلاء هو سقراط الذي اتُهم بالهرطقة، مثل يسوع. بموجب القانون الأثيني، كانت عقوبة هذه "الجريمة" هي الإعدام، ما لم يقدم المتهم عقوبة بديلة مقبولة لدى القضاة. على غرار بيلاطس، الذي عرض إطلاق سراح يسوع لأن من العادات إطلاق سراح سجين واحد في عيد الفصح، أمِلت السلطات الأثينية أن ينجو سقراط من الموت بفضل ثغرة قانونية بدفع غرامة والذهاب بهدوء إلى المنفى.157 ومثل يسوع، الذي رفض المساومة مع مضطهديه وبدا وكأنه يسعى عمدًا إلى الموت، عرض سقراط دفع مينا واحد، وهو مبلغ زهيد للغاية، مما أجبر السلطات على إصدار حكم الإعدام.158

عرض بعض أتباع سقراط دفع "ثلاثين قطعة من الفضة" نيابة عنه، وهو ما اعتبر خيانة لرغبة سقراط نفسه في البقاء وفياً لمبادئه.159 يظهر هذا الدافع في قصة الإنجيل على شكل الثلاثين قطعة من الفضة التي دُفعت ليهوذا ليخون يسوع. تم إعدام سقراط بشرب كأس من السم. في بستان جثسيماني، عندما كان يسوع يفكر في إعدامه الوشيك، صلى قائلاً: "يا أبي، إن أمكن، دع هذه الكأس تعفيني". 160 كان سقراط شجاعًا قبل الموت لأنه أُخبر في المنام أنه بعد ثلاثة أيام من وفاته سيولد من جديد. 161 كذلك، يذهب يسوع إلى موته بثقة ويتنبأ بأنه سيقوم بعد ثلاثة أيام. 162

إن سلوك يسوع في محاكمته هو بالضبط ما يُتوقع من حكيم من حكماء الأسرار.163 إنه لا يخشى أن يدين علنًا أولئك الذين في السلطة بسبب نفاقهم. وبالمثل، اشتهر الفلاسفة الكلبيون والرواقيون بـ"عدائهم للسلطة ومقاومتهم للانضباط، وازدرائهم للملوك والقضاة والموظفين العموميين".164 وكان هناك عدد من هؤلاء الفلاسفة الذين أدى عدم احترامهم للسلطة الرومانية إلى استشهادهم، وهو ما قبلوه طواعية، كما فعل يسوع.165 كتب الحكيم الرواقي أبكتاتوس: "خذوا جسدي أو ممتلكاتي، لكن لا تحاولوا التحكم في غايتي الأخلاقية". 166 يصف فيلسوفًا يواجه الإعدام وهو يعلن للإمبراطور: "ستقوم بدورك وسأقوم بدوري، وهو أن أذهب دون شكوى". 167 في وقت مبكر من القرن الرابع قبل الميلاد، وضع أفلاطون المصير المتوقع لـ "الرجل الصالح"، وكتب: "سيتعين على الرجل الصالح أن يتحمل الجلد، وفي

النهاية، بعد كل معاناة شديدة، سيتم صلبه". 168 تصور الأناجيل يسوع "الرجل البار" على أنه يتوافق مع هذه التوقعات.

كانت شخصية "الرجل العادل المتهم ظلماً" مألوفة جداً في العالم القديم لدرجة أن سيلسوس يسخر من المسيحيين لمحاولتهم الادعاء بأن يسوع كان فريداً بأي شكل من الأشكال. بأسلوب ساخر لاذع، يقترح أنه لو أرادوا إنشاء دين جديد لكان من الأفضل لهم أن يبنوه حول أحد الحكماء الوثنيين المشهورين الذين "ماتوا ميتة الأبطال"، ويكتب:

> 'كان من الأفضل لو أنك في حماسك لتعاليم جديدة قمت بتشكيل دينك حول أحد رجال الماضي الذين ماتوا موت الأبطال وتم تكريمهم لذلك - شخص كان على الأقل موضوعًا لأسطورة. كان بإمكانك اختيار هيراكليس أو أسكليبيوس، أو إذا كان هذان الخياران وديعين للغاية، فكان هناك دائمًا أورفيوس، الذي كما يعلم الجميع، كان صالحًا وقديسًا ومع ذلك مات ميتة عنيفة. أم أنه قد تم أخذه بالفعل؟ حسناً، ثم كان لديك اناكسارتشوس، وهو رجل نظر إلى الموت مباشرة في عينيه عندما تعرض للضرب وقال لمضطهديه: "اضربوا". اضربوا جراب اناكسارتشوس؛ لأنكم لا تضربونه هو." لكنني أتذكر أن بعض الفلاسفة قد ادعوا بالفعل أنه معلمهم. حسنًا، ماذا عن أبكتاتوس؟ عندما تم ليّ ساقه ابتسم وقال بهدوء تام: "أنت تكسرها". وعندما انكسرت، ابتسم وقال: "ألم أقل لكم ذلك؟" كان ينبغي لإلهكم أن يقول مثل هذا القول عندما كان يُعاقَب!' 169

الخبز والنبيذ

قبل موته، احتفل يسوع بعشاء رمزي أخير مكون من الخبز والخمر. في مسرحية "باكوس"، يصف يوريبيدس الخبز والخمر بأنهما "القوتان الأسمى في شؤون البشر"، أحدهما مادي ويحفظ الجسد، والآخر سائل ويسكر العقل.170 وقد نسب القدماء إلى الإنسان الإله للأسرار الفضل في جلب فنون زراعة الذرة والكرمة لإنتاج الخبز والخمر إلى البشرية.

في الأناجيل، يعلن يسوع: "أنا خبز الحياة"، وخلال العشاء الأخير يكسر الخبز ويقدمه لتلاميذه قائلاً: "خذوا هذا، هذا هو جسدي". 171 وبالمثل، ارتبط الإنسان الإله للأسرار رمزياً بالخبز وبالحبوب التي يُصنع منها. 172 وقيل إن أوزوريس لقي حتفه بتمزيقه إرباً إرباً، وهو ما يرمز إلى درس الحبوب لإنتاج الدقيق. قيل إن عظام أدونيس الميت طُحنت في طاحونة ثم نُثرت في الريح.173

وفي الأناجيل يعلن يسوع أيضًا: "أنا الكرمة الحقيقية"174 وخلال العشاء الأخير يقدم لتلاميذه كأسًا من النبيذ قائلاً: "هذا دمي". 175 ومثل يسوع، ارتبط ديونيسوس أيضًا بالكرمة والخمر. كان يُعرف باسم "إله الخمر"، وفي بعض الأساطير يموت بتقطيعه إلى أشلاء، وهو ما يرمز إلى عصر العنب لإنتاج النبيذ.

من خلال تناول الخبز والخمر اللذين قدمهما يسوع، يأكل تلاميذه جسده ويشربون دمه رمزياً، وبالتالي يتواصلون مع المسيح. إن فكرة التواصل الإلهي من خلال تناول جسد الإله طقسٌ قديمٌ لدرجة أنه موجودٌ في كتاب الموتى المصري، حيث يُصوَّر الموتى وهم يأكلون الآلهة، فيكتسبون بذلك قواها.76 ويحتفل المسيحيون بطقوس تناول وشرب "جسد" و"دم" يسوع في سرّ الإفخارستيا.177 كما مُورِسَ هذا "التواصل المقدس" في الأسرار المقدسة، كوسيلةٍ للاتحاد مع أوزوريس-ديونيسوس.178 وقد اتهم غير المطلعين الذين أساءوا فهم هذه الطقوس الأسرار المقدسة بممارسة أكل لحوم البشر - وهي نفس التهمة التي وُجِّهت لاحقًا إلى المسيحيين الأوائل الذين احتفلوا بالإفخارستيا.179

أثارت الممارسات الوثنية التي توازي التناول المسيحي اشمئزاز جاستن الشهيد، الذي اشتكى من أنه عندما أمر يسوع تلاميذه بشرب الكأس قائلاً: "هذا دمي"، فقد منحهم هذا الطقس وحدهم، ومع ذلك "أصدرت الشياطين الشريرة، على غرار ذلك، في أسرار ميثراس، الأمر نفسه". يروي برعب أنه في هذه الأسرار، كما هو الحال في القربان المقدس المسيحي، تُتلى صيغ سرية على الخبز والكأس، ثم تُقدم لمن هو على وشك الانضمام.180 وكما هو الحال في المسيحية،

كان على المشاركين في أسرار ميثرا أن يخضعوا لفترة تحضير طويلة قبل السماح لهم بالمشاركة في "القُرْبانُ المُقَدّس".181 وعندما يفعلون ذلك، يُقدم لهم سرّ الماء الممزوج بالخمر والخبز أو رقائق مقدسة تحمل علامة الصليب! 182 لا عجب أن وجد جاستن الشهيد المسكين هذا القُرْبانُ المُقَدّس الوثني مزعجاً للغاية. وجاء في النقش:

> "من لا يأكل من جسدي ويشرب من دمي، حتى يصير واحداً معي وأنا معه، فلن يعرف الخلاص". 183

قد يبدو هذا وكأنه اقتباس من الكتاب المقدس ليسوع، ولكنه في الواقع حديث الإنسان الإله لأسرار ميثراس! إلا أن هذا يشبه بشكل غريب مقطعاً في إنجيل يوحنا حيث يعلن يسوع بالمثل:

> "إن لم تأكلوا من جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه، فليس لكم حياة في أنفسكم. 184 من يأكل جسدي ويشرب دمي يحيا فيّ وأنا فيه". 185

تطور القُرْبانُ المُقَدّس في أسرار ميثراس من طقوس أقدم كانت تستخدم الخبز المقدس والماء الممزوج بعصير نبات مخدر يسمى هاوما.186 استبدلت أسرار ميثراس نبات هاوما، وهو نبات غير معروف في الغرب، بعصير الكرمة. لكن من المحتمل أن يكون تأثير النبيذ على القدماء أقوى بكثير مما هو عليه بالنسبة لنا، لأنهم نادراً ما كانوا يشربونه غير ممزوج بالماء. يُبدي أفلاطون حماسه لقوتها الكاشفة في كتابه "أسرار ديونيسوس187، ويكتب: "أفضّل جنون الإله على رزانة الرجال".

كما كتب أحد علماء الكلاسيكيات البارزين: "إن شرب النبيذ في طقوس ديونيسوس هو بمثابة التواصل مع الإله واستيعاب قوته وحضوره المادي في جسد المرء". 189 في الطقوس المسيحية للإفخارستيا، يقال إن يسوع يصبح رمزياً النبيذ الذي يشربه المشارك في الطقوس. وبالمثل، يخبرنا يوربيدس أن ديونيسوس يتحول إلى الخمر ويُسكب هو نفسه كقربان.190 في بعض رسومات المزهريات، يُعرض الخبز والخمر أمام تمثال ديونيسوس [انظر اللوحة 5] 191 وكما يُمنح المسيحي في سرّ القربان المقدس "الفداء" في شكل رمزي عبارة عن بسكويت رقيق، فقد قُدِّم للمتأهل في أسرار ديونيسوس "المكاريا" (البركة) على شكل كعكة.192

يذكر نقش أنه في أسرار ساموثراكيا، يقوم الكاهن "بكسر وتقديم الطعام وسكب الكأس للمتأهل".193 كما كان للمتأهلين في أسرار آتيس شكل من أشكال القُرْبانُ المُقَدّس، حيث أعلنوا: "لقد أكلت من الدف، وشربت من الصنج". لم يُسجّل ما كانوا يأكلونه ويشربونه من هذه الأدوات المقدسة، ولكن على الأرجح كان الخبز والنبيذ أيضاً.194

منذ زمن جاستن الشهيد وحتى يومنا هذا، اعتقد المسيحيون الكاثوليك أن الخبز والخمر في القربان المقدس يتحولان حرفيًا إلى "جسد ودم يسوع الذي تجسد".195 ويبدو أن بعض المتأهلين في الأسرار المقدسة قد شاركوا هذا التفسير الحرفي الغريب نوعًا ما لـ "القُرْبانُ المُقَدّس". أما شيشرون، وهو أحد أكثر المتنورين، فقد شعر بأنه مضطر لشرح لهم أن مساواة الإله بالذرة والكرمة كان مجرد رمز.

وقد نفد صبره من هذا الهراء، فكتب: "هل هناك من هو مجنون لدرجة أن يعتقد أن الطعام الذي يأكله هو في الواقع إله؟" 196

موت الإنسان الإله

يُعتقد عمومًا أن يسوع قد صُلب على صليب، لكن الكلمة المترجمة بـ "صليب" في العهد الجديد لها معنى عام هو "وتد". كان من عادة اليهود عرض جثث من رجموهم حتى الموت على وتد، كتحذير للآخرين.197 في سفر أعمال الرسل، لم يذكر بطرس أن يسوع صُلب، بل "عُلِّق على خشبة"،198 كما فعل القديس بولس في رسالته إلى أهل غلاطية.199 ويخبرنا أحد آباء الكنيسة، فيرميكوس ماتيرنوس، أنه في أسرار آتيس، رُبطت صورة شابة للإله المتجسد بشجرة صنوبر،200 وكان أدونيس يُعرف باسم «الذي على الخشبة».201

في أسرار ديونيسوس، تم تعليق قناع كبير ملتح يمثل الإله المتجسد على عمود خشبي [انظر اللوحتين 4 و 5].202 ومثل يسوع، الذي أُعطي تاجًا من الشوك عند صلبه، أُعطي ديونيسوس تاجًا من اللبلاب. وكما ارتدى يسوع رداءً أرجوانيًا عندما سخر منه الجنود الرومان، كذلك ارتدى ديونيسوس رداءً أرجوانيًا، وكان المتأهلون في إليوسيس يرتدون وشاحًا أرجوانيًا ملفوفًا حول أجسادهم.203 وقبل موته مباشرة، سُمح ليسوع بشرب نبيذ ممزوج بالمرارة.204 وكان المحتفلون في أسرار ديونيسوس يتناولون النبيذ طقسيًا، بينما كان الكاهن الأكبر، الذي يمثل ديونيسوس نفسه، يُسقى المرارة.205

يلقى يسوع حتفه برفقة لصين، أحدهما يصعد معه إلى السماء، بينما يذهب الآخر إلى الجحيم. يوجد نمط أسطوري مماثل في الأسرار. يصور رمز شائع حاملَي شعلة على جانبي ميثراس. إحدى هاتين الشخصيتين تحمل شعلتها متجهة للأعلى، رمزًا للصعود إلى السماء، والأخرى تحمل شعلتها متجهة للأسفل، رمزًا للهبوط إلى الجحيم.206 وفي أسرار إليوسيس، نجد أيضًا حاملي شعلة، إحداهما متجهة للأعلى والأخرى للأسفل، يقفان على جانبي ديونيسوس، لكنهما هذه المرة امرأتان.207 ويُعتقد أن حاملتي الشعلة في أسرار ميثراس قد تطورتا من الأخوين الأسطوريين اليونانيين كاستور وبولوكس. في أيام متناوبة، كان أحد الأخوين على قيد الحياة والآخر ميتاً. لقد مثلوا الذات العليا والذات الدنيا، واللتان لا يمكن أن تكونا "حيتين" في نفس الوقت. كان كاستور وبولوكس يُعرفان باسم "أبناء الرعد" - وهو لقب أعطاه يسوع بشكل غير مفهوم لاثنين من تلاميذه، وهما الأخوان يعقوب ويوحنا، في إنجيل مرقس! 208

في بعض الأساطير، يكون خصم ديونيسوس، الذي يمثل الجانب الأدنى من الذات لدى المتأهل، هو الذي يموت موت الإنسان الإله بدلاً منه. في ملحمة باكوس، ينطلق الملك بنثيوس لقتل ديونيسوس، لكنه يُرفع هو نفسه على شجرة.209 وفي أسطورة صقلية مماثلة، يُصلب خصم ديونيسوس، الملك ليكورغوس.210

يشير هذا إلى أنه بينما في بعض تقاليد الأسرار المقدسة، عُلِّق ديونيسوس على شجرة، في تقاليد أخرى كان مصيره الصلب. ربما قام المتأهلون في أسرار ديونيسوس بالبناء على صورة "الرجل الصالح المصلوب" التي اقترحها أفلاطون من أجل إحداث هذا التطور في الأسطورة؟ 211 أو ربما كان أفلاطون يشير إلى أسطورة سرية موجودة بالفعل عن التأهيل حيث تم صلب الإنسان الإلهي؟ 212 في فصل من أحد كتبه بعنوان "مذهب أفلاطون عن الصليب"، يقر جاستن الشهيد بأن الفيلسوف الوثني كان قد علّم قبل قرون عقيدة أن "ابن الله" قد "وُضع بشكل متقاطع في الكون".213

كان الصليب رمزاً مقدساً لدى القدماء. كانت أذرعها الأربعة تمثل العناصر الأربعة للعالم المادي - التراب والماء والهواء والنار. العنصر الخامس، الروح، كان مرتبطاً بالمادة من خلال هذه العناصر الأربعة. وبالتالي، فإن صورة الرجل المسمر على صليب رباعي الأذرع كانت ستشير بشكل طبيعي إلى مأزق المتأهل كنفس مقيدة بجسد مادي. يشير أفلاطون إلى رغبات الجسد على أنها مسامير تربط النفس بالجسد واحداً تلو الآخر.214 وكانت المسامير الأربعة المستخدمة في صلب الإنسان من خلال يديه وقدميه رمزاً لرغباتنا الحسية التي تربط النفس بعالم العناصر الأربعة.

يبدو من غير المعقول أن يتم تصوير أوزوريس-ديونيسوس على أنه يلقى نفس الموت الذي لقيه يسوع، ولكن هذا ما تشير إليه الأدلة. أبدى أرنوبيوس، أحد آباء الكنيسة، استياءه من قيام المتاهلين في طقوس ديونيسوس بتمرير صليب مقدس.215 وتظهر بعض صور المزهريات تمثال ديونيسوس معلقًا على صليب.216 ويصور تابوت من

القرنين الثاني أو الثالث الميلاديين من روما تلميذًا مسنًا يحمل صليبًا كبيرًا إلى الطفل الإلهي ديونيسوس.217 ويصف أحد الباحثين المعاصرين هذا الصليب بأنه "إشارة إلى المصير المأساوي الذي سيؤول إليه الطفل في نهاية المطاف"218 (انظر اللوحة 3).

ومن نفس الفترة تأتي التميمة الرائعة التي تظهر شخصية مصلوب يمكن التعرف عليها على الفور على أنها يسوع ولكنها في الواقع أوزوريس- ديونيسوس (انظر الغلاف الأمامي واللوحة 6). النقش الموجود أسفل هذا الشكل يقول "Orpheus-Bakkikos"، والذي يعني "أورفيوس يصبح باكوس". كان أورفيوس نبيًا أسطوريًا عظيمًا لديونيسوس، وكان يحظى باحترام كبير لدرجة أنه كان يُعتبر في كثير من الأحيان بمثابة الإنسان الإله نفسه. كان الباكوي تلميذاً مستنيراً لديونيسوس أصبح متطابقاً تماماً مع الإله. لذلك، تمثل التميمة موت ديونيسوس بالصلب، مما يرمز إلى الموت الصوفي للمتأهل لطبيعته الدنيا وولادته من جديد كإله.

لدينا أيضًا قطعة غريبة على ما يبدو من الكتابة على الجدران القديمة المنحوتة خلف عمود في روما في وقت ما بين عامي 193 و 235 ميلادي (انظر اللوحة 7). يرسم الرسم رجلاً برأس حمار مصلوب على صليب، مع التعليق "أليكسمينوس يعبد إلهه". فُسِّر هذا على أنه إهانة وثنية للمسيحية، لكن من المرجح أنه تمثيل ديونيسي لصلب الطبيعة "الحيوانية" الدنيا، والتي، كما ناقشنا سابقًا، كان يرمز إليها بالحمار.219

من الحقائق اللافتة للنظر أنه ليس لدينا أي تمثيلات ليسوع المصلوب قبل القرن الخامس الميلادي. إذا اعتبرنا هذه الكتابة على الجدران وتميمة أورفيوس إشارات إلى المسيحية، فإننا نكون في موقف غريب يتمثل في القول بأن أولى تصويرات صلب المسيح هي مزحة وثنية وتميمة يُطلق فيها على يسوع اسم أورفيوس - وكلاهما يعود تاريخهما إلى قرون قبل أي تصويرات مسيحية حقيقية! هذا لا يبدو موثوقاً للغاية. الحل البسيط والواضح لهذه الألغاز هو أنه في بعض أساطير أوزوريس-ديونيسوس، تم تصوير الإله على أنه يلقى حتفه بالصلب.

كبش الفداء المقدس

يؤمن المسيحيون بأن يسوع مات من أجل خطايا العالم. في اليونان القديمة كان هناك تقليد يتمثل في جعل فرد معين "كبش فداء"، والذي كان يحمل رمزياً خطايا الشعب ويتم طرده من المدينة أو إعدامه. كان يُطلق على هذا الشخص اسم "فارماكوس"، والذي يعني ببساطة "الرجل السحري".220 وكان اضطهاده حدثًا دينيًا واضحًا، إذ قبل وفاته كان يُطعم على نفقة الدولة بأطعمة نقية خاصة، وكان يُلبس ثيابًا مقدسة ويُزين بأكاليل من النباتات المقدسة.221 وبفضل تضحيته المقدسة، طُهرت ذنوب المدينة.

كان أوزوريس-ديونيسوس فارماكوس مقدسًا، مات، مثل يسوع، ليكفّر عن خطايا العالم.222 كان مصير فارماكوس هو الإهانة والضرب والقتل،223 وكذلك أولئك الذين سلكوا الطريق المقدس نحو إليوسيس للمشاركة في موت ديونيسوس التضحوي، تعرضوا للضرب والإهانة والترهيب على أيدي رجال ملثمين.224 في إنجيل مرقس، يتنبأ يسوع بمصير مماثل لابن الإنسان: "سيستهزئون به ويبصقون عليه ويجلدونه ويقتلونه". 225

كتب القديس بولس: "بدون سفك الدم لا غفران للخطايا". 226 يتم تصوير يسوع على أنه "حمل الله" الذي تم التضحية به. يتحدث المسيحيون عن "الولادة الجديدة" من خلال "التطهير بدم الحمل". تُردد هذه الاستعارات صدى أسرار آتيس القديمة. كانت هذه طقوساً دموية كان الحيوان فيها هو الضحية. في العالم الحديث لا نرى حيواناتنا تُذبح من أجل الطعام، لذلك قد يبدو هذا طقساً بدائياً للغاية. بالنسبة لأولئك الذين اعتادوا قتل الحيوانات بانتظام من أجل الأكل، لكان الأمر يبدو أقل إثارة للاشمئزاز. في طقوس التاوروبوليوم، أو التضحية بالثور، كان يتم ذبح ثور على منصة مثقوبة، يتدفق الدم من خلالها ليغسل الشخص المتأهل الواقف في حفرة أسفلها. بعد ذلك، كان يُعتبر الشخص الذي انضم إلى الجماعة "مولوداً من جديد". أما الفقراء فكانوا يكتفون بـ"الكريوبوليوم"، حيث يتم التضحية بخروف، ويتم غسلهم حرفياً "بدم الحمل"! 227

احتفت أسرار ميثراس، مثل المسيحية، بهذه الطقوس التضحية بشكل رمزي وليس حرفيًا. تم استخدام رمز لميثراس وهو يذبح ثوراً كقطعة فنية على المذبح، بدلاً من تمثيل التضحية الفعلية. قد تبدو هذه أيقونة بشعة إلى حد ما، ولكن عند التفكير فيها، فهي أقل عنفاً من لوحة المذبح المسيحية التي تصور رجلاً يتعرض للتعذيب حتى الموت على الصليب.

"لقد خلصتنا بسفك الدم الأبدي" هكذا يقول نقش - ليس ليسوع، ولكن لميثراس،228 على الرغم من أن المسيحيين بعد قرون سيعبرون عن امتنانهم لمخلصهم الإله المتجسد بنفس اللغة تمامًا. كما أن شاعراً مصرياً مجهولاً يعشق مخلصه أوزوريس الذي ضحى بنفسه وقام من بين الأموات بكلمات يمكن توجيهها أيضاً إلى يسوع:

> هل ضحوا بك؟ هل يقولون إنك متّ من أجلهم؟ إنه ليس ميتاً! إنه يعيش إلى الأبد! هو أكثر حيوية منهم، لأنه هو المتصوف الذي يقدم التضحية. هو ربهم، حيّ وشاب إلى الأبد! 229

ومثل المسيحية، كان للأسرار عقيدة "الخطيئة الأصلية". يُعلّم أفلاطون أن النفس تُنفى إلى الجسد عقابًا على جريمة قديمة لم يُذكر اسمها.230 ووفقًا لأمبادوقليس، فإننا نتجول بين العناصر الأربعة للتكفير عن ذنب ارتكبناه في العالم الإلهي.231 وقد علّمت الأسرار أن الخطيئة الأصلية هي الانفصال عن الله.232 ويمثل موت الإنسان الإلهي قربانًا، أو الحيوان الذي يذبحه قربانًا، موتًا رمزيًا للمتأهل نفسه عن طبيعته الحيوانية الدنيا، وولادة جديدة في طبيعته الإلهية، مما يوحده مع الله، وبالتالي يكفر عن هذه الجريمة الأصلية.

عيد الفصح

في القرن الرابع، يخبرنا مؤلف مجهول أن المسيحيين وأتباع إله الأسرار آتيس قد اندهشوا من التزامن المذهل بين موت وقيامة آلهتهم. أدى ذلك إلى جدل حاد بين أتباع الديانتين المتنافستين.233 زعم الوثنيون أن قيامة المسيح كانت تقليدًا زائفًا لقيامة آتيس، بينما زعم المسيحيون أن قيامة آتيس كانت تقليدًا شيطانيًا لقيامة المسيح.234

كان مهرجان ميغالينسيا مهرجانًا ربيعيًا في أسرار آتيس، والذي استمر لمدة ثلاثة أيام، مثل عيد الفصح.235 وخلال هذا الوقت، تم تمثيل أسطورة آتيس كمسرحية آلام، تمامًا كما تم تمثيل قصة يسوع كمسرحية آلام المسيح في العصور الوسطى. رُبط تمثال لجثة آتيس بشجرة صنوبر مقدسة، وزُيّن بأزهار مقدسة لكل من آتيس ونظيره السوري أدونيس.236 ثم دُفن في قبر.237 ولكن كما قام يسوع، قام آتيس في اليوم الثالث.238 وفي ظلمة الليل، أُحضر نور إلى قبره المفتوح، بينما كان الكاهن المُشرف يمسح شفاه المتأهلين بالزيت المقدس، مُعزّيًا إياهم بالكلمات: "لكم أيضًا سيأتي الخلاص من ضيقكم". 239 كتب عالم الأساطير السير جيمس فريزر:

> "ولكن عندما حل الليل، تحول حزن المصلين إلى فرح". فجأةً أشرق نور في الظلام: فُتح القبر؛ قام الإله من بين الأموات؛ وبينما كان الكاهن يمسح شفاه المعزين الباكين بالبلسم، همس في آذانهم ببشارة الخلاص. استقبل أتباع الإله قيامته كوعد بأنهم سيخرجون هم أيضاً منتصرين من فساد القبر. وفي اليوم التالي، الخامس والعشرين من شهر مارس، والذي كان يعتبر الاعتدال الربيعي، تم الاحتفال بالقيامة الإلهية بانفجار جنوني من الفرح. في روما، وربما في أماكن أخرى، اتخذ الاحتفال شكل كرنفال. كان عيد الفرح
>
> (هيلاريا).'240

بحسب تقليد مسيحي قديم واسع الانتشار، توفي يسوع في 25 مارس، وهو نفس اليوم الذي احتُفل فيه رسميًا بقيامة آتيس في روما.241 ومع ذلك، يذكر تقليد مسيحي قديم آخر، نقله أحد آباء الكنيسة لاكتانتيوس، أن وفاة المسيح كانت في 23 مارس وقيامته في 25 مارس، وهو ما يتزامن تمامًا مع وفاة وقيامة آتيس.242

كان مهرجان أنثيستيريا، وهو مهرجان الربيع لأسرار ديونيسوس، مهرجانًا آخر يستمر ثلاثة أيام، والذي علق عليه أحد الخبراء المعاصرين قائلاً: "لا يمكن تجاهل تشابه معين مع تسلسل الجمعة العظيمة وعيد الفصح". 243

لا تزال طقوس عيد الفصح التي تُحتفل بها في اليونان وصقلية وجنوب إيطاليا تحمل تشابهاً لافتاً مع طقوس أدونيس السرية.244 في مهرجان أدونيس، كان الهواء يفوح برائحة البخور العطرة ويمتلئ بالحزن الشديد على وفاة الإنسان الإله. ثم وُضِعَ تمثال أدونيس المحنط في نعش وحُمِلَ إلى قبره،245 لكن المؤمنين عزّوا أنفسهم بعد ذلك بيقينهم بأن الإنسان الإله كان حيًا.246 ويذكر الكاتب الوثني لوسيان:

> يقدمون القرابين لأدونيس كما لو كان ميتاً، وفي اليوم التالي يروون قصة أنه حي. 247

تُخبرنا الأناجيل أن جثة يسوع لُفّت بكفنٍ من الكتان، ودُهنت بأكثر من خمسين كيلوغرامًا من مزيج المر والصبر.248 ووفقًا لبلوتارخ، لُفّ تمثال أوزوريس أيضًا بالكتان ودُهن بالمرّ.249 وبالمثل، في أسرار أدونيس، غُسلت صورة جثة الإنسان الإله، ودُهنت بالتوابل، ولُفّت بالكتان أو الصوف.250 بعد موته، نزل يسوع إلى الجحيم، ثم قام من بين الأموات في اليوم الثالث. يخبرنا بلوتارخ أن أوزوريس، كذلك، يُقال إنه نزل إلى الجحيم ثم قام من بين الأموات في اليوم الثالث.251 يعد نقش مصري قديم أحد المتأهلين بأنه سيُبعث أيضًا مع ربه: "ما دام أوزوريس حيًا فسيحيا، وما دام أوزوريس ليس ميتًا فلن يموت". 252

بعد قيامته، يصعد يسوع إلى السماء. يشير أوريجانوس، أحد آباء الكنيسة، إلى أوزوريس باعتباره إلهًا شابًا، "أُعيد إلى الحياة، وصعد إلى السماء".253 في أسرار أدونيس، كان المتأهلون ينعون سنويًا وفاة الإله بعزفٍ حادٍ على الناي، وبكاءٍ وضربٍ للصدور، ولكن في اليوم الثالث كان يُعتقد أنه يُبعث ويصعد إلى السماء بحضور عباده.254 ووفقًا لبعض الأساطير التي تُمثل كجزء من أسرار ديونيسوس، بعد وفاته بفترة وجيزة، قام ديونيسوس أيضًا من قبره وصعد إلى السماء.255

في أسرار ميثراس، قام المتأهلون بتمثيل مشهد قيامة مماثل.256 بعد أن أنجز مهمته على الأرض، قيل إن ميثراس صعد إلى السماء في مركبة شمسية.257 ومثل يسوع، الذي جلس عن يمين الآب بعد صعوده، كان يُعتقد أن إله النور قد نصب ميثراس حاكمًا للعالم. ومثل يسوع، قيل إن ميثراس كان ينتظر في السماء نهاية الزمان، حيث سيعود إلى الأرض لإيقاظ الموتى وإصدار الحكم.258

وتجد أصداء هذه الزخارف الأسطورية، مرة أخرى، في أساطير حكماء الأسرار. يخبرنا سينيكا أنه، مثل يسوع، تنبأ الفيلسوف كانوس بأنه سيعود للظهور بعد ثلاثة أيام من موته، وقد عاد بالفعل من القبر إلى أحد أصدقائه ليتحدث معه عن بقاء الروح.259 ويخبرنا هيراكليتوس أنه بعد وليمة احتفالًا بإحدى معجزات أمبادوقليس، صعد الحكيم العظيم فجأة إلى السماء مصحوبًا بأنوار سماوية رائعة.260 وقيل إن فيثاغورس نزل إلى العالم السفلي بحثًا عن الحكمة،261 وبعد موته ظهر لتلاميذه وصعد إلى السماء.262 ومن المعروف أن التسلسل الطقسي للموت والنزول إلى العالم السفلي والتجدد كان بمثابة تشبيه مهم للتأهيل في أسرار فيثاغورس منذ أقدم العصور.

بالنظر إلى كل هؤلاء الآلهة والحكماء الوثنيين الذين يموتون ويبعثون ويصعدون، فليس من المستغرب أن نجد سيلسوس ساخطًا على الادعاءات المسيحية بأن يسوع فريد من نوعه. وقد اندهش من التفسير الحرفي للمسيحيين لما يعتبره أساطير واضحة، فكتب:

هل يستند اعتقادك إلى "حقيقة" أن يسوع هذا أخبر مسبقاً أنه سيقوم من بين الأموات بعد موته؟ هل تتضمن قصتك تنبؤاته بالانتصار على الموت؟ حسناً، فليكن كذلك. لنفترض مؤقتاً أنه تنبأ بقيامته. هل أنت جاهل بالجموع الغفيرة التي اختلقت قصصاً مماثلة لتضليل المستمعين السذج؟ يقال إن زامولیكس، خادم فيثاغورس، أقنع السكيثيين بأنه قام من الموت، بعد أن اختبأ في كهف لعدة سنوات، وماذا عن فيثاغورس نفسه في إيطاليا - أو فامبسينيتوس في مصر؟ والآن، من أيضاً: ماذا عن أورفيوس بين الأودريسيين، وبروتسيلاوس في ثيساليا، وقبل كل شيء هيراكليس وثيسيوس؟ لكن بصرف النظر عن كل هذه البعثات من الموتى، يجب أن ننظر بعناية إلى مسألة قيامة الجسد كاحتمال معطي للبشر. لا شك أنك ستعترف بحرية بأن هذه القصص الأخرى مجرد أساطير، حتى كما تبدو لي؛ لكنك ستمضي قدماً لتقول إن قصة قيامتك، هذه الذروة لمأساتك، قابلة للتصديق ونبيلة. 263

أم الله

ومثل ابنها الإلهي، يقال أيضاً أن مريم العذراء والدة يسوع قد صعدت بجسدها إلى السماء ويتم تكريمها باعتبارها "أم الله". وبالمثل، رُفعت سيميلي، والدة ديونيسوس الفانية، إلى السماء لاحقًا وكُرِّمت كخالدة إلى جانب ابنها اللامع.264

في المسيحية، تضطلع مريم بالعديد من أدوار إلهة الأم العظيمة في الأسرار الوثنية. في الواقع، أزاح عيد انتقال العذراء المسيحي في أغسطس عيدًا وثنيًا قديمًا للإلهة.265 كانت تماثيل الإلهة المصرية إيزيس وهي تحمل الطفل الإلهي نماذج للعديد من التمثيلات المسيحية لمريم والطفل يسوع (انظر اللوحتين 1 و 2). إنها تشبه إلى حد كبير صور العذراء والطفل لدرجة أنها حظيت أحيانًا بإعجاب المسيحيين الجاهلين. لقد ثبت عند الفحص أن تماثيل العذراء السوداء، التي كانت تحظى بتبجيل كبير في بعض الكاتدرائيات الفرنسية خلال العصور الوسطى، هي تماثيل من البازلت لإيزيس! 266

وفي معرض حديثه عن تأثير عبادة الإلهة المصرية إيزيس على المسيحية، كتب أحد الخبراء:

> "طقوسها المهيبة، بكهنتها المحلوقين الرؤوس جزئيا، وصلواتها الصباحية والمسائية، وموسيقاها الرنانة، ومعموديتها ورشها بالماء المقدس، ومواكبها الرسمية، وصورها المرصعة بالجواهر للإلهة الأم، قدمت العديد من أوجه التشابه مع مظاهر البذخ والاحتفالات الكاثوليكية." ولعل مريم العذراء تدين لإيزيس، في دورها اللاحق كشافية للبحارة، بلقبها الجميل ستيلا ماريس، "نجمة البحر"، الذي يعشقها البحارة الذين تتقاذفهم العواصف. 267

كان من التقاليد المبكرة جداً في المسيحية أن تكون النساء التابعات ليسوع، وليس التلاميذ الذكور، أول من شهد القبر الفارغ والمسيح القائم من بين الأموات. في النهاية الأصلية لإنجيل مرقس، لم ترَ يسوع القائم من بين الأموات سوى مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومى - وهو تقليد أقر به الناقد الوثني سيلسوس.268

بحسب تقليد مسيحي مبكر آخر، تُدعى النساء الثلاث مريم - مريم المجدلية، رفيقة يسوع، ومريم أمه، ومريم أختها.269 وفي إنجيل يوحنا، تُصوَّر المريمات الثلاث أنفسهن عند سفح الصليب.270 إن وجود ثلاث مريمات في الرواية دليل واضح على أننا في عالم الأساطير القديمة - فقد كانت الإلهة الثلاثية شخصية مألوفة في العالم الوثني. في إليوسيس تظهر في صورة ديميتر، وبرسيفوني، وهيكاتي.

نجدها تظهر في صورة الأقدار الثلاثة، والصدقات الثلاث، والنعم الثلاث.

ومثل يسوع، غالباً ما يرتبط ديونيسوس بثلاث من أتباعه من النساء. عندما يتم تأسيس معبد جديد للإله ديونيسوس، تذهب ثلاث كاهنات يُطلق عليهن اسم الميناد إلى هناك لتأسيس الطقوس. كانت كل واحدة منهن تُشكّل إحدى الجوقات النسائية الثلاث التي تُساعد في الاحتفال بالأسرار المقدسة.271 وكانت "أوينوتروبيو" ثلاث نساء من تلميذات ديونيسوس، يُقال إنهنّ يمتلكن القدرة على تحويل الماء إلى خمر بطريقةٍ مُعجزة في احتفالات الإله.272 ومن بين أكثر المنحوتات المقدسة القديمة شيوعًا، توجد تماثيل كهف بان، حيث تُقاد ثلاث نساء إلى كهفٍ فارغ بواسطة هرمس، رسول الآلهة، كما هو الحال مع مريمات الثلاث اللواتي قادهنّ الملاك إلى الكهف الفارغ الذي كان قبر يسوع.273

ولادة روحية جديدة

ولد يسوع لمريم في مغارة وقام من المغارة أمام ثلاث مريمات. كانت هذه "الزخارف الأسطورية الدائرية" مهمة في الأسرار. في بعض أساطير أوزوريس-ديونيسوس، كان قيامته المعجزة وولادته المعجزة حدثًا واحدًا. بعد أن مات موته التضحوي، سيولد من جديد على الفور كطفل إلهي. إذن، فإن الكهف الذي ولد فيه ووُضع فيه يرمز إلى كل من الرحم

والمقبرة.274 يخبرنا مينوسيوس فيليكس، وهو كاتب مسيحي، أنه في أسرار أوزوريس، كان الكهنة يمثلون بحث إيزيس الحزين عن أوزوريس الميت، والذي تحول بعد ذلك إلى احتفال بظهور صبي صغير، يمثل الإله المتجسد،275 وهكذا يقول: "إنهم لا يكفون عامًا بعد عام عن فقدان ما يجدونه والعثور على ما يفقدونه". 276

إن مفتاح فهم أسطورة القيامة، سواء في الأسرار أو في قصة يسوع، هو أن الموت من الناحية الصوفية هو ولادة جديدة. يخبرنا بلوتارخ أن المشاركة في آلام ديونيسوس كانت تهدف إلى إحداث تجديد روحي، أو "ولادة جديدة".277 خضع المتأهلون في الأسرار لما يسميه لوسيوس أبوليوس "موتًا طوعيًا" خرجوا منه مولودين روحيًا من جديد.278 وكما يمنح يسوع أتباعه فرصة "الولادة من جديد"،7 فإن أوزوريس هو "الذي يلد الرجال والنساء مرة ثانية"279 و"الذي يجعل البشر يولدون من جديد".280

عندما "يموت" أمام ذاته الدنيا، يكون المتأهل في الأسرار في حالة مخاض أيضاً، حيث تولد ذاته العليا. لعل هذا هو السبب في أن الكاهن الأعظم في أسرار إليوسيس شرب المرارة التي كانت تُعطى للنساء أثناء الولادة، وقدمها ليسوع على الصليب.

يربط يسوع بشكل غامض بين الموت والولادة في إنجيل يوحنا عندما يتنبأ بما يلي:

> "بعد قليل لن تراني، وبعد قليل ستراني. الحق أقول لكم، ستبكون وتنوحون، أما العالم فسيفرح. لكن رغم غرقكم في الحزن، سيتحول حزنكم إلى فرح. المرأة التي تلد تتألم لأن وقتها قد حان؛ ولكن عندما يولد الطفل تنسى الألم في فرحتها بميلاد رجل في العالم."281

إن الموت عن الذات الدنيا هو بمثابة ولادة روحية جديدة - هذا هو التعليم السري المركزي المشفر في أساطير أوزوريس-ديونيسوس. هل يمكن أن تكون قصة يسوع أيضاً أسطورة تحمل نفس التعاليم الروحية الخالدة؟

الخلاصة

إما أن الشيطان قد أتقن فن التقليد الشيطاني حقاً، أو أن هناك لغزاً يجب حله هنا. دعونا نراجع الأدلة:

- يسوع هو مخلص البشرية، الله الذي صار إنساناً، ابن الله مساوٍ للآب؛ وكذلك أوزوريس-ديونيسوس.
- ولد يسوع من عذراء بشرية صعدت بعد موتها إلى السماء وتم تكريمها ككائن إلهي؛ وكذلك أوزوريس-ديونيسوس.
- يولد يسوع في كهف في 25 ديسمبر أو 6 يناير، وكذلك أوزوريس-ديونيسوس.
- تنبأت نجمة بميلاد يسوع، وكذلك ميلاد أوزوريس-ديونيسوس.
- ولد يسوع في بيت لحم، التي كانت مظللة ببستان مقدس لأوزوريس-ديونيسوس.
- زار المجوس يسوع، وهم أتباع أوزوريس-ديونيسوس.
- يقدم المجوس هدايا ليسوع من الذهب واللبان والمر، وهو ما يخبرنا به أحد الوثنيين في القرن السادس قبل

الميلاد، وهي الطريقة التي يعبد بها الله.

- تم تعميد يسوع، وهو طقس يُمارس منذ قرون في الأسرار المقدسة.
- الرجل المقدس الذي عمّد يسوع بالماء يحمل نفس اسم إله الماء الوثني، وقد ولد في يوم الانقلاب الصيفي الذي يُحتفل به كمهرجان وثني للماء.
- يقدم يسوع لأتباعه معموديات العناصر من الماء والهواء والنار، كما فعلت الأسرار الوثنية.
- يُصوَّر يسوع على أنه رجل هادئ ذو شعر طويل ولحية؛ وكذلك أوزوريس-ديونيسوس.
- قام يسوع بتحويل الماء إلى خمر في حفل زفاف في نفس اليوم الذي كان يُعتقد سابقًا أن أوزوريس-ديونيسوس قد قام فيه بتحويل الماء إلى خمر في حفل زفاف.
- يشفي يسوع المرضى، ويطرد الشياطين، ويقدم وجبات معجزية، ويساعد الصيادين على تحقيق صيد معجزي من الأسماك، ويهدئ المياه لتلاميذه؛ كل هذه المعجزات كان يقوم بها سابقًا حكماء الوثنيين.
- مثل حكماء الأسرار، كان يسوع صانع عجائب متجولًا لم يُكرّم في مسقط رأسه.
- اتُهم يسوع بالسلوك الفاسق، كما اتُهم أتباع أوزوريس-ديونيسوس.
- لم يعترف تلاميذ يسوع في البداية بأنه إله، لكنه تجلى أمامهم بكل مجده، - وينطبق الشيء نفسه على أوزوريس-ديونيسوس.
- يحيط بيسوع 12 تلميذاً؛ وكذلك أوزوريس-ديونيسوس.
- يدخل يسوع المدينة منتصراً على حمار بينما تلوح الحشود بالأغصان، وكذلك يفعل أوزوريس-ديونيسوس.
- يسوع رجل عادل اتُهم ظلماً بالهرطقة وبإقامة دين جديد، كما هو الحال مع أوزوريس-ديونيسوس.
- يهاجم يسوع المنافقين، ويقف في وجه الطغيان، ويذهب طواعية إلى موته متنبئاً بأنه سيقوم مرة أخرى في ثلاثة أيام، كما يفعل حكماء الوثنيين.
- يُخان يسوع مقابل 30 قطعة من الفضة، وهو موضوع موجود في قصة سقراط.
- يُشبه يسوع بالخبز والخمر، وكذلك أوزوريس-ديونيسوس.
- كان تلاميذ يسوع يأكلون الخبز ويشربون النبيذ رمزياً للتواصل معه، كما يفعل أتباع أوزوريس-ديونيسوس.
- تم تعليق يسوع على شجرة أو صلبه، كما هو الحال مع أوزوريس-ديونيسوس.
- يموت يسوع كذبيحة لفداء خطايا العالم؛ وكذلك أوزوريس-ديونيسوس.
- تم لف جثة يسوع بالكتان ودهنها بالمرّ، كما هو الحال مع جثة أوزوريس-ديونيسوس.
- بعد موته ينزل يسوع إلى الجحيم، ثم في اليوم الثالث يقوم من بين الأموات أمام تلاميذه ويصعد إلى السماء، حيث يجلس على عرش الله وينتظر الظهور مرة أخرى في نهاية الزمان كقاضٍ إلهي، كما يفعل أوزوريس-ديونيسوس.

- قيل أن يسوع مات وقام في نفس التواريخ التي تم فيها الاحتفال بموت وقيامة أوزوريس - ديونيسوس.
- زارت ثلاث نساء من أتباع يسوع قبره الفارغ؛ كما أن لأوزوريس- ديونيسوس ثلاث نساء من الأتباع يزرن كهفًا فارغًا.
- من خلال مشاركة آلامه، يمنح يسوع تلاميذه فرصة الولادة من جديد، كما يفعل أوزوريس-ديونيسوس.
- وبغض النظر عن حجة "التقليد الشيطاني"، كما يجب على جميع الأشخاص العقلاء، كيف لنا أن نفسر هذه التشابهات غير العادية بين الأساطير الوثنية وقصة يسوع؟

كان الاحتمال الأول الذي نظرنا فيه هو أن السيرة الحقيقية ليسوع قد تم دمجها مع الأساطير الوثنية في وقت لاحق. هذه فكرة شائعة يتم طرحها غالباً لتفسير تلك الجوانب من قصة يسوع التي تبدو أسطورية بشكل واضح، مثل ولادة العذراء. لكننا وجدنا العديد من أوجه التشابه بين أساطير أوزوريس-ديونيسوس و"السيرة الذاتية" المفترضة ليسوع لدرجة أن هذه النظرية بدت غير كافية. إذا كانت جميع عناصر قصة يسوع التي تم التنبؤ بها من خلال الأساطير الوثنية مجرد تراكمات لاحقة، فماذا سيتبقى من يسوع "الحقيقي"؟ إذا كانت هذه النظرية صحيحة، فإن يسوع الذي نعرفه هو أسطورة، وقد طغى تمامًا على الرجل التاريخي.

الاحتمال الآخر الذي خطر ببالنا كان أكثر جذرية وتحدياً. هل يمكن أن تكون قصة يسوع في الواقع نسخة أخرى من أسطورة أوزيريس-ديونيسوس؟ لو لم نتربى في ثقافة مسيحية، فهل كنا سنفسر القصص المذهلة التي ترويها الأناجيل على أنها أي شيء آخر غير الأساطير العميقة؟ لا أحد يعتقد أن أساطير أوزوريس-ديونيسوس صحيحة حرفياً، فلماذا نعتبر نفس الأحداث التي تُروى في سياق يهودي حقيقة تاريخية؟

ولأننا لم نكن نعرف تماماً ما نصدقه، فقد وجهنا انتباهنا إلى تعاليم يسوع الروحية، متسائلين عما إذا كنا سنلمح هنا شيئاً من الرجل الكامن وراء الأسطورة.

الأفلاطونية المثالية

'لقد تم التعبير عن العديد من أفكار المسيحيين بشكل أفضل - وفي وقت سابق - من قبل اليونانيين.1
وراء هذه الآراء عقيدة قديمة كانت موجودة منذ البداية'. 2
سيلسوس

وكما رأى النقاد الوثنيون للمسيحية قصة يسوع على أنها اقتباس من أسطورة أوزوريس-ديونيسوس، فقد نظروا أيضاً إلى التعاليم المسيحية على أنها نسخة رديئة من الفلسفة الخالدة للأسرار الوثنية. كتب سيلسوس عن المسيحيين بازدراء:

"دعونا نتحدث عن تحريفهم المنهجي للحقيقة، وسوء فهمهم لبعض المبادئ الفلسفية البسيطة إلى حد ما - والتي بالطبع يفسدونها تماماً." 3

تلقى معظم المثقفين المسيحيين الأوائل تعليمهم في الفلسفة الوثنية وكانوا على دراية تامة بأوجه التشابه العميقة بينها وبين مذاهبهم الخاصة. اعتبر كليمنت الإسكندري الأناجيل بمثابة "الأفلاطونية المثالية".4 ويصف جاستن الشهيد هِرَقْليطُس وسقراط وغيرهما من الفلاسفة اليونانيين بأنهم مسيحيون قبل المسيح.5 ومع ذلك، فهو لا يعترف بتراث روحي مشترك. بالنسبة لجاستن، فإن أوجه التشابه، مرة أخرى، هي نتيجة "محاكاة شيطانية " يعمي الحمقى عن الاختلافات الجوهرية بين المسيحية والوثنية. ويكتب:

أما أنا، عندما اكتشفتُ الأقنعة الخبيثة التي ألقتها الأرواح الشريرة حول العقائد الإلهية للمسيحيين، لإبعاد الآخرين عن الانضمام إليهم، فقد ضحكتُ على أولئك الذين صاغوا هذه الأكاذيب، وعلى القناع نفسه، وعلى الرأي العام؛ ليس لأن تعاليم أفلاطون تختلف عن تعاليم المسيح، ولكن لأنها ليست متشابهة في جميع النواحي، كما هو الحال مع تعاليم الرواقيين والشعراء والمؤرخين. 6

إلا أن الوثنيين كانوا يصرون بشدة على اتهام المسيحية بالاقتباس من أفلاطون، لدرجة أن القديس أمبروز كتب رسالة لدحض هذه الاتهامات. لم ينكر أوجه التشابه، لكنه فسرها بادعاء أن أفلاطون سرق أفكار موسى! 7- وبناءً على تسلسل زمني مزيف وضعه الأسقف يوسابيوس في القرن الرابع، طور أوغسطين فكرة سخيفة بنفس القدر مفادها أن أفلاطون قد نسخ النبي اليهودي إرميا. ويوضح قائلاً:

ألم يُظهر الأسقف الموقر أن أفلاطون قام برحلة إلى مصر في الوقت الذي كان فيه النبي إرميا هناك، وأن من المرجح أن أفلاطون قد تأهل في أدبنا من خلال إرميا؟ وهكذا، عندما نتأمل في التواريخ، يصبح من المرجح أكثر أن يكون هؤلاء الفلاسفة قد تعلموا كل ما قالوه من كلام جيد وصحيح من أدبنا، أكثر من أن يكون السيد المسيح قد تعلم من كتابات أفلاطون - وهو أمر يعتبر تصديقه قمة الحماقة. 8

وصل الأمر جاستن الشهيد إلى حد إنكار أن للوثنيين أي حق في أن يكون لهم أنبياءهم، وادعى أن حكمة الحكماء القدماء

تصب في مصلحة المسيحية! ويكتب: "كل ما قيل بشكل صحيح بين جميع المعلمين هو ملك لنا نحن المسيحيين". 9 وعلى غرار هذا التقليد، أعلن القديس أوغسطين لاحقًا ما يلي:

"إذا كان أولئك الذين يُطلق عليهم اسم الفلاسفة، وخاصة الأفلاطونيين، قد قالوا شيئًا صحيحًا ومتوافقًا مع العقيدة، فلا ينبغي لنا فقط ألا نتراجع عنه، بل يجب علينا المطالبة به لاستخدامنا الخاص من أولئك الذين يمتلكونه بشكل غير قانوني." 10

لماذا يشعر هؤلاء المسيحيون بأنهم مجبرون على تبني مثل هذه الحجج المعقدة باعتبارها الطريقة الوحيدة لمقاومة اتهامات الوثنيين بالسرقة الأدبية؟ هل تعاليم يسوع وحكمة الأسرار متشابهة إلى هذا الحد؟ لنرى.

الطهارة الأخلاقية

كان المسيحيون فخورين جداً بمبادئهم الأخلاقية السامية. وعلى النقيض من ذلك، سعوا في كثير من الأحيان إلى تصوير الأسرار على أنها منحطة أخلاقياً. لكن هذا هراء محض. يكتب ديودور الصقلي، وهو أحد المتأهلين في هذه الأسرار: "يقال إن أولئك الذين شاركوا في الأسرار أصبحوا أكثر تقوى، وأكثر استقامة، وأفضل حالاً من أنفسهم السابقة بكل المقاييس". 11 أعلن أحد أتباع سبزيوس بعد انضمامه: "لقد نجوت من الشر، ووجدت الخير". 12 يقول لنا سوباتروس: "بسبب التأهيل سأكون مستعدًا تمامًا لكل مطلب أخلاقي". 13- كتب يامبليخوس، متحدثًا عن موكب الأسرار:

"لقد صُممت العروض من هذا النوع في الأسرار لتحريرنا من الأهواء الفاسقة، من خلال إرضاء البصر، وفي الوقت نفسه القضاء على كل فكرة شريرة، من خلال القداسة الرهيبة التي كانت تصاحب هذه الطقوس." 14

كان يُنظر إلى الانضمام إلى الأسرار على أنه مصدر للتطهير الأخلاقي والاستعداد للموت. يصرح أرِسْطُفان: "لقد عاش جميع أولئك الذين شاركوا في الأسرار حياة بريئة وهادئة ومقدسة؛ لقد ماتوا وهم يبحثون عن نور حقول إليسيون." 15 ويضيف فَرفوريوس: "في لحظة الموت، يجب أن تكون النفس كما هي في الأسرار؛ خالية من أي عيب أو عاطفة أو حسد أو غضب". 16 يخبرنا سيلسوس أنه تم الإعلان أن الانضمام مفتوح فقط لـ "كل من هو طاهر من كل دنس ونفسه لا تشعر بأي شر" وأنه "لا ينبغي لأحد أن يقترب إلا إذا كان مدركًا لبراءته". 17

علّم يسوع أتباعه أن يسعوا جاهدين لتحقيق الطهارة الأخلاقية، ليس فقط في الفعل، ولكن حتى في الفكر. كتب كليمنت الإسكندري، أحد آباء الكنيسة: "يجب أن يكون من يدخل المزار طاهراً، والطهارة هي أن يفكر في الأشياء المقدسة". 18 لكن كليمنت يردد فقط النقش القديم الموجود فوق ضريح أسكليبيوس الوثني، والذي يقول أيضًا: "الطهارة هي التفكير في الأفكار المقدسة فقط". 19 وبالمثل، نقرأ في أقوال الحكيم الوثني سيكستوس: "لا تفكر حتى فيما لا ترغب أن يعلمه الله". كتب سيلسوس 20:

"ما ينبغي أن يشغل أذهاننا حقاً، ليلاً ونهاراً، هو الخير: علناً وسراً، في كل كلمة وفعل وفي صمت التأمل". 21

قام الفلاسفة الرواقيون بتطوير فكرة "الضمير" التي ورثتها المسيحية.22 "الضمير" يعني "مع المعرفة". بالنسبة لحكماء الوثنيين، كان الاستماع إلى ضمير المرء يعني اتباع المعرفة الروحية الداخلية، أو الغنوص، التي تمتلكها الذات العليا. كان يُطلب من أتباع فيثاغورس كل ليلة أن يتذكروا جميع أحداث اليوم وأن يحكموا على أنفسهم أخلاقياً من وجهة نظر ذواتهم العليا. يصف سينيكا، وهو أحد المتحمسين، سعيه الدؤوب نحو الكمال الأخلاقي بلغة بسيطة وعفوية قد تكون لغة مسيحي معاصر:

> "أدافع عن قضيتي كل يوم أمام نفسي." عندما ينطفئ الضوء، وتلتزم زوجتي الصمت لأنها تعرف عادتي، أقوم بفحص اليوم الماضي، وأراجع وأزن كل أفعالي وأقوالي. لا أخفي شيئاً، ولا أغفل شيئاً: لماذا أتردد في مواجهة عيوبي عندما أستطيع أن أقول: "احرص على عدم تكرارها، وأنا أسامحك اليوم أيضاً". 23

إن ضرورة الاعتراف بالخطايا أمرٌ علّمه يسوع، ولا يزال عنصراً أساسياً في المسيحية. لكن هذه الفكرة لم تكن جديدة على الإطلاق. كان يُطلب من المتأهلين في الأسرار أن يطهروا أنفسهم من خلال الاعتراف علنًا بجميع إخفاقاتهم وأفعالهم السيئة. في أسرار إليوسيس، طلب الكاهن من المتأهل أن يعترف بأسوأ عمل ارتكبه في حياته.24 لم يكن هذا مجرد إجراء شكلي فارغ، بل كان عملاً تقوياً حقاً. تراجع الإمبراطور الروماني المستبد نيرون عن السعي للانضمام إلى الأسرار عندما أدرك أنه سيضطر إلى الاعتراف علنًا بقتل والدته. حتى الطاغية قبل بفقدان ماء الوجه هذا، بدلاً من أن يكذب أمام أقدس مؤسسة في العالم القديم.25 يكتب أحد علماء الكلاسيكيات المعاصرين أن الأسرار "استبقت الكاثوليكية في إنشاء اعتراف - ولكن أقل صرامة - مع عناصر نظام التوبة والغفران للمؤمنين المترددين". كان الكهنة بمثابة ممثلين لإله الأسرار، ويطلبون الاعتراف سراً. 26 يوجد "اعتراف سلبي" بالشرور التي تجنب المرء ارتكابها في كتاب الموتى المصري منذ عام 1500 قبل الميلاد. 27 على عكس الادعاءات المسيحية بأن الأسرار كانت منحطة أخلاقياً، فإن الأدلة تُظهر بوضوح أن التأهيل كان مصمماً لتحقيق التجديد الأخلاقي.

على الرغم من ذلك، بالطبع، لم تكن الأسرار الوثنية أقل عرضة للنفاق وسوء الاستخدام من أي دين آخر. يشكو الفيلسوف اليهودي الفيثاغورسي قائلاً: "كثيراً ما يحدث أن الرجال الصالحين لا يتم تأهيلهم، ولكن اللصوص والقتلة والنساء الفاسقات يتم تأهيلهم إذا دفعوا المال للمتأهلين والكهنة". 28 ولكن كما لاحظ أحد الباحثين المعاصرين،

> "توضح هذه المقاطع وجود انتهاكات، ولكنها توضح أيضاً أنه كان يُعتبر فضيحة إذا فشل الشخص المتأهل في إظهار أي تحسن أخلاقي." 29

الحب

وعلى النقيض من إله العدالة اليهودي التقليدي، يبشر يسوع بمفهوم جديد ثوري لإله المحبة. إن الوصية الأولى والمركزية ليسوع هي أن يحب أتباعه الله، وحتى يومنا هذا، فإن إقامة علاقة محبة شخصية مع الله هي جوهر المسيحية. كان هذا أيضًا في صميم الأسرار. يكتب أحد الباحثين المعاصرين:

إذا كان على المرء أن يختار سمة واحدة بارزة تميز جميع طوائف الأسرار عن الديانات الأخرى في عصرها، فسيكون ذلك هو سعيهم إلى إقامة علاقة شخصية مع آلهتهم.

وبالتالي، كان موقف أتباعهم تجاه الآلهة موقف حب بدلاً من الخوف أو التلاعب اللامبالي. يبدو أن الدافع وراء الكثير من الأديان البدائية هو التخلص من الآلهة، وبوسائل مشروعة أو غير مشروعة لمنعها من إزعاج البشرية. أما بالنسبة للأديان السرية، فالدافع هو عكس ذلك تماماً: إنه التقرب* منهم، والاعتراف بهم كأفضل أصدقاء للإنسان. 30

كان الشعور المسيحي بـ "المحبة الأخوية" سمة من سمات الأسرار المقدسة قبل ستة قرون من وجود أي مسيحيين. كان يُطلق على المتأهلين الجدد في إليوسيس اسم أديلفوي، بمعنى "إخوة". كان الفيلادلفي شخصًا يمارس "المحبة الأخوية". وكان أتباع ميثراس يُطلق عليهم أيضاً اسم "الإخوة". كان أتباع أسرار جوبيتر دوليكينوس يُطلق عليهم اسم fiaties caiissimi، أو "الإخوة الأكثر محبة".31

لكن يسوع علّم أتباعه ليس فقط أن يحبوا إخوانهم المسيحيين، بل أن يحبوا جميع جيرانهم أيضاً. في إنجيل متى، يوجه أتباعه قائلاً: "عاملوا الآخرين

كما تحبون أن يعاملوكم". 32 لكن هذا التعليم لم يكن جديداً أيضاً. إنها قاعدة دائمة ومنتشرة في جميع التقاليد الدينية تقريبًا.33 ومن بين أقوال الفيلسوف الوثني سيكستوس، نجد: "كما تحب أن يكون جارك معك، فكن أنت أيضًا مع جارك". 34

لكن يسوع يذهب إلى أبعد من ذلك. إنه يعلمنا أنه ينبغي علينا حتى أن نحب أعداءنا. ينبغي علينا أن نغفر لمن يظلمنا وأن "ندير الخد الآخر".35 عادة ما يُنظر إلى هذه التعاليم الجميلة والعميقة على أنها ثورة في الروحانية، تحل محل الشريعة اليهودية القديمة "العين بالعين". لقد كانت بالفعل خروجاً جذرياً عن هذه المشاعر اليهودية، لكنها كانت مألوفة تماماً للمطلعين على أسرار الوثنية القديمة! نجد في كتاب "أقوال سيكستوس الفيثاغوري" نفس التعاليم: "أتمنى أن تتمكن من إفادة أعدائك". 36 وقد علّم فيثاغورس نفسه أنه حتى في حالة التعرض للإساءة، لا ينبغي للمرء أن يدافع عن نفسه.37

يكتب إبيكتيتوس بالمثل:

> "هذه هي طريقة الفيلسوف، أن يُجلد كالحمار وأن يحب أولئك الذين يضربونه، وأن يكون أباً وأخاً للبشرية جمعاء." 38

لكن أشهر ما عُرف في العالم القديم هو أن هذه التعاليم قد عبّر عنها سقراط وسجلها تلميذه أفلاطون. كتب سيلسوس:

> لديكم أيها المسيحيون قول يقول: "لا تقاوموا الرجل الذي يهينكم، حتى لو ضربكم، فأعطوه الخد الآخر أيضاً". هذا ليس بالأمر الجديد، وقد عبّر عنه آخرون بشكل أفضل، وخاصة أفلاطون. 39

في أحد حوارات أفلاطون، يقود سقراط كريتو، خطوة بخطوة، إلى نفس الفهم العميق الذي يظهر بعد 500 عام في الأناجيل. نستكمل النقاش عندما يصل سقراط إلى استنتاجه:

> سقراط: "إذن لا ينبغي لنا أن نفعل الخطأ أبداً؟" كريتو: "أبداً".
>
> سقراط: "وألا ينبغي لنا حتى أن نحاول الانتقام من الظلم إذا تعرضنا للظلم بأنفسنا، كما يفعل معظم

الناس، انطلاقاً من فرضية أنه لا ينبغي لنا أبداً أن نرتكب الظلم؟" كريتو: "يبدو الأمر كذلك"

سقراط: "إذن، هل ينبغي لنا أن نلحق الضرر يا كريتو، أم لا؟"
كريتو: "لا ينبغي لي أن أقول ذلك يا سقراط."

سقراط: "حسنًا، هل من العدل أم من الظلم أن نرد الإساءة بالإساءة؟" كريتو: "أعتقد أنه ظلم."

سقراط: "لأن إلحاق الأذى بالرجال لا يختلف عن فعل الخطأ؟" كريتو: "بالضبط."

سقراط: "لذلك، لا ينبغي لنا أبدًا أن ننتقم ولا أن نؤذي أحدًا، حتى لو كنا قد تعرضنا للأذى."

يختتم سقراط قائلاً:

"ليس من الصواب أبداً فعل الخطأ، وليس من الصواب أبداً الانتقام؛ كما أنه ليس من الصواب رد الشر، أو في حالة من تعرض للأذى، محاولة الانتقام." 40

يعلق سيلسوس بسخرية لاذعة:

"كان هذا رأي أفلاطون، وكما يقول، لم يكن هذا رأياً جديداً عليه، بل تم التعبير عنه من قبل رجال ملهمين قبله بزمن طويل." ما قلته عن ذلك قد يكون بمثابة مثال، جزئياً وكلياً، على نوع الأفكار التي يشوهها المسيحيون. 41

بل إن حكماء الأسرار العظام قد وسعوا نطاق أخلاقياتهم المتمثلة في الحب الشامل لتشمل الحيوانات. على الرغم من أن بعض الديانات السرية مارست التضحية بالحيوانات، إلا أن فيثاغورس كان نباتيًا، ونظر أمبادوقليس إلى عصر ذهبي "لم يكن فيه مذبح مبللًا بذبح الثيران المشين".42 سعى حكماء الوثنية المستنيرون، مثل أساتذة أي تقليد ديني مستنير، باستمرار إلى توجيه المتأهلين بعيدًا عن الممارسات البالية نحو فهم المعنى الروحي لطقوسهم.43 يكتب أحد علماء الأدب الكلاسيكي المعاصر عن أسرار أورفيوس بأنها "تفرض - ربما لأول مرة في العالم الغربي - أخلاقًا سامية من الطهارة وعدم الإيذاء". ويواصل:

"كان الأورفيون والفيثاغوريون حقًا أول المسيحيين بالمعنى الأخلاقي، وقد قام عدد قليل من المسيحيين مثل القديس فرنسيس بتوسيع نطاق تعاطفهم على الطريقة الفيثاغورية ليشمل عالم الحيوان." 44

التواضع والفقر

يعلّم يسوع أتباعه أن يقتدوا بتواضعه وفقره. فأرسل تلاميذه قائلاً:

> "اذهبوا وأعلنوا أن ملكوت السماوات يقترب. عالجوا المرضى، وأقموا الموتى، واغسلوا المصابين بالجذام، واطردوا الشياطين. اقبلوا الهدايا المجانية، وقدمها مجاناً.
>
> لا تضعوا الذهب أو الفضة أو النحاس في أحزمتكم. لا تأخذوا معكم حقيبة ظهر في الطريق، أو سترة ثانية، أو حذاءً إضافياً، أو عصا. 45

وبذلك، أصبح أتباعه لا يمكن تمييزهم عن الفلاسفة الوثنيين الكلبيين، الذين كانوا يسافرون من مكان إلى آخر لنشر التعاليم الروحية.46 يكتب أحد الباحثين المعاصرين:

> "من بين المشاهد المألوفة خلال القرن الأول من الإمبراطورية الرومانية كان الكلبيون يرتدون عباءات خشنة، ويحملون أكياس التسول وعصي الشوك. كانوا يتجولون من بلدة إلى أخرى يعظون الناس، ويكررون عباراتهم المبتذلة. عندما كان الرسل يبشرون بالإنجيل، كانوا يسافرون بطريقة مماثلة خالية من العوائق." 47

كان كل من الكلبيين والمسيحيين الأوائل يرتدون نفس الملابس الخشنة، وكلاهما أطلق على دينه اسم "الطريق".48 يصف أبكتاتوس الكلبيين بكلمات يمكن أن تصف يسوع وتلاميذه بنفس القدر:

> هو مبشر من الله إلى الناس، يعلن لهم حقيقة الخير والشر؛ أنهم قد أخطأوا، ويبحثون عن حقيقة الخير والشر حيث لا يوجد؛ وحيث يوجد لا يفكرون. يجب أن يكون قادراً إذن، إذا حدث ذلك، على الصعود بانفعال، كما هو الحال على خشبة المسرح المأساوي، وأن ينطق بكلمة سقراط: "يا أيها الرجال، إلى أين أنتم ذاهبون؟" ماذا تفعلون؟ يا لبؤسكم! مثل العميان تتجولون إيابا وذهاباً. لقد انحرفتم عن الطريق القويم، وسلكتم طريقاً زائفاً؛ أنتم تبحثون عن السلام والسعادة حيث لا وجود لهما، وإذا دلّكم غيركم على مكانهما، فلن تصدقوه. 49

يرى سيلسوس أن التواضع المسيحي هو نسخة قسرية من التواضع الطوعي لحكماء الوثنيين. يصرخ غاضباً:

> "ليس من المستغرب أنهم يؤكدون على فضيلة التواضع، والتي تتمثل في حالتهم في جعل الضرورة فضيلة! وهنا أيضاً يتم استغلال أفكار أفلاطون النبيلة. إنهم لا يسيئون فهم كلمات الفلاسفة فحسب، بل إنهم ينحدرون إلى حدّ إسناد كلمات الفلاسفة إلى يسوعهم. فعلى سبيل المثال، قيل لنا إن يسوع حكم على الأغنياء بقوله: "من الأسهل أن يمر جمل من ثقب إبرة من أن يدخل غني ملكوت الله". لكننا نعلم أن أفلاطون قد عبر عن هذه الفكرة نفسها بصورة أنقى عندما قال: "من المستحيل أن يكون الرجل الصالح بشكل استثنائي غنياً بشكل استثنائي". هل إحدى العبارتين أكثر إلهاماً من الأخرى؟' 50

سيلسوس محق في انتقاده للادعاءات المسيحية بأن تعاليم يسوع أصلية ومميزة. يعلّم يسوع قائلاً: "اجمعوا كنوزكم في

السماء حيث لا يستطيع لص أن يقترب منها، ولا تفسدها عثة". 51 ويحث سيكستوس كذلك قائلاً: "امتلكوا تلك الأشياء التي لا يستطيع أحد أن يأخذها منكم". 52

يسوع هو ملك العالم لأنه حكيم، وليس لأنه قوي. كانت إحدى المقولات الرواقية الشائعة هي: "الملك الحقيقي الوحيد هو الحكيم".53

يعلّم يسوع قائلاً: "ابقوا مستيقظين، لأنكم لا تعلمون متى سيأتي رب البيت.

إذا جاء فجأة، فلا تدعه يجدك نائماً."54 كتب أبكتاتوس: "لا تبتعد عن السفينة في أي وقت، خشية أن ينادي الربان وأنت لست مستعداً". 55

يقول يسوع: "أؤكد لكم أن كل من لا يقبل ملكوت الله كطفل صغير، لن يدخله أبداً". 56 كتب هِرَقْليطُس: "المملكة ملك للطفل". 57

يعلّم يسوع: "لماذا تدعونني صالحاً؟ لا أحد صالح، الله وحده." 58 قبل أربعة قرون، عرّف أفلاطون الله بأنه "الخير"، وهي صفة، بحكم تعريفها، لا يمكن أن يظهرها بالكامل إلا الله. على غرار يسوع، رفض فيثاغورس أن يُطلق عليه لقب حكيم، موضحًا أنه لا أحد حكيم إلا الله؛ وفضل فيثاغورس أن يُطلق على نفسه لقب "محب الحكمة" أو "فيلسوف" - وهو مصطلح كان أول من استخدمه.

الجنة والجحيم

عندما تم تقديم الأسرار لأول مرة إلى اليونان من مصر، كانت فكرة الحياة الآخرة عقيدة جديدة وهرطقية بالنسبة لليونانيين. وبالمثل، فإن مفهوم الجنة والنار غير موجود في العهد القديم، ومع ذلك فهي فكرة مركزية في الأناجيل.59 من أين أتت هذه المفاهيم؟ وكما هو الحال في اليونان القديمة، تم تقديم هذه الأفكار الجديدة من خلال الأسرار.

تقدم المسيحية لأتباعها عزاء الحياة الآخرة السماوية، بينما تهدد الأشرار وغير المؤمنين بعذاب الجحيم. كتب سوفوكليس:

> "كم هم مباركون ثلاث مرات من بين البشر الذين، بعد أن شاهدوا هذه الأسرار، يرحلون إلى دار الموت. لأن الحياة تُمنح هناك لهؤلاء وحدهم، أما الآخرون فتقع عليهم كل المصائب." 60

عند وفاة ابنته الصغيرة الحبيبة تيموكسينا، كتب بلوتارخ رسالة تعزية مؤثرة إلى زوجته، حثها فيها على تذكر "الرموز الصوفية لطقوس ديونيسوس" التي ستمنعها من الاعتقاد بأن "النفس لا تشعر بشيء بعد الموت وتتلاشى".61 ويثق بلوتارخ أنه من خلال "التجربة التي نتشاركها معًا في كشوفات ديونيسوس"، هو وزوجته "يعرفان أن النفس خالدة" وأنها في الآخرة كطائر أُطلق سراحه من قفصه.62

يزعم نقش أن المتأهلين في الأسرار، مثل المؤمنين المسيحيين، "يولدون من جديد في الأبدية".63 ويخبرنا نقش جنائزي لكاهن كبير أنه يعلم الآن أن "الموت ليس شرًا بل خير".64 ويكتب غلاوكوس: "جميل حقًا هو السر الذي منحته لنا الآلهة المباركة: الموت بالنسبة للبشر لم يعد شرًا بل نعمة". 65 كان كاهن أسرار أورفيوس المسمى فيليب يبشر بحماس شديد عن النعيم الذي ينتظر المتأهلين في الجنة، حتى أن أحد الأذكياء سأله لماذا لا يسرع ويموت ليتمتع به بنفسه! 66

يشتكي القديس أوغسطين من أن الأسرار المقدسة "تعد بالحياة الأبدية لأي شخص!" 67 ومع ذلك، فإن الأسرار لم تعد إلا بالخلاص الأبدي للمتأهلين، تمامًا كما أن المسيحية لا تعد إلا بالحياة الأبدية للمسيحيين. ترنيمة تحذر:

> طوبى لمن رأى هذا بين البشر الأرضيين؛ أما من لم يطلع على الطقوس المقدسة ولم يكن له نصيب،
> فلن يحظى بنفس المصير بعد موته في الظلام الدامس. 68

اشتهرت أسرار أورفيوس في العالم القديم بوصفها الحي للعذاب الذي ينتظر الأشرار في الآخرة. وكما يخبرنا أحد المراجع الحديثة، فإن "الأورفيين هم من ابتكروا الفكرة المسيحية عن المطهر". 69 في الواقع، أظهر الباحث فرانز كومون أن الأوصاف الحية لسعادة الأبرار ومعاناة الخطاة الموجودة في الكتب الأورفية قد تم اقتباسها من كتب عزرا اليهودية، التي كُتبت في القرن الأول الميلادي وأُدرجت ضمن الكتب الأبوكريفية في بعض نسخ العهد الجديد؛ ثم قام القديس أمبروز بتطوير هذه المفاهيم الوثنية عن الحياة الآخرة، فأصبحت بذلك الصورة النمطية للكاثوليكية.70

لا عجب إذن أنه عندما صادف المسيحيون الأوائل مقاطع في كتابات أفلاطون تتعلق بعقاب النفوس في تارتاروس، الجحيم اليوناني، وجدوا صعوبة في تفسير كيف يمكن للوثنيين أن يتوقعوا عقيدتهم الخاصة بنار الجحيم.71 في فيدو، على سبيل المثال، يصف أفلاطون "بحيرة ضخمة مشتعلة بنار كثيرة ... وتغلي بالماء والطين". في سفر رؤيا بطرس، وهو نص مسيحي غير قانوني، نجد المصير نفسه ينتظر الخطاة في العالم السفلي، حيث سيُحاصرون في "بحيرة ضخمة مليئة بالطين المشتعل".72

يوضح سيلسوس أن المفاهيم المسيحية عن الجنة والنار تستمد بشكل كبير من الأسرار المقدسة. ويكتب:

"والآن يصلي المسيحيون أن يدخلوا ملكوت السماوات بعد عنائهم وكفاحهم هنا على الأرض، وهم يتفقون مع الأنظمة القديمة التي تقول إن هناك سبع سماوات وأن طريق النفس يمر عبر الكواكب. ويمكن ملاحظة أن نظامهم قائم على تعاليم قديمة جداً من خلال المعتقدات المماثلة في الأسرار الفارسية القديمة المرتبطة بعبادة ميثراس."73

لقد علّمت أسرار ميثراس، كما المسيحية، عن الأهوال التي تنتظر الملعونين في جوف الأرض، وعن النعيم الذي ينتظر الأبرار في جنة سماوية.74 لم يصلنا الاعتقاد بالسماوات السبع في المسيحية الحديثة، ولكنه كان شائعًا بين المسيحيين الأوائل، وقد أشار إليه القديس بولس، الذي وصف نفسه بأنه «ارتفع إلى السماء الثالثة».75

إن حماس المسيحيين لمعاناة الملعونين في الجحيم يذكر سيلسوس بالمنضمين الأكثر خرافية إلى أسرار باكوس:

"يتحدث المسيحيون عن الله ليل نهار بطريقتهم الفاجرة والفاسدة؛ إنهم يثيرون رهبة الأميين بوصفهم الكاذب للعقوبات التي تنتظر أولئك الذين ارتكبوا الخطيئة. وهكذا يتصرفون كحراس لأسرار باكوس. 76

أما حكماء الأسرار الأكثر استنارة فقد اعتبروا هذه الأهوال مجرد قصص لتشجيع السلوك الأخلاقي الأفضل. يصف بلوتارخ أهوال العالم السفلي بأنها "أسطورة مُحسِّنة".77 وبالمثل، جادل الفيلسوف المسيحي أوريجانوس بأن أهوال الجحيم الحقيقية كانت زائفة، ولكن ينبغي نشرها لإخافة المؤمنين الأقل إيمانًا.78

آمن كل من حكماء الوثنية وأوريجانوس بتناسخ الأرواح. كان يُنظر إلى الجنة والنار على أنهما حالتان مؤقتتان من الثواب والعقاب يتبعهما تجسد بشري آخر. كان يُنظر إلى الحياة والموت على أنهما جزءان من عملية "دائرية" متكررة، وليسا حدثين يحدثان مرة واحدة فقط ويؤديان إلى مكافأة أبدية أو لعنة. كان الجحيم تجربة مطهرية تؤدي إلى مزيد من التجارب الإنسانية، والتي من خلالها يمكن لكل نفس أن تقوم برحلة عودتها إلى الله.

إلا أن أوريجانوس أُدين بعد وفاته من قبل الكنيسة الكاثوليكية الرومانية باعتباره هرطقيًا بسبب اعتقاده الرحيم بأن جميع النفوس ستُفتدى في النهاية.79 وقد اشترطت الكنيسة الرومانية على جميع المسيحيين الإيمان بأن بعض النفوس ستعاني في الجحيم إلى الأبد، بينما سيتمتع المؤمنون بالخلاص الأبدي. هذه هي العقيدة الوحيدة المتعلقة بالحياة الآخرة التي يعتبرها سيلسوس عقيدة مسيحية مميزة. ويكتب:

"والآن سيتساءل الناس كيف يمكن لرجال يائسين للغاية في معتقداتهم أن يقنعوا الآخرين بالانضمام إلى صفوفهم. يستخدم المسيحيون أساليب إقناع متنوعة، ويخترعون عدداً من الحوافز المرعبة. قبل كل شيء، لقد ابتكروا عقيدة بغيضة تماماً عن العقاب والثواب الأبديين، تتجاوز أي شيء كان يمكن أن يتخيله الفلاسفة (الذين لم ينكروا قط عقاب الظالمين أو ثواب الصالحين)." 80

كما علّمت الكنيسة الرومانية أنه في يوم القيامة ستكون هناك كارثة من النار في نهاية الزمان، حيث سيتم استهلاك جميع غير المسيحيين وإحياء المؤمنين جسديًا. يشعر سيلسوس بالصدمة، ويكتب:

"من السخافة بمكان أن يفترض هؤلاء المسيحيون أنه عندما يستخدم إلههم النار (مثل طباخ عادي!) فإن جميع البشر الآخرين سيحترقون تمامًا، وأنهم وحدهم سينجون دون أن يحترقوا - ليس فقط أولئك الذين كانوا على قيد الحياة في ذلك الوقت، بل يقولون أيضًا إن أولئك الذين ماتوا منذ زمن طويل سيقومون من الأرض بنفس الأجساد التي كانت لديهم من قبل. أسألكم: أليس هذا هو أمل الديدان؟ فأي نوع من النفوس البشرية التي تستفيد من جثة متحللة؟ إن مجرد رفض بعض اليهود وحتى بعض المسيحيين لهذا التعليم المتعلق بإحياء الموتى يدل على مدى بشاعته؛ إنه أمر مثير للاشمئزاز ومستحيل. أعني، أي نوع من الأجسام يمكن أن يعود إلى طبيعته الأصلية أو يصبح كما كان قبل أن يتحلل؟ وبالطبع ليس لديهم رد على هذا السؤال، وكما هو الحال في معظم الحالات التي لا يوجد فيها رد، فإنهم يحتمون بقولهم: "لا شيء مستحيل عند الله". '81

ومع ذلك، فإن هذه العقيدة المسيحية الغريبة نوعاً ما بشأن نهاية العالم والقيامة الجسدية تتنبأ بها أسرار ميثراس. وقد علّم هذا التقليد السريّ تحديداً أن الله سيرسل الدمار على العالم في نهاية العصر الحالي. ثم، كما في "المجيء الثاني" ليسوع، سينزل ميثراس إلى الأرض مرة أخرى ويحيي الموتى من قبورهم. بحسب إنجيل متى، في الأيام الأخيرة سيفصل ابن الإنسان الصالحين عن الأشرار، كما يفصل الراعي الخراف عن الجداء، فينقذ الأول ويدين الثاني.82

وبالمثل، توقع أتباع ميثراس أن البشرية في الأيام الأخيرة ستشكل جمعية عظيمة واحدة وسيتم فصل الأخيار عن الأشرار. وأخيراً، استجابوا لصلوات "الجميلات"، واعتقدوا أن الله سينزل ناراً آكلة من السماء من شأنها أن تهلك جميع الأشرار. وكما تشير رؤيا يوحنا المسيحية إلى الهزيمة النهائية للشيطان على يد المسيح، فكذلك في الميثرائية، ستفنى روح الظلام وشياطينها النجسة في الحريق العظيم، وسينعم الكون المتجدد بسعادة أبدية لا تنتهي.83

العصر الجديد

في إنجيل متى، يتنبأ يسوع بقدوم نهاية العالم وولادة عصر جديد، قائلاً:

"لأن أمة ستشن حرباً على أمة، ومملكة على مملكة؛ وستكون هناك مجاعات وزلازل في أماكن كثيرة". مع كل هذه الأمور تبدأ آلام المخاض للعصر الجديد. 84

وانطلاقاً من فهمهم لعلم الفلك، توقع الوثنيون أيضاً ظهور عصر جديد. اعتقد القدماء أننا ندخل كل 2000 عام تقريبًا في شهر فلكي جديد يُسمى "الشهر العظيم".85 لقد كانوا يعيشون في الشهر العظيم لبرج الحمل، والذي بدأ حوالي عام 2000 قبل الميلاد. كان عصر الحمل يرمز إليه الكبش، ولذلك كان ديونيسوس يُصوَّر غالبًا بقرون الكبش. بدأ العصر الجديد لبرج الحوت حوالي عام 145 قبل الميلاد، وهو يتحول حاليًا إلى عصر جديد آخر، وهو شهر الدلو العظيم.

يرمز إلى برج الحوت بالسمكة، ومن الواضح أن المسيحيين نظروا إلى عقيدتهم على أنها دين جديد لهذا العصر الجديد. كان الرمز الأكثر شيوعًا المستخدم لتمثيل المسيحية هو رمز السمكة - رمز فيثاغورس vesica piscis، والذي ناقشناه سابقًا (انظر الصفحات 48-49). كان الرسل يُعرفون باسم "صيادي البشر". أطلق المسيحيون الأوائل على أنفسهم اسم "الأسماك الصغيرة". استخدم المسيحيون الأوائل الكلمة اليونانية ICTHYS، والتي تعني "سمكة"، كشفرة.

كلمة تعني "يسوع". كان يُنظر إلى هذا على أنه اختصار لعبارة "يسوع المسيح، ابن الله، المخلص". كتب ترتليان،

المتحدث البارز باسم العقيدة المسيحية الأرثوذكسية:

"لكننا نحن المسيحيين، أسماك صغيرة على غرار سمكتنا العظيمة (السمكة) يسوع المسيح، المولود في الماء." 86

ومع ذلك، كان Icthys لقرون عديدة هو الاسم اليوناني لأدونيس، الرجل الإلهي في الأسرار السورية! 87

مع بداية عصر الحوت، كان برج العذراء، وهو البرج المقابل له في دائرة الأبراج، يظهر في الأفق الغربي. لذلك، توقعت الأساطير الوثنية أن يولد منقذ عصر الحوت من عذراء. في القرن الأول قبل الميلاد، تنبأ الشاعر الروماني والمتبحر فيرجيل، كما يُقال، بنبوءة كاهنة وثنية تُعرف باسم سيبيل، بمثل هذه الولادة المعجزة:

"لقد وصلنا إلى العصر الأخير في أغاني العرافات. لقد أنجب الزمن، وبدأت سلسلة العصور العظيمة من جديد. العدالة، العذراء، تعود لتسكن بيننا. إنّ أول مولود في العصر الجديد قد بدأ بالفعل رحلته من السماء العالية إلى الأرض. بموته سينتهي عصر الحديد، وسيرث الرجل الذهبي العالم بأسره.

ابتسموا بمناسبة ولادة الطفل. سيشرق هذا العصر المجيد. لن يخاف الثور من الأسد. سيتزين مهدكِ نفسه بالزهور ليداعبكِ. ادخلوا، فالساعة قد اقتربت. انظر كيف يبتهج الخليقة كلها بالعصر الآتي! ابدأ إذن، يا بني الصغير، بتحية والدتك بابتسامة." 88

وقد فسر المسيحيون هذه النبوءة، التي تذكرنا بقصة ميلاد يسوع والوعد المسيحي بأن الحمل والأسد سيرقدان معًا، على أنها تنبؤ بمجيء يسوع. في الواقع، كان فرجيل يشير إلى الاعتقاد الوثني السائد بأن عصر الحوت القادم سيبشر ببداية جديدة للبشرية، وأن الطفل الإلهي هو أوزوريس-ديونيسوس.89

كان القدماء يعتقدون أن بداية العصر الجديد تميزت بتدمير العصر القديم. يرمز إلى شهر الثور العظيم بالثور. يدرك العلماء الآن أن اللوحات الجدارية التي تمثل ميثراس وهو يقتل ثورًا هي في الواقع خرائط نجمية تصور نهاية عصر الثور.90 ويرمز إلى الشهر العظيم التالي، شهر الحمل، بكبش. هل من قبيل المصادفة أن نهاية هذا العصر العظيم تتميز بشكل مماثل بتصويرات لذبح يسوع، "حمل الله" 91

علّمت أسرار ميثراس الفارسية أن كل شهر من الأشهر العظيمة كان محاطًا بنهاية العالم - من جهة بفيضان ومن جهة أخرى بنار.92 كما اعتقد الإغريق أنه كان هناك فيضان رهيب ولكنه مطهر، ورد ذكره في أسطورة ديوكاليون. وبالمثل، نظر المسيحيون الأوائل إلى الوراء إلى التطهير بالماء، وهو طوفان نوح، وتطلعوا إلى التطهير بالنار، وهو نهاية العالم القادمة. لا عجب إذن أن يرى سيلسوس في هذه الرؤية المسيحية المزيد من الانتحال لتعاليم الوثنية القديمة:

ويفترضون، على سبيل المثال، أن مسيحهم سيعود منتصراً على السحاب، وأنه سيمطر ناراً على الأرض في معركته مع أمراء الهواء، وأن العالم بأسره، باستثناء المسيحيين المؤمنين، سيحترق بالنار. فكرة مثيرة للاهتمام - ولكنها ليست فكرة أصلية على الإطلاق. استُمدت الفكرة من الإغريق وغيرهم، وتحديداً أنه بعد دورات من السنين وبسبب اقترانات موفقة لبعض النجوم، تحدث حرائق وفيضانات، و أنه بعد الطوفان الأخير، في زمن ديوكاليون، تتطلب الدورة حريقًا هائلًا وفقًا للتتابع المتناوب للكون. وهذا ما يفسر الاعتقاد السخيف لدى بعض المسيحيين بأن الله سينزل وينزل ناراً على الأرض.' 93

إله واحد

يُصنف الوثنية تقليدياً على أنها ديانة "تعددية الآلهة"، لأن الوثنيين كانوا يؤمنون بالعديد من الآلهة. وعلى النقيض من ذلك، تصنف المسيحية على أنها ديانة "توحيدية" لأن المسيحيين يؤمنون بإله واحد فقط. في حملتهم الدؤوبة لتشويه سمعة الوثنية، صور المسيحيون ما يسمى بـ "تعدد الآلهة" على أنه عبادة أصنام بدائية. لكن هذا تشويه كامل للفهم الفلسفي السامي لله الذي كان يحمله حكماء الأسرار القديمة.

قبل خمسمائة عام من ميلاد المسيح، كتب زينوفانيس بالفعل: "هناك إله واحد، ساكن دائمًا وفي حالة سكون، يحرك كل الأشياء بأفكار عقله 94". يُنسب إلى الحكيم المصري الأسطوري هرمس تريسميجستوس تعليم: "هل تعتقد أن هناك آلهة كثيرة؟ هذا سخيف - الله واحد 95 كتب الحكيم الوثني ماكسيموس الصوري في الوقت الذي بدأ فيه المسيحيون للتو في التبشير بعقيدتهم المزعومة المناهضة للوثنية المتمثلة في إله واحد: "إن العقيدة الوحيدة التي يتحد عليها العالم أجمع هي أن إلهًا واحدًا هو ملك الكل والأب". 96

حتى جاستن الشهيد لم يستطع إنكار أن فيثاغورس قد بشر بعقيدة الإله الواحد.

ويقتبس كلمات فيثاغورس نفسه:

> الله واحد، وهو لا يوجد خارج العالم كما يظن البعض، بل هو فيه، فهو حاضرٌ كليًا في الدائرة بأكملها، ويشهد جميع الأجيال، وهو العنصر المنظم لجميع العصور، والمدبر لقدراته وأعماله، والمبدأ الأول لكل الأشياء، ونور السماء، وأبو الجميع، وعقل الكون وروحه المحركة، وحركة جميع المدارات. 97

لم تكن هذه الفكرة جديدة حتى في زمن فيثاغورس، بل كانت موجودة منذ آلاف السنين بين المصريين القدماء، الذين تحدثوا عن إله واحد لا يمكن وصفه ولا يمكن تمثيله في الحجر. في الأسرار المصرية، يمثل أوزوريس هذا الكائن الأسمى، وقد أُعلن "وارث العالم والإله الواحد". 98 تكشف النقوش المصرية عن مدى تشابه المفاهيم الوثنية والمسيحية عن الله في الواقع:

> 'الله واحد، لا شريك له.
>
> الله هو الذي خلق كل شيء. الله موجود منذ البدء،
>
> وهو كان منذ البدء. لقد كان موجودًا عندما
> لم يكن هناك شيء آخر، وما هو موجود
>
> خلق بعد أن جاء إلى الوجود. هو أبو البدايات.'99
>
> كان يُطلق على الإله المصري آمون اسم "الواحد من واحد".

يقول عالم المصريات العظيم واليس بادج:

ويُقال أيضاً إنه "لا ثاني له"، وبالتالي لا يوجد شك على الإطلاق في أن المصريين عندما أعلنوا أن إلههم واحد، ولا ثاني له، كانوا يقصدون بالضبط ما قصده العبرانيون والعرب عندما أعلنوا أن إلههم واحد. كان هذا الإله كائناً مختلفاً تماماً عن تجسيد قوى الطبيعة والكائنات التي أطلق عليها اسم "الآلهة" لعدم وجود اسم أفضل. 100

وكما هو الحال في كل دين، كان للوثنية جانبها الخرافي والبدائي، وبالتأكيد كانت هناك العديد من الطوائف الوثنية لآلهة مختلفة. لكن، كما يوضح بادج، فإن هذه "الآلهة" المزعومة كانت تمثل جوانب من الطبيعة. الكلمة المصرية القديمة التي نترجمها إلى "إله" هي نيتي. يشير مصطلح "نتر" إلى الجوهر أو المبدأ الروحي. كانت الآلهة المصرية المتعددة تمثل الطبائع المتعددة للكائن الواحد الشامل - كانت الآلهة جوانب أو وجوهًا مختلفة للإله الواحد الأعلى.101

في العالم القديم، كان يتم اختيار إله معين في كثير من الأحيان لتمثيل الإله الواحد الذي لا يوصف، وكان لقب بانثيوس، الذي يعني "الإله الكل"، يُضاف إلى اسمه. وهكذا نجد نقوشًا لاتينية لأوزوريس-ديونيسوس، في هيئتيه سيرابيس وليبر، والتي تخاطب الإله باسم "سيرابيس بانثيوس" و"ليبر بانثيوس".102

كان بإمكان الوثنيين جميعاً عبادة نفس الإله الواحد من خلال أي إله أو إلهة معينة تروق لهم دون أن يتعارض ذلك مع جيرانهم الذين اختاروا وجهاً إلهياً مختلفاً. كتب سيلسوس:

> "لا يهم على الإطلاق ما يطلقه المرء على الإله الأعلى - أو ما إذا كان يستخدم أسماء يونانية أو أسماء هندية أو الأسماء التي استخدمها المصريون سابقًا." 103

من خلال إنكار صحة جميع أوجه الإله الأخرى باستثناء يهوه، إله اليهود، خرج المسيحيون عن هذا الفهم المشترك.

وجد الوثنيون هذا الأمر ضيق أفق بشكل لا يمكن تفسيره. كانت هذه الخصوصية غريبة عن روح التسامح الديني الوثنية، والتي جسّدها ماكسيموس الصوري بشكل جميل:

> "ليعرف جميع الأمم الإله، أنه واحد، - وإذا كان فن فيدياس يثير اليونانيين إلى تذكر الله، وعبادة الحيوانات للمصريين ونهر لآخرين، والنار لآخرين، فلا تنتقد اختلافاتهم. دعهم يعرفون فقط، دعهم يحبون فقط، دعهم يتذكرون." 104

ومع ذلك، لم يمنع هذا التسامح المنفتح متأهلي الأسرار من محاولة تحرير إخوانهم الوثنيين من الخرافات التي لا طائل منها.105 عندما انتقد المسيحيون الوثنيين لعبادة الأصنام، كانوا في الواقع يرددون صدى حكماء الأسرار، الذين كانوا يسخرون بلطف من الممارسات الوثنية الأكثر بدائية لقرون. يشكو سيلسوس بغضب من المسيحيين:

> "لا يوجد شيء جديد أو مثير للإعجاب في تعاليمهم الأخلاقية؛ بل إن بساطتهم تتضح عندما يقارنها المرء بفلسفات أخرى."

خذ على سبيل المثال نفورهم مما يسمونه عبادة الأصنام. كما يوضح هيرودوت، كان الفرس قبل عصرنا بزمن طويل يعتقدون أن الأشياء المصنوعة بأيدي البشر لا يمكن اعتبارهم آلهة. من السخف حقاً أن يُعتبر عمل الحرفي (الذي غالباً ما يكون أسوأ أنواع الناس!) إلهاً. يقول الحكيم هِرَقْليطُس: "إن الذين يعبدون الصور كآلهة هم حمقى كالرجال الذين يتحدثون إلى الجدران". 106

اشتهر دياغوراس بسخريته من الآلهة،107 وكذلك ديوجانس البنطي، الذي عندما سُئل عن سبب تسوله من تمثال، أجاب بسخرية: "للتدرب على الرفض". 108 هاجم زينوفانيس السلوك غير الأخلاقي للآلهة كما صوره هوميروس

وهسيودوس، معلقًا بسخرية:

"يعتقد البشر أن الآلهة قد ولدوا، ويرتدون ملابس، ويتكلمون، ولهم أجساد مثل أجسادهم. يقول الإثيوبيون إن الآلهة سوداء اللون وذات أنوف مفلطحة. يقول التراقيون إن لديهم عيون زرقاء وشعر أحمر. لو كان للأبقار والخيول أيدٍ، لرسمت صوراً للآلهة تشبه الأبقار والخيول." 109

يروي الكاتب الساخر لوسيان قصة شخصية مومس الخيالية التي تشكو لزيوس من جميع التمثيلات الغريبة للآلهة برؤوس الحيوانات. في رده، أقر زيوس قائلاً: "هذه الأشياء غير لائقة"، لكنه أوضح أن "معظمها مسألة رمزية، ولا ينبغي لمن ليس مطلعاً على الأسرار أن يسخر منها". 110 ويوضح سيلسوس كذلك أن التمثيل الوثني للآلهة يفهمه المطلعون على أنه ذو معنى رمزي ولا ينبغي أخذه حرفياً، لأنه "رموز لأفكار غير مرئية وليست أشياء تُعبد في حد ذاتها".111 ومن المفارقات أن العديد من الفلاسفة الوثنيين اعتقدوا أن المفهوم المسيحي لله هو بدائي. وبينما كان من المقبول تجسيد جوانب من الله على أنها "آلهة"، فقد اعتبروا أنه من المستحيل تصوير الطبيعة التي لا توصف للإله الأعلى بمصطلحات بشرية كما فعل المسيحيون. كتب سيلسوس، الذي وجد هذا التجسيد البشري سخيفاً:

يقول المسيحيون إن الله له أيدٍ وفم وصوت، وهم دائماً ما يعلنون أن "الله قال هذا" أو "الله تكلم". يقولون: "السماء تشهد على عمل يديه". لا يسعني إلا أن أعلق بأن مثل هذا الإله ليس إلهاً على الإطلاق، لأن الله ليس له أيدٍ ولا فم ولا صوت، ولا أي صفات نعرفها. بل إن عقائدهم السخيفة تتضمن إشارة إلى الله وهو يتجول في الجنة التي خلقها للإنسان؛ ويتحدثون عنه بأنه غاضب، غيور، نادم، حزين، نعسان - باختصار، هو في كل شيء أقرب إلى الإنسان منه إلى الإله.112 علاوة على ذلك، مع كل هذا التعصب للإله الأعلى، ألا يعبد اليهود الملائكة أيضًا؟ 113

لم يقتصر الأمر على عبادة اليهود والمسيحيين للملائكة، التي اعتبرها الوثنيون مكافئة مباشرة لآلهتهم وإلهاتهم الكثيرة، بل إنهم تحدثوا عن "الآلهة" بنفس الطريقة التي تحدث بها الوثنيون! كتب كليمنت الإسكندري، أحد آباء الكنيسة، عن الإشراق الروحي "الذي يعلمنا مسبقاً الحياة المستقبلية التي سنعيشها وفقاً لله ومع الآلهة". ويوضح أن المستنيرين يطلق عليهم اسم الآلهة لأنهم "مقدر لهم أن يجلسوا على عروش مع الآلهة الأخرى التي وضعها المخلص في أماكنها أولاً".114 ويكتب شيشرون الوثني المتأهل: "اعلم إذن أنك إله". 115 وبالمثل، نقرأ في إنجيل يوحنا أن يسوع يرد على اتهام الفريسيين له بالتجديف لادعائه أنه ابن الله:

أليس مكتوباً في شريعتكم: "قلتُ: أنتم آلهة؟" هؤلاء هم الذين أُنزلت عليهم كلمة الله، ولا يمكن تجاهل الكتاب المقدس. فلماذا تتهمونني بالتجديف لأني أنا الذي كرّسني وأرسلني الآب إلى العالم، قلت: "أنا ابن الله"؟ ‘116

استخدم الفيلسوف المسيحي المبكر أوريجانوس عبارات مثل "إلهان" عند مناقشة العقيدة.117 ويتحدث جاستن الشهيد عن "إله ثانٍ".118 ثم، بالطبع، هناك العقيدة المسيحية "التعددية" للثالوث الأقدس.119 إن فكرة أن الله يمكن أن يتجلى في "ثلاثة أقانيم" هي نفسها المفهوم الوثني عن الطبائع أو الوجوه المتعددة للإله الواحد الأسمى الذي لا يوصف.

لا يوجد مفهوم الثالوث الإلهي في اليهودية، ولكنه مُنبئ به في الوثنية.120 يكتب أرسطو عن المذهب الفيثاغورسي أن "الكل وكل ما فيه يُفهم بالرقم ثلاثة، لأن النهاية والوسط والبداية تحمل رقم الكل، أي الثالوث".121 قبل ذلك بمئات السنين، يُعلن نص مصري قديم أن الله قال: "كنت واحدًا فصرتُ ثلاثة". 122 وجاء في نص آخر:

> "ثلاثة هم جميع الآلهة، آمون، رع، بتاح؛ لا مثيل لهم". إنه مخفي في اسمه آمون، وهو رع، وجسده بتاح. يتجلى في آمون، مع رع وبتاح، الثلاثة المتحدين. 123

عند الفحص الدقيق، يتضح أن الخط الفاصل بين ما يسمى "التوحيد" و"تعدد الآلهة" ليس واضحاً وحاسماً كما قد يعتقد البعض. في الواقع، الأمر مرن للغاية لدرجة أنه لا يترتب عليه أي أهمية حقيقية على الإطلاق.

اللوغوس

تبدأ ترجمة الملك جيمس لإنجيل يوحنا بالمقطع الشهير والشاعري: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله". كان الأمر كذلك

> في البدء مع الله. كل شيء خُلق به، وبدونه لم يكن شيء مما خُلق. فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس. 124

يجد العديد من قراء هذا النص أنه مؤثر بشكل غريب، لكنهم يعترفون بأنهم لا يفهمون حقاً ما يعنيه. هذا ليس بالأمر المفاجئ، لأنه بدون بعض المعرفة بالفلسفة الوثنية، فإنه لا معنى له على الإطلاق.

في اللغة اليونانية الأصلية، المصطلح المترجم هنا إلى "كلمة" هو "اللوغوس". إن مفهوم اللوغوس غريب تماماً عن اليهودية ومستمد بالكامل من الأسرار الوثنية. منذ القرن السادس قبل الميلاد، انطلق هِرَقْلِيطُس في رحلة لاكتشاف الذات واكتشف "اللوغوس المشترك بين الجميع".125 يكتب:

> "إذ لم يصغوا إليّ، بل إلى اللوغوس، فمن الحكمة أن يعترفوا بأن كل الأشياء واحدة." 126

يقول الحكيم الوثني أبكتاتوس: "إن كلمة الفلاسفة تعدنا بالسلام الذي أعلنه الله من خلال كلمته (لوغوسه)". 127 كتب الروماني فيتروفيوس: "لا يظن أحد أنني أخطأت إذا آمنت باللوغوس". 128 يقر كليمنت الإسكندري بما يلي: "يمكن التسليم بحرية بأن اليونانيين تلقوا بعض ومضات من اللوغوس الإلهي" ويقتبس من الحكيم الوثني الأسطوري أورفيوس، الذي يعلن: "انظروا إلى الكلمة (اللوغوس) الإلهية. اسلكوا طريق الحياة الضيق جيداً، وانظروا إليه، حاكم العالم العظيم، ملكنا الخالد." 129 لكن هذا المفهوم الوثني أقدم بكثير من مفهوم الإغريق. يمكن العثور عليه في نصوص الأهرامات المصرية القديمة من الأسرة الثالثة والتي كُتبت قبل أكثر من 2500 عام من العصر المسيحي! 130

كيف ينبغي لنا أن نفهم هذا المفهوم القديم للوغوس؟ في اللغة اليونانية القديمة، كان للوغوس مستويات عديدة من المعنى لا يستطيع مصطلحنا "الكلمة" أن يستوعبها بالكامل.131 وقد عبر آباء الكنيسة كليمنت وأوريجانوس عن أحد هذه المستويات، حيث وصفا اللوغوس بأنه "فكرة الأفكار". إنها فكرة الله البدائية.132 ويعبر الحكيم الوثني الأسطوري هرمس تريسميجستوس عن نفس المفهوم تمامًا. يصف اللوغوس ـ فكرة الأفكار ـ بأنه ينبثق من وحدانية الله مثل كلمة أو

فكرة.133 بالنسبة لهرمس، كما هو الحال بالنسبة لكليمنت وأوريجانوس، فإن اللوغوس هو الفكرة الأولى لعقل الله العظيم، والتي من خلالها يخلق الكون.

يجسد المسيحيون العلاقة بين الله والكلمة (اللوغوس) الإلهية كما لو كانت علاقة أب بابنه. الكلمة (اللوغوس) هو "ابن الله". لكنهم يعلمون أيضاً أن الآب والابن هما جانبان من جوانب بعضهما البعض. يعبّر القديس يوحنا عن هذه المفارقة قائلاً: "كانت الكلمة (اللوغوس) مع الله، وكانت الكلمة (اللوغوس) هو الله".

هذه في الواقع عقائد وثنية قديمة، طرحها حكماء مثل هرمس تريسميجيستوس، الذي يسمي اللوغوس أيضًا "ابن الله".134 ويشرح أنه، مثل العقل والفكر، فإن الآب والابن هما في الحقيقة واحد، ولكن عندما ينفصلان عن بعضهما البعض يظهران كأنهما اثنان. وبالمثل، كتب هِرَقْليطُس في القرن السادس قبل الميلاد: "الأب والابن هما واحد". 135 يقر كليمنت بأن يوريبيدس قد "استنتج كما في لغز أن الآب والابن إله واحد".136

كيف ينبغي لنا أن نفهم هذه العلاقة الغامضة بين الكلمة (اللوغوس) والله، الآب والابن؟ 137 كتب كليمنت: "الابن هو وعي الله". لا يرى الأب العالم إلا من خلال انعكاسه في الابن. 138 اللوغوس هو الله الواعي بذاته. إنها الروح الواحدة للكون التي هي واعية من خلال جميع الكائنات. ولهذا السبب ينطلق هِرَقْليطُس للبحث عن نفسه، لكنه يكتشف "اللوغوس المشترك بين الجميع"، لأن اللوغوس هو هويتنا المشتركة الأساسية. كتب الفيلسوف المسيحي أوريجانوس:

> "كما أن جسدنا، على الرغم من كونه يتكون من العديد من الأعضاء، إلا أنه متماسك بنفس واحدة، كذلك يجب اعتبار الكون كائناً حياً هائلاً، متماسكاً بنفس واحدة - قوة الله وكلمة (لوغوس) الله." 139

وكما يخبرنا القديس يوحنا أن يسوع هو تجسيد للوغوس، كذلك يعلمنا بلوتارخ، وهو من أتباع الوثنية، أن أوزوريس هو "اللوغوس في ذاته، المتعالي وغير القابل للتأثر".140 ومن خلال مساواة يسوع المسيح باللوغوس، يوضح القديس يوحنا أنه تجسيد لهذه النفس الواحدة للكون، كما هو الحال بالنسبة لأوزوريس-ديونيسوس عند الوثنيين. المسيح موجود فينا جميعاً، لأنه هو الطبيعة الإلهية الجوهرية التي نتشاركها جميعاً. من هذا المنظور، فإن ابن الله ليس شخصية تاريخية تعيش في الزمن، بل هو مبدأ فلسفي أبدي، لأنه كما كتب أوريجانوس: "لم ينجب الآب الابن، ولكنه ينجبه دائماً". 141

إذن، هل هناك أي فرق حقيقي بين الفهم المسيحي والوثني للوغوس؟ ومرة أخرى، لا يوجد هذا إلا في الفكرة المسيحية التي مفادها أنه على عكس الإله الوثني الذي جسد اللوغوس بشكل أسطوري، فإن يسوع جسد هذا المبدأ الفلسفي حرفياً. كتب القديس أوغسطين عن دراساته في الفلسفة الوثنية:

> "قرأت هناك أن الله الكلمة لم يولد من لحم ودم، ولا من إرادة الإنسان، ولا من إرادة الجسد، بل من الله. أما أن الكلمة صار جسداً وحلّ بيننا، فلم أقرأ في ذلك الكتاب." 142

كانت الفكرة الأساسية التي قسمت الوثنيين والمسيحيين في العالم القديم هي الاعتقاد المسيحي بأن رجلاً واحداً، ورجلاً واحداً فقط، كان حرفياً هو الكلمة (اللوغوس) المتجسدة. كان من المستحيل بالنسبة للوثنيين أن يتجلى اللوغوس الذي نتشاركه جميعًا بطريقة ما في إنسان واحد. إن الادعاء الاستثنائي بأن نجارًا من الناصرة كان في الواقع الابن الوحيد لله وتجسيدًا للكلمة (اللوغوس) هو الشيء الوحيد الذي يمكن للمسيحيين التمسك به والذي يميزهم بشكل قاطع عن جيرانهم الوثنيين. لكنهم سيقضون قروناً في الجدال حول ما يمكن أن يعنيه ذلك.

لغة الأسرار

يؤكد البروفيسور ماكس ميلر بشدة أن أي شخص يستخدم مصطلحات مثل "لوغوس" أو "الكلمة"، و"مونوجينيس" أو "الابن الوحيد"، و"بروتوكوس" أو "البكر"، و"هيوس تو ثيو" أو "ابن الله" يكون قد "استعار بذور فكره الديني من الفلسفة اليونانية".143 إن كتابات المسيحيين الأوائل، بما في ذلك العهد الجديد، مليئة بمثل هذه المفاهيم الوثنية، والتي تمر دون أن يلاحظها أحد لأنها مُغطاة بترجمات إنجليزية رديئة للنصوص اليونانية الأصلية.144 إن اللغة التي استخدمتها المسيحية المبكرة تشبه إلى حد كبير لغة الأسرار المقدسة، لدرجة أننا غالبًا لا نستطيع التمييز من نقوش القبور ما إذا كان المتوفى مسيحيًا أم وثنيًا! 145

يصف القديس بولس، على سبيل المثال، الله بأنه يتكلم "أسرار إلهية في الروح".146 ويشار إلى المعمودية والإفخارستيا على أنهما "أسرار".147 ويطلق على الأسقف الذي يقود الاحتفال اسم "معلم الأسرار". يُطلق على القداس اسم "Mystagogia"، وهي كلمة لا يزال يستخدمها المسيحيون الأرثوذكس اليونانيون لوصف آلام يسوع. وكما يعلق أحد الخبراء المعاصرين، فإن هذه هي "لغة الأسرار".148 ويطلق الفيلسوف المسيحي أوريجانوس على المسيحية اسم "the telete"،

أي "التأهيل". وبالمثل، ينظر الناقد الوثني لوسيان إلى المسيحية المبكرة على أنها نسخة أخرى من الأسرار ويسميها ببساطة "new telete" - أي بداية جديدة. 149 عادة ما تُترجم رسائل بولس الرسول على أنها تتحدث عن مسيحيين "ناضجين" أو "مكتملين"، ولكن مرة أخرى، من الأدق ترجمة النص اليوناني على أنهم "متأهلين". عند التعامل مع بعض العقائد، كان من الشائع لدى المسيحيين الأوائل، مثل أوريجانوس، أن يعلنوا ببساطة: "المتأهلون يعرفون ما أعنيه!" 150 هذه هي الصيغة نفسها التي استخدمها الفلاسفة الوثنيون باوسانياس وبلوتارخ وأبوليوس عندما تطرقوا إلى أسرار الوثنية.151

إن كتابات كليمنت الإسكندري، أحد آباء الكنيسة، مليئة بالمصطلحات المأخوذة مباشرة من لغة الأسرار الوثنية. يكتب عن الوحي المسيحي على أنه "الأسرار المقدسة"، و"الأسرار الإلهية"، و"اللوغوس الخفي"، و"أسرار اللوغوس". بالنسبة لكليمنت، فإن يسوع المسيح هو "معلم الأسرار الإلهية"، تمامًا كما هو الحال مع أوزوريس-ديونيسوس. كتب كليمنت: "الرب هو كاهني". "أصبحت مقدساً أثناء تأهيلي." 152 وبلغة لا تختلف عن لغة المتأهل الوثني، يبدي حماسه:

> يا أيها الأسرار المقدسة حقاً! يا نورًا خالصًا! في وهج المشاعل أرى رؤية للسماء ولله. أصبح مقدساً من خلال التأهيل. يكشف الرب الأسرار. إنه يختم على العابد بختمه. إذا شئت، فكن أنت أيضاً من المنضمين، وسترقص مع الملائكة حول الإله الواحد الأحد الذي لا يولد ولا يفنى. 153

بل إن المسيحية ورثت أشكال تنظيمها من الأسرار المقدسة.154 ويقر أحد الباحثين المسيحيين المعاصرين بما يلي:

> لقد جمعت الأسرار الرجال معًا في تلك الجمعيات الدينية التي كانت بمثابة نذير للكنائس المنزلية للمسيحية البدائية، وكان لديها نظام تنظيم وإدارة جاهز للدين الجديد. لقد خلقت الأسرار، اليونانية والشرقية على حد سواء، بيئة مواتية للمسيحية بجعل الدين مسألة قناعة شخصية؛ لقد عرّفت الناس بأهمية الفداء والحاجة إليه؛ ومن خلال دعايتها الخلاصية، هيأت الناس للإصغاء باهتمام إلى إعلان المسيحية عن يسوع كمخلص؛ لقد جردت الآلهة والبشر من جنسياتهم بهدف تحقيق الأخوة بين البشر؛ لقد حفزت الرغبة في الخلود؛ لقد جعلت الناس دعاة متحمسين من خلال إلزامهم بنشر عقيدتهم؛ لقد عززت التوحيد بجعل إلهها الراعي ممثلاً للوحدة الإلهية. 155

الخلاصة

فهل كان "العهد الجديد" جديداً حقاً؟ كان ذلك بالتأكيد أمراً جديداً وهرطقياً بالنسبة لليهود التقليديين. من خلال شخصية يسوع، تم تحدي عقيدتهم "العين بالعين" من خلال عقيدة سقراط "أحبوا أعداءكم". لقد أحدثت تعاليم الأسرار حول طبيعة الجنة والنار ثورة في مفاهيمهم عن الحياة الآخرة. لذلك كان العهد الجديد جديداً على اليهود - ولكنه لم يكن جديداً على الوثنيين. لقد تمسكوا بهذه المذاهب لمئات السنين. لكن حقيقة أن تعاليم يسوع قد تم التنبؤ بها من قبل التعاليم الوثنية لم تكن لتفاجئ القدماء. كانوا يتوقعون أن تكون الحقيقة، بحكم طبيعتها، دائمة وليست أصلية. دعونا نستعرض بعض الأدلة التي اكتشفناها:

- علّم يسوع أتباعه أن يكونوا أنقياء في الفكر والقول والفعل؛ وكذلك فعل حكماء الأسرار.
- يتمتع المسيحيون بعلاقة محبة شخصية مع الله؛ وكذلك كان الحال بالنسبة للمتأهلين في الأسرار.
- علّم يسوع أتباعه أن يحبوا جيرانهم؛ وكذلك فعل حكماء الأسرار.
- علّم يسوع أتباعه أن يحبوا أعداءهم؛ وكذلك فعل حكماء الأسرار.
- يحب المسيحيون بعضهم بعضاً كإخوة؛ وكذلك كان يفعل المتأهلون في الأسرار.
- يتبنى المسيحيون التواضع والفقر الاختياري، كما فعل حكماء الوثنيين.
- لدى المسيحيين مفهوم للجنة والنار لا يوجد في اليهودية، ولكنه مأخوذ مباشرة من الأسرار.
- ينتظر المسيحيون نهاية العالم بالنار وولادة عصر جديد؛ وكذلك فعل المتأهلون في الأسرار.
- استُمدت الصور المسيحية المبكرة للسمكة من علم التنجيم الوثني.
- يؤمن المسيحيون بإله واحد؛ وكذلك كان يؤمن حكماء الأسرار.
- كان المسيحيون، مثل الوثنيين، يتحدثون عن "الآلهة".
- يهاجم المسيحيون عبادة الأصنام، كما فعل حكماء الأسرار.
- يتصور المسيحيون الله على أنه ثالوث مقدس، وهو مفهوم موجود أيضاً في الأسرار الوثنية.
- ينظر المسيحيون إلى يسوع على أنه تجسيد للوغوس، وهو مفهوم وثني غير موجود في اليهودية.
- إن كتابات المسيحيين الأوائل، بما في ذلك العهد الجديد، مليئة بلغة الأسرار.
- كان تنظيم الكنيسة المسيحية الأولى بمثابة تكييف لممارسات المتأهلين في الأسرار الوثنية.

لقد بات واضحاً لنا الآن أن تعاليم الأسرار استبقت عقائد المسيحية وأن الأساطير الوثنية لأوزوريس-ديونيسوس مهدت لقصة يسوع. على مدى ألفي عام، اعتقدت ثقافتنا أن المسيحية كانت وحياً فريداً وثورياً، لكن من الواضح أن هذا ليس صحيحاً!

إذن ما هي الحقيقة؟ كان هذا هو السؤال الذي كنا مصممين على الإجابة عليه. لقد فشل التاريخ التقليدي

للمسيحية الذي ورثناه عن الكنيسة الرومانية في تفسير الأدلة التاريخية، لذلك قررنا البحث في مكان آخر.

في القرون القليلة الأولى من الميلاد، انقسم المجتمع المسيحي إلى العديد من الطوائف المختلفة. إلى جانب المسيحيين الحرفيين الذين أصبحوا في النهاية الكنيسة الرومانية، كانت هناك جماعات مسيحية أخرى تُعرف مجتمعة باسم "الغنوصيين". كان لدى الغنوصيين منظور مختلف جذرياً عن المسيحية، وهو ما اعتبره الحرفيون منظوراً مضللاً وخطيراً.

عندما أصبحت المسيحية الحرفية دين الإمبراطورية الرومانية، فرضت وجهة نظرها الخاصة وقضت بوحشية على "الزنادقة/الهراطقة". إذن، فإن التاريخ التقليدي للمسيحية ليس سوى وجهة نظر المنتصرين في المعركة الطائفية بين الحرفيين والغنوصيين. وبما أن هذا السرد أثبت عدم كفايته للوقائع، فقد قررنا الاستماع إلى ما يقوله الخاسرون. ربما خسر الغنوصيون معركة البقاء، لكن هذا لا يعني أنه ينبغي لنا أن نفترض أن وجهة نظرهم حول المسيحية كانت أقل صحة. تساءلنا: ما الذي كان يعرفه الغنوصيون والذي جعل الكنيسة الرومانية تعتبرهم خطرين للغاية؟

الغنوصيون

> لقد تحدت التحقيقات الأخيرة النظرة التقليدية والاستنتاجات التقليدية و"الحقائق" التقليدية. بالنسبة للبعض اليوم، وبالنسبة للكثيرين غداً، فإن السؤال الملحّ، أو سيكون كذلك، ليس كيف نشأت بدعة سخيفة وفاسقة بشكل خاص داخل الكنيسة، بل كيف نشأت الكنيسة من الحركة الغنوصية العظيمة، وكيف تبلورت الأفكار الديناميكية للغنوصية في عقيدة؟ 1
> القس لامبلو

كانت نظرة الغنوصيين إلى المسيحية، من نواحٍ عديدة، صورة معكوسة لنظرة المسيحيين الحرفيين الذين أصبحوا في نهاية المطاف الكنيسة الكاثوليكية الرومانية. كان أصحاب التفسير الحرفي للأمور يتمتعون بسلطة صارمة. كان الغنوصيون أفرادًا متصوفين. أراد المتشددون حرفياً فرض عقيدة مشتركة على جميع المسيحيين. تسامح الغنوصيون مع مختلف المعتقدات والممارسات. اختار الحرفيون أربعة أناجيل كنصوص مقدسة، وأحرقوا الباقي باعتبارها أعمالاً هرطقية للشيطان. كتب الغنوصيون مئات الأناجيل المسيحية المختلفة. كان أصحاب التفسير الحرفي للنصوص يعتقدون أن المسيحي الحقيقي يؤمن بيسوع كما بشر به الأساقفة. كان الغنوصيون يعتقدون أن المسيحي الحقيقي يختبر "المعرفة الباطنية" أو "المعرفة" الصوفية بنفسه ويصبح مسيحًا!

لقد تم قمع الغنوصيين بشكل فعال لدرجة أنه حتى وقت قريب، كان كل ما نعرفه عنهم تقريبًا يأتي من كتابات منتقديهم ومضطهديهم.2 وقد ورثنا من المسيحيين الحرفيين فكرة أن الغنوصية كانت تحريفًا للفكر المسيحي يخلط بين تعاليم يسوع الأصلية ومذاهب وثنية غريبة. على مدى ألفي عام، كان هذا هو الخط الرسمي للمسيحية الأرثوذكسية، وبما أنه نجح في القضاء على المعارضة وتدمير جميع الأدلة، فقد تم قبوله بشكل عام على أنه الحقيقة. لكن في عام 1945، تم اكتشاف مكتبة من النصوص الغنوصية في كهف بالقرب من نجع حمادي في مصر. لقد أحدث هذا ثورة في فهمنا للغنوصية والمسيحية المبكرة. الآن أصبحنا في وضع يسمح لنا بترك الغنوصيين يتحدثون عن أنفسهم.

على الرغم من أنهم يُذكرون اليوم على أنهم زنادقة، إلا أن الغنوصيين كانوا يرون أنفسهم مسيحيين حقيقيين. في إنجيل غنوصي يسمى رؤيا بطرس، يصف يسوع القائم من بين الأموات المسيحية الحرفية بأنها "كنيسة مقلدة" بدلاً من الأخوة المسيحية الحقيقية للغنوصيين. من وجهة نظر الغنوصيين، كان الحرفيون هم من شوّهوا المسيحية الحقيقية. لقد ابتكروا ديناً يتطلب إيماناً أعمى بالأحداث التاريخية، بدلاً من مسار روحي كان في الأصل مساراً روحياً يمكن من خلاله لكل متأهل أن يختبر "الغنوص" بشكل شخصي. بالنسبة للغنوصيين، لم تكن المسيحية الحرفية تبشر إلا بالأسرار الظاهرية للمسيحية، والتي أطلقوا عليها اسم "المسيحية الدنيوية" المناسبة "للناس المستعجلين".3 وعلى النقيض من ذلك، كانت الغنوصية "مسيحية روحية" حقيقية، تكشف الأسرار الباطنية السرية للمسيحية لفئة مختارة.4

ومن اللافت للنظر أن هذه الاقتباسات تحديداً ليست من أحد الهرطقة الغنوصيين غير المعروفين، بل من كتابات اثنين من أبرز المسيحيين في الكنيسة الأولى - كليمنت، رئيس أول مدرسة فلسفية مسيحية في الإسكندرية، وخليفته أوريجانوس.5 وقد حظي هذان الرجلان باحترام كبير خلال حياتهما ولا يزالان يُعتبران من أعظم فلاسفة المسيحية الأوائل، ومع ذلك فقد بشّر كلاهما بنوع من المسيحية أقرب إلى الغنوصية منه إلى المسيحية السائدة الحديثة. بل إن الكنيسة الكاثوليكية تكرم كليمنت كقديس، ومع ذلك فقد كتب مجلدات عن "الغنوصي" الذي أطلق عليه اسم "المسيحي الحقيقي".6

تُظهر المعتقدات الغنوصية لبعض المفكرين المسيحيين المؤثرين والمحترمين مثل كليمنت وأوريجانوس أن الغنوصيين لم يكونوا زنادقة غرباء وغير مهمين على هامش المسيحية، كما توحي الصورة التقليدية. على العكس من ذلك، كانت الغنوصية روحانية واسعة وحيوية ومتطورة جذبت أعظم المفكرين المسيحيين في القرون القليلة الأولى من الميلاد - ليس فقط الحكماء العظام مثل فالنتينوس وبازيليد، الذين كاد أن يُنسوا تمامًا لأن الكنيسة الرومانية وصفتهم بالهرطقة، ولكن أيضًا رجال مثل كليمنت وأوريجانوس، الذين لم تُشوه سمعتهم بشكل كبير.

الفلسفة الوثنية

كان الاتهام المركزي والأكثر تكراراً الذي وجهه المسيحيون الحرفيون إلى المسيحيين الغنوصيين هو أنهم لم يكونوا مختلفين جوهرياً عن الوثنيين. إيرينيئوس، كبير مناهضي الهرطقة في بدايات المذهب الحرفي، يدين الغنوصيين لترقيعهم ثوبًا جديدًا من خرق بالية لا قيمة لها من الفلسفة اليونانية.7 ويصف أتباع الحكيم الغنوصي سمعان الساحر بـ"كهنة الأسرار"، ويتهمهم بعبادة "صورة لسمعان على هيئة زيوس".8 ويقارن ترتليان، وهو مؤلف آخر لأعمال معادية للغنوصية بشدة، الطقوس المسيحية التي يقدمها الغنوصيون بالطقوس الوثنية التي كانت تُمارس في إليوسيس.9 ويخبرنا هيبوليتوس، تلميذ إيرينيئوس، عن جماعة غنوصية تُدعى "السيثيين"، ويؤكد ما يلي:

لقد استقوا كامل محتوى تعاليمهم من اللاهوتيين القدماء [الوثنيين] موسايوس ولينوس وأورفيوس، الذين عرّفوا بشكل خاص بالطقوس والأسرار. 10

يشعر إيرينيئوس بالغضب لأن الغنوصيين كانوا يقدسون صور المسيح إلى جانب "صور فلاسفة دنيويين مثل فيثاغورس وأفلاطون وأرسطو وغيرهم".11

حضر الغنوصيون المهرجانات الوثنية ورحبوا بالوثنيين في اجتماعاتهم المسيحية الخاصة، مما دفع ترتليان إلى التعليق باستنكار:

لوحظ أن للهراطقة صلات بالعديد من السحرة والمشعوذين المتجولين والمنجمين والفلاسفة. 13

على الرغم من أن المسيحيين الحرفيين قد شوّهوا صورة الغنوصيين تشويهاً فاحشاً، إلا أنهم كانوا على صواب في أمر واحد لا شك فيه: فقد تشابهت الغنوصية بالفعل مع أسرار الوثنية.14 وعلى عكس الحرفيين، لم ينظر الغنوصيون إلى الوثنية كعدو، ولذا أقروا علناً بهذا الفضل وشجعوا دراسة فلاسفة العصور القديمة العظام.15 بل إن أعمالاً وثنية قد عُثر عليها إلى جانب نصوص مسيحية في مكتبة نجع حمادي الغنوصية.16

كان كليمنت الإسكندري متعمقاً في الفلسفة الوثنية، التي اعتبرها هبة إلهية لهداية الناس إلى المسيح.17 ويوضح ذلك قائلاً:

"الفلسفة اليونانية تطهر النفس، وتهيئها مسبقاً لاستقبال الإيمان، الذي عليه تبني الحقيقة صرح الغنوص." 18

وبالمثل، قام أوريجانوس بتعليم تلاميذه أن التقوى الكاملة تتطلب معرفة الفلسفة الوثنية، والتي يسميها وجبة رائعة أعدت للأذواق الراقية. وبالمقارنة، يزعم أن المسيحيين "يطبخون للجماهير".20 وقد تلقى أوريجانوس تعليمه في الفلسفة على يد الحكيم الوثني أمونيوس.21 ويروي الفيلسوف الوثني بورفيريوس أنه "زار أمونيوس وأوريجانوس لفترة طويلة"، وكلاهما وصفهما بأنهما "أفلاطونيان" و"رجلان تفوقا على معاصريهما في البصيرة".22

إلى جانب كونه معلمًا للفيلسوف المسيحي العظيم أوريجانوس، كان أمونيوس أيضًا معلمًا لبلوتينوس، أحد أعظم الفلاسفة الوثنيين على الإطلاق. يشير أفلوطين إلى المسيحيين الغنوصيين ضمن مدرسته الفلسفية، ويرى بوضوح أن الغنوصية نسخة معقدة للغاية ودونية من الأسرار الوثنية:

"إن جميع مصطلحاتهم متراكمة لإخفاء تأثرهم بالفلسفة اليونانية القديمة.23 نشعر بتقدير معين لبعض أصدقائنا الذين صادفوا طريقة التفكير هذه قبل أن يصبحوا أصدقاءنا، وعلى الرغم من أنني لا أعرف كيف تمكنوا من ذلك، إلا أنهم استمروا فيها." 24

الأساطير الوثنية

تزخر الكتابات الغنوصية بشخصيات من الأساطير اليونانية ومفاهيم من الفلسفة الوثنية وعلم التنجيم والسحر.25 فعلى سبيل المثال، تنص كتب المخلص على أن إيو (الإله الأعلى) يحظى بمعونة خمسة حكام عظام آخرين - وهم الآلهة الوثنية كرونوس، وآريس، وهرمس، وأفروديت، وزيوس.26 كما تمزج النصوص الغنوصية بين الزخارف الأسطورية الوثنية واليهودية. يقدم نص غنوصي يسمى باروخ توليفة من علم التنجيم الوثني والمفهوم اليهودي للملائكة. يخلق الله الآب 12 ملاكًا يدورون حول الكون ويحكمونه، كما تفعل علامات الأبراج الوثنية.27 يستخدم النص الاسم اليهودي لله، "إلوهيم"، لكنه يساوي إلوهيم مع زيوس اليوناني. يصف النص اختيار إلوهيم للبطل الوثني هيراكليس كنبي، بل ويطلق على الله اسم "بريابوس"، وهو اسم آخر لديونيسوس، مدعياً،

"الخير هو بريابوس الذي خُلق قبل وجود أي شيء؛ يُدعى بريابوس لأنه صنع كل شيء مسبقًا." ولهذا السبب يُنصب في كل معبد، ويُكرم من قبل جميع المخلوقات. 29

يخبرنا هيبوليتوس عن جماعة من المسيحيين الغنوصيين يُدعون النَحَشية، الذين زعموا تعليم فلسفة تقوم عليها جميع الأساطير - الوثنية واليهودية والمسيحية.30 رأى النَحَشية أن يسوع هو نفسه الشخصية الأسطورية لابن الأم العظيمة المحتضر، والتي أطلقوا عليها اسم "آتيس متعددة الأشكال".31 كانت هذه الشخصية تُعرف أيضًا في ترانيمهم باسم أدونيس، وأوزوريس، وبان، وباكوس، وراعي النجوم البيضاء - وكلها أسماء لأوزوريس-ديونيسوس! 32 لم يقتصر الأمر على أن هؤلاء المسيحيين الغنوصيين رأوا يسوع مطابقًا لأوزوريس-ديونيسوس، بل يدعي هيبوليتوس أيضًا أنهم كانوا في الواقع من المتأهلين في الأسرار الوثنية. ويكتب:

يقال إنهم جميعاً قد تم تأهيلهم في أسرار الأم العظيمة، لأنهم وجدوا أن سر الولادة الجديدة بأكمله يتم تدريسه في هذه الطقوس. 33

كانت الإلهة الأم العظيمة شخصية مهيبة سيطرت على العالم القديم. في مصر كانت تُعرف باسم إيزيس، وفي اليونان باسم

ديميتر. كانت أماً أو أختاً أو زوجة لأوزوريس-ديونيسوس، أو في كثير من الأحيان، بتلك الطريقة السحرية التي لا تسمح بها إلا الأساطير، كانت الثلاثة جميعاً.

عندما استكشفنا أسرار الوثنية، لم نتعمق كثيراً في طبيعة الإلهة، لأننا كنا نبحث عن أوجه تشابه بين الوثنية والمسيحية، والمسيحية الأرثوذكسية ليس لديها إلهة. لا يوجد فيها سوى الله الآب، والله الابن، وإله غامض إلى حد ما ذو طبيعة مزدوجة الجنس هو الروح القدس. تضمنت الأساطير الغنوصية ثالوثًا مقدسًا أكثر طبيعية وتوازنًا، يتألف من الله الآب، والله الابن، والإلهة الأم صوفيا.34

في النصوص الغنوصية، تُسمى الإلهة بأسماء عديدة، منها "الأم الكلية"، و"أم الأحياء"، و"الأم المتألقة"، و"القوة العليا"، و"الروح القدس"، و"ذات اليد اليسرى"، باعتبارها مكملة للمسيح الذي هو "ذي اليد اليمنى".

وكما هو الحال مع الإلهة الوثنية، بالإضافة إلى كونها كائناً سماوياً إلهياً، يتم تصوير صوفيا في الأساطير الغنوصية كشخصية مأساوية. إنها تبحث بيأس عن فاديها/أخيها/حبيبها يسوع بنفس الطريقة التي تبحث بها الإلهة المصرية إيزيس في العالم عن فاديها/أخيها/حبيبها أوزوريس. تخيل الغنوصيون شعرياً أن "جميع المواد المائية" كانت دموعاً ذرفتها صوفيا. وبذلك كانوا يرددون صدى الحكيم الوثني أمبادوقليس، الذي وصف قبل خمسة قرون كل الماء بأنه دموع الإلهة بيرسيفوني.37 كانت صوفيا ذات أهمية كبيرة لبعض الغنوصيين لدرجة أنهم علّموا أنه فقط في الأسرار الظاهرية يحتفل القربان المقدس بآلام يسوع. بالنسبة للمسيحيين "الروحيين" الذين تم تأهيلهم في الأسرار الباطنية، فإن القربان المقدس يذكر بآلام ومعاناة الإلهة صوفيا! 38

إله أفلاطون

كما ناقشنا سابقاً، على الرغم من أن حكماء الوثنية تحدثوا عن الآلهة والإلهات، إلا أنهم حافظوا على فهم صوفي ومتعالي تماماً للإله الأعلى. منذ زمن أفلاطون، انتقدوا النظر إلى الله على أنه "شخصية" إلهية. كان الإله الأعلى للأسرار الوثنية وحدة لا توصف تتجاوز جميع الصفات، ولا يمكن وصفها بالكلمات.39 وقد تبنى الغنوصيون هذا المفهوم المجرد والصوفي لله. لم يُنظر إلى الله على أنه شخص عظيم في السماء، بل فُهم على أنه عقل الكون الذي يُعبّر عن نفسه من خلال جميع الكائنات.

لم تكن هذه هي الصورة التي يحملها المسيحيون الحرفيون عن الله. كان إلههم هو يهوه، إله اليهود، الذي يكشف عنه العهد القديم على أنه إله قبلي متحيز ومتقلب المزاج وأحيانًا مستبد.

وبنفس الطريقة التي هاجم بها أفلاطون الصورة اليونانية التقليدية لله باعتباره زيوس المتسلط، هاجم الغنوصيون هذه الصورة اليهودية التقليدية لله، 41 معتقدين أن يهوه في الواقع ليس سوى "صورة للإله الحقيقي". استخدم الحكيم الغنوصي فالنتينوس مصطلح أفلاطون "ديميورج"42 لوصف يهوه، مما يدل على أنه كائن إلهي تابع يعمل كأداة للإله الحق.43 تم تصوير يهوه على أنه إله أدنى متغطرس يعتقد عن جهل أنه الإله الحق الوحيد. في العهد القديم يعلن يهوه: "أنا إله غيور، وليس هناك إله آخر غيري".44 ومع ذلك، فإن كتاب الأسرار الغنوصية يصف هذا بأنه "جنون" ويعلق عليه قائلاً:

> "بإعلانه هذا، أشار إلى الملائكة أن إلهاً آخر موجود؛ لأنه لو لم يكن هناك إله آخر، فمن الذي سيغار منه؟" 45

في بعض النصوص الغنوصية، عندما يعلن يهوه نفسه الإله الواحد الأحد، يتم توبيخه على غطرسته، مثل طفل متغطرس، من قبل والدته الإلهة صوفيا! 46

لم يكن يسوع الغنوصي نبياً ليهوه، الإله الأدنى عند اليهود، بل كان نبياً للإله الحقيقي الذي لا يوصف عند أفلاطون والأسرار الوثنية. يشرح المعلم الغنوصي سيردو ما يلي:

الإله الذي بشرت به الشريعة والأنبياء ليس هو أبو ربنا يسوع المسيح. إله العهد القديم معروف، أما أبو يسوع المسيح فمجهول. 47 وعلى النقيض تماماً من التجسيم الفج للرؤية اليهودية التقليدية، علّم الحكيم الغنوصي بازيليد المذهب الوثني قائلاً: "لا يجب علينا حتى أن نسمي الله غير قابل للوصف، لأن هذا بمثابة تأكيد عليه؛ فهو فوق كل اسم يُسمى". 48

كاهن الأسرار

يُصوَّر يسوع عند أصحاب التفسير الحرفي على أنه المسيح الموعود من يهوه، لكن يسوع عند الغنوصيين يشبه كاهنًا من أسرار الوثنية (انظر اللوحة 8). في إنجيل غنوصي يُدعى "حكمة يسوع المسيح"، يظهر يسوع القائم من بين الأموات لتلاميذه كملاك عظيم من نور، ويبتسم لدهشتهم ورعبهم، ويعرض عليهم تعليمهم "الأسرار".49 وفي نص غنوصي يُدعى "بيستيس صوفيا"، يُعلّم أتباعه: "لا تكفّوا عن البحث ليلًا ونهارًا حتى تجدوا الأسرار المُطهِّرة".50 وتُثني عليه مريم المجدلية قائلةً:

"الآن نعلم يا سيدي، بكل حرية ويقين ووضوح، أنك قد أحضرت مفاتيح أسرار ملكوت النور." 51

يقود يسوع الغنوصي تلاميذه في طقوس التأهيل السرية، بما في ذلك واحدة مسجلة في نص يسمى أعمال يوحنا، باستخدام "رقصة دائرية". كانت رقصات التأهيل هذه شائعة للغاية في الأسرار الوثنية. وكما يقول أحد الخبراء المعاصرين: "لا يمكن العثور على أي مهرجان قديم للطقوس الدينية يخلو من الرقص". 52 في طقوس إليوسيس، كان المرشح للتأهيل يجلس بينما يرقص آخرون حوله في دائرة، محاكين مدارات الكواكب والنجوم. 53 في طقوس ميثراس، كما ذُكر سابقًا، كان المتأهل الذي يُمثّل ميثراس يقف في وسط دائرة من 12 راقصًا يُمثلون علامات الأبراج. 54

يصف سفر أعمال يوحنا التلاميذ وهم يمسكون بأيدي بعضهم البعض في دائرة حول يسوع بطريقة مماثلة. يُرنّم يسوع، فيردد التلاميذ الكلمة المقدسة: "آمين". يعلّم يسوع أنه في هذه "الرقصة الدائرية" يكشف عن "الآلام" ويرغب في أن تُسمى "سرًا".55 وكما يشير أحد العلماء، فإن الرقصة الدائرية "هي بوضوح صدى للأسرار، والطقوس هي طقوس رقص مقدسة للتأهيل".56 في الترتيلة المصاحبة لتلقين الرقصة، يمكن تمييز ثلاثة أصوات بوضوح: المسيح، وهو المؤهل أو الكاهن الأعظم، ومساعدوه، والمرشح للتأهيل. في المقتطف التالي، تم تخصيص الأصوات لإحدى هذه الشخصيات الثلاث لتوضيح الطبيعة التأسيسية للنص بشكل واضح: 57

المتأهل: "سأنجو". المسيح:
"وأنا سأخلص". المساعدون:
آمين. المتأهل: "سأتحرر".
المسيح: "وأنا ساحرر".
المساعدون: آمين.

المتأهل: "سأخضع لعملية ثقب."
المسيح: "وأنا سأثقب".
المساعدون: آمين.

المتأهل "سأولد".

المسيح: "وأنا سأُنجب". المساعدون: آمين.

المتأهل: "سآكل".

المسيح: "وأنا سأؤكل". المساعدون: آمين.

المتأهل: "سأسمع."

المسيح: "وأنا سيسمع لي". المساعدون: آمين.

المسيح: "أنا سراج لك يا من تنظر إليّ".

المساعدون: آمين.

المسيح: "أنا مرآة لك يا من تراني". المساعدون: آمين.

المسيح: "أنا بابٌ لك أيها الذي تقرع عليّ". المساعدون: آمين.

المسيح: "أنا طريق إليك، يا مسافر." المساعدون: آمين.

المسيح: "والآن استجب لرقصي". انظر إلى نفسك فيّ أنا المتكلم، وعندما

ترى ما أفعله، اصمت عن أسراري.'58

أسرار خفية

احتوت الأسرار الوثنية على كل من الأسرار "الظاهرة" أو "الباطنية" التي كانت مفتوحة للجميع، والأسرار "الباطنية" أو "الداخلية" التي لم يتم الكشف عنها إلا للقلة المختارة التي خضعت لفترة طويلة من التطهير والإعداد الروحي. يخبرنا كليمنت أنه في المسيحية المبكرة كانت هناك أيضًا "أسرار صغرى" للمبتدئين في المسار الروحي، و"أسرار كبرى" تمثل معرفة سرية عليا تؤدي إلى "التأهيل" الكامل.59 ويشرح أن "التقاليد السرية للغنوص الحقيقي" قد نُقلت "إلى عدد قليل، عن طريق سلسلة من المعلمين، وليس كتابةً".60

يقر أوريجانوس بأن المسيحية، من خلال وجود أسرار باطنية وأسرار ظاهرية، كانت تتبع مثال الوثنية. ويكتب:

"إن وجود بعض العقائد التي تتجاوز تلك التي يتم تدريسها علنًا ولا تصل إلى العامة ليس سمة خاصة بالمسيحية فقط، بل يشترك فيها الفلاسفة أيضًا. فقد كانت لديهم بعض المذاهب الظاهرة وبعضها الباطنة." 61

ومثل المتأهلين الوثنيين، كان يُطلب من المتأهلين الغنوصيين الحفاظ على الأسرار الباطنية سراً عميقاً. يخبرنا

هيبوليتوس، ملاحق الهرطقات، أن أتباع الحكيم الغنوصي بازيليد «لا يجوز لهم التحدث عن أسرارهم بصوت عالٍ، بل يجب عليهم حفظها في صمت».62 في الواقع، كان يُطلب منهم الخضوع لفترة صمت أولية مدتها خمس سنوات، تمامًا كما كان الحال بالنسبة للمتأهلين في مدارس فيثاغورس للأسرار الوثنية.63 وينص كتاب الكلمة (اللوغوس) العظمى على ما يلي:

> "يجب حراسة هذه الأسرار بأقصى درجات السرية، وعدم الكشف عنها لأي شخص غير جدير بها، - لا للأب أو الأم، ولا للأخت أو الأخ، ولا لأي قريب؛ لا من أجل الطعام أو الشراب، ولا من أجل النساء أو الذهب أو الفضة أو أي شيء في هذا العالم." 64

يكتب كليمنت:

> "لا يُراد أن تُعرض كل الأشياء بشكل عشوائي على الجميع، أو أن تُنقل فوائد الحكمة إلى أولئك الذين لم يتطهروا في أرواحهم حتى في حلم واحد." ولا يجوز شرح أسرار الكلمة (اللوغوس) للعامة. 65

يطالب حكيم غنوصي آخر بما يلي:

> إذا كنت ترغب في معرفة ما لم تره عين ولم تسمعه أذن، وما لم يدخل قلب الإنسان، فإن الذي هو أعلى من كل الخيرات، يقسم أن يحافظ على أسرار التعليم. هذا هو القسم: "أقسم بالواحد فوق كل شيء، الخير، أن أحفظ هذه الأسرار وألا أخبر بها أحداً وألا أعود من الخير إلى الخليقة". 66

بحسب كليمنت، لم يبشر مرقس بالإنجيل المألوف في العهد الجديد فحسب، بل بشّر بثلاثة أناجيل مختلفة تناسب مستويات مختلفة من التأهيل. يحتوي إنجيل مرقس في العهد الجديد على أفكار مناسبة للمبتدئين في الإيمان. لكن مرقس كتب أيضًا إنجيلًا سريًا ليستخدمه أولئك الذين كانوا "يُكمَّلون" أو "يؤهلون".67 ويذكر كليمنت أن مرقس كتب كلا الإنجيلين في الإسكندرية، حيث كانا لا يزالان محفوظين. كانت تعاليم إنجيل مرقس السري تعتبر سرية للغاية لدرجة أن كليمنت نصح أحد طلابه بإنكار وجودها، "حتى تحت القسم"، لأنه "لا ينبغي قول كل الأشياء الصحيحة لجميع الناس" و"يجب إخفاء نور الحقيقة عن أولئك الذين يعانون من عمى العقل". بحسب كليمنت، سجل الإنجيل السري "أشياء مناسبة لكل ما يؤدي إلى التقدم نحو الغنوص". مع ذلك، حتى في هذا "الإنجيل الأكثر روحانية"، لم يكشف مرقس عن الأمور التي لا يجوز البوح بها، ولم يدون تعاليم الرب الباطنية، بل أضاف إلى القصص المكتوبة قصصًا أخرى، وأدخل أقوالًا معينة كان يعلم أن تفسيرها سيقود السامعين إلى أعمق أسرار تلك الحقيقة.68 ولم ينقل مرقس تعاليم شفهية أخرى تحمل الغنوص إلا إلى أقرب تلاميذه. كان هذا الإنجيل الأخير غامضاً للغاية لدرجة أنه لم يكن من الممكن كتابته على الإطلاق.

تُلقي الأجزاء المتبقية من إنجيل مرقس السري الضوء على معنى بعض المقاطع الغريبة في العهد الجديد. وتشمل هذه الروايات قصة قيام يسوع بإحياء شاب من الموت. وقد تكهن العلماء بأن هذه نسخة مبكرة من قصة إحياء يسوع للعازر من الموت في إنجيل يوحنا.69 وفي الإنجيل السري، تلي هذه القصة مباشرة مراسم تأهيل الشاب القائم من بين الأموات. بالنسبة للغنوصيين، فإن القيام من الموت هو بوضوح استعارة للولادة الروحية من خلال التأهيل. يشير هذا إلى أن قصة إحياء لعازر من الموت في إنجيل يوحنا كانت في الأصل رمزًا للطقوس الدينية.70 وهذا يفسر المقطع الغريب في إنجيل يوحنا حيث يقترح توما على التلاميذ، بدلًا من أن يعرض الذهاب لمساعدة يسوع في إحياء لعازر كما هو متوقع، أن يذهبوا هم أيضًا ويموتوا معه! 71 إذا كانت قصة لعازر في الأصل رمزية للبداية، مثل القصة الواردة في إنجيل مرقس

السري، فإن كلمات توما التي لا يمكن تفسيرها ستصبح ذات معنى. في الواقع، يحث توما التلاميذ الآخرين على الذهاب للتأهيل - أي "الموت والقيامة" مثل لعازر.

في إنجيل مرقس السري، يأتي الشاب الذي على وشك أن يخضع لعملية التأهيل إلى يسوع وهو يرتدي قطعة قماش من الكتان فقط فوق جسده العاري. في تلك الليلة، قيل لنا: "علمه يسوع سر ملكوت الله". وهذا يسلط الضوء على حادثة غريبة أخرى في إنجيل مرقس. بعد خيانة يسوع واعتقاله ليلاً في بستان جثسيماني، يسجل مرقس ما يلي:

> "وكان من بين الذين اتبعوا يسوع شاب لا يرتدي سوى قطعة قماش من الكتان. حاولوا الإمساك به، لكنه أفلت من قطعة القماش الكتانية وهرب عارياً." 72

لا تظهر هذه الشخصية الغريبة في أي مكان آخر في العهد الجديد. لا بد أن العديد من القراء على مر القرون قد تساءلوا عن هوية هذا الشاب العاري وماذا كان يفعل مع يسوع وتلاميذه. يشير الإنجيل السري إلى أنه كان مرشحًا للتأهيل.

معرفة تفوق التصديق

كتب الفيلسوف اليوناني هِرَقْليطُس: "آراء البشر هي ألعاب للأطفال". 73 كان حكماء الأسرار الوثنية يستهينون بالمعتقدات أو الآراء المجردة؛ لقد كانوا مهتمين بالمعرفة. جادل أفلاطون بأن الإيمان لا يهتم إلا بمظاهر الأشياء، بينما المعرفة تخترق الحقيقة الكامنة.74 وأعلن أن أعلى مستوى من الفهم هو تلك المعرفة التي يتحد من خلالها العقل مع موضوع المعرفة.75 وقد ورث الغنوصيون هذه التعاليم الوثنية، وكانوا أيضاً يستهينون بـ (بيستيس: "الإيمان".) مقارنةً بالمعرفة (الغنوص).

الغنوص ليست فكرة قابلة للشك، بل هي تجربة صوفية للحقيقة، وهي تجربة فورية ومؤكدة وغير مفاهيمية على الإطلاق. بينما أشاد المسيحيون الحرفيون بالقيمة الروحية للإيمان الأعمى وأمروا المؤمنين بعدم التشكيك فيما قاله لهم الأساقفة، فإن أساتذة الغنوصية، مثل حكماء الوثنيين من قبلهم، علموا أنه من خلال التأهيل في الأسرار الباطنية يمكن للمتأهلين أن يختبروا الغنوص مباشرة ويعرفوا الحقيقة بأنفسهم.

بالنسبة للغنوصيين، لم يكن الإيمان سوى خطوة تمهيدية تؤدي إلى الغنوص. يشرح المعلم الغنوصي هيراكليون أن الناس في البداية يؤمنون من خلال شهادة الآخرين، لكنهم يحتاجون إلى اختبار الحقيقة مباشرةً.76 وقد علّم كليمنت ما يلي:

> الإيمان هو الأساس، والغنوص هو البنية الفوقية.77 بالغنوص يكتمل الإيمان.78 فالمعرفة أكثر من مجرد التصديق.79 الغنوص هو برهان ما تم تلقيه بالإيمان. 80

على غرار حكماء الوثنية، علّم الغنوصيون أن جميع المذاهب ليست سوى مقاربات للحقيقة، التي تتجاوز الكلمات والمفاهيم، ولا يمكن إيجادها إلا من خلال تجربة الغنوصية شخصيًا.81 ويشرح إنجيل فيليب ما يلي:

> "يمكن أن تكون الأسماء خادعة للغاية، لأنها تحول أفكارنا من ما هو دقيق إلى ما هو غير دقيق. وهكذا فإن من يسمع كلمة "الله" لا يدرك ما هو دقيق، ولكنه يدرك ما هو غير دقيق. وكذلك الأمر مع "الآب" و"الابن" و"الروح القدس" و"الحياة" و"النور" و"القيامة" و"الكنيسة" وكل ما عدا ذلك - فالناس لا يدركون ما هو دقيق، بل يدركون ما هو غير دقيق." 82

معرفة الذات

أهم وصية على الطريق الروحي للأسرار الوثنية نُقشت فوق معبد أبولو في دلفي: Gnothi Seauton - "اعرف نفسك". كان الغنوص أو المعرفة التي سعى إليها المتأهلون في الأسرار الوثنية هي معرفة الذات.83

ويعلّم كتاب الغنوصية لتوما المناضل بالمثل ما يلي:

> "من لم يعرف نفسه لم يعرف شيئاً، أما من عرف نفسه فقد بلغ في الوقت نفسه غنوص عميق بكل

شيء." 84

في شهادة الحق، ينصح يسوع تلميذه بأن يصبح "تلميذًا لعقله" الذي هو "أبو الحق".85 ويشجع الحكيم الغنوصي سيلفانوس على ما يلي:

> "اطرق على نفسك كما لو كنت تطرق باباً، وامش على نفسك كما لو كنت تسير في طريق مستقيم.
> لأنه إذا سرت في الطريق، فمن المستحيل أن تضل. افتح الباب لنفسك لكي تعرف ما هو." 86

لكن ما هو الذات؟ علّم حكماء الوثنية أن لكل إنسان ذاتاً دنيا فانية تُسمى "إيدولون (eidolon)" وذاتاً عليا خالدة تُسمى "ديمون (Daemon)".87 الإيدولون هي الذات المتجسدة، الجسد المادي والشخصية.88 أما ديمون فهي الروح، الذات الحقيقية التي هي الصلة الروحية بالله لكل شخص. صُممت الأسرار لمساعدة المتأهلين على إدراك أن الإيدولون هو ذات زائفة وأن هويتهم الحقيقية هي ديمون الخالد.89

من وجهة نظر الإيدولون، يبدو أن الديمون هو ملاك حارس مستقل. 90 المتأهلون الذين ما زالوا يتماهون مع الإيدولون، لذلك، لا يختبرون الديمون على أنه ذاتهم الحقيقية، بل كمرشد روحي مهمته قيادتهم إلى وجهتهم الروحية. يقول أفلاطون: "ينبغي أن نفكر في الجزء الأكثر سلطة من النفس على أنه روح حارسة أعطاها الله لنا والتي ترفعنا إلى منزلنا السماوي". 91

لقد علّم حكماء الغنوصية نفس عقيدة الأسرار تمامًا.92 يشرح فالنتينوس أن الشخص يتلقى الغنوص من ملاكه الحارس، لكن هذا الكائن الملائكي هو في الواقع الذات العليا للباحث.93 في مصر القديمة، صُوِّرَ الديمون لآلاف السنين على أنه توأم سماوي للإيدولون.94 توجد هذه الصورة أيضًا في الغنوصية. قيل إن الحكيم الغنوصي ماني كان مدركًا لوجود ملاك حامي له منذ سن الرابعة، وفي سن الثانية عشرة أدرك أنه توأمه السماوي، الذي وصفه بأنه "أجمل وأكبر صورة معكوسة لشخصي".95

في سفر أعمال يوحنا، يشير يوحنا أن يسوع كان يتحدث أحيانًا مع توأم سماوي نزل لينضم إليه:

> "عندما كنا جميعًا، نحن تلاميذه، نائمين في بيت واحد في جنيسارت، كنت وحدي، وقد لففت نفسي، أراقب من تحت ثوبي ما كان يفعله؛ فسمعته أولًا يقول: "يا يوحنا، اذهب ونم"، فتظاهرت بالنوم؛ ورأيت آخر مثله ينزل، وسمعته أيضًا يقول لسيدي: "يا يسوع، ألا يؤمن بك الذين اخترتهم بعد؟" فقال سيدي: "أحسنت القول، فهم بشر". 96

يروي كتاب "بيستيس صوفيا" أسطورة ساحرة عن الطفل يسوع الذي التقى بتوأمه السماوي لأول مرة. تتذكر والدته مريم ما يلي:

> "عندما كنت طفلاً، قبل أن ينزل عليك الروح، عندما كنت في الكرم مع يوسف، نزل الروح من العلاء، وجاء إلي في البيت، مثلك، ولم أكن أعرفه، بل ظننت أنه أنت. فقال لي: "أين يسوع أخي، حتى أذهب للقائه؟" 97

أخبرت مريم يسوع أنه عندما وجده توأمه أخيرًا، "عانقك وقبلك، وقبلته أنت أيضًا؛ فصرتم كيانًا واحدًا". 98

كان هدف التأهيل الغنوصي، كذلك، هو توحيد الذات الدنيا مع الذات العليا، إذ يتحقق التنوير عند اتحادهما.99

ويذكر إيرينيئوس أن الغنوصي "يعتقد أنه ليس في السماء ولا على الأرض، بل أنه قد احتضن ملاكه الحارس".100 ويكتب المعلم الغنوصي العظيم فالنتينوس:

> "عندما تترابط الذات البشرية مع الذات الإلهية، يمكنهما تحقيق الكمال والخلود." 101

الديمون الكوني

إن السعي وراء معرفة الذات يقود المتأهل الوثني أو الغنوصي في رحلة اكتشاف رائعة. في البداية، يختبر المتأهل نفسه على أنه الإيدولون، الشخصية المتجسدة، ويرى الديمون على أنه ملاك حارس أو توأم سماوي. يختبر المتأهل الأكثر نضجاً "الدايمون" باعتباره ذاته العليا. أما بالنسبة لأولئك الذين أنعم الله عليهم بالرؤية النهائية للمعرفة الذاتية الكاملة أو الغنوص، فإن الديمون يُعتبر أكثر روعة. إنها حقاً "الأنا الإلهية"، كما يقول فالنتينوس.

على الرغم من أنه يبدو كما لو أن لكل شخص ديمونه الخاص أو ذاته العليا، إلا أن المتأهل المستنير يكتشف أن هناك في الواقع ديمون واحدًا مشتركًا بين الجميع - ذاتًا عالمية تسكن كل كائن حي. كل نفس هي جزء من نفس الله الواحدة. 102 لذلك فإن معرفة المرء لنفسه هي معرفة الله.

توجد هذه التعاليم الصوفية في كلٍّ من الأسرار الوثنية والمسيحية الغنوصية.103 ويُوجد التعليم الوثني القديم "أنا أنت وأنت أنا" في النص الغنوصي "بيستيس صوفيا"، ويصبح في إنجيل يوحنا في العهد الجديد "أنا فيك وأنت فيّ".104

يكتب الحكيم الوثني سيكستوس: "لو عرفتم الذي خلقكم، لعرفتم أنفسكم"105 وبالمثل، يكتب الفيلسوف المسيحي كليمنت: إن أعظم أنواع التأديب هو أن يعرف المرء نفسه؛ لأنه عندما يعرف الإنسان نفسه، فإنه يعرف الله. 106 علّم كليمنت متأهليه المسيحيين أن "يمارسوا كونهم الله"107 وأن الغنوصي الحقيقي قد "أصبح بالفعل إلهًا".108

في بيان جميل للتعاليم الصوفية الخالدة التي ورثتها المسيحية الغنوصية من الأسرار الوثنية، ينصح الحكيم الغنوصي منعموس بما يلي:

> "ابحث عنه من نفسك، وتعلم من هو الذي يستحوذ على كل شيء فيك قائلاً: "إلهي، روحي، فهمي، نفسي، وجسدي"، وتعلم من أين يأتي الحزن والفرح، والحب والكراهية، واليقظة رغماً عنك، والنوم رغماً عنك، والغضب رغماً عنك، والوقوع في الحب رغماً عنك". وإذا دققت النظر في هذه الأمور، ستجده في نفسك. 109

كلمة "غنوصي" تعني "العارف"، ولكنها ليست معلومة روحية يعرفها الغنوصي. إنهم يعرفون ما يُعرف به كل شيء آخر - العارف، والمُجرِّب، والذات العليا، والإيدولون الإلهي، والديمون. يكتشف الغنوصي الحقيقي، مثل المتأهل المستنير في أسرار الوثنية، أن الديمون هو في الواقع نفس الكون الواحدة - الوعي الذي يسكن كل واحد منا.110 ووفقًا لحكماء الوثنية والغنوصية الذين سلكوا طريق معرفة الذات إلى نهايتها المتناقضة، فعندما نكتشف أخيرًا من نحن، نكتشف أنه لا يوجد سوى الله.

إعادة التجسد (التناسخ)

في الأسرار الوثنية، كان يُعتقد أن النفس تتقدم نحو إدراك المعرفة (الغنوص) عبر العديد من الأعمار.111 ويشرح بلوتارخ، أحد المطلعين على الأسرار الوثنية، أن النفس غير المستنيرة تنجذب إلى التجسد المادي مرارًا وتكرارًا بفعل العادة:

> "نعلم أن النفس لا تدمر، ويجب أن نفكر في تجربتها كما لو كانت تجربة طائر في قفص. إذا بقيت في الجسد لفترة طويلة وتأقلمت مع هذه الحياة نتيجة لأنواع مختلفة من الانخراط والتعود الطويل، فإنها ستعود إلى الجسد مرة أخرى ولادة بعد ولادة ولن تتوقف أو تتخلى عن التورط في أهواء وفرص هذا العالم." 112

على الرغم من أنه تم استبعاد هذه الفكرة الوثنية في نهاية المطاف من المسيحية السائدة، إلا أن المسيحيين الغنوصيين الأوائل تبنوها. علّم الحكيم الغنوصي بازيليد أن الغنوص هي ثمرة جهدٍ مضنٍ على مدى أعمار عديدة.113 ويُعلّم كتاب يوحنا السري أن النفس ستستمر في التناسخ حتى تُنقذ في النهاية من جهلها، وتصل إلى الغنوص، فتُكمَّل، وبعد ذلك لا تعود إلى جسدٍ آخر.114 ويُعلّم كتاب بيستيس صوفيا أن النفس لا يمكن أن تدخل النور إلا بعد أن تفهم، من خلال تجارب أعمار عديدة، جميع الأسرار. بعد أن يتقدم في رحلته الروحية خلال هذه الحياة، سيكون تجسده التالي في "جسد صالح يجد إله الحق والأسرار العليا".115

يخبرنا أفلاطون أن الموتى يملكون خيارين: إما الشرب من "ينبوع الذاكرة" والسير في الطريق الأيمن نحو الجنة، أو الشرب من "كأس النسيان" والسير في الطريق الأيسر نحو التناسخ.116 ويُعلّم كتاب المخلص الغنوصي العقيدة نفسها، موضحًا أن الرجل الصالح سيولد في حياته التالية دون أن ينسى الحكمة التي تعلمها في هذه الحياة، لأنه لن يُعطى "جرعة النسيان" قبل ولادته التالية. بل سيتلقى "كأسًا مليئًا بالحدس والحكمة" مما سيجعل النفس لا تغفو وتنسى، بل "تبحث عن أسرار النور حتى تجدها".117

رأى أفلاطون أن التجسد في جسد بشري يُشبه السجن.118 وبالمثل، يصف كتاب يوحنا السري الغنوصي التجسد بأنه "تقييد بالأغلال".119 ويوضح أفلاطون قائلاً: "إن النفس تعاني من عقاب الخطيئة حتى يتم سداد العقاب". 120 وبالمثل، يعلم أوريجانوس أن التجسد هو نوع من العقاب على ارتكاب الخطيئة، وأن النفوس توضع في أنواع معينة من الأجساد بما يتناسب مع الخطيئة. يخبرنا أن النفوس "تُغلّف بأجساد مختلفة للعقاب" مرات عديدة، حتى تُطهّر، وعندها "تعود إلى حالتها السابقة، متخليةً تمامًا عن شرّها وأجسادها".121 ومثل حكماء الوثنية، لم يستطع أوريجانوس أن يؤمن بأن إلهًا عادلًا رحيمًا سيحكم على أي نفس بالخلود في الجحيم، بل اعتقد أن جميع النفوس ستنجو من خلال تجربة تجسدات بشرية متكررة.122 ويكتب:

> "لقد وُجدت كل نفس منذ البداية؛ لذلك فقد مرت ببعض العوالم بالفعل، وستمر بعوالم أخرى قبل أن تصل إلى الكمال النهائي. تأتي إلى هذا العالم معززة بانتصارات حياتها السابقة أو ضعيفة بهزائمها. 123

على الرغم من مكانته الرفيعة بين المسيحيين الأوائل، فقد أدانت الكنيسة الكاثوليكية هذا الفيلسوف المسيحي اللامع بعد وفاته باعتباره هرطقيًا لتعليمه هذه العقيدة القديمة.

124 ومع ذلك، فإن تعاليم التناسخ مذكورة في العهد الجديد.125 ففي إنجيل يوحنا، يسأل رؤساء كهنة أورشليم يوحنا المعمدان عما إذا كان تجسيدًا لإيليا،126 بينما في إنجيل مرقس، يناقش التلاميذ إمكانية أن يكون يسوع تجسيدًا ليوحنا المعمدان، أو النبي إيليا، أو أحد الأنبياء الآخرين!127

المساواة بين الجنسين

في طقوس الأسرار الوثنية، كان التأهيل متاحًا للجميع، بغض النظر عن الجنس. كانت أقرب تلميذات ديونيسوس هنّ النساء المتحمسات اللواتي يُطلق عليهنّ اسم الميناد، وفي إيطاليا كانت أسرار ديونيسوس تُدار بالكامل من قبل النساء.128 في ظل الديانة الأولمبية اليونانية القديمة، كانت النساء محكومات بالعيش داخل أربعة جدران والقيام بالأعمال المنزلية، ولكن مع ظهور طقوس ديونيسوس، "انطلقن بحرية في الغابات! 129

كان هناك العديد من الكاهنات والنبوات الشهيرات للأسرار الوثنية: الشاعرة الصوفية العظيمة سافو وأخواتها في ليسبوس، اللواتي كن كاهنات في أسرار أدونيس؛ ديوتيما، الكاهنة التي علمت سقراط؛ وبايثونيس، الكاهنة العرافة في دلفي التي كان يستشيرها رجال الدولة الأقوياء والفلاسفة المشهورون في العالم القديم. قام كليمنت الإسكندري المسيحي بتجميع قائمة بالنساء الوثنيات اللواتي أعجب بإنجازاتهن.130 إلى جانب الشاعرات والرسامات الشهيرات، ذكر فيلسوفات مثل أريجنوت وثيميستو وغيرهن، من بينهن اثنتان درستا على يد أفلاطون وواحدة تدربت على يد سقراط.131

اشتهر الفيثاغوريون بمنحهم الحرية والاحترام للمرأة.132 وتؤكد النصوص الفيثاغورية القديمة في كثير من الأحيان على المساواة بين الرجل والمرأة.133 ووفقًا لأريستوكسينوس، فقد استقى فيثاغورس معظم معارفه الأخلاقية من كاهنة دلفي تُدعى ثيميستوكليا. في رسالته إلى نساء كروتون، يقول فيثاغورس صراحةً أن "النساء كجنس أقرب بطبيعتهن إلى التقوى". 134 وقد عهد بكتاباته إلى امرأة، ابنته دامو. كانت أريغنوتي، وهي إحدى تلميذات فيثاغورس، مؤلفة كتاب بعنوان "طقوس ديونيسوس" وأعمال فلسفية أخرى.135

وكما فعل أسلافهم الوثنيون، كرّم الغنوصيون النساء واعتبروهن مساويات للرجال. ففي الأناجيل، يُصوَّر يسوع على أنه خالف التقاليد اليهودية بالتحدث بصراحة مع النساء، اللواتي ضمهن إلى رفاقه المقربين، وهنّ* النساء من اكتشفن المسيح القائم من بين الأموات أولاً.136 ويعلّم كليمنت: في المسيح لا يوجد ذكر ولا أنثى، موضحاً أن مصطلح "البشرية" يشمل الرجال والنساء على حد سواء.

في الأناجيل الغنوصية، تلعب الشخصيات النسائية، وخاصة مريم المجدلية، أدواراً مركزية. في حوار المخلص، تُصوَّر مريم على أنها "امرأة فهمت تمامًا" وكانت تربطها بيسوع علاقة وثيقة للغاية.137 غالبًا ما تُصوَّر مريم المجدلية الحكيمة في صراع مع بطرس الأحمق والمتعصب ضد النساء.138 في كتاب "بيستيس صوفيا"، يشكو بطرس من أن مريم تستحوذ على الحوار مع يسوع وتُزيحه عن مكانته المشروعة ومكانة الرسل الذكور الآخرين. يحث يسوع على إسكاتها، لكن يسوع يوبخه. وفي وقت لاحق، تعترف مريم ليسوع بأنها بالكاد تجرؤ على التحدث بحرية لأن "بطرس يجعلني أتردد؛ أنا خائفة منه، لأنه يكره الجنس الأنثوي". يجيب يسوع بأن كل من يوحي إليه الروح القدس هو مختار إلهياً للكلام، سواء كان رجلاً أو امرأة.

يسجل إيرينيئوس بانزعاج أن النساء كنّ ينجذبن بشكل خاص إلى المسيحية الغنوصية.140 وهذا ليس بالأمر المفاجئ، إذ تمتعت النساء بين الغنوصيين بمناصب قيادية وسلطة روحية، على عكس الكنيسة الحرفية، حيث كنّ يُنظر إليهن على أنهن بشر من الدرجة الثانية.141 يشعر إيرينيئوس بالفزع لأن الحكيم الغنوصي ماركوس شجع النساء على القيام بدور الكاهنات في الاحتفال بالإفخارستيا.142 بينما يشكو ترتليان بمرارة من "أولئك النساء بين الهراطقة" اللواتي يشغلن مناصب السلطة، ويغضب لأنهن "يعلّمن، و ينخرطون في النقاش، ويقومون بطرد الأرواح الشريرة، ويعالجون. يشتبه في أنهم قد يقومون حتى بالتعميد ويتصرفون كأساقفة! 143

الأخلاق الطبيعية

في مسرحية "الباكوسيات" ليوريبيدس، يحاول الملك بنثيوس إهانة ديونيسوس بوصفه بأنه "الإله الذي يحرر عباده من كل قانون"، لكن ديونيسوس يرد قائلاً: "إهانتك لديونيسوس هي مجاملة". 144

كثيراً ما اتُهمت الأسرار الوثنية بأنها غير أخلاقية لأنها كانت تُعلّم أن الأفكار التقليدية للأخلاق قد تم تجاوزها من قبل شخص اختبر الغنوص. كان الهدف النهائي للأسرار هو التحرر الروحي، وليس العبودية الأخلاقية.

يشكو إيرينيئوس من أن الغنوصيين زعموا بالمثل أن "الأفعال ليست جيدة أو سيئة في حد ذاتها، بل فقط وفقًا للأعراف البشرية"، ويلمح إلى أن الحرية الروحية للغنوصيين لم تكن في الواقع سوى ذريعة للفجور.145 ويكتب:

> "إنهم يؤكدون أنهم وصلوا إلى مستوى يفوق كل قوة، وبالتالي فهم أحرار في كل شيء للتصرف كما يحلو لهم، ولا يخشون أحداً في أي شيء. لأنهم يزعمون أنه بسبب الفداء لا يمكن القبض عليهم، أو حتى إدراكهم، من قبل القاضي146
>
> من خلال التجربة الصوفية للإله الحقيقي ليسوع، ادعى الغنوصيون أنهم "تم فداءهم" أو "تحريرهم" من سلطة يهوه المستبد وجميع القواعد والأنظمة التي فرضها على اليهود. في عملية التأهيل الغنوصية، كان المتأهل يعلن طقوسياً استقلاله عن الإله الزائف.147 ووفقاً للحكيم الغنوصي سمعان الساحر، فإن المتأهلين الذين نجوا من سلطان يهوه وعرفوا الأب الحقيقي كانوا "أحراراً في العيش كما يحلو لهم".148

وكما يقول أحد الخبراء المعاصرين:

> فضل بازيليد وخليفته فالنتينوس، وهما من كبار أساتذة الغنوصية في الإسكندرية، اللاأخلاقية الصارمة: القاعدة الوحيدة هي أنه لا توجد قواعد. إذا كان ميل المرء، كما يفضل العديد من المتأهلين، زاهداً، فلا بأس؛ وإذا كان منغمساً تماماً في العلاقات الجنسية المتعددة، فلا بأس أيضاً. 149

لكن حكماء الأسرار الوثنية ولا الغنوصيون المسيحيون كانوا في الواقع يبشرون باللاأخلاقية. كان كلاهما ببساطة يعترفان بوجود فهم روحي أعمق من مجموعة القواعد الأخلاقية المفروضة خارجياً، وأن البشر الذين كانوا على اتصال بطبيعتهم الإلهية سيتصرفون بشكل حدسي وعفوي في انسجام مع الحياة بأكملها. يشرح الحكيم الغنوصي بازيليد أن المسيحيين "الروحيين" أخلاقيون ببساطة "بحكم طبيعتهم".150 قد يكون الالتزام بالقواعد الأخلاقية جزءًا من رحلة التطهير التي تؤدي إلى الغنوص، ولكن بمجرد الوصول إليه، يمكن التخلي عن جميع القواعد الأخلاقية لأن المتأهل سيتصرف بشكل جيد بشكل طبيعي - وإن لم يكن بالضرورة بالطريقة التقليدية! 151

يكتب كليمنت:

> إن الطقوس الظاهرية المحددة تفقد قيمتها بالنسبة لمن انسجم كيانه بالكامل مع ما هو أبدي؛ فهو لا يحتاج إلى شيء، ولا يعاني من أي شهوة؛ بل يستريح في تأمل الله، الذي هو وسيظل سعادته الدائمة.

152 إذن، كل عمل يقوم به الإنسان المتحلي بالغنوص هو عمل صحيح،

وما يقوم به الإنسان غير المتحلي بالغنوص هو عمل خاطئ، حتى وإن اتبع خطة ما. 153

الخلاصة

يقدم الغنوصيون صورة للمسيحية المبكرة تختلف بشكل مذهل عن تلك التي ورثناها عن الكنيسة الرومانية. لقد رأينا بالفعل أن قصة يسوع والتعاليم التي يقدمها في العهد الجديد تسبقها أساطير وتعاليم الأسرار الوثنية القديمة. نجد في الغنوصية العديد من العناصر الأخرى التي كانت أساسية في الأسرار ولكنها غائبة في المسيحية كما نعرفها اليوم - البحث عن الغنوص، ودور الإلهة، وأهمية المرأة، وعقيدة الديمون/الإيدولون، وما إلى ذلك. دعونا نستعرض بعض أوجه التشابه الملحوظة بين المسيحية الغنوصية والأسرار الوثنية:

- اتهم الحرفيون الغنوصيين بالتبشير بالعقائد الوثنية.
- قام الغنوصيون بتدريس الفلسفة الوثنية، وتقديس صور الفلاسفة الوثنيين إلى جانب صور يسوع، ودعوا الوثنيين إلى التجمعات الغنوصية، بل وتم تأهيلهم في الأسرار الوثنية.
- تحتوي النصوص الغنوصية على زخارف أسطورية وثنية زعموا أنها تُعلّم فلسفة عالمية.
- لقد ساوى الغنوصيون بين يسوع و"آتيس متعدد الأشكال" وأسماء مستعارة أخرى لأوزوريس-ديونيسوس.
- كما هو الحال في الأسرار الوثنية، كرم المسيحيون الغنوصيون الجانب الأنثوي الإلهي في صورة الإلهة صوفيا.
- ومثل حكماء الأسرار الوثنية، انتقد الغنوصيون الصورة البشرية التي رسمها المسيحيون الأرثوذكس لله. أطلقوا على الإله اليهودي يهوه لقب الإله الزائف، وعلموا أن يسوع هو ابن الإله الحقيقي الذي لا يوصف. كانت هذه الوحدة المطلقة التي لا توصف مطابقة للإله الأعلى عند أفلاطون والأسرار الوثنية.
- إن يسوع الغنوصي يشبه كاهنًا وثنيًا يؤهل تلاميذه في الأسرار من خلال الرقص والغناء.
- كان الغنوصيون يعلمون أن المسيحية، مثل الأسرار الوثنية، تحتوي على أسرار ظاهرية للمبتدئين في الإيمان وأسرار باطنية للمتأهلين.
- وكما هو الحال في الأسرار الوثنية، كان المسيحيون المتأهلون في الأسرار الباطنية يقسمون على السرية.
- يخبرنا كليمنت أن مرقس بشر بثلاثة أناجيل مختلفة لثلاثة مستويات مختلفة من التأهيل. لقد صُممت إنجيله في العهد الجديد "للمبتدئين". كان الإنجيل السري مخصصاً لأولئك الذين يتم "إكمالهم". وكشفت إنجيل شفوي آخر عن المعرفة الباطنية (الغنوص).
- كما هو الحال في الأسرار الوثنية، كان هدف الغنوصية هو تجربة الغنوص، أو "المعرفة"، والتي كانت تتناقض مع مجرد الإيمان أو الاعتقاد.
- وكما فعل الحكماء الوثنيون، علّم الغنوصيون "اعرف نفسك" كوسيلة للوصول إلى معرفة الله.

- كما هو الحال في الأسرار الوثنية، قام الغنوصيون بتدريس عقيدة الديمون (التوأم السماوي أو الذات العليا) والإيدولون (الذات الدنيا).

- كما هو الحال في الأسرار الوثنية، علّم الغنوصيون أن الديمون (التوأم السماوي أو الذات العليا) يظهر في البداية على أنه ملاك حارس، ثم يتم اختباره على أنه الذات العليا للمتأهل، وفي النهاية

يتم إدراكه على أنه عقل الله في كل شيء.

- كما هو الحال في الأسرار الوثنية، قام الغنوصيون بتدريس عقيدة التناسخ.

- كما هو الحال في الأسرار الوثنية، لعبت النساء دوراً بارزاً في الغنوصية.

- اتُهم كل من الحكماء الوثنيين والغنوصيين بالتغاضي عن اللاأخلاقية، بينما كانوا في الواقع يبشرون بنفس المذهب الصوفي للأخلاق الطبيعية.

في مواجهة هذه الأدلة الدامغة، بدا لنا أن المسيحيين الغنوصيين كانوا يمارسون بوضوح نسخة معدلة من الأسرار الوثنية القديمة. هل كان هذا هو الدليل الذي كنا نبحث عنه لحل لغزنا؟ هل يمكن أن تكون الغنوصية هي المسيحية الأصلية التي تطورت من الأسرار الوثنية، مع اعتبار قصة يسوع نسخة يهودية من الأسطورة الخالدة لإله الأسرار الذي يموت ويبعث؟ بدا الأمر غير معقول لدرجة يصعب تصديقها، لكننا لم نشعر أنه يمكن استبعاده. لذلك قررنا إلقاء نظرة فاحصة على كيفية نظر الغنوصيين إلى قصة يسوع. هل بنوا إيمانهم على الاعتقاد بوجود رجل تاريخي، مثل المسيحيين الحرفيين، أم أن يسوعهم، مثل أوزوريس-ديونيسوس، كان الشخصية المركزية في رمزية صوفية؟

ترميز يسوع

"أما أنتم فقد أُعطيتم معرفة أسرار ملكوت الله، أما الباقون فقد أُعطيت لهم على شكل رموز فقط". 1
يسوع في إنجيل لوقا

لم يعتبر حكماء الوثنية أساطير أوزوريس-ديونيسوس بمثابة تواريخ لا يجب تغييرها أو تعديلها، بل أساطير رمزية يمكن التوفيق بينها وإعادة صياغتها. وبالمثل، لم يعتبر المسيحيون الغنوصيون أناجيلهم سجلات تاريخية، بل أعمالاً أدبية رمزية تشفر حقائق أبدية يمكن تطويرها وصقلها بشكل إبداعي. في الواقع، كان من المتوقع أن يفسر المتأهلون في الغنوصية الأساطير والتعاليم التي تلقوها بطريقتهم الفريدة لإظهار أنهم قد اختبروا الغنوصية شخصيًا ولم يكونوا مجرد يرددون، كالببغاء، ما قيل لهم من قبل شخص آخر. يشكو ترتليان:

"كل واحد منهم، كما يناسب مزاجه، يعدل التقاليد التي تلقاها، تماماً كما عدّلها من نقلها إليه، عندما صاغها وفقاً لإرادته الخاصة." 2

يشعر إيرينيئوس بالرعب والغضب أيضاً:

إنهم جميعاً يبتكرون شيئاً جديداً كل يوم؛ لأنه لا يُعتبر أحدٌ منهم ناضجاً أو متمرساً إلا إذا ابتكر خيالاً واسعاً! 3

أوضح الغنوصيون أن إبداعهم الروحي نابع من اتصال شخصي مباشر مع "الحي". لقد جادلوا بأنه في نهاية المطاف لا يمكن للمرء أن يحكم على الحقيقة إلا من خلال تجربته الخاصة، وبالتالي يجب أن تكون للتجربة الشخصية الأولوية على جميع الشهادات غير المباشرة والتقاليد.

الرموز الأسطورية

في الأسرار الوثنية، كشفت الأسرار الباطنية السرية عن المعنى الرمزي لأساطير الأسرار الظاهرية. وبالمثل، زعم الغنوصيون أنهم يعلمون أسرارًا باطنية سرية تكشف عن الغنوص، والتي كانت الأسرار الظاهرية للمسيحية مجرد تحضير لها.

عندما استهزأ المسيحيون الحرفيون بفكرة وجود تعاليم مسيحية سرية، أشار الغنوصيون إلى مثال يسوع، الذي كان يتحدث علنًا بالأمثال، ويكشف سرًا معنى هذه الرموز لأقرب تلاميذه.4 في إنجيل مرقس، على سبيل المثال، نقرأ:

وقال لهم: "إن الأشياء مخفية فقط لتظهر، ومكتومة فقط لتُكشف. من كان له أذنان للسمع فليسمع." واستمر في مخاطبتهم بالاستعارات، حسب ما يستطيعون سماعه، ولم يقل لهم شيئاً بدون استعارات، لكنه كان دائماً يعطي المفتاح لطلابه على انفراد. 5

كانت فكرة إمكانية ترميز التعاليم الصوفية في القصص الأسطورية هي جوهر الأسرار الوثنية. يصف فيلو، وهو فيثاغورسي يهودي، الرمزية بأنها "منهج الأسرار اليونانية".6 ويكتب الفيلسوف الوثني ديمتريوس:

"ما هو واضح وجلي يُحتقر بسهولة مثل الرجال العراة. لذلك، تُعبّر الأسرار أيضاً عن نفسها في شكل رمزي." 7

ويشرح ماكروبيوس الأمر نفسه:

إن عرض الذات بشكل صريح وعارٍ أمر منفر للطبيعة. تتمنى أن تُعامل أسرارها كأساطير. وهكذا فإن الأسرار نفسها مخفية في أنفاق التعبير المجازي، بحيث لا تظهر طبيعة هذه الحقائق عارية حتى للمتأهلين، بل لا يعرف السر الحقيقي إلا النخبة، من خلال التفسير الذي تقدمه الحكمة، بينما يكتفي الباقون بتبجيل السر، الذي تحميه تلك التعبيرات المجازية من الابتذال. 8

لقد لاقى هذا النهج الرمزي الوثني تجاه النصوص المقدسة ترحيباً حاراً من المسيحيين الغنوصيين. يعلم إنجيل فيليب الغنوصي نفس العقيدة التي يعلمها ماكروبيوس: "الحقيقة لم تأتِ إلى العالم عارية، بل في صور". لن يحصل المرء على الحقيقة بأي طريقة أخرى9 أما المسيحيون الحرفيون، من ناحية أخرى، فقد اعتبروا الكتاب المقدس حقيقة تاريخية. يُبدي الكاتب الساخر الوثني سيلسوس دهشته من هذه السذاجة، ويهدم التفسير الحرفي لقصة الخلق التوراتية بأسلوبه الساخر المميز:

"الله يطرد الإنسان من الجنة التي خُلقت خصيصاً لاحتوائه. مهما بدا ذلك سخيفاً، فإن الطريقة التي يُفترض أن يكون العالم قد نشأ بها أكثر سخافة. لقد خصصوا أياماً معينة للخلق، قبل وجود الأيام. لأنه عندما لم تكن السماء قد خُلقت، أو الأرض قد ثُبّتت، أو الشمس قد غربت في السماء، فكيف يمكن أن توجد الأيام؟ أليس من السخف الاعتقاد بأن الإله الأعظم قد رتب عمله مثل عامل البناء، قائلاً: "اليوم سأفعل هذا، وغداً سأفعل ذاك"، وهكذا، بحيث فعل هذا في اليوم الثالث، وذاك في اليوم الرابع، وشيء آخر في اليومين الخامس والسادس! لذلك لا نستغرب أن نجد أن هذا الإله، مثله مثل أي عامل عادي، يرهق نفسه ويحتاج بالتالي إلى عطلة بعد ستة أيام. هل من الضروري أن أعلق على أن الإله الذي يتعب، ويعمل بيديه، ويصدر الأوامر كرئيس عمال، لا يتصرف كإله على الإطلاق؟"10

ومثل سيلسوس، اعتبر المسيحيون الغنوصيون هذا التفسير الحرفي سطحياً وساذجاً. أُصيب أوريجانوس بالدهشة من أن يأخذ أي شخص مثل هذه القصص حرفياً، لأنها مجازية بوضوح (لا شك أنه كان سيُصدم لو تحدث إلى العديد من المسيحيين الأصوليين المعاصرين!). يكتب:

"أي رجل عاقل سيوافق على القول بأن الأيام الأول والثاني والثالث، التي سميت فيها الأمسية

والصباح، كانت خالية من الشمس والقمر والنجوم، وأن اليوم الأول كان خالياً من السماء؟" أي إنسان يمكن أن يكون غبياً لدرجة أن يظن أن الله زرع الأشجار في الجنة، في عدن، مثل الفلاح؟ أعتقد أن على كل إنسان أن ينظر إلى هذه الأشياء كصور تخفي تحتها معاني خفية.11

اعتبر أوريجانوس فكرة أن الكتاب المقدس عبارة عن رمزية أسطورية بمثابة "تقليد جميل" يمكن أن يكشف المعنى الخفي المشفر في القصص المتعلقة بيسوع.12 ويكتب:

"لا أعتقد أن أحداً سيشك في أن هذه تعبيرات مجازية تشير إلى ألغاز معينة من خلال مظهر من مظاهر التاريخ وليس من خلال أحداث فعلية."13

يشرح أوريجانوس أنه بالنسبة لأولئك "غير العميان تمامًا"، فإن الأناجيل مليئة بمقاطع من هذا النوع" والتي "تم تسجيلها كأحداث فعلية، ولكنها لم تحدث حرفيًا". ويستشهد كمثال بقصة يسوع الذي أغواه الشيطان. يُصعد يسوع إلى جبل عالٍ حيث يُعرض عليه جميع ممالك العالم، والتي يعرضها عليه الشيطان إذا سجد له. يسخر أوريجانوس من فكرة أن أي شخص يمكنه بالفعل رؤية جميع ممالك العالم من قمة جبل، ويؤكد أن هذا المقصود هو أن يُفهم بشكل مجازي. ويخبرنا قائلاً: "سيكتشف القارئ المتأني آلاف المقاطع الأخرى المشابهة في الأناجيل". 14

اعتبر كليمنت أيضًا المسيحي الحقيقي "الغنوصي" القادر على الغوص في المعنى المجازي للكتاب المقدس من خلال فهم "معاني الكلمات وحلول الألغاز".15 وهو يعلّم أن المتأهل الذي اختبر المعرفة الغنوص يدرك الحقيقة الكاملة، ويخترق أعماق الكتاب المقدس التي لا يتذوق "المؤمن" منها إلا سطحها.16

وانطلاقاً من هذا المبدأ، لم يفسر الغنوصيون قصة يسوع حرفياً على أنها سرد تاريخي، بل على أنها رمزية روحية تشفر تعاليم صوفية عميقة. في نص بعنوان "رحلات بطرس"، يُطلب من يسوع نفسه أن يفك رموز بعض التعاليم الرمزية المخفية في روايات صلبه. ويوضح قائلاً:

"يرمز إلى اللوغوس بذلك الساق المستقيم الذي أعلق عليه. يمثل الجزء العرضي من الصليب تلك الطبيعة البشرية التي عانت من خطأ التغيير في الإنسان الأول، ولكن بمساعدة الله والإنسان، استعادت عقلها الحقيقي مرة أخرى. في المنتصف تماماً، حيث يلتقي الاثنان في واحد، يُرسى مسمار الانضباط والتحول والتوبة." 17

الرياضيات المقدسة

إن التحدي الهائل الذي نواجهه اليوم في محاولة فك رموز كل من أساطير الأسرار الوثنية وقصة يسوع لا يمكن فهمه إلا عند تقدير تعقيد ودقة هذه الرموز. لم يكتفِ الغنوصيون، مثل أسلافهم الفيثاغوريين، باستخدام الرموز والصور فحسب، بل استخدموا أيضًا الأرقام والصيغ الرياضية لترميز تعاليمهم الصوفية. كان الحكماء الوثنيون يعتبرون الرياضيات والهندسة علوماً مقدسة تكشف عن عمل عقل الله. أطلق فيثاغورس على الأرقام اسم "الآلهة الخالدة".18 وكتبت فوق أكاديمية أفلاطون عبارة "لا يدخل هنا من لا يعرف الرياضيات".19

يصف هيبوليتوس، المسيحي الحرفي، الغنوصيين بأنهم «تلاميذ فيثاغورس وأفلاطون»، ويتهمهم باتخاذ «العلم الحسابي» «المبدأ الأساسي لعقيدتهم».20 كان كليمنت مفتونًا برياضيات فيثاغورس، بل وطبّق النسب المُستقاة من القوانين الرياضية التي تقوم عليها التناغمات الموسيقية على تفسير النصوص المقدسة.21 قام الحكيم الغنوصي منعموس بتعليم طلابه الرياضيات المقدسة لأفلاطون وفيثاغورس.22 استخدم الغنوصيون صورة السماء المقسمة إلى سبع أفلاك، مُشكلةً نوعًا من السلم الصوفي المؤلف من ثمانية أبواب يمكن المتأهل الصعود إليها، وهو ما يُطابق التعاليم الموجودة في

الأسرار الوثنية.23

خلص الباحثون إلى أن الأناجيل الغنوصية مثل كتاب صوفيا وكتاب إيو، بدلاً من كونها مجرد مجموعات من الهراء الغامض، تستند في الواقع إلى شكل متطور من الرمزية العددية.24 أحد العناصر المركزية في هذه الرمزية هو علم الأعداد ـ التعبير عن الأرقام والعلاقات الرياضية من خلال الكلمات.

في الأبجدية اليونانية القديمة، كان كل حرف يرمز أيضاً إلى رقم. وبالتالي، فإن أي كلمة لها قيمة عددية ويمكن استخدامها لنقل المعلومات الرياضية. لم تكن أسماء الآلهة اليونانية مجرد كلمات، بل كانت قيمها العددية ذات دلالة أيضاً. على سبيل المثال، في تهجئتها اليونانية الأكثر شيوعًا، يعبر اسم الإله الوثني ميثراس عن "360"، والذي كان يعتبر في بعض الأماكن عدد أيام السنة. أضاف العديد من الكتّاب القدماء حرفًا إضافيًا عمدًا، لجعل القيمة العددية للاسم تساوي 365، وهو الحساب الأكثر دقة للسنة الشمسية.25 وهكذا، كما يشير القديس جيروم، يتجلى ميثراس عدديًا كإله شمسي.

وقد تبنى المسيحيون الغنوصيون أيضاً علم الأعداد. بل إن الأسطورة الغنوصية تصور يسوع الشاب وهو يعلم العلماء في هيكل أورشليم المعنى الصوفي للأبجدية اليونانية! 26 ومثل ميثراس الوثني، فإن اسم أبراكسيس، الإله الشمسي الغنوصي، يعبر أيضًا عن الرقم 365. لكن المثال الأبرز على علم الأعداد المسيحي هو اسم "يسوع" نفسه.

أكد المسيحيون الأوائل أن اسم "إيسوس"، وهو الاسم اليوناني الأصلي الذي نترجمه إلى "يسوع"، كان "اسمًا فوق كل الأسماء".27 وقد تفاخر أوريجانوس بأنه يمتلك فعالية سحرية أكبر من أسماء الآلهة الوثنية.28 ومن المعروف أن عدد "الوحش" وفقًا لرؤيا يوحنا هو 666 .29 لكن ما هو أقل شهرة هو أنه وفقًا لعلم الأعداد، فإن الاسم اليوناني "إيسوس" (يسوع) يعبر عن العدد 888.

I E S O U S

10+8+200+70+400+200 = 888

كان هذا الرقم يُعتبر مقدساً وسحرياً من قبل القدماء لعدد من الأسباب، بما في ذلك حقيقة أنه إذا تم جمع جميع الأرقام المرتبطة بكل حرف من الأحرف الـ 24 في الأبجدية اليونانية، فإنها تصل إلى 888. ومن المؤكد أيضاً أن من المهم الإشارة إلى أنه في التناغم الموسيقي، الذي كان علماً مقدساً لدى الفيثاغوريين، فإن 666 هي نسبة الأوتار للخامسة المثالية و888 هي نسبة الأوتار للنغمة الكاملة.31

إن حقيقة أن اسم يسوع يساوي 888 ليست مصادفة محظوظة. إن الاسم اليوناني "يسوع" هو ترجمة حرفية مصطنعة وقسرية للاسم العبري "يشوع"، وقد صاغه كتّاب الأناجيل عمداً للتأكد من أنه يعبر عن هذا الرقم ذي الدلالة الرمزية.32

حتى أصحاب التفسير الحرفي يدركون الرمزية العددية لاسم يسوع. يقول إيرينيئوس:

"إيسوس اسم رمزي حسابيًا، يتكون من ستة أحرف، كما هو معروف لدى جميع المنتمين إلى المدعوين." 33

كما أن للأسماء الأخرى في قصة يسوع دلالة عند ترجمتها إلى أرقام باستخدام علم الأعداد. أعطى يسوع تلميذه سمعان اسم "كيفاس"، والذي يعني "الصخرة"، وغالبًا ما يُترجم إلى "بطرس". في اللغة اليونانية الأصلية، يعبر اسم كيفاس عن الرقم 729، والذي كان رقماً مهماً للوثنيين.

يشير بلوتارخ، وهو كاهن أبولو في دلفي، إلى أن 729 هو رقم الشمس، وهو عدد الأيام والليالي في السنة. يلاحظ سقراط أن هذا الرقم "يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالحياة البشرية، إذا كانت الحياة البشرية مرتبطة بالأيام والليالي والشهور والسنوات".34

بل إن العلماء وجدوا أن قصة العهد الجديد عن مساعدة يسوع لتلاميذه في صيد 153 سمكة بمعجزة هي لغز رياضي يكشف عن "مخطط هندسي كامن ومتطور".35 وكما سبق ذكره، فإن قصة المعجزة هذه مبنية على معجزة مماثلة قام بها فيثاغورس، المعلم الوثني العظيم للرياضيات المقدسة. تحتوي كلتا القصتين على صيغ رياضية مقدسة يفهمها المتأهلون على أنها تكشف عن تعاليم باطنية.

كما تبين أن قصص العهد الجديد عن إطعام الخمسة آلاف والأربعة آلاف تسفر عن مخططات هندسية غامضة. وقد تم التلميح إلى هذا الأمر بوضوح في أناجيل مرقس، حيث يقود يسوع المتلهف تلاميذه عبر ما يقصده بوضوح بأنه لغز رياضي غامض، والذي للأسف، لا يفهمه تلاميذه:

> قال يسوع: "مع أن لكم عيوناً لا تبصرون، ومع أن لكم آذاناً لا تسمعون!" ألا تتذكروا، عندما كسرت الأرغفة الخمسة لأجل الخمسة آلاف، كم سلة من الفتات قمتم بتنظيفها؟
>
> قالوا له: "اثنا عشر".
>
> "وعندما كسرت الأرغفة السبعة للأربعة آلاف، كم سلة ملأت من الفتات أزلتم؟"
>
> فقالوا: "سبعة".
>
> فقال لهم: "وأنتم ما زلتم لا تفهمون؟!" 36

يبدو أن الكنيسة المسيحية، مثل تلاميذه الحائرين في القصة، قد فشلت على مدى ألفي عام في فهم أن ما اعتبرته أحداثاً حرفية هو في الواقع استعارات صوفية مصممة بعناية. مع تدمير الأسرار الباطنية للغنوصيين، ضاعت مفاتيح فك رموز الرموز، ولم يعد بوسعنا إلا التخمين بشأن الكثير من الاستعارات العميقة التي تعمل في قصة يسوع.

يسوع الديمون (التوأم السماوي أو الذات العليا)

بالنسبة للغنوصيين، كان يسوع، الإله المتجسد، يرمز إلى الديمون (التوأم السماوي أو الذات العليا)، الذات الخالدة. غالباً ما يتم تمثيل الذات المتجسدة، أو ما يُعرف بالـ"الإيدولون"، في الأساطير الغنوصية من خلال "الأخ التوأم" ليسوع، توما. في كتاب توما المناضل، يعلّم يسوع (الديمون) تلميذه وشقيقه التوأم توما (الإيدولون):

> يا أخي توما، ما دام لديك وقت في الدنيا، استمع إليّ، وسأكشف لك الأمور التي كنت تفكر فيها. والآن بما أنه قد قيل أنك توأمي ورفيقي الحقيقي، فافحص نفسك وتعرف على من أنت، وكيف توجد، وكيف ستصبح. بما أنك ستُدعى أخي، فليس من اللائق أن تجهل نفسك. وأنا أعلم أنك قد فهمت، لأنك قد فهمت بالفعل أنني أنا معرفة الحق. فبينما ترافقني، ورغم أنك لا تفهم، فقد عرفت بالفعل، وستُدعى "الذي يعرف نفسه".37

كان من التقاليد الشائعة بين المسيحيين الأوائل أن يسوع كان له أخ توأم يشبهه في كل التفاصيل. وقد تسبب هذا في مشاكل كثيرة لأصحاب التفسير الحرفي، حيث كان الاعتراض الواضح على مزاعمهم بأن يسوع قد قام حرفياً من الموت هو أن شقيقه التوأم قد صُلب مكانه. وقد دفع هذا بعض العلماء إلى استنتاج أن هذه الأسطورة يجب أن تستند إلى حقائق تاريخية، لأنه "أي مسيحي سيكون غبياً بما يكفي ليخترع مثل هذه الأسطورة، بالنظر إلى أنها من المرجح أن تقوض أساس التقاليد الأرثوذكسية المتعلقة بإحياء يسوع؟" 38 الجواب هو أن الغنوصيين اخترعوا تقليد الأخ التوأم ليسوع كرمز لعقيدة الديمون/الإيدولون القديمة.

يُنسب تأليف إنجيل توما إلى ديديموس يهوذا توما. اسم توما الآرامي واسم ديديموس اليوناني كلاهما يعني "التوأم". وبالتالي فإن اسم المؤلف هو "يهوذا التوأم".39 وهذا يشير إلى أنه في قصة يسوع الأصلية، يرمز يهوذا الخائن ليسوع للإيدولون الذي يخون الديمون.

ثمة إشارة أخرى مشفرة إلى عقيدة الديمون/الإيدولون في العهد الجديد، وهي خلال رواية متى لمحاكمة يسوع، عندما عرض بيلاطس البنطي العفو عن أحد يسوعين - إما يسوع المسيح أو يسوع باراباس.40 أحدهما رجل بريء قُتل والآخر قاتل أُطلق سراحه. يرمز هذان الشخصان اللذان يمثلان يسوع إلى الذات العليا والذات الدنيا في كل إنسان.

الوهمية

تُلقي عقيدة الديمون/الإيدولون الوثنية الضوء على تعاليم الغنوصية المحيرة المعروفة باسم "الدوسيتية" أو "الوهمية".41 وقد صوّر معارضو الغنوصية هذا الاعتقاد على أنه اعتقاد غريب مفاده أن يسوع لم يكن له جسد من لحم ودم، بل بدا وكأنه موجود جسديًا فقط، وأنه جعل الأمر يبدو وكأنه يموت على الصليب بطريقة سحرية على الرغم من أنه في الحقيقة لم يكن كذلك. لكن كالعادة، من خلال أخذ الغنوصيين حرفياً، يفوت أصحاب التفسير الحرفي للنصوص المغزى تماماً.

لم يكن المقصود من وجهة نظر الغنوصيين الوهميين بشأن الصلب أن تُؤخذ على أنها سرد تاريخي للأحداث. إنها أسطورة تشفر التعاليم الصوفية الخالدة التي تقول إن الإنسان يتكون من جزأين: جزء أرضي يعاني ويموت (الإيدولون)، وشاهد روحي أبدي (الديمون) لا يمسه المعاناة ويختبر هذا العالم على أنه وهم عابر.

توضح رسالة بطرس إلى فيليب أنه على الرغم من أن يسوع عانى منذ تجسده، إلا أنه عانى كشخص "غريب عن هذه المعاناة".42 وهذا يعلمنا أن الذات العليا المتجسدة (التي يمثلها يسوع) تبدو وكأنها تعاني عندما يعاني الإيدولون، لكنها في الحقيقة هي دائماً الشاهد الذي لم يمسه شيء. يشرح يسوع في سفر أعمال يوحنا ما يلي:

> لقد سمعتم أنني عانيت، لكنني لم أعاني. كنتُ شخصاً لا يعاني، ومع ذلك عانيت. كنتُ واحدة من المثقوبات، ومع ذلك لم أتعرض للإيذاء. كنتُ أنا من بين الذين علقوا، ومع ذلك لم اعلق. تدفق الدم مني، لكنه لم يتدفق. 43

كيف يمكن ليسوع أن يتألم ولا يتألم في الوقت نفسه؟ لأنه، كما يوضح، "أنا أميز بين الرجل وبين نفسي". 44 إنه يتوحد مع ذاته العليا المتعالية، الديمون، وليس مع ذاته الدنيا المتألمة، الإيدولون.

كان الهدف من التأهيل الغنوصي هو تحرير المتأهلين من كل معاناة من خلال إدراك أن هويتهم الحقيقية ليست الإيدولون (الذات الدنيا) المرتبط بصليب المادة، بل هي الديمون (التوأم السماوي أو الذات العليا) التي تشهد الحياة على

أنها وهم عابر.45 وهكذا يعلّم يسوع الغنوصي:

> لو كنت تعرف كيف تعاني، لكنت قادراً على عدم المعاناة. انظر إلى ما وراء المعاناة، وستجد عدم المعاناة. 46

لذا، يبدو أن الإيدولون (الذات الدنيا) ليسوع يعاني وتموت، لكن يسوع الحقيقي - الديمون (التوأم السماوي أو الذات العليا) - لا يعاني ولا يموت.47 قبل خمسمائة عام، صوّر يوريبيدس الملك بنثيوس وهو يقيد ديونيسوس، بينما في الواقع لم يكن كذلك. كما يقول ديونيسوس:

> "هناك سخرت منه. ظن أنه يقيدني؛ لكنه لم يمسك بي ولم يلمسني، إلا في عقله المخدوع." 48

في سفر رؤيا بطرس، يرى بطرس يسوع "مسروراً وضاحكاً" على الصليب بينما تُدق المسامير في يديه وقدميه، ويشرح يسوع:

> "الذي ترونه على الشجرة، فرحاً ضاحكاً، هو يسوع الحي. أما هذا الذي يدقون المسامير في يديه وقدميه فهو الجزء اللحمي منه، وهو البديل الذي يُخزى، والذي وُجد على صورته. لكن انظروا إليّ وإليه." 49

في بعض الأساطير الوثنية، ليس الإله البشري هو الذي يعاني ويموت، بل شخصية بديلة تمثل الإيدولون (الذات الدنيا). في ملحمة باكوس، يُرفع الملك بنثيوس، الذي يعني اسمه "رجل المعاناة"، على شجرة ويُمزق إربًا إربًا مكان ديونيسوس.50 وبالمثل، في بعض الأساطير الغنوصية، يموت سمعان القوريني على الصليب، بينما يشاهد يسوع المشهد ضاحكًا من بعيد.51 في الرسالة الثانية لسيث العظيم، يشرح يسوع ما يلي:

> "وكان هناك شخص آخر، سمعان، الذي حمل الصليب على كتفه. وكان آخر من وضعوا عليه إكليل الشوك. لكنني كنتُ مبتهجاً بفخر وساخراً من جهلهم. 52

يمثل سمعان القيرواني، مثل الملك بنثيوس في النسخة الوثنية من الأسطورة، الإيدولون الذي يعاني ويموت. إن شخصية يسوع الضاحكة، مثل ديونيسوس المنتصر، تمثل الديمون، الروح الشاهدة. يعلّم الحكيم الغنوصي بازيليد أن "يسوع لم يتألم لأنه كان العقل"، لكن سمعان القيرواني تألم بدلاً منه، بينما ضحك يسوع "لأنه لم يكن بالإمكان الإمساك به وكان غير مرئي للهواء".53

لم يعتقد الغنوصيون أن يسوع كان موجوداً ظاهرياً فقط، أو أنه تجنب المعاناة على الصليب بطريقة سحرية، أو، وهو الأمر الأكثر شؤماً، أنه استبدل نفسه بسمعان القيرواني، الذي صُلب بدلاً منه بينما وقف يسوع بأمان على مسافة يضحك. إن مثل هذه المذاهب، كما زعم أصحاب التفسير الحرفي للنصوص، ستكون مثيرة للاشمئزاز ومضحكة. لكن هذا سوء فهم (أو على الأرجح تحريف متعمد!) للتعاليم الغنوصية. في الواقع، فإن "الوهمية" هي ببساطة جزء من فهم قصة الصلب كرمزية للبداية التي تشفر عقيدة الديمون/الإيدولون الوثنية القديمة.

لقد نجا جزء من هذه التعاليم في إنجيل مرقس في العهد الجديد، حيث يُجبر سمعان القيرواني بشكل غامض على حمل صليب يسوع بدلاً منه.54 ويربط اسم سمعان هنا هذه الشخصية رمزياً بالتلميذ المسمى سمعان "بطرس" أو "الصخرة"، والذي يرمز أيضاً إلى الإيدولون في العديد من الأساطير الغنوصية.

ويتردد صدى هذه العقيدة الغنوصية أيضاً في القرآن الكريم الذي، عند تناوله لموضوع موت عيسى المزعوم، يعلن ما يلي:

"وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ" 55

القيامة الروحية

بحسب حكماء الوثنية، يتكون كل منا من إيدولون (الذات الدنيا) فانٍ وديمون (التوأم السماوي أو الذات العليا) خالد. إذا كنا على دراية بهويتنا الشخصية ككائن إيدولون، فإننا نكون أمواتًا لهويتنا الأبدية كديمون.56 كان التأهيل في الأسرار وسيلة لإعادة النفس إلى الحياة. من خلال الخضوع للموت الصوفي للإيدولون (الذات الدنيا)، يمكن للمتأهل أن ينهض مولودًا من جديد كديمون (التوأم السماوي أو الذات العليا).57 وقد علّم الغنوصيون نفس عقيدة الأسرار. يشرح المعلم المجهول للحكيم الغنوصي ريجينوس أن الوجود البشري العادي هو موت روحي، وبالتالي، فنحن جميعًا بحاجة إلى "القيامة من الموت".58 وكما عانى المتأهلون الوثنيون الذين شهدوا موكب الأسرار العظيم في إليوسيس مجازيًا مع ديونيسوس وولدوا من جديد روحيًا، كذلك شارك المتأهلون في الأسرار الغنوصية مجازيًا في معاناة وانتصار الإنسان الإله يسوع. يشرح معلم ريجينوس:

"لقد عانينا معه، وقمنا معه، وصعدنا إلى السماء معه." 59

يمكن للمتأهلين الذين شاركوا في آلام يسوع كرمز لموتهم وقيامتهم الروحية أن يقولوا مع يسوع في إنجيل يوحنا:

"لهذا السبب يحبني أبي، لأنني أضحي بحياتي لأستعيدها مرة أخرى." 60

لقد استند المسيحيون الحرفيون في إيمانهم بالكامل على المعجزة المزعومة المتمثلة في عودة يسوع التاريخي جسديًا من الموت، وأن هذا كان نوعًا من الدليل على أن أولئك الذين آمنوا بأن يسوع هو ابن الله سيُبعثون أيضًا جسديًا في "يوم القيامة".

أما الغنوصيون، على النقيض من ذلك، فقد أطلقوا على أخذ القيامة حرفياً اسم "إيمان الحمقى"! 61 وأصروا على أن القيامة لم تكن حدثًا تاريخيًا حدث مرة واحدة لشخص آخر فقط، ولا وعدًا بأن الجثث ستنهض من الموت بعد نهاية العالم في المستقبل. فهم الغنوصيون القيامة على أنها تجربة صوفية يمكن أن تحدث لأي منا هنا والآن من خلال إدراك هويتنا الحقيقية كديمون (التوأم السماوي أو الذات العليا).62

بالنسبة للمؤمنين بالحرفية، كانت أي تجربة شخصية للقيامة بمثابة أمل بعيد في الخلود الجسدي بعد المجيء الثاني. لكن إنجيل فيليب الغنوصي يسخر من هؤلاء المسيحيين، موضحًا أن "الذين يقولون إنهم سيموتون أولًا ثم يقومون مخطئون" لأنه ينبغي لنا "أن ننال القيامة ونحن أحياء".63

بالنسبة للغنوصيين، كانت القيامة ببساطة "كشفًا لما هو موجود حقًا".64 لذلك، بالنسبة للمتأهلين الذين لديهم "عيون ترى"، فإن هذه القيامة الصوفية "قد حدثت بالفعل".65 لا يمكن أن تكون حدثًا مستقبليًا، لأنها كانت إدراكًا لما هو حقيقي في اللحظة الحالية. لم تتحول الهوية الحقيقية للمتأهل إلى الديمون (التوأم السماوي أو الذات العليا) من خلال عملية التأهيل. لطالما كان هو الديمون (التوأم السماوي أو الذات العليا). لم تكن القيامة في الواقع سوى تغيير في الوعي. يُعلن

مُعلّم ريجينوس:

لديك بالفعل القيامة. اعتبر نفسك قد قمت بالفعل.66 هل أنت

- أنت الحقيقي - أم مجرد فساد؟ لماذا لا تفحص نفسك، وترى أنك قد قمت؟ 67

تُعلّم رسالة القيامة ما يلي:

كل شيء عرضة للتغيير. العالم مجرد وهم! إن القيامة هي الكشف عن ما هو كائن، وتحويل الأشياء، والانتقال إلى حالة جديدة. اهرب من الانقسامات والقيود، وستحصل على القيامة. 68

على الرغم من أن الغنوصيين رأوا القيامة كرمزية، إلا أنهم لم يعتبروها غير حقيقية. على العكس من ذلك، بالنسبة للمتأهلين، كانت التجربة الصوفية للقيامة الروحية أكثر واقعية مما يسمى بواقع الوعي العادي. يشرح معلم ريجينوس:

لا تظن أن القيامة وهم. إنها ليست وهماً، بل هي شيء حقيقي. بل ينبغي للمرء أن يؤكد أن العالم وهم، وليس قيامة. 69

الزواج المقدس

كان الزواج المقدس بين الإله والإلهة رمزًا للوحدة الروحية بين الأضداد، وهو أحد المواضيع الأسطورية المهمة في الطقوس الوثنية.70 في جزيرة كريت، احتفلوا بزواج الإلهة ديميتر والإله إياسيون.71 عند وصوله السنوي إلى أثينا، كان يُستقبل ديونيسوس بلقب "العروس"72، وكان يُحتفل بزواجه من ملكة المدينة، التي كانت تُمثل الإلهة، احتفالًا طقسيًا.73

في طقوس التأهيلات السرية، كان يتم تصوير المتأهل في كثير من الأحيان على أنها عروس أوزوريس-ديونيسوس.

كانت تُجرى طقوس التأهيل في "غرف خاصة بالعرائس" عُثر عليها في معابد وثنية.74 ويُظهر جدارية قديمة مشاهدَ لمن يستعدون للتأهيل وهم يرتدون ملابس العرائس.75 وبعد التأهيل، كانوا يُستقبلون كـ"عرائس".76

كانت العروس تمثل الذات المتجسدة أو الإيدولون، بينما كان أوزوريس-ديونيسوس يمثل الذات غير المتجسدة أو الديمون. لقد وحّد الزواج المقدس طقوسياً هذين الجزأين المتعارضين من الشخص المتأهل. يخبرنا إبيفانيوس بما يلي:

"يقوم البعض بإعداد غرفة للعروس ويؤدون طقوساً صوفية مصحوبة بكلمات معينة تستخدم مع المتأهل، ويزعمون أنها زواج روحي." 77

إن فكرة الزواج المقدس في طقوس الوثنية غائبة عن المسيحية الأرثوذكسية،78 ولكنها كانت مهمة في المسيحية الغنوصية، التي احتفت بالزواج المقدس بين يسوع وصوفيا. في الأساطير الغنوصية، يتم تصوير صوفيا في حالة "سقوط" باعتبارها تمثل الذات المتجسدة. تُصوَّر وهي تائهة في العالم تبحث عن المصدر الذي لا يوصف. بحثاً عن الحب في جميع الأماكن الخاطئة، أصبحت عاهرة. وأخيراً، توسلت إلى الله الآب أن يعينها، فأرسل إليها عريساً هو ابن الله البكر، أخاها يسوع. 79 وعندما وصل العريس، مارسا الحب بشغف ليصبحا واحداً. 80

هذا استعارة لـ الديمون أو الروح التي تأتي لإنقاذ الذات المتجسدة أو النفس. بحسب إنجيل فيليب، فإن الشخص الذي "أعاد توحيد" نفسه مع الروح هو وحده القادر على مقاومة الدوافع الجسدية والعاطفية التي، إذا لم يتم كبحها، قد تدفعه نحو تدمير الذات والشر.81

الزواج المقدس هو رمز للوحدة الصوفية، وهو ما كان هدف الغنوصية. في إنجيل توما، يعلّم يسوع تلاميذه:

"عندما تجعلون الاثنين واحداً، وعندما تجعلون الظاهر مثل الباطن، والأعلى مثل الأسفل، وعندما تجعلون الذكر والأنثى واحداً، بحيث لا يكون الذكر ذكراً ولا الأنثى أنثى، فحينئذٍ تدخلون الملكوت". 82

كانت بعض الجماعات الغنوصية تحتفل بالزواج المقدس كجزء من طقوس التأهيل. يخبرنا إيرينيئوس: "يُجهّزون حجرة العروس ويحتفلون بالأسرار.83 كان أتباع الحكيم الغنوصي ماركوس يؤدون طقوسًا تأهيلية "بصيغ معينة، ويسمونها زواجًا روحيًا".84 ويُقال إن أتباع الشاعر الغنوصي فالنتينوس مارسوا طقوس الزواج الروحي مع الملائكة في حجرة الزفاف.85. علّم النَحَشية أن المتأهلين "يجب أن يخلعوا ثيابهم ويصبحوا جميعًا عرائس حوامل من روح العذراء".86. يشرح إنجيل فيليب أن عملية التأهيل بلغت ذروتها في "حجرة العروس" للاتحاد الصوفي، لأن "قدس الأقداس هي حجرة العروس. تتم مراسم الخلاص في غرفة العروس." 87 في قصة يسوع، تُمثِّل صوفيا الساقطة (النفس) بشخصية مريم المجدلية، التي يُنقذها يسوع (الروح) من البغاء. 88 ووفقًا للحكيم الغنوصي هيراكليون، يظهر هذا الدافع للزواج المقدس أيضًا في قصة يسوع كوليمة عرس قانا حيث يُحوِّل يسوع، كما فعل ديونيسوس من قبله، الماء إلى خمر مُسكر. يخبرنا هيراكليون أن هذه المعجزة ترمز إلى ذلك "الزواج الإلهي" الذي يحوّل ما هو بشري إلى إلهي.89 ويظهر هذا المفهوم أيضًا في مقطع من إنجيل متى، حيث يشرح يسوع أن الوصول إلى ملكوت السماوات سيكون كفتاة ذاهبة للقاء "العريس".90

في إنجيل توما، يعلّم يسوع أنه لتجربة هذا المستوى الأخير من التأهيل في الاتحاد الصوفي، يجب على كل متأهل أن يدخل حجرة العروس بمفرده:

"كثيرون يقفون عند الباب، لكن المنفرد هو من سيدخل غرفة العروس." 91

أن تصبح المسيح

لقد علّم الحكماء الوثنيون أنه في الأسرار الباطنية يكتشف المتأهل أن ما يبدو أنه ديمون فردي هو في الواقع ديمون كوني، الذي تصوروه على أنه قد تمزق إلى أجزاء وتم توزيعه بين جميع الكائنات الواعية. يقول أبكتاتوس: "أنت جزء ممزق من الله. لديك جزء منه في داخلك." 92 يمثل أوزوريس-ديونيسوس هذا الديمون (الروح) الكوني، عقل الله الواعي في جميع الكائنات الحية.

في العديد من الأساطير، يلقى أوزوريس-ديونيسوس حتفه بالتقطيع.93 وغالبًا ما يُفسر هذا على أنه درس الذرة لإنتاج الخبز ودوس العنب لإنتاج النبيذ. لكن المتأهلين ففي الأسرار الباطنية فهموا هذا الرمز على مستوى صوفي أكثر، باعتباره يشفر تعاليم حول تمزيق الديمون الكوني بقوة الشر. في أسطورة أوزوريس، على سبيل المثال، يُقتل الإله ويُقطع إرباً على يد أخيه الشرير ست، ثم تقوم الإلهة إيزيس بجمع جميع أطراف أوزوريس وإعادة تكوينه. تُشفّر هذه الأسطورة تعاليم الأسرار التي تقول إن الله يحتاج إلى "إعادة تذكره"، وأن المسار الروحي هو عملية إعادة توحيد أجزاء الديمون (الروح) الكوني، وإدراك الواحد في الكل.

يصف بلوتارخ موت أوزيريس قائلاً:

"يقوم ست بتشتيت وتدمير اللوغوس المقدس الذي تجمعه الإلهة إيزيس وتضعه معًا وتقدمه لأولئك الذين يخضعون لعملية التأهيل." 94

إن فكرة التقطيع الوثنية هذه غريبة تماماً عن المسيحية كما نعرفها الآن، ولكنها كانت أساسية في الغنوصية. على غرار أسلافهم الوثنيين، اعتقد المسيحيون الغنوصيون أن كل فرد من البشر هو جزء من كيان سماوي واحد تم تقطيعه بواسطة قوى الشر، وسُلبت منه كل ذكرى لأصوله السماوية، وأُجبر على التجسد في أجساد مادية فردية.95 ومثل الإله الوثني أوزوريس-ديونيسوس، يمثل الإله المسيحي يسوع رمزياً الديمون الكوني أو اللوغوس الذي تم تقطيعه. في كتاب بيستيس صوفيا، يعلن يسوع: "لقد مزقت نفسي وجئت إلى العالم". 96 في إنجيل أعمال يوحنا، يعلّم أن "الحشد المحيط بالصليب" يمثل "أعضاءه" التي لم تُجمع بعد. 97 وفي كتاب الكلمة يقول يسوع:

"أنقذ جميع أطرافي، التي تشتتت منذ تأسيس العالم، واجمعها كلها واستقبلها في النور." 98

ترنيمة غنوصية تُغنى في "اليوم العظيم للتأهيل العالي"، يتوسل فيها إلى يسوع:

تعالوا إلينا، فنحن إخوتكم الأعضاء، وأعضائكم. كلنا واحد معكم. نحن واحد، وأنتم واحد. 99

يشرح الحكيم الوثني برقلس أن "أكثر الطقوس سرية" تكشف "الروح فينا" على أنها "صورة حقيقية لديونيسوس".100 إن المتأهل الوثني الذي حقق الغنوص أو معرفة الذات، أدرك هويته كتعبير عن أوزوريس-ديونيسوس، الديمون الكوني. كان يُعرف هذا الشخص في الأسرار باسم "أوزوريس" أو "ديونيسوس".101 وبالمثل، يُعلّم إنجيل فيليب الغنوصي أن الغنوصي الحقيقي "لم يعد مسيحيًا، بل هو المسيح".102

يُعلّم أوريجانوس أيضًا أن تابع ليسوع يمكن أن يصبح "مسيحًا".103 في رؤيا غنوصية غير مُعنونة، ينادي يسوع "أبناءه" الذين يعمل معهم حتى يتشكّل "المسيح" في داخلهم.104 في كتاب "بيستيس صوفيا"، يُعلّم أن من أصبح مسيحًا فقط هو من سيعرف الغنوص الأعلى للكل.105 في مجموعة من الأقوال الغنوصية، يُفسّر قائلًا: "كما ترون أنفسكم في الماء أو المرآة، كذلك ترونني في أنفسكم". 106 في إنجيل فيليب يعلن:

رأيتم الروح، فصرتم روحاً. لقد رأيتم المسيح، وصرتم أنتم المسيح. لقد رأيتم الأب، فستصبحون أنتم الأب. 107

بل إن هذا التعليم موجود في إنجيل لوقا في العهد الجديد، حيث يعد يسوع بأن "الطالب المتأهل سيصبح مثل معلمه".108

كانت العبارة الشائعة في الأسرار الوثنية، والتي اقتبسها أفلاطون كثيراً، هي "سوما سيما"، أي "الجسد قبر". 109 كما أدرك المتأهلون الغنوصيون أن أولئك الذين يتوحدون مع الذات الجسدية المتجسدة هم أموات روحياً ويحتاجون إلى أن يولدوا من جديد في الحياة الأبدية. أدرك المتأهلون الذين اختبروا القيامة الصوفية هويتهم الحقيقية كالمسيح واكتشفوا، مثل النساء في قصة يسوع، أن "القبر فارغ". الجسد ليس هويتهم. إنهم ليسوا الإيدولون الذي يعيش ويموت، بل

هم الشاهد الأبدي الذي لا يولد أبداً ولا يموت.

مستويات التأهيل

وصفت كل من الأنظمة الفلسفية الوثنية والغنوصية أربعة مستويات للهوية الإنسانية: الجسدية والنفسية والروحية والصوفية. أطلق الغنوصيون على هذه المستويات الأربعة من كياننا اسم الجسد، والروح الزائفة، والروح، وقوة النور. يشكل الجسد والروح المزيفة (هوياتنا الجسدية والنفسية) الجانبين من الإيدولون أو الذات الدنيا. يشكل الروح وقوة النور (هوياتنا الروحية والصوفية) الجانبين من الديمون الخالد - الذات العليا الفردية والذات الكونية المشتركة.

أطلق الغنوصيون على أولئك الذين عرّفوا أنفسهم بأجسادهم اسم "الهيليين" (الماديين)، لأنهم كانوا ميتين تماماً بالنسبة للأمور الروحية لدرجة أنهم كانوا مثل المادة اللاواعية، أو الهيلي. أولئك الذين عرّفوا أنفسهم بشخصياتهم أو نفسيتهم كانوا يُعرفون باسم "سيكك". كان يُعرف أولئك الذين ارتبطوا بروحهم باسم "البينيوماتك"، أي "الروحانيين".110 أما أولئك الذين توقفوا تمامًا عن التماهي مع أي مستوى من هويتهم المنفصلة، وأدركوا هويتهم الحقيقية كالمسيح أو الديمون الكوني، فقد اختبروا الغنوص.111 هذا التنوير الصوفي حوّل المتأهل إلى "غنوصي" حقيقي.112

في كل من الوثنية والمسيحية، ارتبطت مستويات الوعي هذه رمزياً بالعناصر الأربعة: التراب والماء والهواء والنار.113 وكانت طقوس التأهيل من مستوى إلى آخر تُرمز إليها بمعموديات العناصر.114 وفي كتاب الكلمة (اللوغوس) العظمى، يُقدم يسوع لتلاميذه "أسرار المعموديات الثلاث" بالماء والهواء والنار.115 وترمز معمودية الماء إلى تحول الشخص الهيلي (المادي)، الذي يُعرّف نفسه بالجسد فقط، إلى متأهل سيكك يُعرّف نفسه بالشخصية أو النفس. يرمز التعميد بالهواء إلى تحول المتأهل السيكك (النفس)إلى متأهل بينيوماتك (روحي) يتوحد مع ذاته العليا. تمثل المعمودية بالنار التأهيل النهائي الذي يكشف للمتأهلين البينيوماتكين (الروحيين) عن هويتهم الحقيقية كديمون كوني، الكلمة (اللوغوس)، المسيح في الداخل، "قوة النور" - "النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتٍ إلى العالم"، كما يقول إنجيل يوحنا.116 لقد أدرك مثل هذا المتأهل الغنوص.

هذه إذن هي مستويات التأهيل في المسيحية الغنوصية.

حرفي، أسطوري، وصوفي

اعتبر أحد المتأهلين الوثنيين للأسرار الظاهرية أسطورة أوزوريس-ديونيسوس التي تم تمثيلها في موكب الأسرار مشهداً رائعاً ومؤثراً عاطفياً. تلقى أحد المتأهلين في الأسرار الباطنية تعليمات حول المعنى الرمزي المشفر في الأسطورة. لقد جسّد أحد أساتذة الأسرار هذه التعاليم في كيانه. وبالمثل، تغيرت علاقة المتأهل الغنوصي بقصة يسوع مع تقدمه نحو الغنوص. يمكن وصف هذه المستويات الثلاثة من الفهم بأنها حرفية، وأسطورية، وصوفية:

- حرفياً: لقد اختبر المسيحيون ذوو قدرات سيكك (نفسية) أول معمودية بالماء وتم إدخالهم في الأسرار الظاهرية للمسيحية. لقد فهموا قصة يسوع على أنها سرد تاريخي لشخص عاد حرفياً من الموت.

- أسطوري: لقد اختبر المسيحيون البينيوماتك (روحيين) المعمودية الثانية بالهواء (النفس المقدس أو الروح القدس) وتم إدخالهم في الأسرار الباطنية السرية للمسيحية. لقد فهموا قصة يسوع على أنها أسطورة رمزية تتضمن تعاليم

حول المسار الروحي الذي يسلكه كل متأهل.

- الصوفية: لقد اختبر الغنوصيون المعمودية النهائية بالنار وأدركوا هويتهم كالمسيح (اللوغوس أو الديمون الكوني). لقد تجاوزوا الحاجة إلى أي تعاليم، بما في ذلك قصة يسوع.

كما كتب أوريجانوس:

"لقد ارتكبت أخطاء كثيرة، لأن الطريقة الصحيحة لفحص النصوص المقدسة لم يكتشفها العدد الأكبر من القراء". 117

الطريقة الصحيحة، بحسب أوريجانوس، هي فهم المستويات الثلاثة التي تعمل عليها النصوص المقدسة. أدنى مستوى هو التفسير الحرفي الواضح. أما المستوى التالي، بالنسبة لمن

تقدم قليلاً، فهو مستوى مجازي يهذب النفس. المستوى الأخير، الذي يكشف عن الغنوص، هو لمن "يكتمل بالقانون الروحي". علّم أوريجانوس أنه من خلال اتباع هذا المسار الثلاثي، يتقدم المسيحي المتأهل من الإيمان إلى الغنوص.118

كان التاريخ الزائف لحياة يسوع جزءًا أساسيًا من الأسرار الظاهرية للمسيحية، والتي صُممت لجذب المتأهلين الجدد المحتملين، لذلك لم ينكر الغنوصيون بالضرورة تاريخية الأناجيل. لكن أي تفسير حرفي لقصة يسوع لم يكن سوى الخطوة الأولى التي تُقدم للمبتدئين الروحيين. تم الكشف عن المعنى الحقيقي لهذه الأسطورة للمتأهلين في الأسرار الباطنية السرية.

يرفض أوريجانوس المسيحية الحرفية التي لا تتجاوز النظر إلى قصة يسوع كحقيقة تاريخية، ويصفها بأنها "إيمان شعبي غير عقلاني" يؤدي إلى "المسيحية الجسدية". كما يقول أحد الباحثين:

> يوضح بشكل جليّ أنه يقصد بـ "المسيحية الجسدية" ذلك الإيمان القائم على تاريخ الإنجيل. وعن التعاليم القائمة على السرد التاريخي، يقول: "ما هي الطريقة الأفضل التي يمكن ابتكارها لمساعدة الجماهير؟" لم يعد الغنوصي أو الحكيم بحاجة إلى المسيح المصلوب. إن الإنجيل "الأبدي" أو "الروحي"، الذي بحوزته، "يُظهر بوضوح كل شيء يتعلق بابن الله نفسه، سواء الأسرار التي أظهرتها كلماته، أو الأشياء التي كانت أفعاله رموزًا لها". 119

علّم الغنوصيون النَحَشية أن المسيحيين الحرفيين الذين لم يفهموا سوى الأسرار الظاهرية كانوا "مسحورين" من قبل يهوه الإله الزائف، الذي يكون لسحره تأثير معاكس لـ"السحر الإلهي" للوغوس.120 وبالمثل، يعلّم بازيليد:

> "أولئك الذين يعترفون بيسوع المصلوب ما زالوا مستعبدين لإله اليهود. من ينكر ذلك فقد تحرر ويعرف خطة الأب الذي لم يولد بعد." 121

وكما يقول أوريجانوس بصراحة مذهلة: "المسيح المصلوب هو تعليم للأطفال". 122

الخلاصة

بالنسبة للغنوصيين، يسوع شخصية يجب فهمها على مستويات عديدة. منذ تدمير الغنوصية، لم نتعلم سوى أدنى مستوى من الفهم، وحُرمنا من الوصول إلى الأسرار الباطنية السرية للغنوصيين التي تكشف عن الطبيعة الرمزية الحقيقية لقصة يسوع. هل دفعنا هذا إلى الخلط بين يسوع وشخصية تاريخية؟ دعونا نفحص بعض الأدلة مرة أخرى:

- كما هو الحال في الأسرار الوثنية، فهم الغنوصيون الذين تم إدخالهم في الأسرار الباطنية الكتاب المقدس على أنه رمز أسطوري، يمكن تعديله وتحسينه، وليس تاريخًا حرفيًا، والذي يجب الحفاظ عليه سليمًا.

- على غرار الفلاسفة الوثنيين، استخدم الغنوصيون علم الأعداد والرمزية العددية لترميز التعاليم الرياضية المقدسة المعقدة. إن اسم إيسوس "Iesous"، الذي نترجمه إلى يسوع "Jesus"، هو ترجمة حرفية اصطناعية للاسم اليهودي يشوع "Joshua" إلى اليونانية للتأكد من أنه يساوي الرقم 888 ذو الدلالة الصوفية. وقد أقرّ أصحاب التفسير الحرفي للنصوص بهذه الحقيقة اللافتة للنظر.

- مثل أوزوريس-ديونيسوس، يرمز يسوع إلى ديمون (التوأم السماوي أو الذات العليا) المتأهل. كما هو الحال في الأساطير الوثنية، يتم أحيانًا تصوير شخصية أخرى تمثل الإيدولون بشكل رمزي وهي تموت موت الإله كبديل.

- وبنفس الطريقة التي فهم بها حكماء الوثنيين أساطير أوزوريس-ديونيسوس على أنها قصص تعليمية رمزية، فهم الغنوصيون قصة يسوع على أنها أسطورة تأهيل صوفية تؤدي إلى القيامة الروحية.

- كما هو الحال في الأسرار الوثنية، مارس الغنوصيون زواجًا مقدسًا طقسيًا بين الديمون والإيدولون كجزء من طقوس انضمامهم.

- مثل أوزوريس-ديونيسوس، يمثل يسوع الغنوصي الديمون الكوني الذي تم تقطيعه ويحتاج إلى إعادة تجميعه.

- أصبح المتأهلون في أسرار الوثنية الذين أدركوا طبيعتهم الحقيقية كديمون كوني "أوزيريس" أو "ديونيسوس". وبالمثل، أصبح المتأهلين الغنوصين "مسيحاً".

- على غرار الأسرار الوثنية، نظرت الغنوصية إلى الإنسان على أنه يمتلك أربعة مستويات من الهوية: الجسدية والنفسية والروحية والصوفية. كما هو الحال في الأسرار الوثنية، كانت هذه مرتبطة بالعناصر الأربعة - التراب والماء والهواء والنار - وكان يتم توجيه المتأهلين عبر هذه المستويات من الهوية من خلال معموديات العناصر.

- لم ينكر الغنوصيون بالضرورة صحة الأناجيل تاريخياً، لكنهم اعتبروا أخذ قصة يسوع حرفياً مجرد المرحلة الأولى في أسرارهم.

هل يمكن أن تكون قصة يسوع قد تم تدريسها كتاريخ للمبتدئين في الإيمان كجزء من الأسرار الظاهرية، ثم تم الكشف عنها في الأسرار الباطنية السرية لتكون أسطورة تأهيلية؟ هل يمكن أن تكون أسطورة يسوع هذه مبنية على الأساطير المنتشرة لأوزوريس-ديونيسوس؟ هل يمكن أن تكون الغنوصية هي المسيحية الأصلية، التي تطورت كنسخة يهودية من الأسرار الوثنية؟ هل يمكن أن تكون المسيحية الحرفية "هرطقة" لاحقة حافظت فقط على الأسرار الظاهرية للمسيحية؟ في البداية بدت هذه الاحتمالات شائنة، ولكن فقط من خلال إعادة التفكير في التاريخ التقليدي للمسيحية بأكمله يمكننا أن نبدأ في فهم الأدلة التي أمامنا.

إن اعتبار قصة يسوع أسطورة تطورت من الأساطير الوثنية يفسر أوجه التشابه الغريبة بينها وبين أساطير أوزوريس-ديونيسوس. إن اعتبار المسيحية نسخة يهودية من الأسرار الوثنية يفسر سبب تشابه التعاليم التي وضعت على لسان يسوع في الأناجيل مع تعاليم الحكماء الوثنيين. إن اعتبار الغنوصية موجودة قبل الحرفية كان في الواقع أكثر منطقية من وجهة النظر التقليدية التي تعتبر الغنوصية انحرافًا لاحقًا.

حتى بالاستناد إلى أدلتهم الخاصة، فإن رواية أصحاب التفسير الحرفي لا معنى لها. يرجع جميع صائدي الهرطقة الحرفيين ما يسمى بـ "هرطقة" الغنوصية إلى حكيم غنوصي يدعى سمعان الساحر، والذي يعتبرونه الهرطقي الأكبر. يخبرنا إيرينيئوس بما يلي:

"إن ما يسمى زوراً بالغنوص قد بدأ، كما يمكن للمرء أن يتعلم من مزاعمهم الخاصة، من أتباع سمعان." 123

ومع ذلك، يُفترض أن سمعان الساحر كان معاصرًا ليسوع، وقد ذُكر في سفر أعمال الرسل.124 وتشير مصادر أكثر موثوقية إلى أن سمعان كان سامريًا تلقى تعليمه في الإسكندرية، حيث تأثر، وفقًا لبعض العلماء، بشكل مباشر بالفيلسوف اليهودي الفيثاغوري فيلو.125 فهل يُعقل أن تكون تعاليم يسوع التاريخية الأصلية قد حُرفت بهذه السرعة على يد معاصره سمعان، كما تقتضي الصورة التقليدية؟ لو كان سمعان يريد أن يبشر بعقيدة مختلفة تماماً عن عقيدة يسوع، فلماذا لم يقم ببساطة بتأسيس طائفته الخاصة التي لا علاقة لها بالمسيحية؟

علاوة على ذلك، يخبرنا صائدو الهرطقة عن حكيم غنوصي يُدعى دوسيثيوس، والذي كان سلف سمعان وعاش حوالي عام 100 قبل الميلاد أو قبل ذلك! 126 إذا كان، بحسب أدلة الحرفيين أنفسهم، أن الغنوصية تسبق الفترة التي يُفترض أن يسوع عاش فيها، فكيف يمكن أن تكون تحريفًا لاحقًا لتعاليمه؟ ليس هذا فحسب، بل إننا نعلم أن اسم "يسوع" قد تم بناؤه عمداً ليعادل في علم الأعداد الرقم الصوفي 888، مما يشير بقوة إلى أنه تم اختراعه من قبل الغنوصيين. في مواجهة كل هذه الأدلة، بدا لنا أنه ليس لدينا خيار سوى عكس الصورة التقليدية تمامًا ورؤية التفسير الحرفي كشكل منحط من "أسرار يسوع" الأصلية للغنوصيين.

بدأت تتبلور صورة جديدة جذرياً لأصول المسيحية، والتي أطلقنا عليها اسم "أطروحة أسرار يسوع". باختصار، الأمر كالتالي. لقد تبنت جميع الشعوب تقريباً حول البحر الأبيض المتوسط في مرحلة ما الأسرار الوثنية وقامت بتكييفها مع ذوقها الوطني. في مرحلة ما خلال القرون القليلة الأولى قبل الميلاد، قامت مجموعة من اليهود بالمثل وأنتجوا نسخة يهودية من الأسرار المقدسة. قام المتأهلون اليهود بتكييف أساطير أوزوريس-ديونيسوس لإنتاج قصة إنسان إله يهودي يموت ويبعث، وهو يسوع المسيح. بمرور الوقت، تم تفسير هذه الأسطورة على أنها حقيقة تاريخية، وكانت المسيحية الحرفية هي النتيجة. بدت هذه الأفكار ثورية، لكن لم يفسر أي شيء آخر الحقائق. لكن قبل تبني نظرية جذرية مثل أطروحة أسرار يسوع، كنا نعلم أن هناك أبحاثًا أكثر أهمية يجب القيام بها.

ألم يكن هناك دليل قاطع على وجود معلم يهودي يُدعى يسوع؟ إذا كان الأمر كذلك، فمن الواضح أن قصة يسوع لا يمكن أن تكون اقتباساً يهودياً لأسطورة أوزوريس-ديونيسوس. لذلك بدأنا البحث عن أدلة على وجود يسوع الإنسان. كان هذا شخصًا يُزعم أنه طرد المرابين من الهيكل في أورشليم، وأطعم آلاف الناس بأعجوبة، وأحيا الموتى؛ وقيل إنه عند موته اهتزت الأرض كلها وانشقت، وقام الموتى من قبورهم، وغطى ظلامٌ عظيمٌ غير طبيعي الأرض.127 إذا كان حقًا أكثر من مجرد أسطورة، فمن المؤكد أن أحدهم في مكان ما كان سيذكره في سجلات ذلك الزمان؟

الرجل المفقود

"لا يوجد شيء أكثر سلبية من نتيجة الدراسة النقدية لحياة يسوع." إن يسوع الناصري الذي ظهر علنًا على أنه المسيح، والذي بشر بأخلاق ملكوت الله، والذي أسس ملكوت السماوات على الأرض، ومات

ليمنح عمله تكريسه النهائي، لم يكن له وجود على الإطلاق. لم تُدمر هذه الصورة من الخارج، بل تهاوت وتصدعت وتفتت بفعل المشاكل التاريخية الملموسة التي ظهرت تباعاً. 1
ألبرت شويتسير

بدأنا رحلتنا للبحث عن يسوع التاريخي مع الرومان. يقال إن الرومان صلبوا يسوع، وكانوا مشهورين بحفظ سجلات دقيقة لجميع أنشطتهم، وخاصة إجراءاتهم القانونية، لذلك شعرنا أنه يمكننا أن نكون متفائلين بأنهم سيذكرون قضية شهيرة مثل قضية يسوع. لكن لسوء الحظ، لا يوجد أي سجل لمحاكمة يسوع من قبل بيلاطس البنطي أو إعدامه.

كانت هذه فترة اتسمت بثقافة قراءة وكتابة عالية للغاية في تاريخ البشرية. فيما يلي قائمة بالكتاب الوثنيين الذين كتبوا في أو خلال قرن من الزمن الذي يُقال إن يسوع عاش فيه:

فلوروس لوسيوس بطليموس أبيان كوينتيليان ديو كريسوستوم جوفينال فافورينوس هيرموجيونيسشيون سميرنا لوكانوس

ليسياس مارسيال داميس فاليريوس مكسيموس

آريانوس بلوتارخ سيليوس إيتاليكوس بترونيوس أبولونيوس أولوس جيليوس

سينيكا باوسانياس ستاتيوس

ديون بروسيوس فاليريوس فلاكوس كولوميلا

بيليني الأكبر

إن أعمال هؤلاء الكتاب كافية لملء مكتبة، لكن لا أحد منهم يشير إلى يسوع. الكتاب الرومان الوحيدون الذين ذكروا أي شيء ذي أهمية هم بليني وسويتونيوس وتاسيتس، الذين كانوا يكتبون في بداية القرن الثاني.2

كتب بليني، حاكم بيثينيا في آسيا الصغرى، رسالة قصيرة إلى الإمبراطور تراجان عام 112 ميلاديًا يطلب فيها توضيحًا حول كيفية التعامل مع المسيحيين المشاغبين.3 ويذكر المؤرخ الروماني سويتونيوس، في قائمة ملاحظات متفرقة حول المسائل التشريعية (بين مناقشة بيع الطعام في الحانات وسلوك سائقي العربات بإيجاز)، أنه في عام 64 ميلاديًا، "تم إنزال العقاب بالمسيحيين، وهم فئة من الرجال الذين انغمسوا في خرافة جديدة وشريرة".4 لكن كل ما تخبرنا به هذه المصادر هو أن عددًا قليلًا من المسيحيين كانوا موجودين في العالم الروماني - وهو أمر لا شك فيه - وأنهم لم يُعتبروا ذوي أهمية خاصة. إنها لا تخبرنا شيئاً عن يسوع نفسه.

يذكر سويتونيوس أيضًا أنه بين عامي 41 و 54 ميلاديًا، طرد الإمبراطور كلوديوس اليهود من روما، "نظرًا لأن اليهود كانوا يثيرون الاضطرابات باستمرار بتحريض من كريستوس".5

على الرغم من أن اسم كريستوس كان اسمًا شائعًا، إلا أنه غالبًا ما يُنظر إليه على أنه تحريف لاسم "المسيح". حتى لو كان هذا صحيحًا، فإن المسيح هو مجرد ترجمة يونانية لكلمة "المسيا"، وكان هناك في ذلك الوقت عدد لا يحصى من الذين يدّعون أنهم المسيا ويحرضون اليهود على التمرد، لذا فإن الافتراض بأن أي إشارة إلى "المسيح" تشير بالضرورة إلى يسوع المسيح المذكور في الأناجيل هو افتراض لا أساس له من الصحة على الإطلاق. على أي حال، لا يُعتقد أن يسوع قد زار روما قط. مرة أخرى، كل ما قيل لنا هو أن كلوديوس كان عليه التعامل مع اليهود المشاغبين، وهو أمر كان يحدث بشكل منتظم في التاريخ الروماني.

يقدم لنا المؤرخ الروماني تاسيتس المزيد من المعلومات. عند حديثه عن حريق روما الكبير عام 64 ميلادي، ذكر أنه لا شيء يمكن أن يقضي على الشائعة القائلة بأن الإمبراطور نيرون نفسه أشعل الحريق، لذلك ألقى نيرون باللوم

على المسيحيين:

> قام نيرون بتلفيق كبش فداء، وعاقب بكل أشكال متناهي، المسيحيين المنحرفين سيئ السمعة (كما كانوا يطلق عليهم شعبياً). أُعدم مؤسسهم، المسيح، في عهد تيبريوس على يد حاكم يهودا، بيلاطس البنطي. لكن على الرغم من هذه النكسة المؤقتة، فقد اندلعت الخرافة المميتة من جديد، ليس فقط في يهودا (حيث بدأت المشكلة) ولكن حتى في روما. تتجمع وتزدهر جميع الممارسات المنحطة والمخزية في العاصمة. 6

لكن الأدلة التي قدمها تاسيتس ليست معاصرة، بل تعود إلى حوالي 50 عامًا بعد الحدث. بصفته حاكمًا لآسيا حوالي عام 12 ميلادي، لا بد أنه كان على دراية بـ "مثيري الشغب" المسيحيين، كما كان صديقه بليني على ما يبدو. إن الشيء الوحيد الذي من شأنه أن يجعل كتابات تاسيتس شهادة مستقلة على وجود يسوع وليس مجرد تكرار للمعتقدات المسيحية هو لو أنه حصل على معلوماته حول صلب المسيح في عهد بيلاطس البنطي من السجلات الكثيرة التي احتفظ بها الرومان عن معاملاتهم القانونية. لكن هذا لا يبدو هو الحال، لأن تاسيتس يصف بيلاطس بأنه "حاكم" يهودا بينما كان في الواقع "ذو رتبة إدارية"، لذلك من الواضح أن تاسيتوس لا يعود إلى سجلات ذلك الوقت بل يقتبس معلومات منقولة من عصره.

على الرغم من هوسهم بالسجلات والتاريخ، فإن هذا يختتم استعراضنا للنصوص الرومانية ذات الصلة. ومع ذلك، يمكن القول إن الأدب الروماني الآخر الذي ربما ذكر يسوع قد فُقد بمرور الوقت. لكن من المؤكد أن الكنيسة الرومانية كانت ستحافظ بعناية على مثل هذه النصوص بمجرد أن سيطرت على السلطة في الإمبراطورية. ليس هذا فحسب، بل من الآمن افتراض أن المسيحيين الأوائل المتعلمين جيدًا، مثل جاستن الشهيد، كانوا سيستشهدون بهذه النصوص لدعم المسيحية الحرفية، لكنهم لم يفعلوا ذلك. لا يوجد سوى تفسيرين معقولين لغياب يسوع الواضح عن النصوص الرومانية. إما أنه لم يكن هناك يسوع تاريخي، أو أن يسوع بدا ذا أهمية ضئيلة للغاية بالنسبة للرومان لدرجة أنهم اعتبروه غير جدير بالذكر. فلننتقل إذن إلى المؤرخين اليهود. بالنسبة لليهود، كان يسوع إما المسيا المنتظر منذ زمن طويل أو دجالاً مجدفاً أثار الجماهير. في كلتا الحالتين، ينبغي على شخص ما في مكان ما أن يشير إليه.

المؤرخون اليهود

كان فيلو مؤلفًا يهوديًا بارزًا عاش في نفس الوقت الذي يُفترض أن يكون يسوع قد عاش فيه، وكتب حوالي 50 عملاً لا تزال موجودة حتى اليوم. إنها تتناول التاريخ والفلسفة والدين، وتخبرنا الكثير عن بيلاطس البنطي، ومع ذلك لا تذكر شيئًا على الإطلاق عن مجيء المسيح يسوع.

كان جوستوس الطبري، وهو معاصر لفيلو، يهوديًا عاش بالقرب من كفرناحوم، حيث قيل غالبًا أن يسوع أقام هناك. كتب تاريخاً بدأ بموسى وامتد إلى عصره، لكنه لم يذكر يسوع أيضا.9

ومع ذلك، لا يزال هناك يوسيفوس، وهو معاصر أصغر سناً للرسول بولس. كتب كتابين تاريخيين شهيرين، هما "الحروب اليهودية" و"آثار اليهود" الضخمة. هذان العملان هما أهم مصادر المعلومات لدينا حول تاريخ الشعب اليهودي خلال القرن الأول الميلادي. وهنا أخيراً، كما قد يتوقع المرء، يبدو أننا وجدنا الدليل الذي نبحث عنه. يكتب يوسيفوس:

> "في ذلك الوقت تقريبًا عاش يسوع، رجل حكيم، إن صحّ أن نسميه رجلاً. لأنه كان من الذين أنجزوا أعمالاً مذهلة وكان معلماً لأولئك الذين يتوقون إلى كل ما هو جديد. لقد كسب تأييد العديد من اليهود والعديد من اليونانيين. لقد كان المسيا. عندما حكم بيلاطس عليه بالصلب بناءً على لائحة اتهام قدمها كبار الرجال بيننا، لم يتوقف أولئك الذين أحبوه منذ البداية عن التعلق به. وفي اليوم الثالث ظهر لهم

وقد عاد إلى الحياة، لأن الأنبياء القديسين قد تنبأوا بهذا الأمر وبمعجزات أخرى لا حصر لها تتعلق به. وجماعة المسيحيين، التي سميت بهذا الاسم نسبة إليه، لم تختفِ حتى يومنا هذا."10

ويخبرنا يوسيفوس أيضًا أنه عندما تم إحضار "صانع المعجزات" أمام بيلاطس، خلص إلى أن يسوع كان "محسنًا، وليس مجرمًا، أو محرضًا، أو ملكًا محتملاً". يذكر يوسيفوس أنه بما أن يسوع قد شفى زوجة بيلاطس من مرضها بأعجوبة، فقد أطلق بيلاطس سراحه. لكن الكهنة اليهود رشوا بيلاطس لاحقًا ليسمحوا لهم بصلب يسوع "متحديًا جميع التقاليد اليهودية".11 أما بالنسبة للقيامة، فيخبرنا أن جثة يسوع لم يكن من الممكن أن يسرقها تلاميذه، وهي حجة شائعة تُطرح ضد مزاعم المسيحيين بأن يسوع قام من بين الأموات بمعجزة، حيث "كان هناك حراس حول قبره، 30 رومانيًا و 1000 يهودي"! 12

على مدى مئات السنين، استغل المؤرخون المسيحيون هذه المقاطع في كتابات يوسيفوس كدليل قاطع على وجود يسوع. إلى أن بدأ الباحثون بدراسة النص بشكل أكثر نقدية. لا يعتقد أي باحث جاد الآن أن هذه المقاطع قد كتبها يوسيفوس بالفعل.13 وقد تم تحديدها بوضوح على أنها إضافات لاحقة بكثير. إنها ليست بنفس أسلوب كتابة يوسيفوس، وإذا تم حذفها من النص، فإن حجة يوسيفوس الأصلية تستمر في تسلسلها الصحيح. في مطلع القرن الثالث الميلادي، كتب أوريجانوس، الذي يعتبره المؤرخون المعاصرون أحد أكثر علماء الكنيسة القديمة إخلاصًا، أن يوسيفوس لم يكن يؤمن بأن يسوع هو المسيح لأنه لم يكن يؤمن بأي شخصية يهودية مسيانية.14

كان يوسيفوس في الواقع يهوديًا مؤيدًا للرومان. كان مكروهًا من قبل مواطنيه باعتباره متعاونًا مع العدو، مما دفعه إلى الفرار من يهودا والعيش في روما حتى وفاته.15 وهناك تلقى رعاية من إمبراطورين وأرستقراطي روماني ثري.16

يذكر يوسيفوس بالفعل العديد من الشخصيات اليهودية التي تدّعي أنها المسيا - والتي لم يبدِ عنها أي مدح أو إطراء. في الوقت الذي كان يكتب فيه، أصبح الاعتقاد الراسخ بين اليهود بأن إلههم سيرسل لهم المسيا لتحرير شعبه من الظلم هاجساً. لكن يوسيفوس كان لديه تفسيره الخاص لما يسميه هذا "الوحي القديم".17 لم ينكر أنه كان نبوءة إلهية، لكنه اعتقد أن بني جنسه اليهود قد أساءوا فهمه تمامًا. وبحسب قوله، فإن حاكم العالم الذي تنبأ به التاريخ قد جاء في شخص الإمبراطور الروماني فسبازيان، الذي تم إعلانه إمبراطوراً أثناء وجوده في يهودا! 18 من غير المعقول على الإطلاق أن يكون يوسيفوس قد انفصل فجأة عن أسلوبه في الكتابة، وعن جميع معتقداته الفلسفية، وعن براغماتيته السياسية المميزة، ليكتب باحترام عن يسوع!

كان المسيحيون الأوائل الذين بحثوا، مثلنا، عن أدلة تاريخية على وجود يسوع، سيتشبثون بأي شيء كتبه يوسيفوس كدليل قاطع. لكن المسيحيين الأوائل لم يذكروا يوسيفوس. لم يظهر هذا المقطع إلا في بداية القرن الرابع الميلادي، عندما قام الأسقف يوسابيوس، داعية الكنيسة الرومانية، فجأةً بإنتاج نسخة من كتابات يوسيفوس تضمنت هذه المقاطع.19 ومنذ ذلك الحين، أصبح كتاب يوسيفوس أساسًا لتاريخية يسوع.

ولعدم قدرتهم على تقديم أي دليل تاريخي على وجود يسوع، قام المسيحيون اللاحقون بتزوير الدليل الذي كانوا في أمس الحاجة إليه لدعم تفسيرهم الحرفي للأناجيل. وهذا، كما سنرى مراراً وتكراراً، كان ممارسة شائعة.

التلمود

على الرغم من عدم وجود دليل على وجود يسوع التاريخي في كتابات المؤرخين اليهود، إلا أن هناك حفنة من المقاطع

في التلمود اليهودي التي يتم الاستشهاد بها أحيانًا لتقديم بعض الأدلة على وجود يسوع الإنسان. من الواضح أن هذه ليست تزويرات مسيحية. هذا ما يقولونه:

- وقد تم تعليمه: عشية عيد الفصح قاموا بتعليق يشو ... لأنه مارس السحر وأغوى بني إسرائيل.
- "علم حاخاماتنا: كان لدى يشو خمسة تلاميذ - متى، ونكيا، ونيتزر، وبوني، وتوداه."
- حدث مع الحاخام إليعازر بن داما، الذي لدغته أفعى، أن يعقوب، وهو رجل من كفر سوما، جاء لمساعدته باسم يشو بن بانترا.
- 'ذات مرة كنت أسير في الشارع العلوي لمدينة صفورية، فوجدت أحد تلاميذ يشو الناصري.' 20

إن كلمة "يشو" هي شكل مختصر من "يهوشوا"؛ أو "جاشوا"، والتي تصبح في اليونانية "يسوع"، لذا ربما تكون هذه المقاطع تتحدث عن يسوع الأناجيل؟ ومع ذلك، وبغض النظر عن حقيقة أننا لم نذكر سوى خمسة تلاميذ بأسماء غير معروفة تمامًا، فهناك أسباب أخرى تجعل هذه المقاطع ليست الدليل الذي نبحث عنه.

إن حقيقة وجود ذكر لـ "يشو الناصري" ليست بالأمر غير المألوف. كان الناصريون طائفة دينية يهودية، واستخدام الكلمة لا يعني "من الناصرة". كان اسم يشو شائعًا للغاية، ويمكن أن يشير إلى عدد كبير من الأشخاص.21 يذكر يوسيفوس ما لا يقل عن 10 أشخاص يحملون اسم يسوع، مع أنه من اللافت للنظر أن بعض ترجمات يوسيفوس لا تترجم إلا المقاطع التي تريد من القارئ أن يربطها بيسوع المسيح باستخدام النسخة اليونانية من الاسم التي نعرفها جميعًا، بينما تترك أسماء جميع الأشخاص الآخرين الذين يحملون اسم يسوع بالعبرية دون ترجمة! 22

وكما يعترف العالم الذي اكتشف هذه المقاطع في التلمود، فحتى لو كانت تشير إلى يسوع وليس إلى شخص آخر اسمه يشو، فلا يمكن اعتبارها دليلاً على وجود يسوع، لأنها كتبت في وقت متأخر جدًا. على الرغم من أن التلمود يستند إلى كتابات أقدم، إلا أنه لم يُكتب حتى عام 200 ميلادي، ولا نعرف ما إذا كانت هذه مقاطع مبكرة. على أي حال، فإن تسلسل الأحداث عند الحاخامات غامض للغاية لدرجة أنهم يختلفون بما يصل إلى 200 عام في التواريخ التي يحددونها للشخصية التي قد تكون أو لا تكون يسوع! 23

لا يبدو أن هناك أي شيء جوهري هنا. أين يمكننا أن نبحث أيضاً؟

والمثير للدهشة أن هذا كل شيء! لقد راجعنا جميع الأدلة التاريخية المحتملة على وجود يسوع. على الرغم من غرابة الأمر، فليس هناك شيء آخر.24 كل ما تبقى لنا هو الشهادات المسيحية. هل يمكن اعتبار هذه وثائق تاريخية؟

الحقيقة الإنجيلية؟

كان هناك في الواقع مئات من الأناجيل المسيحية المختلفة، وليس فقط الأناجيل الأربعة المألوفة في العهد الجديد. ومع ذلك، بما أنه لا أحد يدعي بجدية أن الأناجيل المنحولة والغنوصية ليست سوى أسطورية، فإننا نحتاج فقط إلى الاهتمام هنا بمتى ومرقس ولوقا ويوحنا. يقال تقليدياً أن هذه الكتب عبارة عن روايات شهود عيان عن حياة يسوع كتبها تلاميذه. إن وجود أربعة منها يعزز الادعاء بأنها تسجل الأحداث التاريخية بالفعل. لكن في الواقع، غالباً ما لا تتفق هذه الأناجيل على الإطلاق بشأن ما حدث.

إن التناقض الأكثر إثارة للدهشة يكمن بين الأنساب المعروضة في إنجيل متى وإنجيل لوقا. يبذل المؤلفان جهوداً

كبيرة لإظهار أن يسوع ينحدر من نسل داود، كما يجب أن يكون عليه المسيا الموعود وفقاً للمعتقدات اليهودية. يرى كلا المؤلفين أن يسوع هو ابن يوسف. حتى الآن، هذا واضح. لكن هل يوسف هو والد يعقوب، كما يدعي متى، أم هالي، كما يدعي لوقا؟ من جيل واحد فقط إلى الوراء، تختلف أنساب العائلات التي يقدمها الإنجيلان اختلافاً تاماً عن بعضها البعض. ومنذ ذلك الحين، لم يعد بينهما أي تشابه على الإطلاق! شاهد بنفسك:

إنجيل لوقا 26

يسوع لن يُوسُفَ، بْنِ هَالِي، بْنِ مَتْثَاتَ، بْنِ لاَوِي، بْنِ مَلْكِي، بْنِ يَنَّا، بْنِ يُوسُفَ، بْنِ مَتَّاثِيَا، بْنِ عَامُوصَ، بْنِ نَاحُومَ، بْنِ حَسْلِي، بْنِ نَجَّايِ، بْنِ مَآثَ، بْنِ مَتَّاثِيَا، بْنِ شِمْعِي، بْنِ يُوسُفَ، بْنِ يَهُوذَا، بْنِ يُوحَنَّا، بْنِ رِيسَا، بْنِ زَرُبَّابِلَ، بْنِ شَأَلْتِيئِيلَ، بْنِ نِيرِي، بْنِ مَلْكِي، بْنِ أَدِّي، بْنِ قُصَمَ، بْنِ أَلْمُودَامَ، بْنِ عِيرِ،

إنجيل متى 25

وَيَسَّى وَلَدَ دَاوُدَ الْمَلِكَ. وَدَاوُدُ الْمَلِكُ وَلَدَ سُلَيْمَانَ مِنَ الَّتِي لأُورِيَّا. وَسُلَيْمَانُ وَلَدَ رَحَبْعَامَ. وَرَحَبْعَامُ وَلَدَ أَبِيَّا. وَأَبِيَّا وَلَدَ آسَا. وَآسَا وَلَدَ يَهُوشَافَاطَ. وَيَهُوشَافَاطُ وَلَدَ يُورَامَ. وَيُورَامُ وَلَدَ عُزِّيَّا. وَعُزِّيَّا وَلَدَ يُوثَامَ. وَيُوثَامُ وَلَدَ أَحَازَ. وَأَحَازُ وَلَدَ حِزْقِيَّا. وَحِزْقِيَّا وَلَدَ مَنَسَّى. وَمَنَسَّى وَلَدَ آمُونَ. وَآمُونُ وَلَدَ يُوشِيَّا. وَيُوشِيَّا وَلَدَ يَكُنْيَا وَ يَكُنْيَا وَلَدَ شَأَلْتِيئِيلَ. وَشَأَلْتِيئِيلُ وَلَدَ زَرُبَّابِلَ. وَزَرُبَّابِلُ وَلَدَ أَبِيهُودَ. وَأَبِيهُودُ وَلَدَ أَلِيَاقِيمَ. وَأَلِيَاقِيمُ وَلَدَ عَازُورَ. وَعَازُورُ وَلَدَ صَادُوقَ. وَصَادُوقُ وَلَدَ أَخِيمَ. وَأَخِيمُ وَلَدَ أَلِيُودَ. وَأَلِيُودُ وَلَدَ أَلِيعَازَرَ.

وَأَلِيعَازَرُ وَلَدَ مَتَّانَ وَمَتَّانُ وَلَدَ يَعْقُوبَ...

وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يُوسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِي وُلِدَ مِنْهَا يَسُوعُ

بْنِ يُوسِي، بْنِ أَلِيعَازَرَ، بْنِ يُورِيمَ، بْنِ مَتْثَاتَ، بْنِ
لاَوِي، بْنِ شِمْعُونَ، بْنِ يَهُوذَا، بْنِ يُوسُفَ، بْنِ يُونَانَ،
بْنِ أَلِيَاقِيمَ، بْنِ مَلَيَا، بْنِ مَيْنَانَ، بْنِ مَتَّاثَا، بْنِ نَاثَانَ، بْنِ
دَاوُدَ،

يواصل لوقا سرد نسبه متجاوزاً داود وصولاً إلى الآباء الأوائل وصولاً إلى آدم، وفي النهاية إلى الله نفسه. لكن كل هذا يبدو غير ضروري إلى حد ما، حيث أن كلا كاتبي الإنجيل يبذلان جهودًا كبيرة لتوضيح أن يوسف ليس والد يسوع على الإطلاق! مريم أم يسوع عذراء والله هو الأب مباشرة، وليس عن طريق سلالة الرجال الـ 77 الذين ذكرهم لنا لوقا.

يخبرنا متى بوضوح:

"بفضل الروح القدس حملت بهذا الطفل. حدث كل هذا من أجل تحقيق ما أعلنه الرب على لسان النبي: "ستحبل العذراء وتلد ابناً". 27

أليس هذا تناقضاً كبيراً لدرجة أن مؤلفي إنجيلي متى ولوقا لم يلاحظوه ببساطة؟

أما مرقس، من ناحية أخرى، فلا يذكر بيت لحم، أو ولادة العذراء، أو نسب عائلة يسوع من داود على الإطلاق. لماذا يتجاهل هذه الحقائق بالغة الأهمية؟ هناك شيء مريب يحدث هنا!

الأناجيل مليئة بمثل هذه التناقضات. يقدم لنا لوقا ما يبدو وكأنه تفصيل تاريخي مقنع عندما يخبرنا أن يسوع ولد في وقت إحصاء كيرينيوس. حدث هذا في عام 6 ميلادي. ومع ذلك، يخبرنا متى أن يسوع ولد خلال عهد الملك هيرودس، الذي توفي عام 4 قبل الميلاد.28 حتى أن لوقا يناقض نفسه، حيث يذكر أن يوحنا ويسوع حُبل بهما بأعجوبة بفارق ستة أشهر في عهد هيرودس، ولكنه لا يزال يصور مريم حاملاً في وقت تعداد عام 6 ميلادي، مما يخلق واحدة من المعجزات النادرة في العهد الجديد - حمل دام 10 سنوات!

يضع يوحنا تطهير الهيكل في بداية روايته، ومتى في نهايتها.29 يذكر مرقس أن يسوع كان يعلم فقط في منطقة الجليل، وليس في يهودا، وأنه سافر 70 ميلاً إلى القدس مرة واحدة فقط، في نهاية حياته. لكن لوقا يصور يسوع على أنه كان يعلم بالتساوي في الجليل ويهودا. أما يسوع يوحنا، من ناحية أخرى، فيبشر بشكل رئيسي في أورشليم ولا يقوم إلا بزيارات متقطعة إلى الجليل.30

والمثير للدهشة، بما أن المسيحية الحرفية مبنية على تاريخية موت يسوع وقيامته، فإن حتى الأحداث المحيطة بصلبه لا يتم تسجيلها بشكل موحد في الأناجيل. بحسب متى ومرقس، تمت محاكمة يسوع والحكم عليه من قبل الكهنة اليهود في السنهدرين. يذكر لوقا أن يسوع حوكم من قبل السنهدرين، لكن لم يصدر حكم عليه من قبلهم. لكن بحسب يوحنا، فإن يسوع لم يظهر أمام السنهدرين على الإطلاق.31 ثم ذهب يسوع لموته صلباً. أم أن الأمر، كما يقول بولس، هو أن يتم "تعليقه على المشنقة"؟ 32 أو كما ذكر بطرس في أعمال الرسل، أنه " مُعَلِّقِينَ إِيَّاهُ عَلَى خَشَبَةٍ.؟'33

يوجد نفس الالتباس حول موت يهوذا الإسخريوطي، خائن يسوع. في إنجيل متى، يُذكر أن يهوذا «ذهب وشنق نفسه».34 لكن سفر أعمال الرسل يخبرنا أنه مات إثر سقوط عرضي بعد خيانته ليسوع.35 حتى أن كتّاب الأناجيل، الذين

يُفترض بنا أن نصدق أنهم كانوا من أقرب تلاميذ يسوع، لا يستطيعون تذكر كلمات معلمهم الأخيرة بشكل صحيح! بحسب متى 36 ومرقس 37، يقتبس يسوع المزمور 22 ككلماته الأخيرة، متسائلاً: "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟" لكن لوقا يقتبس من المزمور 31 قول يسوع: "يا أبتاه، في يديك أستودع روحي". 38 أما بالنسبة لأولئك الذين لا يحبون أيًا من هذين، فهناك دائمًا رواية يوحنا، 39 حيث يقول يسوع ببساطة: "أنا عطشان"، ثم يقول: "قد تم". 40

بحسب إنجيل مرقس، عندما ذهب يوسف الرامي إلى بيلاطس ليسأله إن كان بإمكانه أخذ جثمان يسوع لدفنه، صُدم الوالي عندما علم أن يسوع قد مات بهذه السرعة.41 لكن يتساءل المرء عن سبب دهشته، إذ يخبرنا يوحنا أن بيلاطس نفسه كان قد وافق على التعجيل بموت يسوع بكسر ساقيه وطعنه برمح.42 وبحسب إنجيل متى، فقد تنبأ يسوع بما يلي:

"كما كان يونس في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، كذلك سيكون ابن البشرية في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال." 43

للأسف، يبدو أن حساباته كانت غير دقيقة، لأنه وفقًا للأناجيل، مات يسوع يوم الجمعة وقام يوم الأحد التالي، وبالتالي قضى ليلتين فقط "في قلب الأرض".

يخبرنا إنجيل مرقس أنه عندما وجدت بعض تلميذات يسوع قبره فارغًا، لم يرين سوى شاب يرتدي رداءً أبيض بداخله.44 أما لوقا، فيروي أن رجلين يرتديان ثيابًا زاهية ظهرا فجأة بجانبهن.45 ويرسم متى صورة أكثر درامية، إذ يقول:

وفجأة حدث زلزال عنيف، لأن ملاك الرب نزل من السماء، ودحرج الحجر وجلس عليه. كان وجهه كالبرق، ورداؤه أبيض كالثلج. 46

في إنجيل مرقس 47 وإنجيل متى 48، يظهر يسوع القائم من بين الأموات لتلاميذه الآخرين في الجليل، حيث تم إرسالهم تحديدًا بأمر إلهي. ومع ذلك، يبدو أن هذا الحدث الخارق للطبيعة لم يترك أثراً واضحاً على التلاميذ الآخرين، إذ يذكر لوقا ومؤلف سفر أعمال الرسل أن يسوع القائم من بين الأموات ظهر في أورشليم وما حولها.49 بل إن سفر أعمال الرسل يذكر أنهم لم يتلقوا أي أمر إلهي بالذهاب إلى الجليل، بل مُنعوا صراحةً من مغادرة أورشليم.50

حتى يسوع نفسه ليس متسقاً. وفي إنجيل مرقس يشرح ذلك بروح طيبة: "من ليس ضدنا فهو معنا". 51 أما في إنجيل متى فهو أكثر تشدداً، إذ يحذر قائلاً: "من ليس معي فهو ضدي". 52 حتى في إنجيل واحد ونفس الإنجيل، فإن يسوع متناقض بشكل كبير. بحسب إنجيل متى، سأل بطرس سيده قائلاً: "يا رب، كم مرة يخطئ إلي أخي وأغفر له؟" حتى سبع مرات؟ يرد يسوع بتقديم تعاليمه الجميلة عن الغفران الكامل، ناصحاً إياه: "أنا لا أقول لك حتى سبع مرات، بل أقول لك حتى سبع وسبعين مرة!" 53

لكن يبقى سبب حاجة بطرس للسؤال غير واضح، إذ أن يسوع قدّم في فقرة سابقة في نفس الإنجيل نصيحة أقل تسامحاً وأكثر عملية:

إذا أخطأ أخوك في حقك، فاذهب وتحدث معه، أنت وهو فقط. إذا استمع إليك، فقد استعدت أخاك. وإذا لم يستمع، فأحضر معك واحداً أو اثنين، حتى يكون كل ما يقال قائماً على كلمة شاهدين أو ثلاثة. إذا لم

يستمع إليهم، فتحدث في اجتماع. إذا لم يستمع إلى المجلس، فليكن عندكم كالأجنبي وجابي الضرائب.
54

إذن، ما الذي علّمه المعلم؟ هل ينبغي أن نغفر 77 مرة أم ثلاث مرات فقط؟

إذا كانت الأناجيل سجلاً تاريخياً لتعاليم يسوع، فيمكننا على الأقل أن نستنتج أنه "ليس ابن الله". إما ذلك أو أن ابن الله معرض للخطأ كأي إنسان فانٍ. لأنه يتنبأ مراراً وتكراراً بأن نهاية العالم القادمة سيشهدها أولئك الذين ما زالوا على قيد الحياة في ذلك الوقت. نقرأ في إنجيل لوقا:

> أقول لكم الحق، إن هناك بعض الواقفين هنا الذين لن يذوقوا الموت حتى يروا ملكوت الله. وستكون هناك علامات في الشمس والقمر والنجوم، وعلى الأرض حشد قلق من الناس في حيرة من أمرهم بسبب هدير البحر والمد والجزر، وسيموت الناس من الخوف والقلق مما سيحدث للعالم. نعم، ستتزعزع قوى السماء. وحينئذ سيرون ابن الإنسان آتياً على سحابة بقوة ومجد عظيم. عندما تبدأ هذه الأمور في الحدوث، انظروا إلى الأعلى وارفعوا رؤوسكم، لأن خلاصكم يقترب. عندما ترى هذه الأشياء تحدث، ستعرف أن ملكوت الله قريب. أؤكد لكم أن هذا الجيل لن يرحل حتى يتحقق كل شيء.
> 55

وبالمثل، يؤكد يسوع في إنجيل متى:

> "أؤكد لكم أن هناك بعضاً ممن يقفون هنا لن يذوقوا الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكه.56
> أؤكد لكم أن هذا الجيل لن يمر قبل أن يحدث كل هذا."57

ومع ذلك، وبعد مرور ألفي عام، عندما مات جميع تلاميذه ودفنوا، لم يحدث أي من هذه الأشياء ولم يعد يسوع.

لكن اللحظة الأكثر دلالة في الأناجيل هي عندما يقتبس مرقس من العهد القديم في حججه ضد الفريسيين. لا شيء مفاجئ في هذا - باستثناء أن يسوع يقتبس من النسخة اليونانية المترجمة بشكل خاطئ من العهد القديم، والتي تناسب غرضه تمامًا، وليس من العبرية الأصلية، التي تقول شيئًا مختلفًا تمامًا وغير مفيد لحجته. إن قيام يسوع اليهودي باقتباس ترجمة يونانية خاطئة للكتاب المقدس اليهودي لإثارة إعجاب الفريسيين اليهود الأرثوذكس أمر لا يمكن تصوره ببساطة. لكن من المنطقي أن تكون

الحادثة برمتها من نسج خيال أحد مئات الآلاف من اليهود الناطقين باليونانية الذين لم يعودوا يتحدثون لغتهم الأم، ولم يتمكنوا من قراءة كتبهم المقدسة دون ترجمة، وبالتالي نسبوا إلى يسوع سوء فهمهم الخاص.58

الدراسات الأكاديمية في العهد الجديد

هناك أمر واحد لا جدال فيه من كل هذا: الأناجيل ليست، كما يدعي بعض المسيحيين، كلمات الله الإلهية.59 لأنه إذا كانت كذلك، فإن الله في حيرة شديدة. وبما أن الله، بطبيعته، من غير المرجح أن يقع في حيرة، فمن الآمن أن نستنتج أننا نتعامل مع كلمات رجال معرضون للخطأ. إذن، هل يمكن الاعتماد على الأناجيل لإخبارنا بأي شيء عن يسوع

التاريخي؟ ما الذي يمكن أن تسلطه الدراسات الأكاديمية على متى ومرقس ولوقا ويوحنا؟

حسنًا، أولًا وقبل كل شيء، لم تكن الأناجيل معروفة في الأصل بهذه الأسماء. لم تُنسب هذه الأناجيل إلى أي مؤلف معين، حيث كان يُنظر إلى كل إنجيل على أنه "إنجيل" طائفة مسيحية معينة. لم تُعرف أسماء مؤلفيها المزعومين إلا لاحقًا.60 في الواقع، الأناجيل أعمال مجهولة المؤلف، كُتب فيها كل شيء، دون استثناء، بأحرف كبيرة، دون عناوين أو فواصل بين الفصول أو الآيات، ويكاد يخلو من علامات الترقيم أو المسافات بين الكلمات.61 لم تُكتب حتى باللغة الآرامية التي كان يكتب بها اليهود، بل باللغة اليونانية.62

كما أُضيفت إلى الأناجيل وعُدّلت بمرور الوقت. يشكو الناقد الوثني سيلسوس من أن المسيحيين "قاموا بتغيير النص الأصلي للأناجيل ثلاث أو أربع مرات، أو حتى أكثر، بقصد تدمير حجج منتقديهم".63 وقد وجد الباحثون المعاصرون أنه كان محقًا. أظهرت دراسة متأنية لأكثر من 3000 مخطوطة قديمة كيف أجرى النساخ العديد من التغييرات.64 ويقر الفيلسوف المسيحي أوريجانوس، الذي كتب في القرن الثالث، بأن المخطوطات قد تم تحريرها وإضافة إضافات إليها لتناسب احتياجات المناخ اللاهوتي المتغير:

> "من الحقائق الواضحة اليوم وجود تنوع كبير بين المخطوطات، إما بسبب إهمال النساخ، أو بسبب جرأة بعض الأشخاص المنحرفة في تصحيح النص، أو مرة أخرى بسبب وجود أولئك الذين يضيفون أو يحذفون كما يحلو لهم، وينصبون أنفسهم مصححين." 65

ولتوضيح ضخامة المشكلة، يصف أحد العلماء اختيار مكان في الأناجيل بشكل عشوائي تمامًا (في هذه الحالة اختار مرقس 10-11) والتحقق من عدد الاختلافات المسجلة بين المخطوطات المبكرة المختلفة لهذه المقاطع. لقد اكتشف "ما لا يقل عن 48 موضعًا تختلف فيها المخطوطات، وأحيانًا لا يوجد سوى احتمالين، وغالبًا ما يكون هناك ثلاثة احتمالات أو أكثر، وفي حالة واحدة هناك ستة احتمالات!" 66

ويعلم العلماء أيضاً أن أجزاءً كاملة من الأناجيل أضيفت لاحقاً. فعلى سبيل المثال، لم يتضمن إنجيل مرقس في الأصل أي كلمات تتجاوز الفصل 16 الآية 8 - خوف النساء عند اكتشافهن للقبر الفارغ. إن ما يسمى بـ"الخاتمة الطويلة"، التي يظهر فيها يسوع القائم من بين الأموات لتلاميذه، لا توجد في أي من المخطوطات المبكرة، ومع ذلك فهي تظهر الآن في جميع نسخ العهد الجديد تقريبًا.67

على الرغم من كل هذا التحرير والتعديل، فإن الأناجيل لا تزال متناقضة وغير متسقة، كما رأينا. لعدة قرون، منعت الكنيسة الكاثوليكية أي شخص آخر غير الكهنة من قراءة العهد الجديد بأنفسهم، لذلك لم تتح الفرصة إلا لقلة قليلة لاكتشاف مدى ارتباك الأناجيل. تغير كل ذلك مع الإصلاح البروتستانتي.68

وحرصاً منهم على النأي بأنفسهم عن روما، بدأ علماء البروتستانت الألمان بالبحث في الأناجيل عن يسوع الحقيقي. وحتى يومنا هذا، فإن غالبية هؤلاء العلماء كانوا مسيحيين، إذ إن المسار الوظيفي اللاهوتي في الجامعات الألمانية مغلق أمام غير المعمدين.69 ومع ذلك، فبدلاً من أن يمنح العلماء البروتستانت المسيحية أساسًا تاريخيًا متينًا، كما كانوا يأملون، فإن ثلاثة قرون من البحث المكثف قد قوضت شخصية يسوع حرفيًا بشكل كامل.70

استنتجوا من بحثٍ مُفصّل أن إنجيل يوحنا كُتب في وقتٍ متأخرٍ جدًا بحيث لا يُمكن أن يكون روايةً من شاهد عيان.71 في أناجيل متى ومرقس ولوقا، يُعلّم يسوع بأمثالٍ مُوجزة، لكن إنجيل يوحنا يحتوي على خطاباتٍ مُطوّلة، تبدو حرفية، مكتوبةٍ باليونانية بطلاقة، والتي من الواضح أنها لم تكن كلمات ابن نجارٍ يهودي.72 كما يصف يوحنا أحداثًا مُختلفة تمامًا عن تلك التي تصفها الأناجيل الأخرى.

كما كشف عمل عالم اللغة البرليني كارل لاخمان وغيره من العلماء البارزين أنه على الرغم من اختلافاتهم، فإن متى ومرقس ولوقا يشتركون في الكثير من القواسم المشتركة. وتعود هذه التشابهات إلى حقيقة أن إنجيل متى وإنجيل لوقا هما في الواقع إعادة صياغة لإنجيل مرقس، وهو أبسط وأقدم الأناجيل. إذا كان إنجيل يوحنا قد كُتب متأخراً جداً، وكان إنجيل متى وإنجيل لوقا مبنيين على إنجيل مرقس، فإن هذا لا يترك لنا سوى إنجيل مرقس كشهادة عيان محتملة عن حياة يسوع.

يعتقد العلماء أن إنجيل مرقس كُتب في وقت ما بين عام 70 ميلاديًا وأوائل القرن الثاني.74 إذا قبلنا التاريخ الأقدم الممكن، فمن المعقول أن يكون مرقس شاهد عيان. لكن من المفارقات أن مرقس لا يدعي أنه كان يعرف يسوع. اعترض كثيرون في الكنيسة الأولى على اعتبار إنجيله إنجيلاً قانونياً لهذا السبب بالذات.75 ويُزعم أن مرقس كان في أحسن الأحوال نوعاً من السكرتير أو المترجم لبطرس. لكن هذا مستحيل أيضاً، لأن إنجيل مرقس يُظهر ما يسميه أحد الباحثين المعاصرين "جهلاً مؤسفاً بالجغرافيا الفلسطينية":76

> "في الفصل السابع، على سبيل المثال، ورد أن يسوع مر عبر صيدا في طريقه من صور إلى بحر الجليل. ليس فقط أن صيدا تقع في الاتجاه المعاكس، ولكن في الواقع لم يكن هناك طريق من صيدا إلى بحيرة طبريا في القرن الأول الميلادي، بل طريق واحد فقط من صور. وبالمثل، يشير الفصل الخامس إلى الشاطئ الشرقي لبحيرة طبريا باعتباره أرض الجراسيين، ومع ذلك فإن جراسا، التي تُعرف اليوم باسم جرش، تقع على بعد أكثر من ثلاثين ميلاً إلى الجنوب الشرقي، وهي مسافة بعيدة جدًا بالنسبة لقصة تتطلب أحداثها مدينة قريبة ذات منحدر حاد يؤدي إلى البحر. وبغض النظر عن الجغرافيا، فقد صور مرقس يسوع على أنه يقول: "إذا طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر فقد زنت" (مرقس 10: 12)، وهو مبدأ كان سيكون بلا معنى في العالم اليهودي، حيث لم يكن للمرأة حقوق في الطلاق. 77

في أواخر القرن التاسع عشر، جادل ويليام فريدي، أستاذ دراسات العهد الجديد في جامعة بريسلاو، بأن حتى إنجيل مرقس، وهو أقدم الأناجيل وأكثرها بدائية، كان يهتم بالعقيدة اللاهوتية أكثر من الدقة التاريخية.78 وفي عام 1919، نشر عالم ألماني آخر، كارل لودفيج شميدت، دراسة دقيقة عن الطريقة التي تم بها إنشاء إنجيل مرقس. لقد استطاع أن يثبت أن مؤلف إنجيل مرقس قد أنشأ إنجيله من خلال ربط القصص الصغيرة الموجودة معًا. لقد تم بناء قصة يسوع من أجزاء موجودة مسبقًا.79 إن الطريقة التي أضاف بها متى ولوقا إلى مرقس قصة الميلاد والأنساب أظهرت كيف تطورت قصة يسوع بمرور الوقت. لم يعد بإمكان الباحثين افتراض أن هذه الروايات كانت بأي حال من الأحوال روايات واقعية.80 وقد أنهى هذا فعلياً أي أمل في العثور على يسوع تاريخي داخل الأناجيل.

بدأ اللاهوتيون الألمان بشكل متزايد في تحديد تاريخ نشأة إنجيل مرقس ومتى ولوقا إلى القرن الثاني الميلادي.81 قضى رودولف بولتمان (1884-1976)، أستاذ دراسات العهد الجديد في جامعة ماربورغ، حياته في دراسة الأناجيل وكان أحد أعظم المراجع في العهد الجديد. لقد كان رائدًا في أسلوب تحليل الأناجيل المؤثر المسمى "النقد الشكلي".82 وفي النهاية خلص إلى ما يلي:

> "أعتقد بالفعل أنه لا يمكننا الآن معرفة أي شيء تقريبًا عن حياة وشخصية يسوع، لأن المصادر المسيحية المبكرة لا تُظهر أي اهتمام بأي منهما، وهي علاوة على ذلك مجزأة وغالبًا ما تكون أسطورية." 83

أعمال الرسل؟

إذا لم تستطع الأناجيل مساعدتنا في سعينا للعثور على يسوع التاريخي، فماذا عن بقية العهد الجديد؟ والمثير للدهشة أن أعمال الرسل ورسائل بولس ويعقوب وبطرس ويوحنا ويهوذا ورؤيا يوحنا بالكاد تذكر يسوع التاريخي. لكنها تتحدث عن الرسل. إذا استطعنا إثبات وجودهم، فربما نستطيع، ضمناً، إثبات وجود يسوع.

لا تخبرنا الأناجيل إلا القليل عن معظم الرسل الاثني عشر باستثناء أسمائهم. لكن حتى هنا، توجد اختلافات خطيرة. في أناجيل مرقس ومتى ولوقا، يعتبر التلاميذ بطرس ويعقوب ويوحنا أقرب أتباع يسوع. في أناجيل يوحنا، يلعب بطرس دورًا ثانويًا، ولا يُذكر يعقوب ويوحنا أصلًا.84 في المقابل، يُقدّم لنا إنجيل يوحنا الرسولين نثنائيل ونيقوديموس، اللذين لا يظهران في الأناجيل الثلاثة الأخرى.85 علاوة على ذلك، فإنّ قائمة أسماء التلاميذ مُقحمة بشكلٍ غير مُتقن في نصّي مرقس ومتى، ما دفع الباحثين إلى استنتاج أنّ عدد التلاميذ كان هو الأهم في الأصل، وأنّ الأسماء أُضيفت لاحقًا.86 إنجيل يوحنا لا يُدرج الأسماء أصلًا. في الفصل السادس، يُذكر أن التلاميذ كانوا "كثيرين"، وبعد بضعة آيات، يخاطب يسوع فجأة وبشكل غير مفهوم "الاثني عشر". 87

الرأي التقليدي لتاريخ الكنيسة هو أن الرسل الاثني عشر لعبوا دورًا حاسمًا في تأسيس الكنيسة بعد القيامة. وقد سُجلت أعمالهم في سفر أعمال الرسل. ومع ذلك، على الرغم من أن مؤلف سفر أعمال الرسل يولي أهمية قصوى للاثنا عشر، إلا أنه لا يخبرنا بشيء عن تسعة منهم باستثناء أسمائهم. 88 ومن بين الاثني عشر، يهتم سفر أعمال الرسل ببطرس فقط. لكن حتى بطرس لم يُذكر بعد الفصل الخامس عشر، ولم نسمع إلا عن بولس، الذي لم يكن من بين الاثني عشر، ولم يكن من المفترض أن يكون قد التقى بيسوع قط.89

لا تبعث أعمال الرسل على الثقة كسجل موثوق للأحداث. وكما يعترف أحد المترجمين المسيحيين للعهد الجديد، فهو أشبه بكتاب ورقي رخيص الثمن.90 إنه مليء بقصص المغامرات الخيالية الصغيرة. فعلى سبيل المثال، يُروى لنا قصة مسيحي يُدعى أناسياس قام ببيع عقار ولم يقدم سوى جزء من العائدات للرسل، واحتفظ بالباقي لنفسه. عندما يواجهه بطرس بالحقيقة، يسقط ميتاً على الفور! لا يبدو أن بطرس منزعج بشكل خاص من هذا الأمر، وبعد ثلاث ساعات يقوم بنفس الحيلة تماماً على زوجة الرجل المسكين! عندما سألها: "هل تسمعين أقدام الذين دفنوا زوجك قادمين ليحملوكِ أنتِ أيضاً؟"، "سقطت فجأة عند قدميه وفارقت الحياة". ليس من المستغرب أن "يسود خوف عظيم على جميع الحاضرين وعلى كل من سمع بهذه الأمور".91

قد يكون بطرس قادراً على التسبب في موت المضاربين العقاريين غير الشرفاء على الفور، لكن هذا لا شيء. بحسب سفر أعمال الرسل، يستطيع فيليب أن "ينقل" نفسه من مكان إلى آخر! يظهر فجأة ليعمد خصيًا في مكان ما، ثم يُختطف ليظهر على الفور في أزوتوم البعيدة. 92 كما أن أعمال الرسل تبالغ بشكل كبير. يُفترض أن بولس قد بشر لمدة عامين "حتى سمع جميع سكان آسيا الكلمة، اليهود واليونانيين على حد سواء".93 بالتأكيد إنجاز مستحيل، حتى بالنسبة للقديس! ثم هناك الحالة الغريبة لـ "بطرس ومفرش المائدة العملاق":

> صعد بطرس إلى السطح للصلاة حوالي الساعة الثانية عشرة ظهراً. وشعر بالجوع وأراد أن يتذوق بعض الطعام. وبينما كانوا يعدون شيئاً ما، انتابه شعور بالنشوة: فرأى السماء تنشق وينزل منها ما يشبه مائدة طعام، مثل مفرش طاولة عملاق يُغطى به أركان الأرض الأربعة، ويحتوي على جميع ذوات الأربع والثعابين البرية وطيور السماء. ثم جاءه صوت يقول: قم يا بطرس، اذبح وكل. 94

يبدو من الآمن افتراض أننا لا نتعامل هنا مع روايات واقعية. علاوة على ذلك، من الواضح أن سفر أعمال الرسل لم يكتبه مؤلف واحد، كما يُزعم. في الفصل السادس عشر، ينتقل السرد فجأة من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم، وهو أمر يستمر بشكل متقطع طوال الكتاب.95 لذا، مثل الأناجيل، فإن أعمال الرسل هي عبارة عن "قص ولصق".

وهذا يفسر سبب عدم اتساقها الداخلي. فعلى سبيل المثال، في الفصل التاسع نقرأ أنه عندما تلقى بولس رؤيا النور وسمع صوتًا إلهيًا على طريق دمشق، سمع رفاقه الصوت لكنهم لم يروا أحدًا.96 ومع ذلك، في الفصل الحادي

والعشرين، يُطلب من بولس أن يروي التجربة نفسها: "رأى رفاقي النور، لكنهم لم يسمعوا الصوت الذي كلمني". 97

كما أن سفر أعمال الرسل يتعارض مع شهادة بولس في رسالته إلى أهل غلاطية. بحسب سفر أعمال الرسل، بعد رؤيته الروحية على طريق دمشق، أُمر بولس بالبحث عن تلميذ يُدعى حنانيا في دمشق، ليُخبره بما يجب عليه فعله.98 ثم ذهب إلى أورشليم، حيث عرّفه برنابا على الرسل.99 وفي هيكل أورشليم، رأى رؤيا ثانية ليسوع، وتلقى دعوته للتبشير بين الأمم.100 إلا أن هذا يختلف تمامًا عن رواية بولس نفسه، إذ لم يذكر حنانيا، وادعى أنه ذهب إلى الجزيرة العربية ولم يكن له أي صلة بالمسيحيين في أورشليم لمدة ثلاث سنوات بعد اهتدائه.101 ويؤكد قائلًا: «ما أكتبه حقٌّ واضح، أمام الله لا أكذب». إذن من يكذب؟

ومثل إنجيل مرقس، فإن سفر أعمال الرسل يقتبس أيضاً بشكل خاطئ من العهد القديم العبري، حيث يصور بطرس وهو يثبت وجهة نظره ليهود أورشليم باستخدام مقطع مترجم بشكل سيئ من النسخة اليونانية للعهد القديم، والذي يعني في العبرية الأصلية شيئاً مختلفاً تماماً. يُصوّر سفر أعمال الرسل أيضًا يعقوب وهو يناشد يهود أورشليم باقتباس مقطع من العهد القديم اليوناني يُحرّف النص العبري الأصلي.102 لا بد أن يهود أورشليم قد تأثروا بذلك كثيرًا! انطلاقاً من هذه الأدلة وحدها، خلص الباحثون إلى أنه لا يمكن اعتبار سفر أعمال الرسل سجلاً تاريخياً لكنيسة أورشليم.103

ويؤكد ذلك أيضاً الدليل المتعلق بفترة كتابة سفر أعمال الرسل. كان يعتبرها إيرينيئوس وترتليان، اللذان عاشا في نهاية القرن الثاني، نصاً مقدساً. لكن جاستن الشهيد، الذي عاش قبل جيل، لم يُبدِ أي معرفة بذلك.104 لم يُقتبس منه قبل عام 177 ميلادي، لذا فهو بالتأكيد ليس سردًا معاصرًا، كما يدّعي، وربما كُتب في مكان ما بين عامي 150 و177 ميلادي.105

كانت هناك بالفعل العديد من النصوص المقدسة المختلفة التي تروي أعمال التلاميذ والمتداولة بين المسيحيين الأوائل، لكن لا أحد يعتبر روايات الرسل القانونية (120-22) وثائق تاريخية.106 فلماذا نتعامل مع أعمال الرسل القانونية بقدر أقل من الشك، لمجرد أن سلطات الكنيسة الرومانية قررت إدراجها في العهد الجديد؟ تم حظر الكتب المقدسة التي تتناول المآثر الأسطورية ليوحنا وبطرس وبولس وأندراوس وتوما وإحراقها في القرن الخامس بأمر من البابا ليو الكبير باعتبارها أكاذيب هرطقية خطيرة.107 وقد نجا سفر أعمال الرسل القانوني من هذا المصير ببساطة لأنه، على عكس هذه الأناجيل الأخرى، أيد "الخط الرسمي" للكنيسة الرومانية.

أقدم الأدلة

هذا كل ما يتعلق بأعمال الرسل. ماذا عن رسائل العهد الجديد المنسوبة إلى الرسل بطرس ويعقوب ويوحنا؟ هل يمكن أن تفيدنا هذه الأمور بأي شكل من الأشكال؟ لسوء الحظ، أظهر الباحثون المعاصرون أن هذه الرسائل مزورة، وقد كُتبت في وقت لاحق بكثير لمكافحة الأفكار الهرطقية داخل الكنيسة الأولى.

إنها ليست حتى نسخاً مزورة بشكل جيد جداً. وكما كتب أحد المترجمين عن رسالة بطرس الثانية: "إنها تشير إلى الرسل على أنهم "أجدادنا" كما لو كانوا أمواتًا ودفنوا". 108 لذلك من الواضح أنها ليست من تأليف بطرس، ولكنها تستخدم اسمه حتى يُنظر إلى الرسول على أنه يؤيد رسالتها المناهضة للهرطقة. 109 وقد اعتُبرت هذه الرسائل على نطاق واسع مزيفة، واستغرق الأمر وقتًا طويلاً لتصبح جزءًا راسخًا من قانون العهد الجديد. 110

وماذا عن رسائل بولس؟ وأخيراً لدينا شخص متفق عليه عالمياً بأنه كان شخصية تاريخية. مع ذلك، يعتقد الباحثون أن رسائله اللاحقة، المعروفة باسم "الرسائل الرعوية"، مزورة وتتناقض مع رسائله السابقة.111 ومثل الرسائل المنسوبة إلى التلاميذ الآخرين، كُتبت هذه الرسائل في القرن الثاني الميلادي لمواجهة الانقسامات الداخلية في الكنيسة.112 لكن بعض الرسائل السابقة، رغم ما طرأت عليها من تحرير وإضافات وتعديلات، يُعتقد على نطاق واسع أنها كُتبت بقلم بولس. كتب بولس رسائله قبل عام 70 ميلادي. لذا، فهي في الواقع أقدم من جميع الأناجيل. إنها أقدم الوثائق المسيحية

الموجودة، وبعضها أصلي في الأساس. وأخيراً لدينا شيء ملموس!

لكن من المثير للدهشة حقاً أن بولس لم يذكر شيئاً على الإطلاق عن يسوع التاريخي! إنه لا يهتم إلا بالمسيح المصلوب والقائم من بين الأموات، الذي تكمن أهميته في الجانب الصوفي تماماً. يوضح بولس أنه لم يلتقِ قط بيسوع التاريخي. ويكتب:

> "لم أتلقَّ الإنجيل من إنسان، ولم يُعلَّم لي، بل جاءني من خلال وحي يسوع المسيح." 113

لم يذكر بولس أورشليم أو بيلاطس. في الواقع، كما سنستكشف بمزيد من التفصيل لاحقًا، يصرح بأن يسوع قد صُلب بتحريض من "الأركون" أو "حكام العصر"114 - وهي قوى شيطانية يتحدث عنها الغنوصيون! في الواقع، لا يربط بولس يسوع بأي زمان أو مكان تاريخي، بما في ذلك الماضي القريب.115 إن مسيح بولس، مثل أوزوريس-ديونيسوس الوثني، هو شخصية أسطورية خالدة.

لم يذكر بولس شيئًا عن الناصرة، ولم يصف يسوع بالناصري قط.116 مع أنه يصوّر المسيحية كطائفة معمدانية، إلا أنه لم يذكر يوحنا المعمدان.117 لم يخبرنا شيئًا عن أكل يسوع وشربه مع جباة الضرائب والخطاة، ولا عن موعظته على الجبل، ولا عن أمثاله، ولا عن جداله مع الفريسيين، ولا عن خلافاته مع السلطات الرومانية.118 حتى أن بولس لم يكن يعرف الصلاة الربانية التي، بحسب الأناجيل، أعطاها يسوع لتلاميذه قائلًا: «صلّوا هكذا»، لأن بولس كتب: «لسنا نعرف كيف ينبغي أن نصلي». 119

إذا كان بولس يتبع بالفعل مسيا متوفى حديثًا، فمن المدهش أنه لم يشعر بضرورة الذهاب لرؤية الرسل الذين عرفوا يسوع شخصيًا قبل أن يبدأ مهمته التعليمية الخاصة. لكنه يقول إنه لا يستمد سلطته من أي شخص. ويبدو من المعقول أيضاً افتراض أنه إذا كان يسوع شخصية حرفية وليس مسيحًا أسطوريًا، لكان بولس قد اقتبس من تعاليم معلمه ومثال حياته بشكل منتظم. في الواقع، لم يذكر حياة يسوع قط، واقتبس من يسوع مرة واحدة فقط - وعندما فعل ذلك، كانت الصيغة العالمية لسرّ القربان المقدس:

> "هذا هو جسدي الذي يُكسر من أجلكم: افعلوا هذا لذكري". هذا الكأس هو العهد الجديد بدمي: افعلوا هذا كلما شربتموه، تذكاراً لي. 120

عندما يقتبس بولس هذا المقطع، فإنه يخبرنا أن يسوع قاله "في الليلة التي تم فيها تسليمه" أو في بعض الترجمات "في ليلة اعتقاله". إلا أن هاتين الترجمتين تزينان النص اليوناني الأصلي لإضفاء فكرة تاريخية. يذكر النص اليوناني في الواقع أن يسوع نطق بهذه الكلمات في الليلة التي "سُلِّم" فيها،121 وهي عبارة تُذكِّر بتلك المستخدمة لوصف مصير فارماكوس (الرجل السحري) اليوناني الذي كان يقدم القرابين، والذي يلقى حتفه أيضاً ليكفر عن "خطايا العالم".

يقدم بولس تعاليمه الأخلاقية من منطلق سلطته الخاصة، دون ذكر يسوع. عندما يرغب في دعمها، فإنه يستند إلى العهد القديم، حتى عندما كان الاستشهاد بيسوع سيخدمه بنفس القدر، أو حتى بشكل أفضل. وهو يعلّم أن موت المسيح يضع حداً للشريعة اليهودية، لكنه لا يستند إلى ادعاء يسوع بأنه جاء ليفعل ذلك بالضبط. لم يدعم دعوته إلى العزوبية بثناء يسوع على الذين ينبذون الزواج من أجل ملكوت السماوات.122 وعندما جادل بأن جسد الإنسان سيتحول من لحم ودم

عند القيامة، لم يستشهد بتعاليم يسوع التي تقول: «عندما يقومون من الأموات، لا يتزوجون ولا يُزوَّجون، بل يكونون كالملائكة في السماء»123 ولو كان يعلم كلمات المعلم، فهل يُعقل أن نصدق أنه ما كان ليُغفلها تمامًا؟

على الرغم من أن بولس لا يذكر يسوع التاريخي، إلا أنه يذكر يوحنا ويعقوب، واللذين يُفترض غالبًا أنهما اثنان من التلاميذ المذكورين في الأناجيل. لا يخبرنا بولس شيئًا عن يوحنا، لكنه يسمي يعقوب "أخو الرب"، وهو ما يتم استغلاله أحيانًا لإثبات أن بولس اعترف بوجود المسيح التاريخي، لأنه التقى بأخيه. إلا أن من الممارسات المسيحية الشائعة أن ينادي كل فرد الآخر بـ"أخي". في كل من إنجيل متى 124 وإنجيل يوحنا 125، يدعو يسوع أتباعه «إخوته» دون أن يشير إلى أنهم من عائلته بالدم، وفي إنجيل غنوصي يُسمى رؤيا يعقوب نقرأ تحديدًا أن يعقوب «قيل إنه أخو الرب بالمعنى الروحي البحت فقط». 126

يذكر بولس أيضاً شخصاً يُدعى "كيفاس". يُعتقد تقليدياً أن هذا هو الرسول بطرس. كان اسم بطرس في الأصل سمعان، ولكن في ظروف مختلفة في كل إنجيل، أطلق عليه يسوع اسم "الصخرة". هذا هو اسم "كيفاس" باللغة الآرامية و"بطرس" باللغة اليونانية. هل كيفاس هو نفس الشخص الذي هو بطرس؟ يذكر بولس أيضًا اسم "بطرس" مرة واحدة في رسائله، لكنه لا يعتبر كيفاس وبطرس شخصًا واحدًا. تبدأ إحدى النصوص المسيحية المبكرة المسماة رسالة الرسل بقائمة تضم 11 رسولاً، ثالثهم يسمى بطرس وآخرهم يسمى كيفاس، لذلك كان هناك بالتأكيد تقليد مسيحي مفاده أن كيفاس وبطرس لم يكونا متطابقين. إن الميل الحديث إلى افتراض أنهما بالضرورة نفس الشخص هو أمر خاطئ.127

حتى لو اعتبرنا أن كيفاس اسم آخر لبطرس، فهل هذا هو بطرس الذي يُفترض أنه عرف يسوع؟ من السهل افتراض ذلك، لأننا جميعًا على دراية كبيرة بقصص الإنجيل.

ومع ذلك، لا يوجد في رسائل بولس ما يشير إلى أن كيفاس الذي قابله في القدس وأنطاكية هو بطرس الأناجيل الذي عرف يسوع شخصيًا. بل على العكس تماماً. إن علاقة بولس بكيفاس المذكور في رسائله لا تشير بالتأكيد إلى أن كيفاس كان الرجل الأيمن لمسيا تاريخي. بولس يكنّ عداءً شديداً لكيفاس ويعارضه بألفاظ قاسية:

"عندما جاء كيفاس إلى أنطاكية، واجهته وجهاً لوجه، لأنه كان يتصرف بشكل لا يغتفر." 128

ينتقد بولس بطرس لالتزامه بالشريعة اليهودية ورفضه تناول الطعام مع المسيحيين من غير اليهود.129 ومع ذلك، لا يذكر بولس حقيقة أنه إذا كان كيفاس هو بطرس المذكور في الأناجيل، فلا بد أنه كان يعلم أن يسوع كان يأكل ويشرب مع الخطاة والبغايا، وكان يدافع عن نفسه ضد الانتقادات الموجهة إليه بانتهاكه الشريعة اليهودية.130 يصف بولس كيفاس بالمنافق.131 ولكن، إذا كان بطرس هو بطرس المذكور في الأناجيل، فلماذا لا يذكر بولس له أنه نام في بستان جثسيماني، وأنكر الرب ثلاث مرات باللعنات،132 بل وشُبّه بالشيطان من قِبل يسوع نفسه؟ 133

لا يوجد سوى مقطع قصير واحد في رسائل بولس يمكن أن يبرر الاعتقاد بأن كيفاس المذكور في رسائله هو بطرس المذكور في الأناجيل. يقول بولس في معرض حديثه عن يسوع القائم من بين الأموات:

"ظهر لكيفاس ثم للاثني عشر". ثم ظهر لمئات المؤمنين دفعة واحدة. 134

هذا أمر غريب، لأنه وفقًا للأناجيل، كان يهوذا الإسخريوطي قد مات في ذلك الوقت، لذلك لم يكن بإمكان يسوع أن يظهر إلا للأحد عشر. ولا يذكر أي من الأناجيل ظهور يسوع لـ "مئات" الناس. مرة أخرى، علينا أن نعترف بأننا في حيرة من أمرنا ولا نعرف ما نصدقه.

قد يكون هذا المقطع إضافة لاحقة لرسالة بولس. لكن حتى لو لم يكن الأمر كذلك، فإن كل ما يخبرنا به حقًا هو أن كيفاس، إلى جانب مئات آخرين، مر بتجربة روحية لرؤية المسيح القائم من بين الأموات، تمامًا كما فعل بولس نفسه.

هل يصف بولس حدثاً تاريخياً أم طقوساً صوفية؟ كان بإمكان آلاف المتأهلين في أسرار إليوسيس الوثنية أن يقدموا نفس الادعاء الأساسي بتجربة الإله المبعث دون أن يستنتجوا أن أياً منهم قد التقى بأوزوريس-ديونيسوس التاريخي. قد يبدو هذا تفسيراً جذرياً، ولكنه يفسر مقطعاً في رسالة بولس إلى أهل غلاطية كان غير مفهوم بطريقة أخرى. ينتقد بولس "أهل غلاطية الأغبياء"، "الذين عُرض أمام أعينهم يسوع المسيح على الصليب علنًا!" للنظر إلى فهم "مادي" بدلاً من فهم "روحي" للخلاص.135 هل نصدق حقاً أن هذه الجماعة المسيحية في آسيا الصغرى قد شهدت الصلب في القدس وأن بولس، الذي لم يدع قط أنه عرف يسوع، شعر بأنه محق في وصف هؤلاء الشهود بـ"الأغبياء"؟ لكن تعليق بولس سيكون منطقياً لو أن مسيحيي غلاطية قد شهدوا بالأحرى تمثيلاً درامياً لآلام المسيح. ويؤكد بولس أن هذا هو ما سيجعلهم "كاملين" - أو لنستخدم الترجمة الأكثر دقة، "مؤهلين"!

إذن، ما الذي يمكننا قوله فعلاً عن كيفاس بولس؟ إلا أنه زعيم للمسيحيين اليهود في أورشليم ومنافس لاهوتي لبولس. يبدو أن رسائل بولس، وهي أقدم الوثائق المسيحية، لا يمكنها مساعدتنا في بحثنا عن يسوع التاريخي. كل ما يمكنه أن يخبرنا به هو أن المجتمع المسيحي كان منقسماً داخلياً بالفعل بحلول منتصف القرن الأول بين المسيحيين المؤيدين لليهود في أورشليم وأولئك الذين رأوا، مثل بولس، أن يسوع جاء ليحل محل الشريعة اليهودية القديمة. إن ارتباط شخصيات كيفاس ويوحنا ويعقوب في رسائل بولس بشخصيات الأناجيل التي تحمل أسماءهم لم يكن إلا بسبب الأناجيل وأعمال الرسل، وكلاهما كتب في وقت لاحق. في الواقع، لا يوجد في كتابات بولس ما يجعلنا نعتقد أن المسيحيين الذين يتحدث عنهم عرفوا يسوع التاريخي شخصياً. كُتبت الأناجيل بعد رسائل بولس، وقد تم الكشف عنها كوثائق لاهوتية وليست تاريخية. لذلك، من المرجح أن يكون كتّاب الأناجيل قد استلهموا أسماء كيفاس ويعقوب ويوحنا التي ذكرها بولس سابقاً وطوروها إلى الشخصيات التي نجدها في قصة يسوع.

تاريخ أسطورة متطورة

تشير الأدلة إلى أن العهد الجديد ليس تاريخًا للأحداث الفعلية، بل هو تاريخ لتطور الأساطير المسيحية. أقدم الأناجيل هو إنجيل مرقس، الذي تم إنشاؤه بدوره من أجزاء موجودة مسبقاً. أضاف مؤلفو إنجيل متى ولوقا وعدّلوا هذا الإنجيل لإنشاء نسخهم الخاصة من حياة يسوع. ومن هذا نستنتج أنهم لم يروا إنجيل مرقس كسجل تاريخي قيّم يجب الحفاظ عليه سليماً. ولم يعتبروه أيضاً "كلمة الله" التي لا يجوز انتهاكها والتي يجب ألا يتم تغييرها أبداً. من الواضح أنهم اعتقدوا أنها قصة يمكن تزيينها وتعديلها لتناسب احتياجاتهم الخاصة - بنفس الطريقة التي كان الفلاسفة الوثنيون يطورون بها أساطير أوزوريس-ديونيسوس على مر القرون.

لكن إنجيل مرقس ليس أقدم دليل لدينا على قصة يسوع. هذا موجود في رسائل بولس. على الرغم من حقيقة أن هذه الرسائل كُتبت قبل أي من الأناجيل، وقبل ما يصل إلى 100 عام من أعمال الرسل، إلا أنها وُضعت في العهد الجديد بعد هذه الكتب. وهذا يعطي انطباعاً خاطئاً بأن بولس يتبع الأناجيل وأعمال الرسل، وليس العكس.136 ومن ثم، فمن السهل عدم ملاحظة أن المسيح الذي يتحدث عنه بولس ليس شخصية تاريخية. ومع ذلك، إذا وضعنا العناصر التي تشكل العهد الجديد في ترتيبها الزمني الصحيح، فإننا نرى قصة يسوع تتطور أمام أعيننا.

إن فكرة موت المسيح وقيامته الأسطورية التي ذكرها بولس قد تطورت من خلال قصة يسوع البدائية التي رواها مرقس. وقد أضاف متى ولوقا إلى ذلك بشكل كبير. ثم لدينا إنجيل يوحنا الأكثر تطوراً من الناحية الفلسفية، مع مذهب "اللوغوس" وخطابات يسوع الطويلة باللغة اليونانية. وأخيراً لدينا مجموعة من الأساطير حول الرسل، تليها عدد من الرسائل المزورة التي تفترض وجود يسوع حرفياً وتتبنى سلطة الرسل لمهاجمة المسيحيين الهراطقة.

إذا نظرنا إلى الأمر بهذه الطريقة، فإن العهد الجديد نفسه يروي قصة تطور المسيحية:

رسائل بولس، حوالي 50، إنجيل مرقس، 110-70	إنجيلا متى ولوقا 90-135

يسوع هو رجل إلهي غامض يموت ويبعث.

إنجيل يوحنا حوالي عام 120، أعمال الرسل 150-177

تُعطى أسطورة يسوع سياقاً تاريخياً وجغرافياً.

تمت إضافة تفاصيل عن ميلاد يسوع وقيامته وتزيين القصة.

رسائل الرسل 177-220

يتم تطوير اللاهوت المسيحي.

بعد أن خلقت الآن وهم وجود يسوع تاريخي، تم إنشاء سفر أعمال الرسل لتفسير مصير تلاميذه.

إن الرسائل المنسوبة إلى بولس والرسل مزورة من قبل الحرفيين في معاركهم مع الغنوصية، مهاجمين "الكثير من المخادعين" الذين "لا يعترفون بيسوع المسيح بأنه جاء في الجسد".137

لم تتضمن النسخة الأصلية من إنجيل مرقس، وهو أقدم رواية لقصة يسوع، يسوع القائم من بين الأموات على الإطلاق. تمت إضافة هذا لاحقاً. قبل هذه الإضافات، انتهى إنجيل مرقس بعثور النساء على القبر الفارغ والإشارة فقط إلى أن يسوع قد قام من بين الأموات كما وعد. ومن سماتها المميزة أن الأناجيل الغنوصية تبدأ من حيث ينتهي إنجيل مرقس الأصلي. إنها لا تروي أحداث حياة يسوع، بل التعاليم السرية للمسيح القائم من بين الأموات بعد القيامة. يشير هذا إلى أن قصة يسوع شبه التاريخية الأصلية الواردة في إنجيل مرقس كانت، كما ادعى الغنوصيون، من الأسرار الظاهرية المصممة لجذب المبتدئين الروحيين. قد تأخذ هذه الأسرار الظاهرية المتأهل إلى القبر الفارغ والإشارة إلى الحياة الأبدية، ولكن التعاليم السرية للغنوصيين فقط هي التي كشفت أقوال المسيح القائم من بين الأموات. قادت هذه الأمور المتأهلين إلى ما وراء القصة الحرفية إلى السر الحقيقي، إلى التجربة الصوفية لموتهم وقيامتهم وإدراك هويتهم الأعمق كمسيح - الديمون (التوأم السماوي أو الذات العليا) الكوني الأبدي.

الخلاصة

ومثل عدد لا يحصى من العلماء الذين قاموا بهذا المسعى قبلنا، وجدنا أن البحث عن يسوع تاريخي أمر عبثي. من المثير للدهشة أنه ليس لدينا دليل جوهري على الوجود التاريخي لرجل يقال إنه كان التجسيد الوحيد لله عبر التاريخ. لكن الحقيقة هي أننا لا نفعل ذلك. إذن، ما الذي حصلنا عليه؟

- ورد ذكر "المسيحيين" وأتباع شخص يُدعى كريستوس في بعض الكتب التاريخية المطولة عن الرومان.

- بعض المقاطع المزيفة في كتابات يوسيفوس من بين جميع التواريخ المهمة لليهود ● حفنة من المقاطع من بين الأدبيات الواسعة للتلمود، والتي تخبرنا أن رجلاً يُدعى يشو كان موجودًا وكان لديه خمسة تلاميذ يُدعون "ماتاي، ناكيا، نتزر، بوني، وتوداه".

- أربعة أناجيل مجهولة المصدر لا تتفق حتى على حقائق ميلاد يسوع وموته

- إنجيل يُنسب إلى مرقس كُتب في مكان ما بين عامي 70 و135 ميلاديًا، وهو ليس حتى رواية شاهد عيان، وبالتأكيد ليس كذلك بسبب جهله بجغرافيا فلسطين وحقيقة أنه يقتبس بشكل خاطئ من الكتاب المقدس العبري

- الأناجيل المنسوبة إلى متى ولوقا، والتي تستند بشكل مستقل إلى مرقس، تقدم لنا أنسابًا متناقضة تمامًا.

- إنجيل يُنسب إلى يوحنا، وقد كُتب بعد الأناجيل الثلاثة الأخرى بفترة، وبالتأكيد ليس من تأليف التلميذ يوحنا.

- أسماء 12 تلميذاً لا يوجد دليل تاريخي على وجودهم

- سفر أعمال الرسل، الذي يُقرأ كأنه رواية خيالية، يقتبس بشكل خاطئ من العهد القديم العبري، ويتناقض مع رسائل بولس، ولم يُكتب إلا في النصف الثاني من القرن الثاني.

- مجموعة مختارة من الرسائل المزورة المنسوبة إلى بطرس ويعقوب ويوحنا وبولس

- بعض الرسائل الأصلية لبولس لا تتحدث عن يسوع التاريخي على الإطلاق، بل فقط عن المسيح الذي مات وقام من بين الأموات بطريقة صوفية

- هناك الكثير من الأدلة التي تشير إلى أن العهد الجديد ليس تاريخًا للأحداث الفعلية، بل هو تاريخ لتطور الأساطير المسيحية

ربما (إذا أردنا حقًا أن نصدق ذلك)، يمكن أن يكون شيء من هذا دليلاً على وجود يسوع تاريخي. لا يمكن استبعاد هذا الاحتمال. لكن الأدلة التي تشير إلى أن يسوع شخصية أسطورية مقنعة للغاية لدرجة أننا سنحتاج إلى شيء أكثر جوهرية من كل هذا لتقويضها.

إن عدم وجود أي دليل على وجود يسوع تاريخي جعلنا في النهاية نتخلى تمامًا عن فكرة أن السيرة الحقيقية ليسوع قد تم تشويهها ودمجها مع الأساطير الوثنية لإنشاء قصص الأناجيل. كما دفعنا ذلك إلى رفض فكرة غير عادية طورتها مجموعة من الرهبان في ألمانيا في عشرينيات القرن الماضي تسمى "نظرية الأسرار".1 وهذا يفسر أوجه التشابه بين "سيرة" يسوع وأساطير الأسرار من خلال الادعاء بأن حياة يسوع، باعتبارها ذروة خطة إلهية، قد حققت في النهاية في التاريخ ما كان في السابق مجرد أسطورة. هذه في الواقع مجرد نظرية "التقليد الشيطاني" في ثوب أكثر إيجابية. لا يوجد سبب وجيه للنظر إلى قصص أوزوريس-ديونيسوس على أنها أساطير وقصة يسوع على أنها تحقيق تاريخي لها. إن القيام بذلك ليس إلا تحيزاً ثقافياً.

كثيراً ما يُقال إن وجود يسوع التاريخي وحده هو ما يفسر قوة وجاذبية المسيحية. لولا إلهام مؤسس يتمتع بشخصية جذابة، كيف كان من الممكن أن تنشأ وتنتشر في جميع أنحاء العالم القديم؟ تُفسر نظرية سر يسوع هذا الأمر دون الحاجة إلى افتراض وجود رجل ليس لدينا دليل عليه. نشأت المسيحية، باعتبارها أسرار يسوع، وانتشرت في جميع

أنحاء العالم القديم بنفس الطريقة التي انتشرت بها أسرار ديونيسوس - وأسرار ميثراس، وآتيس، وسيرابيس، وجميع آلهة الأسرار الأسطورية الأخرى التي تموت وتبعث.

بدلاً من أن يثير بحثنا عن يسوع التاريخي تساؤلات حول أطروحة أسرار يسوع، فقد أيدها. ومع ذلك، فقد فتحت دراساتنا للعهد الجديد مجالاً خطيراً من الشك. إذا كان بولس هو أقدم مسيحي نعرفه وهو في الواقع شخصية تاريخية، وكان الغنوصيون هم المسيحيون الأصليون، كما تدعي أطروحة أسرار يسوع، فمن المؤكد أننا يجب أن نتوقع أن نجد أن بولس كان غنوصيًا. لكن تقليدياً يتم تصويره على أنه مناهض بشدة للغنوصية. يبدو أننا قد واجهنا خللاً كبيراً في أطروحتنا. إلى أن تجرأنا مرة أخرى على تحدي الرأي السائد والنظر عن كثب في الأدلة بأنفسنا.

هل كان بولس غنوصياً

"يمكن إرجاع الكثير مما يعتبر تفسيراً "تاريخياً" لبولس وتحليلاً "موضوعياً" لرسائله إلى علماء الهرطقة في القرن الثاني. إذا كان الرسول مناهضاً للغنوصية بشكل قاطع، فكيف يمكن للغنوصيين أن يدّعوا أنه معلمهم الروحاني العظيم؟ كيف يمكنهم القول إنهم يتبعون مثاله وهم يقدمون تعاليم سرية للحكمة والمعرفة "للمتأهلين"؟ كيف يمكنهم الادعاء بأن لاهوته عن القيامة هو مصدر لاهوتهم، مستشهدين بكلماته كدليل قاطع في العقيدة الكنسية للقيامة الجسدية؟"

إيلين باجلز

يُعتبر القديس بولس الشخصية المسيحية الأكثر تأثيراً على مر العصور. هناك 13 رسالة منسوبة إليه في العهد الجديد، تشكل ربع الكتاب المقدس المسيحي القانوني بأكمله. علاوة على ذلك، فإن معظم سفر أعمال الرسل مخصص لقصص بولس. لكن من هو بولس؟

يُنظر تقليدياً إلى بولس على أنه حصن من حصون الأرثوذكسية ومحارب صليبي ضد الغنوصيين الهرطقيين. لكن من المثير للدهشة أن الغنوصيين أنفسهم لم ينظروا إليه بهذه النظرة.

على العكس تماماً - فقد أطلق الحكماء الغنوصيون العظماء في أوائل القرن الثاني الميلادي على بولس لقب "الرسول العظيم"2 وكرموه باعتباره مصدر الإلهام الرئيسي للمسيحية الغنوصية. يشرح فالنتينوس أن بولس أهل القلة المختارة إلى "الأسرار الأعمق" للمسيحية والتي كشفت عن عقيدة سرية لله. كان من بين هؤلاء المتأهلين معلم فالنتينوس، ثيوداس، الذي قام بدوره بتأهيل فالنتينوس نفسه.3

زعمت العديد من الجماعات الغنوصية أن بولس هو مؤسسها، واستمر الغنوصيون الذين يطلقون على أنفسهم اسم "البولسيين" في الازدهار، على الرغم من الاضطهاد المستمر من الكنيسة الرومانية، حتى نهاية القرن العاشر.4 كتب بولس رسائله إلى كنائس في سبع مدن معروفة بأنها كانت مراكز للمسيحية الغنوصية خلال القرن الثاني. كانت هذه الجماعات المسيحية بقيادة الحكيم الغنوصي مرقيون، الذي اعتبر بولس الرسول الحقيقي الوحيد.5 أمر واحد مؤكد: إذا كان بولس مناهضًا للغنوصية كما يدّعي الحرفيون، فمن المدهش عدد النصوص الغنوصية التي تقتبس منه أو تُنسب إليه بالفعل. بل إن أتباع مرقيون كان لديهم إنجيل زعموا أنه من تأليف بولس.6 ومن النصوص التي عُثر عليها في نجع حمادي صلاة الرسول بولس ورؤيا بولس.7 ويسجل نصٌّ يُسمى صعود بولس «الكلمات التي لا تُنطق، والتي لا يجوز لإنسان أن ينطق بها» التي سمعها بولس أثناء صعوده الشهير إلى السماء الثالثة، والتي أشار إليها الرسول في رسالته إلى أهل كورنثوس.8 ويصف نصٌّ آخر، يُسمى أعمال بولس، سفر بولس برفقة امرأة تُدعى تقلا، وهي امرأة كانت تُجري مراسم التعميد! 9

بولس الحقيقي؟

من هو بولس الحقيقي؟ هل كان من الممكن أن يكون غنوصياً، كما ادعى الغنوصيون؟ كما سبق أن ناقشنا، يعتبر

الباحثون المعاصرون الآن العديد من الرسائل المنسوبة إلى بولس مزورة.10 ومن بين رسائل العهد الجديد الثلاث عشرة، لا يُقبل اليوم سوى سبع رسائل باعتبارها أصلية إلى حد كبير.11 وكما ذكرنا سابقًا، فإن ما يُسمى بالرسائل "الرعوية" إلى تيموثاوس وتيطس تُعتبر مزيفة من قِبل جميع اللاهوتيين باستثناء الأكثر تحفظًا. أكدت الدراسات الحاسوبية أن مؤلف الرسائل الرعوية ليس هو مؤلف رسائل بولس إلى أهل غلاطية ورومية وكورنثوس، والتي يعتبرها بولس أصلية.12 إن أقدم مجموعة من الرسائل المنسوبة إلى بولس لا تحتوي على الرسائل الرعوية.13 في الواقع، لا نسمع عن الرسائل الرعوية إطلاقاً حتى عهد إيرينيئوس (حوالي عام 190). لا تظهر هذه النصوص كجزء من القانون المسيحي إلا بعد هذا الوقت، ودائماً كمجموعة، ويتم تجاهلها بانتظام من قبل المسيحيين من جميع الطوائف.

باعتبارها مزورة.14 حتى أن الداعية الأرثوذكسي العظيم يوسابيوس لم يدرجها في إنجيله (حوالي 325).15

هذا أمرٌ بالغ الأهمية، إذ إنّ بولس لا يُظهر معارضته للغنوصية إلا في رسائله الرعوية.16 وخلافًا لرسائله الأصلية، تُصوّره هذه الرسائل مُنظِّمًا للكنيسة، وركيزةً أساسيةً لنظامها، ومُعارضًا لا يلين لجميع الهراطقة.17 ويُطالب بولس بإدانة الأساطير الغنوصية باعتبارها "خرافات عجائز مُدنَّسة"18، ويُوصي أتباعه "بعدم الخوض في التعاليم وعدم إضاعة الوقت في الأساطير والأنساب التي لا تنتهي، والتي تُفضي إلى تكهناتٍ جوفاء".19 ومن الواضح أنه بحلول نهاية القرن الثاني، شكّلت النظرة إلى بولس كمعلّم غنوصي تهديدًا كافيًا لتحفيز أحدهم على ابتكار بولس حرفي لا جدال فيه ردًا على ذلك.

هذا البولس مصمم خصيصاً لتقديم النصح بما يلي:

> "احفظوا ما ورثتموه من خلال صد كل الهراء والتناقضات الكاذبة لـ "الغنوص" الزائف، الذي يمسك بها البعض، وبالتالي يضيعون طريق الإيمان." 20

كما تم تصويره على أنه متسلط في فرض سلطة التسلسل الهرمي للكنيسة، حيث كتب: "يجب توبيخ أولئك الذين يخطئون علنًا، لإخافة الآخرين". 21 ويهاجم بشكل خاص "هيمينوس وفيليتوس"، وهما معلمان غنوصيان "انحرفا عن الحق" ويعلّمان العقيدة الغنوصية القائلة بأن "قيامة المسيح قد حدثت بالفعل"22 على الرغم من أن بولس يدعي في رسائله الأصلية أنه قد "قام" بالفعل! وعلى الرغم من وجود تقليد واسع الانتشار مفاده أن بولس سافر مع امرأة عمدت،23 فقد تم دفعه أيضًا لمهاجمة الممارسة الغنوصية المتمثلة في معاملة النساء على قدم المساواة مع الرجال:

> ينبغي للمرأة أن تتلقى بهدوء التوجيهات اللازمة للطاعة الكاملة. لن أسمح لامرأة بأن تكون معلمة أو أن تتصرف بتعالي على رجل. 24

إذن، في نهاية القرن الثاني، يصور المسيحيون الحرفيون بولس على أنه مناهض للغنوصية وسلطوي. لقد اعتُبر هذا صحيحًا تاريخيًا، ولكنه في الواقع ليس سوى وجهة نظر هؤلاء المسيحيين الحرفيين.25 ومع ذلك، قبل بضعة عقود فقط، كانت وجهة نظرهم عكس ذلك تمامًا - ففي النصف الأول من القرن الثاني، هاجمت رسائل منسوبة إلى كليمنت، أسقف روما، بولس بشدة باعتباره هرطقيًا ضالًا! 26 تصف هذه الرسائل بطرس بأنه ينكر بشدة مكانة بولس كرسول، حيث لا ينبغي اعتبار الرسول إلا من كان شاهد عيان على القيامة، وبولس لم يرَ المسيح القائم من بين الأموات. يبدو أن رؤية بولس ليسوع على طريق دمشق ليست باطلة فحسب، بل هي وحي من شيطان شرير أو روح كاذبة! 27 يُزعم أن يسوع

كان "غاضبًا" من بولس الذي هو "خصمه"، لأن ما يبشر به بولس "يتناقض" مع تعاليم يسوع. 28 يكتب بطرس عن بولس باعتباره "عدوه" الذي أقنع بعض الأمم برفض الشريعة اليهودية واعتناق "تعاليم حمقاء" وهي "خارجة عن الشريعة". يُتهم بولس بتأليف إنجيل هرطقي، ويضطر رسل يسوع الحقيقيون إلى إرسال "إنجيل الحق" سرًا لتصحيح هذه الهرطقات.29 ومثل معاصره سمعان الساحر، الهرطقي الأكبر، يُعتبر بولس مُقسِّمًا للمجتمع المسيحي مُستلهمًا من الشيطان.30 إنه رجل خطير يجب طرده من الكنيسة! 31

بولس والأسرار الوثنية

إذا استطعنا التخلي عن الصورة التقليدية لبولس والنظر إلى الأدلة بعقل متفتح، فإن هذا الخطاب المعادي لبولس يصبح مفهوماً، لأن رسائله تظهر تأثيرات غنوصية ووثنية واضحة. كان بولس يهودياً اعتنق الثقافة اليونانية المنتشرة في ذلك الوقت. يكتب باللغة اليونانية، لغته الأم. إنه يقتبس فقط من النسخة اليونانية للعهد القديم. كانت خدمته موجهة إلى المدن الوثنية التي هيمنت عليها الثقافة اليونانية.32 من بين هذه المدن، كانت أنطاكية مركزًا لأسرار أدونيس، وأفسس مركزًا لأسرار آتيس، وكورنثوس مركزًا لأسرار ديونيسوس.33 كان بولس من مواليد طرسوس في آسيا الصغرى، التي تفوقت في عصره حتى على أثينا والإسكندرية لتصبح المركز الرئيسي للفلسفة الوثنية.34 في طرسوس نشأت أسرار ميثراس، لذا كان من غير المعقول أن يكون بولس جاهلاً بأوجه التشابه الملحوظة التي سبق أن استعرضناها بين العقائد المسيحية وتعاليم الميثرائية.35

كثيرًا ما يستخدم بولس مصطلحات وعبارات من الأسرار الوثنية، مثل "بنيوما" (الروح)، و"غنوص" (المعرفة الإلهية)، و"دوكسا" (المجد)، و"صوفيا" (الحكمة)، و"تيليوي" (المتأهل)، وما إلى ذلك.36 وينصح أتباعه بالسعي الحثيث وراء المواهب الروحية العظيمة.37 وكلمة "الكاريزماتا" مشتقة من مصطلح "ماكاسموس" في الأسرار، والذي يشير إلى الطبيعة المباركة لمن رأى الأسرار.38 بل إنه يُطلق على نفسه لقب "وكيل أسرار الله"،39 وهو الاسم التقني للكاهن في أسرار سيرابيس.40

يستشهد بولس بالحكيم الوثني أراتوس، الذي عاش في طرسوس قبل عدة قرون، واصفًا الله «الذي به نحيا ونتحرك ونوجد».41 كما يُعلّم أيضًا عقائد الأسرار.42 ومثل الحكيم الوثني سقراط، الذي اعتُبر حكيمًا لأنه كان يعلم أنه لا يعلم شيئًا،43 يُعلّم بولس:

> "إذا ظنّ شخص ما أنه يعرف شيئاً، فإنه لا يزال لا يعرف الطريقة التي ينبغي أن يعرف بها." 44

وكما كتب أفلاطون أننا الآن لا نرى الواقع إلا "من خلال مرآة بشكل خافت"45 كذلك كتب بولس: "لأننا الآن نرى من خلال مرآة، بشكل غامض؛ ولكن بعد ذلك وجهاً لوجه". 46 وقد تُرجمت هذه الفقرة الشهيرة من بولس أيضاً:

> "في الوقت الحاضر، كل ما نراه هو انعكاس محير للواقع؛ نحن مثل الرجال الذين ينظرون إلى منظر طبيعي في مرآة صغيرة." سيأتي الوقت الذي سنرى فيه الحقيقة كاملة ووجهاً لوجه. 47

تُبرز هذه الترجمة بوضوح الطبيعة الأفلاطونية لتعاليم بولس. استخدم أفلاطون صورة السجناء المحاصرين في كهف، والذين لا يرون سوى ظلال العالم الخارجي المنعكسة على جدران الكهف، كرمز لحالتنا الراهنة المتمثلة في الخلط بين

ما هو في الواقع مجرد انعكاس للحقيقة المطلقة، وبين الحقيقة.48 فبالنسبة لأفلاطون، كما هو الحال بالنسبة لبولس، "في الوقت الحاضر، كل ما نراه هو انعكاس محير للواقع".

يعلم أفلاطون أن الفلاسفة هم أولئك الذين يتم إطلاق سراحهم من الكهف ليخرجوا إلى الخارج ويروا حقيقة ضوء النهار المبهر بأنفسهم - "وجهاً لوجه". هذه العبارة هي صيغة طقسية من أسرار الوثنية. نقرأ في كتاب "باكوس": "أعطاني هذه الأسرار وجهاً لوجه". 49 يكتب لوسيوس أبوليوس عن طقوس تأهيلة: «لقد توغلت في حضرة الآلهة في الأسفل والآلهة في الأعلى، حيث عبدت وجهاً لوجه».50 ويقر جاستن الشهيد بأن: «هدف الأفلاطونية هو رؤية الله وجهاً لوجه».51 ويصف أفلاطون كيف أنه في معبد «الأرض الحقيقية» الموجودة في عالم الأفكار الذي تعد هذه الأرض مجرد صورة له، «يتم التواصل مع الآلهة وجهاً لوجه». 52

بولس الغنوصي

إن يسوع بولس هو الإله الصوفي الذي يموت ويبعث عند الغنوصيين، وليس الشخصية التاريخية عند الحرفيين. يبدو أن بولس يتعامل مع يسوع كشخصية تاريخية في رسالته إلى تيموثاوس، حيث يكتب عن "يسوع المسيح الذي أقسم يمينًا نبيلًا أمام بيلاطس البنطي" - لكن هذه الرسالة مزورة.53 أما بولس الحقيقي فيبشر بعقيدة الوهم الغنوصية، مدعيًا أن يسوع لم يأتِ كشخص، بل في "شبه" الجسد البشري.54

رسائل بولس مليئة بمثل هذه المذاهب الغنوصية المميزة. كم عدد المسيحيين المعاصرين الذين تساءلوا عن المعنى المحتمل لادعاء بولس الشهير بأنه صعد إلى السماء الثالثة؟ لن يكون هذا الأمر محيراً بالنسبة للعارف أو المطلع على أسرار الوثنية، إذ كان كلاهما قد تعلم أن هناك سبع سماوات مرتبطة بالأجرام السماوية السبعة - الكواكب الخمسة المرئية والقمر والشمس.55

على غرار الغنوصيين، ينتقد بولس بشدة المظاهر الخارجية للدين - الطقوس، والأعياد، والقواعد والأنظمة.56 ومثل الغنوصيين، يدّعي أن المسيحيين الحقيقيين يصبحون مثل المسيح: إذ "لا حجاب على وجوههم"، فهم "يعكسون كما في مرآة بهاء الرب"، وبالتالي "يتحولون إلى صورته، من بهاء إلى بهاء".57

كان الغنوصيون ينظرون إلى بولس على أنه معلم التأهيل السري "الروحي". في رسالته إلى أهل روما كتب بولس: "أشتاق إلى رؤيتكم، حتى أشاركم في موهبة روحية معينة"58 والتي يقول عنها: "لا أريدكم أن تبقوا جاهلين". 59 إذا كان بولس يريد أن يشارك شيئًا ما مع مراسليه بشكل عاجل، فلماذا لا يكتبه في رسالته؟ أما بالنسبة للغنوصيين، فالجواب هو أن "الكاريزماتا الروحية" هي عملية تأهيل لا يمكن نقلها إلا شخصيًا و"سرًا".60 يكتب بولس:

> كما هو مكتوب: "ما لم تره عين، ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على قلب بشر، ما أعده الله للذين يحبونه". 61

لا شك أن القراء المطلعين سيتعرفون على هذه الكلمات باعتبارها صيغة للأسرار تُنطق في وقت التأهيل. تضمن قسم السرية الذي تعهد به أتباع الحكيم الغنوصي جوستينوس هذه الكلمات، وقد وردت هذه الكلمات، من بين مواضع أخرى، في إنجيل توما الغنوصي، حيث يقدم يسوع ما يلي:

> «سأعطيكم ما لم تره عين، وما لم تسمعه أذن، وما لم يمسه أحد، وما لم يخطر على بال بشر». 62

إن الترجمة غير الكافية هي التي تخفي حقيقة أن رسائل بولس مليئة بالعبارات والتعاليم الغنوصية المميزة. فعلى سبيل المثال، يدعي أتباع الفالنتينية أن بولس أدخل المسيحيين في "سر صوفيا"، والذي ربما تضمن أسطورة سقوط الإلهة وفدائها، ويستشهدون كدليل على ذلك برسالته الأولى إلى أهل كورنثوس، حيث كتب بولس: "نتحدث عن صوفيا بين المتأهلين". 63 إذا كنت تتساءل لماذا لم تصادف هذا السطر الغنوصي الواضح لبولس من قبل، فذلك لأنه عادة ما يترجم على أنه "نتكلم بالحكمة بين الكاملين"، وهو أمر لا معنى له ولكنه على الأقل يبدو أرثوذكسيًا! وتستمر الترجمة التقليدية:

> "لكننا نتكلم بالحكمة بين الكاملين، وهي حكمة ليست من هذا العالم، ولا من حكام هذا العالم الزائلين، بل نتكلم بحكمة الله في سرّ، الحكمة التي كانت مخفية، والتي سبق الله فعيّنها قبل الأزمان لمجدنا، والتي لا يعرفها أحد من حكام هذا العالم، لأنهم لو عرفوها لما صلبوا رب المجد". 64

هذه الترجمة، إن كانت مفهومة أصلاً، تشوه المعنى الحقيقي لبولس بشكل كبير. يشرح أحد الباحثين المعاصرين ما يلي:

> إن المعنى الصحيح لهذه الفقرة غامض في نقطتين حاسمتين. الكلمة اليونانية المترجمة هنا إلى "العالم"، سواء بصيغة المفرد أو الجمع، هي aion، والتي لا تعني هذا العالم المادي أو الأرض، بل تعني "الزمن" أو "العصر". وبالتالي فإن استخدام بولس لكلمة "أيون" هنا يدل على أنه كان يفكر من حيث نظام باطني لـ "عصور العالم".

بعد ذلك، فإن الكلمات المترجمة إلى "حكام هذا العالم" (archontes tou aionos toutou) لا تشير، كما هو شائع، إلى السلطات الرومانية واليهودية التي كانت مسؤولة عن إدانة يسوع بالموت؛ بل تشير إلى كائنات شيطانية، كانت مرتبطة بالكواكب وكان يُعتقد أنها تحكم حياة البشر على الأرض.

في هذا المقطع، نجد بولس يشرح أنه قبل بداية سلسلة من العصور العالمية، قرر الله أن يرسل إلى العالم، من أجل خير البشرية، كائناً إلهياً موجوداً مسبقاً، والذي قام حكام العالم الشيطانيون، لعدم إدراكهم لطبيعته الحقيقية، بقتله وبالتالي أخطأوا بطريقة ما. باختصار، تصور بولس البشرية على أنها مستعبدة من قبل كائنات شيطانية، مرتبطة بالظواهر النجمية، والتي يصفها بمجموعة متنوعة من المصطلحات مثل archontes tou aionos toutou و stoicheia tou kosmou ("القوى العناصرية للكون"). وبناءً على ذلك، فقد أنقذ الكائن الإلهي البشرية من هذه العبودية المميتة، والذي تجسد في شخص يسوع، والذي صُلب خطأً على يد هؤلاء الحكام الذين، على ما يبدو، بتجاوزهم حقوقهم دون قصد، فقدوا سيطرتهم على البشر. 65 هذه ليست المسيحية كما نعرفها اليوم! بولس يبشر بالغنوصية.

يكتب بولس عن «الغنوص» التي لا تُعلَّم إلا للمُتَأَهَّلين تمامًا.66 ويُقدِّم صلاةً «لكي يفيض حبكم بالغنوص».67 ويكتب عن «المسيح الذي فيه تُخفي جميع كنوز صوفيا والغنوص» وعن «غنوص سرّ الله».68 وكأحد المُتَأَهَّلين الغنوصيين، يدّعي بولس: «بالكشف أُعلِمتُ السرّ». 6" مثل الغنوصي الذي يدافع عن سرية الأسرار الباطنية، يؤكد أنه سمع "كلمات لا توصف لا يجوز للإنسان أن ينطق بها".70 ومثل الغنوصي، يركز على الفهم لا على العقيدة، ويكتب: "الحرف يقتل، والروح يحيي". 71 ومثل الغنوصي، يصف القصص في الكتب المقدسة بأنها "استعارات" 72 ويكتب عن "الأحداث" بأنها "رمزية". 73

رسول القيامة

حاول المسيحيون الحرفيون الاستشهاد ببولس لتأييد اعتقادهم الغريب بأن الموتى سيقومون من قبورهم بأجسادهم المادية عند المجيء الثاني.74 ومع ذلك، من الواضح أن بولس كان لديه منظور مختلف تمامًا. وهو يرى القيامة، على غرار الغنوصيين، كحدث روحي. يكتب بشكل قاطع: "لا يمكن للحم والدم أن يرثا ملكوت الله". 75

يُطلق الحكيم الغنوصي ثيودوتوس على بولس لقب "رسول القيامة".76 ومثل الغنوصيين، لا يرى بولس القيامة كحدث مستقبلي موعود، بل كتجربة روحية يمكن أن تحدث الآن. يكتب قائلاً: "هذا هو الوقت المحدد!" هذا هو:

يوم الخلاص. 77 من الواضح أن رسالته صوفية ورمزية - فهو يكتب عن كونه "مرفوعًا إلى السماء" و"متوجًا مع يسوع" ليس كمكافأة مرجوة في الآخرة، بل كشيء اختبره هو وغيره من المسيحيين المتأهلين بالفعل.78

وكما هو الحال مع الغنوصيين، يبشر بولس بأن آلام يسوع ليست حدثاً في الماضي، بل هي حقيقة صوفية أبدية. من خلال المشاركة في موت يسوع وقيامته، يستطيع كل مؤهل مسيحي أن يموت عن ذاته الدنيا ويُبعث كالمسيح أو الكلمة (اللوغوس).79 في رسالته إلى أهل فيلبي، يكتب بولس عن "المشاركة في آلامه" و"المشاركة في صورة موته"، وبالتالي "القيامة من بين الأموات".80 وفي رسالته إلى أهل غلاطية، يكتب: "مع المسيح صُلبت، فمن الآن فصاعدًا لست أنا الذي أحيا، بل المسيح يحيا فيّ". 81 في رسالته إلى أهل روما، يفسر آلام يسوع تفسيراً رمزياً، ويكتب:

> "كلنا الذين تأهلنا في يسوع المسيح انضممنا إلى موته أيضاً." بمشاركتنا في موته، دُفنّا معه، حتى كما أُقيم المسيح من بين الأموات بمجد أبيه، كذلك نسير في نضارة حياة جديدة. لأننا إذا كنا قد نشأنا على صورة موته، فسوف نفعل الشيء نفسه مع قيامته. هذا ما نعرفه: أن القديم قد صُلب معه، وأن جسد الخطيئة قد دُمّر لكي لا نكون عبيداً للخطيئة بعد الآن. 82

يصف بولس نفسه في رسالته إلى أهل كولوسي بأنه قد كُلِّف من قبل الله بمهمة إيصال رسالته "بكاملها"؛ وإعلان "السر الذي كان مخفياً لأزمنة طويلة وعبر أجيال عديدة" والذي يتم الكشف عنه الآن لأولئك الذين اختارهم الله. وما هو هذا السر العظيم؟ هل هي، كما قد نتوقع من رسول أرثوذكسي، "البشارة" بأن يسوع قد جاء حرفياً وسار على الأرض، وصنع المعجزات، ومات من أجل خطايانا، وعاد من بين الأموات؟ لا! إنها التصوف الدائم للغنوصية والأسرار الوثنية - أن في داخل كل واحد منا نفس الكون الواحدة، اللوغوس، والديمون (التوأم السماوي أو الذات العليا) الكوني، وعقل الله. كتب بولس: "السر هو هذا: المسيح فيكم!" 83

عندما يصف بولس رؤيته الشهيرة ليسوع على طريق دمشق، فمن المهم أنه لا يقول "كشف الله لي ابنه"، كما نتوقع من مسيحي حرفي. بل يكتب: "لقد كشف الله عن ابنه في داخلي". 84

إن يسوع بولس ليس شخصية تاريخية، بل هو رمز الديمون (التوأم السماوي أو الذات العليا) الكوني الذي نحن جميعًا أعضاء فيه. بالنسبة لبولس، "المسيح يشبه جسداً واحداً بأطرافه وأعضائه الكثيرة، والتي تشكل معاً جسداً واحداً". 85 في رسالته إلى أهل أفسس يعلم:

> "ليتكلم كل واحد منكم بالحق مع جاره لأننا أجزاء من بعضنا البعض." 86

زعم الغنوصيون أن بولس كان يعلم أن رؤية يسوع كرجل من لحم ودم لم تكن سوى مرحلة انتقالية للمبتدئين - الأسرار الظاهرية للمسيحيين ذوي القدرات سيكك (نفسية). أدرك المسيحيون الروحانيون الذين تم إدخالهم في الأسرار الباطنية المعنى الرمزي لقصة يسوع. زعم الغنوصيون أن هذا التغيير في المنظور من خلال التأهيل في الأسرار الباطنية هو ما كان يشير إليه بولس عندما كتب: "مع أننا عرفنا المسيح بحسب الجسد، إلا أننا الآن لا نعرفه كذلك بعد الآن". 87 بما أن بولس لم يدع قط أنه عرف يسوع التاريخي المتجسد، فمن الصعب حقًا أن نرى ما الذي كان يمكن أن يقصده!

التعاليم النفسية والروحانية

فكيف أصبح بولس بطلاً لكل من الغنوصيين والحرفيين؟ كما سبق أن استكشفنا، فقد علّم الغنوصيون أن قصة يسوع تعمل

على مستويين في آن واحد: كقصة تمهيدية للمسيحيين النفسيين الذين تم إدخالهم في الأسرار الظاهرية وكرمز صوفي للمسيحيين الروحانيين الذين تم إدخالهم في الأسرار الباطنية. على الرغم من فهمها بطريقتين مختلفتين تمامًا، إلا أن القصة ظلت كما هي. بحسب الغنوصيين، صُممت رسائل بولس أيضاً للعمل على مستويين. وكما يقول الحكيم الغنوصي ثيودوتوس، فإن بولس "علّم بطريقتين في آن واحد".

يزعم ثيودوتوس أن بولس أدرك أن "كل واحد يعرف الرب بطريقته الخاصة: وليس الجميع يعرفونه بنفس الطريقة".89 لذلك من ناحية أخرى، بشر بالمخلص "بحسب الجسد" باعتباره "مولودًا ومتألمًا". هذا "الإنجيل الكرازي" عن "المسيح المصلوب" علّمه للمسيحيين النفسيين "لأنهم كانوا قادرين على معرفته".911 أما للمسيحيين الروحانيين فقد بشّر بالمسيح "روحانيًا" أو "بحسب الروح".91 وكان كل مستوى من مستويات المتأهلين يأخذ من هذه التعاليم ما كان من الحكمة بمكان أن يكون قادرًا على سماعه. كتب بولس نفسه:

"إنّ النفساني لا يستقبل أمور روح الله؛ فهي حماقة بالنسبة له، ولا يستطيع أن يتعرف عليها، لأنها تُدرك بالروحانية، أما الروحاني فيُدرك كل شيء." 92

زعم الغنوصيون أن رسائل بولس، مثل أمثال الإنجيل، كانت تحتوي على تعاليم سرية بحيث يسمع القراء غير المطلعين شيئًا ويسمع المطلعون شيئًا آخر. لم يكن قادراً على فهم المعنى الأعمق لبولس إلا أولئك الذين تلقوا التأهيل الشفهي السري للأسرار الباطنية. كما كتبت إيلين باجلز،

> يزعم أتباع الفالنتينية أن معظم المسيحيين يرتكبون خطأ قراءة الكتب المقدسة حرفياً فقط. لقد تعلموا هم أنفسهم، من خلال تأهلهم في الغنوص، قراءة رسائل بولس (كما يقرؤون جميع الكتب المقدسة) على المستوى الرمزي، كما يقولون أن بولس قصد ذلك. إن هذه القراءة الروحانية وحدها هي التي تُنتج "الحقيقة" بدلاً من مجرد "صورتها" الخارجية. 93

قام أتباع فالنتينوس بفك رموز المعنى المجازي لرسائل بولس بشكل منهجي لإظهار معناها الخفي. فعلى سبيل المثال، يستخدم بولس في رسائله إلى أهل روما موقفًا بسيطًا من الحياة اليومية - العلاقة بين اليهود والأمم - كمثّل للعلاقة بين المسيحيين النفسيين والمسيحيين الروحانيين. سيفهم المطلع على الأسرار الباطنية أن بولس حين يكتب "اليهود" يقصد "المسيحيين النفسيين"، وحين يكتب "الأمم" يقصد "المسيحيين الروحانيين".94 إلى جانب "الأمم"، تشمل الكلمات الرمزية الأخرى التي استخدمها بولس للدلالة على "المسيحيين الروحانيين" ما يلي: "غير المختونين"، و"اليونانيين"، و"اليهود في الباطن"، و"اليهود سرًا"، و"إسرائيل الحقيقية".95

في مقطع لافت للنظر في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس، كتب بولس بخيبة أمل عن رغبته في إعطاء أتباعه تعاليم روحانية، لكنه وجدهم فقط على مستوى "ساركيك" من الوعي (وهو مصطلح مرادف لـ "هيلي: "مادي"."، ويعني أدنى مستوى من الوعي البشري). لذلك فهو مضطر إلى تعليم طلابه أبسط العقائد المسيحية فقط:

> "وأنا، أيها الإخوة، لم أستطع أن أتحدث إليكم عن علم الروحانيات، بل عن علم ساركيك، أي عن غير المطلعين على المسيح." أطعمتكم الحليب لا اللحم، لأنكم لم تكونوا قادرين على تناوله بعد. ولا أنتم كذلك الآن - ما زلتم ساركيك. فحيثما يوجد بينكم نزاع وحسد، ألا تكونون أنتم ساركيك؟ 96

يشعر بولس بنفاد الصبر لأن أتباعه ما زالوا غير مستعدين للانتقال من التعاليم الأولية. يكتب في رسالته إلى العبرانيين:

> لذلك دعونا نترك وراءنا العقيدة الأولية للمسيح ونتقدم إلى مستوى آخر من التأهيل (ten

teleioteta)، دون أن نضع من جديد أساس التوبة عن الأعمال الميتة والإيمان بالله، مع تعاليم المعمودية ووضع الأيدي وقيامة الموتى والدينونة الأبدية. لأنه من المستحيل على أولئك الذين استناروا، والذين ذاقوا الموهبة السماوية، وأصبحوا شركاء في النفحة المقدسة [الروح القدس]، وذاقوا صلاح كلمة (اللوغوس) الله، وقوى الدهر الآتي، أن يرتدوا ليجددوا التوبة مرة أخرى. إنهم يعيدون صلب ابن الله لأنفسهم. 97

إن "العقيدة الأولية" التي يريد بولس من تلاميذه أن يتركوها وراءهم، كما يتوقع الغنوصي، تشمل التوبة والإيمان والمعمودية ووضع الأيدي وقيامة الموتى والدينونة الأبدية - كل الطقوس والعقائد التي تعتبر ثمينة للغاية بالنسبة للكنيسة الحرفية. بالنسبة للغنوصيين، لم تكن هذه سوى الأسرار النفسية الظاهرية للمسيحية. يريد بولس من تلاميذه، بعد أن ذاقوا نفحة التأهيل الروحي المقدسة، أن يتقدموا إلى المستوى الروحي من الفهم بشكل كامل وأن يتخلوا عن مثل هذه الاهتمامات النفسية.

بولس ويهوه

على غرار الغنوصيين، يعلّم بولس أن أسرار يسوع تتجاوز شريعة الإله اليهودي يهوه.98 لقد منح يسوع اليهود عهداً جديداً أو اتفاقاً مع الله، ولا يخفي بولس رأيه المتدني في الاتفاق القديم الزائد عن الحاجة الذي هو اليهودية التقليدية! 99 يكتب:

إن تسمية هذا الاتفاق بـ"الجديد" يجعل الاتفاق الأول بالفعل "قديماً"، ولن يبقى شيء عتيق ومتهالك كهذا لفترة أطول. 100

على غرار الغنوصيين، لا يدعو بولس إلى العبودية الأخلاقية للشريعة، بل إلى الحرية الروحية من خلال الغنوص. ويعلن: "حيث روح الرب، هناك حرية".101 بالنسبة لبولس، "لا شيء نجس في ذاته". 102 يستشهد الغنوصيون اللاحقون، مثل كاربوقراطيس، ببولس للدفاع عن مذاهبهم الخاصة بالأخلاق الطبيعية ضد أولئك الذين اتهموهم باللاأخلاقية. ففي النهاية، كان بولس، وليس أحد الهرطقة الغنوصيين "المجانين"، هو من أعلن بشكل مشهور: "كل شيء مباح لي!" 103

بل إن بولس يذهب إلى حد إعلان أن شريعة يهوه المقدسة تقليديا، وهي أساس الديانة اليهودية، هي لعنة، حيث كتب: "كل من يعتمد على أعمال الشريعة هو تحت اللعنة"104 و"المسيح افتدانا من لعنة الشريعة". 105 بالنسبة لبولس، كما هو الحال بالنسبة للغنوصيين، من خلال المشاركة في آلام المسيح وقيامته، يمكن للمسيحي المتأهل أن يُفتدى من الناموس ويتحرر: "الآن، بعد أن متنا، فقد خرجنا من نطاق الناموس الذي كان يُقيدنا". 106

يزعم بولس أن القانون هو نتاج "الوسيط". ماذا يقصد بتسمية يهوه، الذي يُفترض أنه الإله الواحد ورب الكل، بـ "الوسيط"؟ إذا كان الأمر كذلك، فما هو الوسيط بين ماذا وماذا؟ زعم الغنوصيون أن بولس يعلم العقيدة الغنوصية القائلة بأن يهوه هو "الديميورج"، وهو إله أدنى يتوسط بين الإله الأعلى الذي لا يوصف والخلق. من المؤكد أن بولس لا يعتبر يهوه الإله الحقيقي، لأنه يتابع قائلاً: "الوسيط ليس واحداً، الله واحد". 107

بحسب بولس، فإن الأشخاص الذين لا يفهمون الإنجيل الذي يبشر به قد أُعميت عقولهم "بإله هذا الدهر

الزائل".108 وفي العديد من ترجمات رسائله، يضيف المحرر ملاحظة صغيرة مفيدة هنا لشرح العبارة الغامضة "إله هذا الدهر الزائل". التفسير الأرثوذكسي العام لهذا السطر هو أن بولس يشير إلى الشيطان، ولكن لماذا يشير إلى ملاك شرير على أنه "إله" يبقى دون تفسير! كان من الواضح للغنوصيين ما قصده بولس. كان يشير إلى يهوه، الإله الأدنى لليهود، الذي كانت سنوات حكمه للشعب اليهودي تقترب من نهايتها والذي كان سيتم التخلي عنه لصالح الإله الحقيقي الذي لا يوصف ليسوع وأفلاطون.

الختان!

تبين أن رسائل بولس المناهضة للغنوصية مزورة، لكن رسائله الأصلية تعارض آخرين داخل الكنيسة المسيحية الأولى ممن يبشرون بـ«يسوع آخر».109 هؤلاء ليسوا زنادقة غنوصيين، بل مسيحيون مؤيدون لليهود يؤمنون بضرورة أن تحافظ الكنيسة على عادة الختان اليهودية القديمة وأن تحترم شريعة يهوه.

يهاجمهم بول بحماس شديد. وفي رسالته إلى أهل فيلبي يحذر قائلاً: "احذروا هؤلاء الكلاب، هؤلاء الأشرار، هؤلاء الذين يختنون بالقطع!" 110 وفي رسالته إلى أهل غلاطية يعلن: «اسمعوا كلامي: أنا بولس أقول لكم إذا ختنتم فلن ينفعكم المسيح في شيئاً على الإطلاق».111 ويسخر قائلاً: «أما هؤلاء المحرضون، فمن الأفضل لهم أن يذهبوا إلى أبعد مدى ويخصوا أنفسهم!» 112 إنها ليست تلك الممارسات النفسية الظاهرية للطقوس الدينية، بل الصفات الروحية الباطنية التي تميز الأسرار التي يبشر بها بولس. ويزعم:

> نحن المختونون، نحن الذين عبادتنا روحانية، وفخرنا بيسوع المسيح، ولا نثق بأي شيء خارجي. 113

إن تعاليم بولس هنا تتوافق تماماً مع تعاليم يسوع الغنوصي. في إنجيل توما، على سبيل المثال، عندما يسأل التلاميذ يسوع عن فوائد الختان، يشرح لهم:

> لو كان ذلك مفيداً، لكان والدهم قد أنجبهم مختونين من أمهم. بل إن الختان الحقيقي في جوهره أصبح مربحاً تماماً. 114

إن ما يميز المسيحيين المنافسين لبولس ليس غنوصهم في مقابل حرفية بولس، أو حرفيتهم في مقابل غنوصية بولس. هذه ليست المشكلة على الإطلاق. يكمن خلافهم حول العلاقة بين المسيحيين والتقاليد اليهودية القديمة، وما إذا كان ينبغي أن تكون المسيحية مفتوحة لغير اليهود، وإذا كان الأمر كذلك، فكيف. لم تكن المعارك في كنيسة زمن بولس بين الحرفيين والغنوصيين، بل بين المسيحيين ذوي وجهات النظر المختلفة حول العلاقة بين المسيحية واليهودية.

تشير رسائل بولس إلى أن هؤلاء اليهود المسيحيين الأكثر تقليدية يعيشون في أورشليم. يُفترض عادةً أنهم بطرس وآخرون من تلاميذ يسوع المذكورين في العهد الجديد. كما أوضحنا سابقاً، فإن هذا في الواقع تفسير للأدلة مبني على تصورات مسبقة غير مبررة. لا يوجد أي دليل يدعم فكرة وجود كنيسة الرسل في أورشليم كما تصورتها المسيحية الرومانية التقليدية.115 في الواقع، الأمر عكس ذلك تمامًا.

في الواقع، عندما ذهب الأسقف ميليتو من ساردس إلى يهودا عام 160 ليكتشف ما حدث لكنيسة أورشليم الأسطورية، وجد، لدهشته، ليس أحفاد الرسل، بل مجموعة صغيرة من الغنوصيين! 116 كان لهؤلاء المسيحيين، الذين أطلقوا على أنفسهم اسم الأبيونيين أو «الفقراء»، إنجيلهم الخاص بالأبيونيين، وإنجيل العبرانيين، 117 وإنجيل الرسل الاثني عشر، وإنجيل الناصريين. 118 وقد اختلفت جميع هذه الأناجيل اختلافًا كبيرًا عن أناجيل العهد الجديد. 119 وقد تمكن هذا الشكل من الغنوصية اليهودية المسيحية من البقاء لمئات السنين. 120

يشرح يوسابيوس، الداعية الحرفي، حقيقة أن كنيسة أورشليم قد تبين أنها تتكون من الغنوصيين من خلال الادعاء بأنهم جميعًا قد "ارتدوا" بشكل واضح عن حرفيتهم الأصلية وأصبحوا زنادقة - لكنه لا يشرح لماذا أو كيف حدث هذا! في الواقع، تشير الأدلة إلى أن مسيحيي أورشليم كانوا دائماً من الغنوصيين، لأنه في القرن الأول كان المجتمع المسيحي يتألف بالكامل من أنواع مختلفة من الغنوصية!

الخلاصة

هل كان بولس غنوصياً؟ دعونا نستعرض قليلاً مما اكتشفناه:

- زعم الغنوصيون أن نسبهم الروحي ينحدر من بولس وأنهم كانوا على دراية بتعاليم شفهية سرية كان بولس يعلمها لتلاميذ مختارين.

- كان لدى الغنوصيين العديد من الأناجيل التي نسبوها إلى بولس، "رسولهم العظيم".

- زعمت العديد من الجماعات الغنوصية أن بولس هو مؤسسها.

- بحلول منتصف القرن الثاني، كان من المعروف أن المجتمعات التي كتب إليها بولس رسائله كانت مراكز للغنوصية المرقيونية.

- رسائل بولس الرعوية المناهضة للغنوصية مزيفة، تم تزويرها في أواخر القرن الثاني. في الرسائل الأصلية، لا يُظهر بولس موقفاً مناهضاً للغنوصية، ولا يذكر أبداً يسوع التاريخي.

- شن المسيحيون الحرفيون في أوائل القرن الثاني هجوماً على بولس، زاعمين أنه "يتناقض" مع التعليم الصحيح وأنه "خصم" يسوع.

- ولد بولس في طرسوس، وهي مركز رئيسي للأسرار الوثنية، وكثيراً ما يستخدم مصطلحات من تلك الأسرار في رسائله. بل إنه يطلق على نفسه لقب "وكيل أسرار الله"، وهو المصطلح الذي يطلق على الكاهن في أسرار سيرابيس الوثنية. يستشهد بولس بأقوال الحكماء الوثنيين ويعلّم المذاهب الوثنية.

- عند ترجمتها بشكل صحيح، تكشف رسائل بولس عن محتوى غنوصي قوي. يستخدم بولس المصطلحات الغنوصية بانتظام. هو معلم لطقوس التأهيل الروحي. سافر بطريقة روحانية إلى السماء الثالثة. وهو يعلّم أن يسوع جاء فقط في "شبه" الجسد. إنه يستهزئ بالدين الظاهري. ويصف النصوص المقدسة بأنها "استعارات" و"رمزية". يرفض شريعة يهوه، الذي يسميه "الوسيط" و"الإله".

"في هذا العصر الزائل".

- بينما رأى أصحاب التفسير الحرفي للقيامة أنها وعد بأنهم سيقومون من قبورهم ويختبرون الخلود الجسدي بعد المجيء الثاني، يعلم بولس العقيدة الغنوصية بأن القيامة هي تجربة صوفية يمكن أن تحدث هنا والآن.

- إن السر العظيم الذي يدعي بولس أنه قادر على كشفه ليس أن يسوع سار حرفياً على الأرض، بل هو الكشف الصوفي عن "المسيح فيك".

- زعم الغنوصيون أن رسائل بولس، مثل الأناجيل، كانت تحتوي على تعاليم سرية مشفرة. كان بولس يعلّم

بطريقتين في آن واحد: الأسرار الظاهرية للمتأهلين النفسيين والأسرار الباطنية للمتأهلين الروحانيين. يمكن فهم رسائل بولس بطرق مختلفة لأنها صُممت للتحدث على مستويات مختلفة في آن واحد.

- يشعر بولس بالإحباط من تلاميذه لأنهم ليسوا مستعدين للتخلي عن المسيحية "الأولية" والانتقال إلى المستوى الأعمق.

تشير جميع الأدلة بقوة إلى أن بولس كان بالفعل غنوصيًا - تمامًا كما ادعى الغنوصيون أنفسهم طوال الوقت. ومع ذلك، بعد التفكير شعرنا أن وصف بولس بأنه غنوصي كان، بمعنى ما، مضللاً. كلما تعمقنا في دراسة الأدلة التي اكتشفناها، بدا لنا أن تطبيق مصطلحي "غنوصي" و"حرفي" على المسيحية في القرن الأول كان في الواقع بلا معنى. يتضح من رسائل بولس أن المجتمع المسيحي في هذه الفترة كان منقسماً بشدة، ومع ذلك لم يكن هذا الانقسام بين الغنوصيين والحرفيين، كما كان الحال في نهاية القرن الثاني. إن بولس ليس مناهضاً للغنوصية ولا مؤيداً لها، لأنه في عصره لم يكن الانقسام الكبير بين الغنوصيين والحرفيين قد حدث بعد.

في زمن بولس، كانت خيوط الفكر التي ستصبح فيما بعد الغنوصية والحرفية تتعايش بانسجام باعتبارها التعاليم الظاهرية والباطنية لأسرار يسوع. إن المعركة اللاهوتية التي يخوضها بولس هي بين أولئك المنخرطين في أسرار يسوع الذين يرغبون في الحفاظ على هوية يهودية تقليدية ومميزة، وأولئك الذين يرغبون، مثله، في جعل أسرارهم الجديدة "حديثة" وعالمية تمامًا.

يمتلك بولس جميع الخصائص التي نتوقع أن نجدها في أحد مؤسسي أسرار يسوع. كان هذا تأكيداً قوياً لأطروحة أسرار يسوع. عندما تكون النظرية صحيحة، يبدأ كل شيء في الترتيب والتنظيم. لقد شرحت رؤيتنا الجديدة لأصول المسيحية الأدلة، وكانت متسقة داخلياً، وبسيطة بشكل جميل، وساخرة بشكل رائع. لكن كان هناك شيء ما لا يزال يقلقنا.

تقترح نظرية أسرار يسوع أن اليهود قد ابتكروا نسختهم الخاصة من الأسرار القديمة مع يسوع باعتباره أوزوريس-ديونيسوس الخاص بهم. كيف يمكن أن يحدث هذا؟ يرسم التاريخ التقليدي صورة لليهود كشعب منعزل، منفصل ومتميز عن ثقافات البحر الأبيض المتوسط الأخرى، قومي بشدة ومتعصب لدينه، مخلص بشدة لإلههم الواحد يهوه ومعادي تمامًا لوثنية جيرانهم. من هذا المنظور، تبدو فكرة أن اليهود ربما يكونون قد تبنوا الأسرار الوثنية أمراً لا يمكن تصوره. وهكذا سيكون الأمر، إذا كان أي من هذا صحيحاً.

الأسرار اليهودية

> "إن قيام الكهنة اليهود بأداء ترانيمهم على الناي والطبول، وهم متوجون باللبلاب، واكتشاف كرمة ذهبية في الهيكل، دفع البعض إلى تخيل أن الإله الذي كانوا يعبدونه هو ديونيسوس." 1
> تاسيتس

الصورة التقليدية ليسوع هي أنه نشأ بين الرعاة والصيادين في منطقة ريفية نائية من العالم القديم. في الواقع، بحلول الوقت الذي يُفترض أن يسوع عاش فيه، كانت يهودا، مثل العديد من البلدان الأخرى في ذلك الوقت، قد تبنت الكثير من الثقافة اليونانية وأصبحت "متأثرة بالثقافة اليونانية".2 وعلى بُعد ساعة سيرًا على الأقدام من الناصرة في الجليل، حيث يُفترض أن يسوع نشأ، كانت تقع مدينة صفورية المتأثرة بالثقافة اليونانية، والتي كانت تضم مسرحًا به فسيفساء رائعة لديونيسوس.3 وكانت جدارا، التي تبعد يومًا واحدًا سيرًا على الأقدام من الناصرة، تضم مدرسة مهمة للفلسفة الوثنية.4 وكانت سكيثوبوليس، على الحدود الجنوبية للجليل، مركزًا لأسرار ديونيسوس5، ويُقال حتى إن الإله نفسه هو من

أسسها.6

كانت أورشليم محاطة بمدن متأثرة بالثقافة الهيلينية، مثل لاريسا وعسقلان، والتي أنجبت جيلاً من الفلاسفة الوثنيين البارزين الذين ذاع صيتهم حتى روما.7 ويذكر سفر المكابيين الثاني في الكتاب المقدس اليهودي أن هيكل أورشليم نفسه تحول إلى معبد يوناني للإله زيوس، وأقيمت فيه احتفالات ديونيسوس.8 وقد بنى رئيس الكهنة ياسون صالة رياضية على الطراز اليوناني - وهي بمثابة "جامعة" وثنية للتعليم البدني والفكري والروحي - بجوار الهيكل، وهو ما لاقى استحسان رجال الدين اليهود أكثر من تقاليدهم. بحسب سفر المكابيين الثاني:

> لم يعد الكهنة يُظهرون أي حماس لواجباتهم عند المذبح، بل تعاملوا مع الهيكل بازدراء، وأهملوا القرابين، وكلما دعاهم جرس الافتتاح سارعوا للانضمام إلى الألعاب الرياضية في مدرسة المصارعة في تحدٍ للقانون. 9

لقد استمرت عملية الاندماج هذه بين الثقافة اليهودية والوثنية لقرون. إن تاريخ اليهود القدماء هو تاريخ غزو متكرر من قبل أمم أخرى: في عام 922 قبل الميلاد من قبل المصريين؛ وفي عام 700 قبل الميلاد من قبل الآشوريين؛ وفي عام 586 قبل الميلاد من قبل البابليين؛ وفي عام 332 قبل الميلاد من قبل اليونانيين بقيادة الإسكندر الأكبر؛ وفي عام 198 قبل الميلاد من قبل السوريين؛ وأخيراً في عام 63 قبل الميلاد من قبل الرومان، الذين دمروا دولة يهودا بالكامل في عام 112 ميلادي. ° أدت هذه الفتوحات حتما إلى خضوع الشعب اليهودي للتأثير الثقافي لغزاتهم، فضلاً عن تشتت اليهود في جميع أنحاء البحر الأبيض المتوسط كعبيد، مما شكل ما يسمى "الشتات".

أولئك الذين استعادوا حريتهم اندمجوا في الحضارة الوثنية، وحتى عندما أتيحت لهم فرصة العودة من المنفى إلى وطنهم، اختارت الأغلبية عدم القيام بذلك.11

قام يهود الشتات بدمج الروحانية الوثنية مع تقاليدهم الدينية الخاصة. في بابل، على سبيل المثال، اشتهر اليهود بممارستهم لعلم التنجيم البابلي. كان البطريرك إبراهيم نفسه يهوديًا بابليًا، ويُقال إنه كان مُلِمًّا بعلم التنجيم.12 بل إن يهودًا بارزين مثل المؤرخ يوسيفوس والفيلسوفين أرسطوبولس وفيلو يدّعون ادعاءً مُثيرًا للدهشة بأن إبراهيم هو من اخترع التنجيم.13

بل إن اليهود تبنوا الأسرار الوثنية. في بابل، مارسوا طقوس تموز، إله أوزوريس-ديونيسوس البابلي.14 في العهد القديم، يصف النبي حزقيال نساءً يهوديات ينوحن على وفاة تموز عند البوابة الشمالية لهيكل أورشليم نفسه.15 ووفقًا للقديس جيروم، كان هناك بستان ظليل مقدس لأدونيس، إله أوزوريس-ديونيسوس السوري، في بيت لحم.16 في سوريا، عُثر على رموز وثنية بارزة مرسومة إلى جانب زخارف يهودية تقليدية على جدران الكنيس.17 في آسيا الصغرى، ساوى اليهود بين إلههم يهوه وسبزيوس، إله أوزوريس-ديونيسوس الفريجي.18 بل يُقال إن اليهود طُردوا من روما عام 139 قبل الميلاد لمحاولتهم إدخال طقوس سبزيوس إلى المدينة! 19

أصبح إله اليهود يُعرف باسم "ياو"، وهو اسم قديم من أسماء ديونيسوس في أسرار إليوسيس.20 وقد عُثر على عملة معدنية في موقع أثري يبعد أقل من 40 ميلاً عن أورشليم، تُصوّر يهوه مؤسس أسرار إليوسيس.21 ومن المثير للدهشة أن العديد من المؤلفين القدماء، بمن فيهم بلوتارخ، وديودوروس، وكورنيليوس لابو، ويوهانس ليدوس، وتاسيتس، يُعرّفون إله اليهود بديونيسوس مرارًا وتكرارًا.22 ويعلق أحد الباحثين المعاصرين قائلاً:

"من بين جميع الآلهة القديمة، كان ديونيسوس الأكثر ارتباطاً باستمرار بالإله اليهودي في أورشليم." 23

إن النظرة إلى اليهود على أنهم متحدون في معارضتهم للوثنية هي وهم روجته المسيحية ليكون بمثابة الأساس لمزاعمها اللاحقة بأنها متميزة روحياً عن الوثنية. الحقيقة هي أن اليهود المختلفين تبنوا مواقف مختلفة تجاه الثقافة الوثنية. كان بعضهم من الأصوليين التقليديين. وقد تبنى آخرون بحماس الطرق الوثنية. سعى الكثيرون إلى دمج تقاليدهم الخاصة مع الوثنية والحصول على أفضل ما في العالمين.

كوزموبوليتان الإسكندرية

حدث أكبر اندماج للثقافتين اليهودية والوثنية في الإسكندرية بمصر. عندما غزا الإسكندر الأكبر مصر في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، ساعده اليهود من خلال العمل كجواسيس ومرتزقة. وقد كوفئوا بالسماح لهم بالسكن في حي خاص بهم في مدينة الإسكندرية الجديدة التي أسسها الإسكندر. أدى ذلك إلى هجرة جماعية طوعية لليهود إلى المدينة، حيث تمتعوا بكافة مزايا الثقافة الوثنية المتطورة.24 ويُعتقد أن ما يصل إلى نصف سكان الإسكندرية الأصليين كانوا من اليهود.25

منذ البداية كانت الإسكندرية مدينة كوزموبوليتية - "مدينة عالمية". أنشأ الإسكندر إمبراطورية واسعة أصبحت فيها اللغة اليونانية هي اللغة المشتركة، وسافر الناس من كل عرق إلى الإسكندرية ليصبحوا مواطنين في هذه المدينة الجديدة متعددة الأعراق. قرر بطليموس الأول، أول حاكم للإسكندرية، إنشاء يونان صغيرة في مصر.26 وفي عهده المستنير، تم تأسيس مكتبة ومتحف جمعا بشكل منهجي معارف العالم القديم. في أوجها، احتوت المكتبة على مئات الآلاف من اللفائف - يقول البعض ربما أكثر من نصف مليون لفافة وبردية.27 أصبحت الإسكندرية أعظم مركز للتعلم في العالم القديم، حتى أنها حلت محل أثينا.

في الإسكندرية، بلغت أسرار أوزوريس- وديونيسوس آفاقاً جديدة. تطور الموكب الصوفي للإليوسيس إلى عرض درامي أكثر فخامة، يُؤدى في فصول عديدة على مسارح متعددة المستويات.28 على عكس أثينا، لم تكن الأسرار التي تُمارس في الإسكندرية محمية حتى بقاعدة السرية، لذا كان بإمكان أي شخص حضور هذه الطقوس الصوفية العظيمة.29 شجعت هذه البيئة العالمية المتسامحة بطبيعة الحال على دمج واختلاط التقاليد الروحية المختلفة.30

لم يكن بوسع السكان اليهود إلا أن يقعوا تحت تأثير الثقافة الوثنية المتطورة التي صادفوها في الإسكندرية. حالت المحرمات الدينية لليهود التقليديين دون حضورهم الولائم العامة والمهرجانات والمسرح، بسبب ارتباطاتها بالوثنية.31 وقد حرمهم ذلك من المزايا الهائلة لكونهم جزءًا من الحضارة العظيمة التي كانت تحيط بهم. لذلك، ليس من المستغرب أن يختار عدد كبير من اليهود قطع صلتهم بتقاليدهم ومحاولة الاندماج في المجتمع الوثني. في فترة قصيرة بشكل ملحوظ، تخلى اليهود عن لغتهم الخاصة واعتمدوا اللغة اليونانية العالمية.32 استمر التحدث باللغتين الآرامية والعبرية، بسبب الهجرة المستمرة لليهود من يهودا إلى مصر، لكن اللغة اليونانية أصبحت اللغة السائدة، ليس فقط في التعاملات مع الجماعات القومية الأخرى في المدينة، ولكن داخل المجتمع اليهودي نفسه. بل إنها كانت تُستخدم في طقوس الكنيس وفي العبادة العائلية.33

بحلول القرن الثاني قبل الميلاد، وصلت عملية الاستيعاب الثقافي هذه إلى حد أن كاتب مسرحي يهودي، حزقيال، أعاد كتابة سفر الخروج اليهودي على شكل مأساة يونانية بلغة وأسلوب يوريبيدس! 34 أرادت النخبة المثقفة اليهودية التوفيق بين معتقدات أجدادهم وحكمة الشعوب الأخرى. شككوا في النظرة الأصولية لنصوصهم المقدسة باعتبارها تاريخًا حرفيًا، وبدأوا في تفسيرها على أنها رموز صوفية.35 وباستخدام هذه التقنية المستعارة من الحكماء

الوثنيين، تمكن الفلاسفة اليهود من تفسير نصوصهم المقدسة بما يتماشى مع الفكر اليوناني.36 وتحت تأثيرهم، ازدهرت الفلسفة اليهودية، وأصبح حاخامات الإسكندرية يُعرفون باسم "نور إسرائيل"، وكانوا يحظون بتقدير كبير من اليهود في كل مكان.37

كان اليهود الأصوليون ينظرون إلى إلههم يهوه على أنه إله قبلي ساعدهم طوال تاريخهم على تحقيق النصر على مضطهديهم وكان في معارضة تامة للوثنية. لكن اليهود المتأثرين بالثقافة اليونانية في الإسكندرية صوروا يهوه على أنه إله كوني، مطابق لرؤية أفلاطون للوحدة المطلقة.38

ولتجنب اتهامات اليهود الآخرين بأنهم يتخلون عن تقاليدهم، بدأ اليهود المتأثرون بالثقافة اليونانية في الادعاء بأن الفلسفة الوثنية كانت في الأصل يهودية! زعم هيرميبوس أن فيثاغورس قد تلقى حكمته من اليهود.39 طوّر أرسطوبولس هذه الفكرة السخيفة، معلنًا أن أفلاطون وأرسطو قد استعارا من موسى.40 كتب أرتابانوس خيالًا تاريخيًا ساوى فيه بين موسى وهرمس الهرامسة، المؤسس الأسطوري للأسرار المصرية، وموسايوس، المؤسس الأسطوري للأسرار اليونانية.41 على الرغم من سخافة هذه الأفكار، إلا أنها سهّلت على اليهود الحفاظ على كرامتهم الوطنية مع تبني فلسفة جيرانهم الوثنيين والمشاركة في المجتمع العالمي.

النصوص اليهودية المتأثرة بالثقافة اليونانية

عندما ادعى اليهود المتأثرون بالثقافة الهيلينية أن حكمة الأسرار الوثنية تنتمي إلى أصول يهودية، فقد صوروا الوثنية واليهودية على أنهما جزءان أساسيان من نفس التقاليد الدينية. وقد برر ذلك إدخالهم للمفاهيم والفلسفة الوثنية في اليهودية. في القرن الثاني، تُرجمت الأسفار العبرية إلى اليونانية تحت تأثير الفلسفة الأفلاطونية.42 كما كتب اليهود المتأثرون بالثقافة اليونانية عددًا من النصوص الروحية الجديدة التي تُظهر تداخل الأفكار اليهودية والوثنية.43 كُتبت هذه النصوص بين العهد القديم اليهودي والعهد الجديد المسيحي، وتُعرف باسم الأعمال "بين العهدين". فعلى سبيل المثال، تساوي رسالة أحستياس بين يهوه وزيوس، وتدعو إلى الانسجام بين اليهود واليونانيين، الذين يُصوَّرون على أنهم يتشاركون ثقافة واحدة ورؤية واحدة للحياة الطيبة.44

يكتب أحد الباحثين المعاصرين عن نص آخر من هذا القبيل، يُسمى سفر المكابيين الرابع:

> هذا النص هو أعجوبة من التناقضات، أو بالأحرى، حل للتناقضات. ظاهرياً، هو موجه ضد الطاغية اليوناني انطيوخوس الرابع، من قبل يهودي أرثوذكسي متدين، ومع ذلك فهو مكتوب بلغة يونانية رائعة من قبل فيلسوف متمرس في الفكر اليوناني، وأساليبه في الجدال هي أساليب سقراط. 45

تستقي كتب أخنوخ أيضاً من الزخارف الوثنية. نُسبت هذه النصوص إلى البطريرك اليهودي القديم أخنوخ، لكنه في أيدي اليهود المتأثرين بالثقافة اليونانية أصبح شخصية أسطورية عظيمة، يُعادل الحكيم المصري الأسطوري هرمس ثلاثي العظمة.46 ويشير أحد الباحثين إلى أن: "هذه الوثائق، برؤيتها الشعرية الرائعة والمتسامية، تحتوي على قصص واهتمامات عالمية تربطها بأساطير عظيمة أخرى من العالم القديم.47

لم يعد هذا "الأدب الحكيم" الذي يقع بين العهدين يقسم البشرية إلى يهود وأمميين، بل إلى "حكماء وحمقى". إنها تؤكد على التقوى الروحية بدلاً من طاعة شريعة موسى، وتصور يهوه ليس كإله يهودي، بل كرب الأرض كلها.48

بل إن اليهود ابتكروا نسختهم الخاصة من عرافات سيبيل الوثنية. كانت النبوءات الوثنية الأصلية تُنسب إلى العرافة، وهي نبية يُعتقد أنها عاشت لقرون، وكانت تنطق بكلمات الله في حالة من النشوة. في وقت ما من القرن الثاني قبل الميلاد، ابتكر يهودي إسكندري شخصية عرافة سيبيل يهودية، ونظمت أقوالها في أبيات سداسية التفعيلة اليونانية المثالية.49

غالباً ما تجسد الأدبيات اليهودية بين العهدين الحكمة في صورة "صوفيا"، كما فعل الوثنيون القدماء. كما يشير أحد الباحثين المعاصرين، فإن هذا «يوناني بالكامل ولا يوجد له نظير في اللاهوت اليهودي الأرثوذكسي».50 تظهر صوفيا اليهودية منذ القرن الثالث قبل الميلاد، عندما وُصفت بأنها قرينة يهوه في سفر الأمثال.51 بعد ثلاثة قرون، وبصدى لعقائد الأسرار الوثنية، كتب الفيلسوف اليهودي فيلو عن موسى بأنه «ابن أبوين لا فساد لهما ولا دنس فيهما، فأبوه هو الله، وهو كذلك أبو الكل، وأمه صوفيا، التي من خلالها وُجد الكون». بالنسبة لفيلو، كما هو الحال بالنسبة للغنوصيين، فإن صوفيا هي "أم اللوغوس".52 إن الدور المركزي الذي منحه الفلاسفة الوثنيون واليهود المتأثرون بالثقافة اليونانية في الفترة ما بين العهدين، ولاحقًا الغنوصيون، للأنوثة الإلهية، هو دليل قوي على وجود خط تطور مباشر يربط هذه التقاليد الثلاثة معًا.

أسرار موسى

من الواضح إذن أن اليهود المتأثرين بالثقافة الهيلينية أرادوا دمج حكمة الأسرار الوثنية مع تقاليدهم الروحية الخاصة. لكن هل قاموا بإنشاء نسخة يهودية خاصة من الأسرار كما تتنبأ أطروحة أسرار يسوع؟

توجد الأدلة التي نحتاجها للإجابة على هذا السؤال في أعمال فيلو الإسكندري (20 قبل الميلاد - 40 ميلادي)، وهو زعيم يهودي يحظى باحترام كبير وفيلسوف يهودي شهير.53 كان فيلو مخلصًا ليهوديته الأصلية، ولكنه كان أيضًا متأثرًا بالثقافة اليونانية بشكل كامل ومهووسًا بالفلسفة الوثنية. يكتب عن الفلاسفة باعتبارهم أخوية دولية من مواطني العالم الذين "يسكنون الكون كمدينة لهم"، ويعتنون بالجميع على حد سواء، ويشيد بهم قائلاً:

> "هؤلاء الرجال، على الرغم من قلة عددهم نسبياً، يحافظون سراً على شرارة الحكمة الخفية في جميع أنحاء مدن العالم، حتى لا تنطفئ الفضيلة تماماً وتختفي من جنسنا البشري." 54

كان فيلو، بين القدماء، يكنّ احتراماً خاصاً لفيثاغورس وتلميذه أفلاطون، الذي وصفه بـ"العظيم" و"الأقدس".55 ويشير الفيلسوف المسيحي كليمنت الإسكندري إلى فيلو بـ"الفيثاغوري".56 ومثل جميع أتباع فيثاغورس، كان فيلو ملمّاً بالموسيقى.

الهندسة وعلم التنجيم، بالإضافة إلى الأدب اليوناني من كل العصور.57 كما أنه، مثل غيره من الفيثاغوريين، كان منغمسًا في غموض الأسرار الوثنية.58

يستخدم فيلو ما يسميه "طريقة الأسرار" للكشف عن النصوص اليهودية باعتبارها رموزًا تشفر تعاليم روحية سرية.59 وهو يفسر القصة "التاريخية" لموسى والخروج على أنها استعارة صوفية للطريق الذي يؤدي عبر هذا العالم إلى الله. إن المرشد في هذه الرحلة هو الشخصية الوثنية المألوفة المعروفة باسم "اللوغوس". بالنسبة لفيلو، كما هو الحال بالنسبة لحكماء الأسرار، فإن الكلمة هي "ابن الله الوحيد والمحبوب".60 ومثل حكماء الأسرار، يعلّم أن عجائب العالم المرئي مصممة لتقود البشر إلى تجربة الاتحاد الصوفي مع الله.61

لم يكتف فيلو بتبني فلسفة الأسرار، بل ادعى أنه من المتأهلين62 - ولكن ليس في الأسرار الوثنية. لقد شجع اليهود على عدم المشاركة في طقوس التأهيل الوثنية، لأن لديهم أسرارهم اليهودية الخاصة: أسرار موسى! 63 بحسب فيلو، كان موسى هو المؤهل العظيم، "كاهن الطقوس ومعلم الأمور الإلهية". يصف فيلو نفسه أيضاً بأنه كاهن ومؤهل في الأسرار اليهودية.64 ويكتب عن "تعليم التأهيل لأولئك المتأهلين لأقدس التأهيلات".65 وكما هو الحال في الأسرار الوثنية، شكل المتأهلون طائفة صوفية سرية وكان مطلوباً منهم أن يكونوا طاهرين أخلاقياً. كما هو الحال في الأسرار الوثنية، فقد أقسموا ألا يكشفوا "الأسرار المقدسة حقًّا" لغير المطلعين، خشية أن يسيء الجاهلون فهم ما لم يفهموه، وبالتالي يعرضوا الأسرار لسخرية العامة.

بالنسبة لفيلو، كانت الطقوس بمثابة مدخل إلى عالم جديد، بلد غير مرئي، عالم الأفكار حيث "يمكن للعقل النقي أن يتأمل الطبيعة النقية وغير الملوثة* لتلك الأشياء غير المرئية والتي لا يمكن إدراكها إلا بالعقل".66 وكما هو الحال في الأسرار الوثنية، كان الهدف هو أن يتحول المتأهل إلى كائن إلهي من خلال تجربة النشوة الدينية. على غرار الأسرار، يكتب فيلو عن الإلهام الإلهي (enthousiazein)، والجنون الصوفي (korubantian)، والجنون الإلهي (bakeuein)، والتلبس الإلهي (katechesthai)، والنشوة (ekstasis).67 ويقارن نشوة المتأهلين في الأسرار اليهودية بالإلهام النبوي والجنون الإلهي للمتأهلين في أسرار ديونيسوس. ويكتب:

"اخرج من نفسك ممتلئًا بالهيجان الإلهي مثل أولئك الذين يمتلكون في الطقوس الصوفية لديونيسوس، والذين يمتلكهم الإله على طريقة الإلهام النبوي. فعندما لا يعود العقل منغلقاً على نفسه، بل منغمساً ومتحمساً بشغف سماوي، فهذا هو ميراثك." 68

المسيحيون الأوائل؟

نجت أعمال فيلو من التدمير الجماعي للنصوص القديمة على يد الكنيسة الرومانية بسبب غرابة غريبة في التاريخ. لم يجد الأسقف يوسابيوس، داعية الكنيسة في القرن الرابع، أدلة كافية لبناء تاريخ المسيحية، فاستغل بشغف وصفًا في أحد كتب فيلو لمجموعة من اليهود تُدعى المعلاجون.69 ويُذكّر وصف فيلو لعيد الربيع الذي كانوا يحتفلون به باحتفال المسيحيين بعيد الفصح، 70 ولذلك، ادّعى يوسابيوس أنه اكتشف أقدم المسيحيين في الإسكندرية.71 وأكد أن مسؤولي المعلاجون كانوا أول الأساقفة والكهنة والشمامسة، وأنه لا يمكن لأحد أن ينكر أن هؤلاء الرجال هم أول المسيحيين.72

كان فصل الربيع، بطبيعة الحال، هو الوقت الذي يحتفل فيه الوثنيون بعيدهم للإله الذي يموت ويبعث، لذا فإن افتراض يوسابيوس غير مبرر. كتب فيلو عن المعالجين في عام 10 ميلادي، أي قبل 20 عامًا من التاريخ المفترض للصلب.

لذا يمكننا أن نستنتج بثقة أن جماعة المعلاجون ليسوا المسيحيين الحرفيين الأوائل الذين أراد يوسابيوس أن نعتقد.73 ومع ذلك، ومن المفارقات، أن يوسابيوس ربما كان محقًا بطريقة لم يكن ليقصدها أبدًا.74 فجماعة المعلاجون هم مجموعة من اليهود يمارسون بوضوح نسخة يهودية من الأسرار الوثنية - وهي تحديدًا تلك المجموعة التي تقترح أطروحة أسرار يسوع أنها جمعت قصة يسوع من أساطير أوزوريس-وديونيسوس.

يمكننا أن نعرف أن المعلاجين كانوا يهودًا لأنهم احتفلوا بعيد العنصرة اليهودي وحافظوا على قدسية يوم السبت.75 ومع ذلك، في كل شيء آخر، كانوا يشبهون مجتمعًا فيثاغوريًا. كما هو الحال في المجتمعات الفيثاغورية، كان المعالجون يرتدون ملابس بيضاء، ويتقاسمون جميع ممتلكاتهم بشكل مشترك 76 ويقبلون النساء على قدم المساواة لأنهن "يمتلكن نفس الرغبة الشديدة وقد اتخذن نفس الخيار المتعمد مثل الرجال".77 يخبرنا فيلو عن المعالجين في كتاب بعنوان "في الحياة التأملية". كانت عبارة "الحياة التأملية" مصطلحًا استخدمه الفيثاغوريون في جميع أنحاء العالم القديم لوصف نمط الحياة في مجتمعاتهم الرهبانية.78 في الواقع، يخبرنا فيلو أن المعلاجين كانوا "جنسًا من البشر وُجدوا في أجزاء كثيرة من العالم المأهول، في كل من العالم اليوناني وغير اليوناني، يتشاركون في الخير الكامل".79

كما سبق ذكره، كان فيلو نفسه يُعرف باسم "الفيثاغوري"، وقد كتب عن المعالجين بلغة الرياضيات الصوفية التي تميز أتباع فيثاغورس:

"في المقام الأول، يجتمعون جميعاً في نهاية كل أسبوع سابع، لأنهم لا يجلّون فقط الفترة البسيطة المكونة من سبعة أيام، ولكن أيضاً فترة مربع العدد سبعة، لأنهم يعلمون أن الرقم سبعة نقي وعذري دائماً." 80 «إن عيدهم في اليوم السابع ليس إلا مقدمة لأعظم أعيادهم، والذي يُخصص للعدد الخمسين، وهو العدد الأكثر قدسية وطبيعية، وهو مجموع قوى المثلث القائم الزاوية المثالي، والذي تم

تعيينه كمصدر لتكوين العناصر الكونية». 81

على غرار حكماء الوثنية القدماء، يقارن فيلو بين عبادة المظاهر الخارجية غير الواعية من قبل المضللين في جميع الأديان، وعبادة الإله الحق من قبل أولئك الذين يتبعون الحياة التأملية، مثل جماعة المعلاجون.82 ومثل المتأهلين الوثنيين، رأى أتباع المعلاجين أن التفسير الحرفي لنصوصهم المقدسة ليس إلا غطاءً خارجيًا يخفي معنىً صوفيًا سريًا. كانوا يعتقدون أن: "تفسير الكتابات المقدسة يتناول المعنى الباطني المنقول في الرمزية."783 يكتب فيلو:

> "إنهم يخصصون الفترة الزمنية الكاملة من الفجر إلى غروب الشمس للممارسة." يقضون وقتهم في دراسة النصوص المقدسة وتفسيرها بشكل رمزي، لأنهم يعتقدون أن الكلمات ذات المعنى الحرفي هي رموز ذات طبيعة خفية لا تتضح إلا من خلال المعنى الضمني. 84

بل إن فيلو يقارن على وجه التحديد الدعوة الإلهية التي يتلقاها أعضاء جماعة المعالجين بالحماس الصوفي الذي يختبره المتأهلون في أسرار ديونيسوس:

"إن الذين ينخرطون في العبادة الإلهية لا يفعلون ذلك بسبب أي عادة أو بناءً على نصيحة أو طلب من أحد، بل ينجرفون بحب سماوي، مثل أولئك الذين تم إدخالهم في أسرار ديونيسوس، فهم يشتعلون بحب الله حتى يروا معشوقهم." 85

يصف فيلو اجتماع مجموعات منفصلة من الرجال والنساء في طقوس المعالجين، فيكتب:

"عندما تحتفل كل فرقة على حدة، وتشرب من رحيق يرضي الله، كما هو الحال في طقوس ديونيسوس حيث يشرب الرجال النبيذ غير المختلط، فإنهم ينضمون معًا، وتتشكل جوقة واحدة من الفرقتين، على غرار الجوقة المشتركة على ضفاف البحر الأحمر بسبب الأعمال الرائعة التي تم إنجازها هناك." 86

إن قدرة فيلو على مقارنة المعالجين في جملة واحدة بكل من المتأهلين في أسرار ديونيسوس وأتباع موسى على ضفاف البحر الأحمر تدل على مدى اندماج التقاليد الوثنية واليهودية. إن مثل هذه المقاطع لا تدع مجالاً للشك في أن بعض اليهود قد اعتنقوا الوثنية بالفعل ودمجوها مع اليهودية لإنتاج نسخة يهودية خاصة من الأسرار القديمة.

إذن، وجدنا هنا بالضبط نوع المجتمع الذي كان من الممكن أن ينتج أسرار يسوع. وهم يعيشون بالضبط حيث نتوقع منهم ذلك - بالقرب من تلك البوتقة العظيمة للثقافات الوثنية واليهودية، الإسكندرية. يقول لنا فيلو:

> "في مصر توجد حشود منهم في كل ولاية، وخاصة حول الإسكندرية." أما أولئك الذين هم الأكثر تقدماً من جميع النواحي، فيأتون كمستوطنين، كما يقال، إلى وطن المعلاجين، إلى مكان ملائم للغاية لهذا الغرض، يقع على شرفة مرتفعة نسبياً تطل على بحيرة مريوط، جنوب الإسكندرية مباشرة. 87

تقع بحيرة مريوط على بعد أميال قليلة من المكان الذي شهد فيه هيرودوت الاحتفال بأسرار أوزوريس أمام عشرات الآلاف من الناس قبل 500 عام.88 ويخبرنا فيلو أن المعالجين هنا أيضًا قد "تلقوا التأهيل في أسرار الحياة المقدسة"89، ومثل حكماء الأسرار الوثنية قبلهم والمسيحيين الغنوصيين بعدهم، سعوا إلى تجربة "ما هو أفضل من الخير وأنقى وأقدم من الواحد" بشكل مباشر.90

الخلاصة

على الرغم من أنه قد يبدو في البداية من غير المرجح أن يكون اليهود قد تبنوا الأسرار الوثنية، إلا أن هذا هو بالضبط ما حدث. لولا ثقافتنا المسيحية، التي تصور اليهود على أنهم متميزون عن الحضارات الوثنية المحيطة بهم وفي معارضة لها، لما بدا هذا الأمر غريباً للغاية. لقد تبنت جميع الثقافات الأخرى في منطقة البحر الأبيض المتوسط الأسرار المقدسة. كان من المحتوم أن يقوم اليهود المتأثرون بالثقافة اليونانية، عاجلاً أم آجلاً، بدمج هذا التصوف العالمي مع اليهودية. دعونا نستعرض بعض الأدلة:

- لقد التقت الثقافات الوثنية واليهودية وتكاملت عبر التاريخ.
- بحلول الوقت الذي يُفترض أن يسوع عاش فيه، كانت الجليل محاطة بمدن متأثرة بالثقافة الهيلينية، والتي كانت موطنًا لفلاسفة وثنيين بارزين ومراكز لأسرار ديونيسوس.
- في بابل، اشتهر اليهود بمعرفتهم بعلم التنجيم الوثني ومارسوا أسرار تموز. وقد ورد ذكر هذه الأسرار في العهد القديم على أنها كانت تُمارس من قبل اليهود في أورشليم نفسها. ربط اليهود يهوه بأوزوريس-ديونيسوس وتم طردهم من روما بسبب إدخالهم لأسرار سبزيوس.

- تبنى اليهود اللغة اليونانية، وانضموا إلى المدارس اليونانية، وأعادوا كتابة سفر الخروج على شكل مسرحية على الطراز اليوناني، وترجموا النصوص اليهودية تحت تأثير الفلسفة الوثنية، وكتبوا نصوصًا جديدة تجمع بين الزخارف اليهودية والوثنية.

- زعم الفلاسفة اليهود أن الفلاسفة اليونانيين قد تلقوا حكمتهم من النبي موسى في العهد القديم، وبالتالي تصوير الوثنية واليهودية على أنهما في الأساس جزءان من نفس التقاليد الدينية.

- ادعى فيلو الفيثاغوري أنه كاهن في أسرار موسى، والتي تشبه الأسرار الوثنية.

- المعلاجون هم فيثاغوريون يهود.

- ومثل المتأهلين في الأسرار الوثنية، اعتقد المعالجون أن أساطيرهم تشفر حقائق صوفية سرية.

- يقارن فيلو جماعة المعالجين بأتباع ديونيسوس.

- عاشت جماعة المعلاجون بجوار بحيرة بالقرب من الإسكندرية حيث تم الاحتفال بأسرار أوزوريس لمئات السنين.

هل كان المعالجون الإسكندريون مسيحيين أوائل؟ كانت الإسكندرية مركزًا للتصوف الوثني في أواخر العصور القديمة، وكان بها أكبر عدد من السكان اليهود خارج يهودا، وكانت موطنًا لأعظم أساتذة الغنوص المسيحيين خلال القرون القليلة الأولى الميلادية. يخبرنا كليمنت أن إنجيل مرقس، وهو أقدم إنجيل في العهد الجديد، قد كُتب هنا. إنه المكان الأكثر وضوحاً لنشأة أسرار يسوع.

هل اتخذ المعالجون، بعد أن طوروا نسختهم الخاصة من الأسرار القديمة، الخطوة المنطقية التالية؟ هل قاموا أيضاً بتبني أسطورة أوزوريس-ديونيسوس للأسرار وإعادة صياغتها كقصة إنسان إله يهودي يموت ويبعث يُدعى يسوع؟ الجواب هو أننا ببساطة لا نعرف. ومع ذلك، فإن ممارسة الأسرار من قبل اليهود تدعم بقوة فكرة أن مجموعة من المتأهلين اليهود، وربما المعالجين أنفسهم، كانوا مسؤولين عن خلق قصة يسوع.

تم ترميز الحكمة الصوفية للأسرار في أسطورة أوزوريس-ديونيسوس.

بالتأكيد كان من الصعب مقاومة الأمر، بعد ابتكار شكل يهودي خاص للأسرار، ألا يتم أيضاً تكييف هذه الأسطورة القديمة العظيمة؟ أعاد اليهود المتأثرون بالثقافة اليونانية كتابة قصة الخروج كمسرحية يونانية على غرار أسلوب يوريبيدس. لماذا لم يكن أحد يعلم أن قصة يسوع مجرد أسطورة، ولكن كيف تم تفسيرها على أنها تاريخ؟ كيف أصبح المسيح الأسطوري الذي ذكره بولس هو الرجل الناصري الذي تم تصويره في الأناجيل؟ لم تدّعِ القصص الوثنية عن إنسان الإلهي يموت ويبعث أنها أحداثًا حقيقية، فلماذا تم تقديم قصة يسوع على أنها سيرة ذاتية حرفية؟

وللإجابة على هذه الأسئلة قررنا تفكيك أسطورة يسوع نفسها، لاكتشاف كيف تم إنشاؤها وكيف تم تأريخها. أدركنا أن مفتاح فهم بنيتها يكمن في إدراك شيء واضح لدرجة أنه من المذهل أنه تم تفويته بسهولة. بطل أسطورة السر اليهودي هو شخصية مركبة. يسوع هو مزيج من شخصيتين أسطوريتين موجودتين مسبقاً: إله الوثنيين والمسيا اليهودي.

أسطورة يسوع

"تعريفي المفضل للدين هو "سوء فهم الأساطير". ويكمن سوء الفهم تحديداً في نسبة المراجع التاريخية إلى رموز ذات دلالات روحية في الأصل.
جوزيف كامبل

عندما أدخل فيثاغورس وأتباعه الأسرار المصرية إلى اليونان، لم يكتفوا بتأسيس عبادة أوزوريس. احتوت أسرار أوزوريس على عقائد كانت تُعتبر هرطقة عميقة في أثينا في القرن الخامس قبل الميلاد، وخاصة فكرة أن الإله يمكن أن يموت.2 لذلك، ولتجنب النبذ والاضطهاد لمجرد إدخال خرافة أجنبية، قام الفيثاغوريون بتحويل إله يوناني ثانوي، ديونيسوس، إلى نسخة يونانية من شخصية أوزوريس العظيمة. وبهذه الطريقة، تعرف اليونانيون على الأسرار المصرية بشكل بدا وكأنه متأصل فيهم.3 وقد تبنت جميع ثقافات البحر الأبيض المتوسط الأخرى التي احتضنت هذه الأسرار هذا النهج. كما قاموا بتحويل إله محلي إلى إنسان إلهي يموت ويبعث.

إن جماعة يهودية فيثاغورية مثل جماعة المعالجين التابعة لفيلو، والتي ترغب في تعريف اليهود بالأسرار القديمة، كانت ستواجه مشاكل مشابهة لتلك التي واجهها الفيثاغوريون قبل خمسة قرون. ولجعل الأسرار متاحة بسهولة لليهود، كانوا بحاجة إلى شخصية أسطورية محلية يمكنهم تحويلها إلى أوزوريس-ديونيسوس يهودي.

لقد استغنى اليهود عن جميع الآلهة والإلهات، وعبدوا إلههم الواحد فقط، يهوه. لكن في حين يمكن مساواة يهوه بوحدة أفلاطون العليا، إلا أنه لم يكن لديه سيرة أسطورية مثل الآلهة الوثنية التي يمكن تكييفها لتصبح أسطورة أوزوريس-ديونيسوس. على عكس الثقافات الأخرى، لم يكن لدى اليهود آلهة ثانوية، لذلك لم يكن هناك سوى شخصية أسطورية يهودية واحدة يمكن تحويلها إلى أوزوريس-ديونيسوس: المسيا.

الكلمة العبرية "المسيا" تعني "الممسوح"، والتي تعني في اليونانية "المسيح". كان المصطلح يستخدم في الأصل للإشارة إلى الملوك وكبار الكهنة، الذين كانوا يُمسحون بالزيت في طقوس خاصة. في العهد القديم، يُستخدم هذا المصطلح غالبًا للإشارة إلى الملك الحاكم.4 وفي السنوات اللاحقة، عندما أصبح اليهود شعبًا مهزومًا ومُستَعمَرًا، أصبح يرمز إلى مُخلِّصٍ مُستقبلي سيأتي ليُحرِّرهم من مُضطهديهم ويُعيد بناء الدولة اليهودية تحت حكم ملك من نسل ملكهم العظيم داود.5 بعد الاحتلال الروماني ليهودا عام 63 قبل الميلاد، ازداد وضع اليهود سوءًا، وبدا أن معجزة إلهية كونية هي وحدها القادرة على كسر شوكة الإمبراطورية الشاسعة التي اضطهدتهم، ولذلك نُظر إلى المسيا على أنه شخصية خارقة للطبيعة يُبشِّر قدومه بنهاية الزمان.6

يشير بناء قصة يسوع إلى أن مبتكري الأسرار اليهودية اتخذوا الخيار الوحيد المتاح لهم وقاموا بدمج الإنسان-الإله المتوفى والقائم من بين آلهة الأسرار مع المسيا اليهودي. تؤكد الأناجيل بوضوح أن يسوع هو المسيا. ويزعم أنه ولد في بيت لحم من نسل داود - تمامًا كما يجب أن يكون المسيا. يُطلق عليه بطرس اسم المسيا.7 بل إنه يُسمى جوشوا (يسوع باليونانية)، وهو الاسم المتوقع للمسيا.8 ومع ذلك، فإن يسوع المسيا ليس في الواقع سوى ستار رقيق يخفي شخصية يسوع الإنسان- الإلهي الذي مات وقام من بين الأموات.

ويتضح هذا بشكل خاص من روايات ولادته. يقدم لنا كل من متى ولوقا أنسابًا طويلة ومفصلة لإظهار أن يوسف من نسل داود (انظر الصفحات 170-171)، ومع ذلك يخبرنا كلاهما أيضًا أن يسوع ليس ابن يوسف على الإطلاق، بل ابن الله. من المثير للدهشة أن العديد من المعلقين يتجاهلون التناقض غير العادي الموجود في هذين الإنجيلين دون تقديم أي تفسير مقنع. ألم يدرك متى ولوقا مدى سخافة ما كانا يقولانه؟ حتى لو كان ذلك نتيجة إضافات لاحقة وتحرير سيئ، فمن المؤكد أنه لا يمكن السماح لمثل هذه المفارقة بالبقاء في الأناجيل عن غير قصد!

لكن نظرية أسرار يسوع تحل هذا اللغز الغريب من خلال الإشارة إلى أن كتّاب الأناجيل كانوا على دراية تامة بالتناقض الذي كانوا يطرحونه. كانوا يعلمون أن ما يكتبونه هو أسطورة تشفر تعاليم سرية. لذلك، قدم كل منهم نسبًا لإظهار أن يسوع هو المسيا اليهودي، ابن داود، بينما في الوقت نفسه أخبروا أولئك "الذين لديهم آذان تسمع" أن يسوع هو في الواقع أوزوريس- ديونيسوس، ابن الله وأم عذراء.

تختلف الأنساب التي قدمها لوقا ومتى اختلافاً تاماً لأنها مجرد تركيبات أدبية وليس لها أي أهمية حقيقية. المهم هو أنه من خلال المسيا، يُمنح اليهود إمكانية الوصول إلى تعاليم الأسرار المشفرة في أسطورة أوزوريس-ديونيسوس. كما يوضح أوريجانوس، فإن "الفواصل في بنية السرد، والمواقف غير المنطقية والمستحيلة" قد وضعت جميعها في الكتب المقدسة عن قصد للتأكد من أن القراء لا يقعون في أدنى تفسير حرفي لفترة طويلة جدًا، لأنه "إذا كان تسلسل السرد وأناقته واضحين طوال الوقت، فلن نعتقد أن أي شيء آخر غير المعنى الواضح يمكن أن يكون مقصودًا في الكتب المقدسة". تُدمج في الكتاب المقدس "مصائد معينة" و"عقبات ومستحيلات" لمنع القارئ من "التقيد بحرفية النص، وعدم إدراك معناه الإلهي الأعمق".9 وبهذه الطريقة، مع مراعاة التوقعات اليهودية قدر الإمكان بشأن المسيا، توضح قصة يسوع أن هذه ليست هويته الحقيقية.10 فعلى سبيل المثال، كان يُتوقع أن يكون المسيا اليهودي ملكًا محاربًا جاء لتحرير يهوذا من أعدائها وإعادة تأسيس سلالة داود. لكن يسوع أعلن بوضوح في محاكمته:

> "مملكتي لا تنتمي إلى هذا العالم. لو حدث ذلك، لكان أتباعي يقاتلون لإنقاذي من الاعتقال على يد اليهود. سلطتي الملكية تأتي من مكان آخر." 11

عندما أخبر بطرس يسوع أنه يعتقد أنه المسيا، لم يؤكد يسوع ذلك ولم ينكره، بل تنبأ ببساطة بأن ابن الإنسان يجب أن يموت ويقوم من بين الأموات. عندما وبخه بطرس لأن المسيا اليهودي لا يمكن أن يموت بهذه الطريقة، وبخه يسوع بدوره، ووصفه بالشيطان! يُدان بطرس لعجزه عن الانتقال من الفكرة اليهودية عن المخلص باعتباره المسيا المنتصر إلى المفهوم الوثني للمخلص باعتباره إلهاً بشرياً مُضحى به.12

بالنسبة لليهود التقليديين، كان من غير المعقول أن يموت المسيا، الذي كان من المتوقع أن ينتصر على جميع أعداء يهودا، كمجرم عادي. في الواقع، ينص سفر التثنية في العهد القديم تحديدًا على أن "كل من عُلِّق على خشبة فهو ملعون"13 - وهو الوصف نفسه الذي ذكره بطرس لمصير يسوع.14 في اليهودية، لم يُنظر إلى المسيا على أنه شخص سيخلص بموته الفدائي. هذا هو دور أوزوريس-ديونيسوس. لذلك، في موته وقيامته، يتجلى يسوع ليس على أنه المسيا اليهودي المقدر له أن يحقق النصر العسكري والخلاص الوطني، بل على أنه إله الأسرار الذي يحقق النصر الروحي والخلاص الصوفي.

لمساعدة اليهود على تجاوز العقبة الرئيسية المتمثلة في موت يسوع المخزي وعدم تحقيقه نصراً عسكرياً واضحاً ضد مضطهديهم، يُصوَّر يسوع على أنه يدّعي أنه سيعود مرة أخرى. بعد أن أنجز موت وقيامة أوزوريس-ديونيسوس، يعد بمجيء ثانٍ وشيك عندما يعود في مجده ليضرب أعداءه ويحقق توقعات المسيا اليهودي.

الزخارف الأسطورية اليهودية

من خلال دراسة قصة يسوع، يتضح أن مبتكري أسرار يسوع قاموا بتكييف الأساطير اليهودية الموجودة مسبقًا لدمج أسطورتهم عن الإنسان-الإله الميت والقائم من بين الأموات مع اليهودية. على سبيل المثال، تحولت وجبة عيد الفصح اليهودية إلى وجبة الأسرار المقدسة بمجرد أن قدم يسوع الخبز والخمر كرموز لجسده ودمه.

يحدث عيد الفصح في أسطورة الخروج في العهد القديم، حيث يقود موسى شعبه من الأسر في مصر عبر الصحراء إلى أرض الميعاد. كانت هذه قصة مفضلة لدى اليهود المتأثرين بالثقافة اليونانية، وخاصة فيلو، وتشكل أساسًا لعدد من العناصر في قصة يسوع. فهم اليهود المتصوفون قصة الخروج على أنها رمزية للتأهيل الروحي. يبدأ الشعب

اليهودي كـ "أسرى" في مصر، ثم "يُدعى للخروج من مصر" بواسطة موسى، وفي النهاية يقودهم النبي يشوع كـ "الشعب المختار" إلى أرض الميعاد. إليكم إذن المراحل الثلاث للتأهيل التي وجدناها بالفعل في كل من الغنوصية والأسرار الوثنية: يكون المتأهل أولاً "أسيراً" (هيلي: "مادي".)، ثم يُعمّد ليصبح واحداً من "المتأهلين" (سيكك (نفسي))، وأخيراً يؤهل ليصبح واحداً من (بينيوماتك (روحي).15 كان يُنظر إلى الشخص على أنه "أسير" عندما يكون متماهياً مع جسده وأعمى عن هويته الروحية الحقيقية. كان يُنظر إلى مصر على أنها استعارة للجسد، وكان يُنظر إلى "الخروج من مصر" على أنه يرمز إلى تجاوز التماهي مع الجسد. كان يُنظر إلى عبور البحر الأحمر المعجزة على أنه استعارة للتعميد بالماء. كان يُنظر إلى الشخص المعمد والمتأهل حديثًا إلى الجماعة على أنه واحد من أولئك "المدعوين" للقيام بالرحلة الروحية. كانت المعاناة التي عانى منها اليهود خلال سنوات تيههم الأربعين في البرية تُعتبر استعارة لتجربة المتأهل في التعرض للشكوك والريبة. كان "المختارون" هم أولئك الذين وصلوا إلى الأرض الموعودة، مما يرمز إلى وعد الغنوص في نهاية الرحلة الروحية.

يظهر موضوع "الدعوة من مصر" في إنجيل متى، حيث تم تصوير مريم الحامل على أنها منفية في مصر قبل أن تعود إلى يهودا لتلد يسوع. ثم يعلن الله: "من مصر دعوت ابني". 16 في عصر مهووس بالمعاني الخفية، لا بد أن الرنين المزدوج في هذا الموضوع قد أسعد صناع أسطورة يسوع. وهنا تمكنوا من ترديد رمزية التأهيل في قصة الخروج التي يُدعى فيها اليهود للخروج من مصر، وفي الوقت نفسه إخبار القارئ المطلع بالمكان الذي نشأت منه أسرار يسوع حقًا - مصر القديمة.17

إن سنوات موسى الأربعين التي قضاها في التيه في البرية، وهو يعاني من الثعابين وما شابه، تصبح أربعين يوماً وأربعين ليلة قضاها يسوع في البرية، حيث عانى خلالها من الشكوك والإغراءات في هيئة الشيطان. لم يصل موسى بنفسه إلى أرض الميعاد، بل عيّن النبي يشوع ليقود الشعب المختار إلى وجهتهم النهائية نيابةً عنه.18 ولذلك، اختير اسم يشوع (باليونانية: يسوع) للإله اليهودي أوزوريس-ديونيسوس الذي يقود شعبه المختار إلى أرض الميعاد للولادة الروحية.19 يُمثّل يشوع العهد الجديد للأسرار اليهودية الذي يحلّ محلّ الشرائع والتقاليد القديمة التي مثّلها موسى. تتمثل مهمته الأولى في تعيين 12 تابعًا.20 وبالمثل، في أسطورة يسوع، فإن أحد أعمال يسوع الأولى هو اختيار التلاميذ الاثني عشر.

من الواضح أن العديد من العناصر الأخرى في قصة يسوع قد تم اقتراحها من الأساطير اليهودية. إن دخول يسوع إلى أورشليم راكباً حماراً، على سبيل المثال، يستند إلى الأساطير الوثنية، ولكنه يتردد صداه أيضاً في سفر زكريا من العهد القديم الذي يقول: "ها هو الملك قادم راكباً حماراً، ابتهجي يا بنات أورشليم". 21 غالباً ما يشير كتّاب الأناجيل والمسيحيون الأوائل الآخرون إلى هذه المقاطع على أنها نبوءات تثبت حقيقة الطبيعة الإلهية ليسوع. ومع ذلك، في ضوء أطروحة أسرار يسوع، يمكن اعتبارها بمثابة الزخارف الأسطورية التي بُنيت عليها القصة.

كان اليهود المتأثرون بالثقافة اليونانية في الإسكندرية يبحثون لقرون في الكتب المقدسة اليهودية للعثور على أوجه تشابه مع الفلسفة الوثنية وأساطير أوزوريس -ديونيسوس. العديد من كتب العهد القديم، وخاصة المزامير، لها أصول في الشعر المصري وأدب الحكمة، لذلك كان من السهل العثور على إشارات مبطنة إلى أساطير أوزوريس.22 ويمكن أن تصبح هذه الأساطير الأساس الذي يُبنى عليه أسطورة يهودية لأوزوريس متجذرة أيضًا في اليهودية. تتضح هذه العملية بشكل خاص في إنجيل بطرس، الذي لم يدخل في العهد الجديد. تستند جميع الجمل تقريبًا في رواية آلام المسيح في هذا الإنجيل إلى مراجع كتابية في العهد القديم.23

في القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد، قام اليهود المتأثرون بالثقافة اليونانية في الإسكندرية بترجمة النصوص اليهودية إلى اليونانية. وقد أتاح لهم ذلك الفرصة لخلق أوجه تشابه بين الأساطير اليهودية والأساطير الوثنية التي لم تكن موجودة من قبل. على سبيل المثال، يتنبأ سفر إشعياء بأن "امرأة شابة ستحبل وتلد ابناً"، لكن هذه العبارة تُرجمت خطأً في النسخة اليونانية إلى "عذراء ستحبل وتلد ابناً"، مما يجعلها متوافقة مع المفهوم الوثني للولادة العذرية.24 ثم أصبح هذا

النص "دليلاً" رئيسياً في الكتاب المقدس اليهودي استخدمه المسيحيون الأوائل لدعم ادعائهم بأن يسوع هو المسيا اليهودي المنتظر!

في إنجيل مرقس، يُجبر يسوع على اقتباس المزمور 22 على الصليب: "إلهي، لماذا تركتني؟" 25 يحتوي هذا المزمور أيضًا على الأسطر التالية: "أحاط بي مجمع الأشرار: ثقبوا يدي ورجلي". 26 ولذلك في الأناجيل، يُصلب يسوع بثقب يديه وقدميه بالمسامير. ويتابع المزمور: "يقسمون ثيابي بينهم، ويقرعون على ردائي". 27 ولذلك في الأناجيل، تم تقسيم ملابس يسوع بالقرعة بين قادة المئة الرومان الذين أشرفوا على صلبه.

التكيف مع الماضي

ولخلق أسطورة يسوع، استند المتأهلون في الأسرار اليهودية أيضًا إلى الأدب ما بين العهدين الذي كان قد جمع بالفعل بين المواضيع الأسطورية الوثنية واليهودية. لا تعكس هذه النصوص التي تعود إلى ما بين العهدين الأسرار الوثنية فحسب، بل إنها تتنبأ أيضاً بالمسيحية، وتشكل جسراً بينهما.28 فعلى سبيل المثال، تتحدث نبوءات سيبيل اليهودية عن نهاية العالم القادمة من نار كونية في يوم القيامة، وعن السلام على الأرض للمؤمنين. إنهم مليئون بالحماسة التبشيرية، وهو أمر نادر في الأدب اليهودي ولكنه موجود في كل من الأسرار والمسيحية. كما أنهم يتطلعون إلى مجيء المسيح - وهو أمل تدعي المسيحية أنها تحققه.29

توجد في كتب أخنوخ أيضاً رموزٌ تُردد صدى الأسرار وتُنبئ بالمسيحية.30 ومثل يسوع، يُقال إن أخنوخ قد رُفع جسدياً إلى السماء.31 وعند وصوله، استُقبل على أنه "ابن الإنسان"32 - وهو لقب سيرثه يسوع.

ينقل هذا العنوان فكرة أن أخنوخ ويسوع كلاهما يجب فهمهما على أنهما شخصيتان "تمثلان كل إنسان" تمثلان البشرية جمعاء بشكل أسطوري. إن التعبير العبري "ابن" يعني "تجسيد".33 إن ابن الإنسان هو تجسيد لفكرة الإنسان البدائي. هذه طريقة أخرى للتعبير عن نفس الفكرة التي يعبر عنها القديس يوحنا عندما يقول إن يسوع هو الكلمة (اللوغوس) المتجسدة. ينبغي فهم يسوع وأخنوخ على أنهما تجسيدان للديمون (التوأم السماوي أو الذات العليا) الكوني، الوعي الواحد الذي يحرك جميع الكائنات. تمامًا مثل يسوع، تجسيد للكلمة (اللوغوس)، فإن ابن الإنسان في كتب أخنوخ هو كائن إلهي كان موجودًا مع الله منذ البداية. وكما هو الحال مع يسوع، يُطلق على ابن الإنسان الأخنوخي لقب "رسول من الله"، و"مسيح الله الغير مرئي"، و"نور للأمم".34

تتحدث أدبيات الحكمة بين العهدين عن "الرجل الصالح" الذي هو رسول إلهي أُرسل لجلب الحكمة إلى العالم. هذه الشخصية، التي تعكس صورة "الرجل الصالح" الوثني السابق، تصبح "الرجل الصالح" المسيحي يسوع. ومثل يسوع، يرفضه البشر،35 ويطلق مزاعم تثير العداء،36 ويتعرض لسوء المعاملة، ويدخل في صراع مع السلطات، ويموت،37 ويعترف به أعداؤه في النهاية على أنه "ابن الله".38

قدمت لنا مكتبة نجع حمادي للأناجيل الغنوصية المبكرة مخطوطتين، إذا قُرئتا معًا، تُظهران مدى سهولة جعل نص موجود مسبقًا مسيحيا.39 وقد تم تقسيم رسالة غير مسيحية بعنوان "الغنوصي الصالح المتأهل"40 بشكل تعسفي إلى حد ما إلى خطابات منفصلة، والتي وُضعت بعد ذلك على لسان يسوع كإجابة على أسئلة تلاميذه. والنتيجة هي نص مسيحي يسمى حكمة يسوع المسيح.41 النصوص المسيحية وغير المسيحية متطابقة تقريبًا باستثناء إضافة يسوع وتلاميذه. فيما يلي بعض الأمثلة القصيرة:

الغنوصي الصالح المتأهل

"الذي هو كائن" لا يمكن وصفه. لم يعرفه أي مبدأ، ولا سلطة، ولا خضوع، ولا أي مخلوق منذ بدء الخليقة، إلا هو وحده.

قال له متى: ′يا رب، لا أحد يستطيع أن يجد الحق إلا من خلالك. لذلك علمنا الحقيقة.′ قال المخلص: ' ""هو الذي هو" لا يوصف. لم يعرفه أي مبدأ، ولا سلطة، ولا خضوع، ولا أي مخلوق منذ بدء الخليقة، إلا هو وحده..." قال فيليب: ′يا رب، كيف ظهر إذن للكاملين؟′ قال له المخلص الكامل: "قبل أن يكون أي شيء مرئيًا بين الأشياء المرئية، الجلال والسلطات التي فيه، فهو يحتضن كليات الكليات، ولا شيء يحتضنه. لأنه كله عقل...

قبل أن يظهر أي شيء بين أولئك الذين يظهرون، الجلالة والسلطات التي فيه، فهو يحتضن كليات الكليات، ولا شيء يحتضنه. لأنه كله عقل...

قال له متى: ″يا رب، يا مخلص، كيف ظهر الإنسان؟″ قال المخلص الكامل: ″أريدكم أن تعلموا أن الذي ظهر أمام الكون في اللانهاية، الأب الذي نشأ بذاته، الأب الذي بناه بنفسه، المليء بالنور الساطع الذي لا يوصف...

الأول الذي ظهر أمام الكون في اللانهاية هو الأب الذي نشأ ذاتياً، والذي بناه بنفسه، وهو مليء بنور ساطع لا يوصف.

الأسطورة تصبح تاريخاً

كان الرجال-الآلهة الغامضون الوثنيون شخصيات أسطورية بوضوح، وسيرهم الذاتية موجودة "خارج الزمن" في عالم الأحلام والصور. وإذا كان يُنظر إليهم على أنهم عاشوا حرفياً، فإن ذلك كان في العصور القديمة لا يمكن تمييزه عن الأسطورة. فلماذا تقدم قصة يسوع أسطورة الرجل الإلهي اليهودي كما لو كانت تاريخاً؟

إن رسائل بولس الأصلية، كما رأينا، لا تظهر أي علامة على أن قصة يسوع قد اتخذت سياقًا تاريخيًا في النصف الأول من القرن الأول. يبشر بولس بمسيح صوفي، من خلال موته وقيامته، يجلب الولادة الجديدة لأتباعه. ربما كان هذا الشكل البدائي لأسطورة يسوع موجودًا منذ مئات السنين.42 وكان في البداية أسطورة سرية من أسرار اليهود، لذلك لا نتوقع أن يكون قد نجا أي دليل على وجودها. لكن عاجلاً أم آجلاً، كان من المحتم أن تتحول أسطورة يسوع إلى قصة تاريخية.

كان اليهود يتوقعون أن يكون المسيا شخصية تاريخية جاءت حرفياً لإنقاذ شعبه. لذا، إذا كان من المقرر تصوير أوزوريس-ديونيسوس اليهودي بشكل مقنع على أنه المسيا، فسيتعين إعادة صياغة الأسطورة كدراما تاريخية. ومع ذلك، لا يمكن القول إن يسوع قد وُجد في الماضي البعيد مثل الانسان-الإله للأسرار الوثنية، لأن مثل هذا المسيا لا يمكنه أن يجلب الخلاص السياسي لشعبه الآن. يجب تصويره على أنه قادم من الماضي القريب، لأن هذا وحده سيجعله ذا صلة. ولتفسير سبب عدم سماع أحد بقدوم المسيا، يُجبر يسوع على إبقاء مسيانيته سراً عن عمد. بل إن مرقس يصور حتى أقرب تلاميذ يسوع على أنهم لم يتعرفوا عليه كمسيا إلا بعد موته.43

على الرغم من تفسير العهد القديم على أنه رمزية صوفية من قبل اليهود المتأثرين بالثقافة اليونانية مثل فيلو، إلا أنه يبدو ظاهرياً سجلاً تاريخياً. وبالتالي، فإن تصوير قصة يسوع كسجل للأحداث الفعلية كان من شأنه أن يتناسب مع

الأسلوب العام للكتب المقدسة اليهودية؛ ويمكن استخدام الزمان والمكان اللذين تم اختيارهما كإطار لحياة يسوع وموته من قبل المتأهلين اليهود، الماهرين في الرمزية، لترميز الرسائل الرمزية.

أُطلق على الانسان الإلهي اليهودي اسم يشوع/يسوع نسبة إلى نبي الخروج يشوع بن نون، الذي يعني اسمه "يسوع ابن الحوت". هذا مثالي لشخصية المنقذ المصممة لعصر الحوت الفلكي الجديد، الذي يرمز إليه بالحوت. إن الوقت الذي تم اختياره لميلاد يسوع يربطه باقتران فلكي مهم في عام 7 قبل الميلاد والذي بشر بعصر الحوت الجديد.44 كما أصبح هذا الاقتران النجمي هو النجم الذي ينبئ بميلاد الإنسان الإلهي في الأساطير الوثنية. وهكذا يصبح يسوع رمزياً المخلص الجديد لعصر جديد.

كما مكّن وقت ميلاد يسوع مبتكري أسرار يسوع من نقل معلومات أخرى بشكل رمزي. بحسب إنجيل متى، ولد يسوع في عهد هيرودس، الذي حاول قتله وهو رضيع لمنعه من أن يصبح ملكًا على اليهود. كان هيرودس، الذي توفي عام 4 قبل الميلاد، دمية في يد الرومان ومكروهًا بشدة من قبل اليهود.45 إن وضع الطفل يسوع في صراع مباشر مع الملك المكروه يضع يسوع بالفعل في نموذج "الرجل الصالح المتهم ظلماً" ويصوره على أنه المسيا الذي جاء للدفاع عن اليهود. ويشير لوقا إلى نقطة مماثلة من خلال ذكر أن يسوع ولد بعد 10 سنوات في وقت تعداد السكان عام 6 ميلادي. بحلول ذلك الوقت،

كان الرومان قد ضموا يهودا أخيرًا، وكان الهدف من الإحصاء هو تمكينهم من فرض الضرائب مباشرة على اليهود. لم تعد يهودا تمتلك حتى إدارة دمية خاصة بها، بل أصبحت الآن تحت حكم حاكم روماني. وقد أدى ذلك إلى آمال يائسة في أن يظهر المسيا لحماية شعبه، ومن خلال وضع ميلاد يسوع في هذا الوقت، يشير لوقا إلى أن هذا الأمل قد تحقق.

الحدث الآخر الوحيد الذي يضع يسوع في سياق تاريخي هو وفاته في عهد الحاكم الروماني ليهودا، بيلاطس البنطي. بحسب يوسيفوس وفيلو، كان بيلاطس مكروهًا بشدة من قبل اليهود.46 فقد انتهك المحرمات الدينية اليهودية مرات عديدة، بما في ذلك كونه أول روماني يدنس هيكل القدس.47 ولذلك، كان بيلاطس الخيار الأمثل لدور الطاغية الشرير الذي يعدم الرجل الإله.

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن قصة يسوع تدور أحداثها في الجليل. لقد تأثرت الجليل بالثقافة الهيلينية لدرجة أنها عُرفت بين اليهود باسم "أرض الأمم".48 ويذكر يوسيفوس أن الجليل رفضت الدفاع عن أورشليم ضد الرومان.49 ولم تكن الجليل موالية لعبادة هيكل أورشليم، بل كانت لها علاقات وثيقة مع الثقافات الوثنية. لذا فقد كان موقعاً مثالياً لمنزل لأوزوريس-ديونيسوس اليهودي.

يمكن رؤية العملية التي من خلالها أصبحت قصة يسوع الأصلية الخالدة وغير المحددة بزمان ومكان معينين في إنجيل مرقس. لاحظ الباحثون أن جميع المقاطع التي تذكر الجليل هي إضافات لاحقة.50 فعلى سبيل المثال، في عبارة "وكان يمر على بحر الجليل فرأى سمعان وأندراوس"،51 وردت عبارة "على بحر الجليل" في غير موضعها النحوي في اللغة اليونانية.52 وقد دفع هذا معظم علماء العهد الجديد إلى الاعتقاد بأنها أضيفت لتحديد موقع جغرافي لقصة كانت تفتقر إليه سابقًا.

مسيا بديل

في عام 66 ميلادي، ثار اليهود في يهودا ضد مضطهديهم الرومان، مما أدى إلى أعمال انتقامية مروعة. يزعم يوسيفوس أنه من بين 3 ملايين يهودي، مات مليون، وبيع 100 ألف آخرون كعبيد.54 وعندما سقطت أورشليم في النهاية، لم يتبق منها سوى أطلال متفحمة. يكتب يوسيفوس:

> "جميع التحصينات الأخرى المحيطة بالمدينة كانت مسوية تمامًا بالأرض لدرجة أن أي شخص يزور المكان لن يصدق أنه كان مأهولًا بالسكان في يوم من الأيام. كانت هذه إذن هي النهاية التي أوصلت إليها حماقة الثوار مدينة أورشليم، المدينة العظيمة المشهورة في أرجاء الأرض." 55

كانت اليهودية التقليدية في حالة احتضار منذ عام 63 قبل الميلاد عندما دعا كهنة الهيكل الفاسدون الرومان أنفسهم لتسوية نزاعاتهم الداخلية، وبذلك وضعوا بلادهم على طريق الهيمنة الرومانية. بحلول عام 70 ميلادي، عندما دمر الرومان أورشليم، شعر العديد من اليهود بخيانة إلههم يهوه لهم تماماً، والذي فشل بوضوح في حمايتهم من أعدائهم. وقد تم التعبير عن هذه المشاعر في الأدب اليهودي في ذلك الوقت. في سفر رؤيا باروخ، على سبيل المثال، يستجوب النبي باروخ يهوه بإصرار كما لو كان متهمًا في محاكمة: لماذا سمح الله بالاستيلاء على أورشليم، وتدمير هيكلها، وتشتيت شعبها؟ يأمر باروخ الكهنة اليهود بأخذ مفاتيح الهيكل ورميها في السماء، آمراً يهوه بحماية بيته! 56 الأمل الوحيد الذي يُطرح في هذا العمل الكئيب هو أن المسيا سيأتي في النهاية.

في مرحلة ما بعد هذه الأحداث الكارثية، تم وضع أسطورة يسوع لأول مرة في سياق تاريخي من خلال إنجيل مرقس. يشير هذا إلى أن هذه الأزمة هي التي أجبرت مبتكري أسرار يسوع على تحويل أسطورتهم عن الرجل-الإله المتوفى والقائم من بين الأموات إلى تاريخ زائف. في مواجهة كارثة وطنية شاملة، احتاج اليهود إلى أكثر من المسيح الصوفي الذي تحدث عنه بولس. كانوا بحاجة إلى مسيا جاء بالفعل لينقذهم كما وعد. أدت الأزمة في اليهودية إلى ظهور العديد من الأشخاص الذين زعموا أنهم المسيا، ولكنهم جميعًا فشلوا. هؤلاء الرجال، المعروفون بازدراء باسم "الغيورون" أو "قطاع الطرق"، جمعوا بين دور الثوري السياسي والمتعصب الديني بطريقة مماثلة للأصوليين المسلمين المعاصرين. يكتب يوسيفوس المؤيد للرومان:

> هؤلاء المخادعون والمحتالون الذين زعموا أنهم ملهمون تآمروا لإحداث تغييرات ثورية عن طريق حث الغوغاء على التصرف كما لو كانوا مسكونين، وعن طريق قيادتهم إلى البرية بحجة أن الله سيظهر لهم هناك علامات على اقتراب الحرية. 57

اتخذ العديد من هؤلاء الذين زعموا أنهم المسيا اسم يشوع/يسوع. يصف يوسيفوس يهودا بأنها مليئة بمثل هؤلاء "اللصوص" و"المحتالين" و"صانعي المعجزات" الذين "يخدعون الناس" و"يعدون بالخلاص". حاول البعض تكرار معجزة الخروج من خلال قيادة أتباعهم إلى الصحراء حيث سينقذهم يهوه. جمع أحدهم حشداً كبيراً على جبل الزيتون، واعداً، كيشوع ثانٍ، بأن أسوار المدينة ستسقط بأمره، وأنه سيقود أتباعه لذبح الحامية الرومانية.58

في المقابل، تقدم أسطورة يسوع مسياً مختلفاً تماماً. يسوع ليس ثورياً سياسياً. عندما سُئل عن الضرائب، قال لأتباعه أن يعطوا قيصر ما هو لقيصر.59 رسالته هي رسالة خلاص روحي، وليست رسالة تحرير وطني. من المثير للاهتمام أن نلاحظ أن خائنه، يهوذا، يحمل نفس اسم يهوذا الجليلي، أشهر قادة الغيورين، مما يلقي بظلال سلبية على الغيورين الأصوليين.60 ويبدو أن قصة يسوع قد تم اختلاقها عن قصد لمنح اليهود المحبطين بديلاً عن "المسيا" الثوري الكارثي الذي لم يكن يزيد الأمور إلا سوءًا. اليهود المتأثرون بالثقافة اليونانية، رغم ولائهم لتقاليدهم الوطنية وتطلعاتهم القومية، كانوا ينظرون إلى الغيورين بنفس الرعب الذي ينظر به المسلمون الغربيون المعاصرون إلى الأصوليين المسلمين المتعصبين. أدركوا أن الغيورين كانوا بصدد جلب كارثة على بلادهم، وقد أكدت أحداث عام 70 ميلادي كل مخاوفهم. سعى اليهود المتأثرون بالثقافة اليونانية والذين يعيشون في الإسكندرية إلى إيجاد طريقة ما لمساعدة مواطنيهم الذين يتدفقون من يهودا كلاجئين.

لا يمكن المبالغة في وصف يأس تلك الأوقات.61 في مواجهة فشل المسيا القومي في الوصول في ساعة حاجتهم، قدمت أسرار يسوع لليهود بديلاً صوفياً، وطريقة لاستعادة المعنى لحياتهم المحطمة، وإحياء بعض الفخر

بهويتهم الوطنية، ودمج أنفسهم في المجتمع الوثني الأوسع. انجذب المتأهلون الجدد إلى أسرار يسوع من خلال سرد قصة يسوع شبه التاريخية، ولكن لاحقًا، عندما ازداد فهمهم، تم إدخالهم في الأسرار الباطنية التي كشفت قصة يسوع على أنها تشبيه صوفي. وهكذا، مُنح اللاجئون اليهود المشردون والساخطون الأمل. لقد تحول المنقذ السياسي المتوقع الذي سيحرر الشعب اليهودي إلى منقذ روحي قادر على تحرير كل فرد من خلال الغنوص الصوفي.

لكن المفارقة تكمن في أن أسرار يسوع لم تلقَ رواجاً كبيراً داخل المجتمع اليهودي. كان مصير هذا الإيمان الجديد أغرب بكثير مما كان يمكن لأي شخص أن يتخيله في ذلك الوقت. في غضون 100 عام، كان الرجل الإلهي الوثني متنكراً في زي المسيا اليهودي، والذي كان من المفترض أن يقدم الأسرار الوثنية لليهود، في الواقع ينقل التقاليد اليهودية إلى الوثنيين!

مخلص عالمي

لم يكن مقدراً ليسوع أن يبقى مسياً يهودياً، بل أن يصبح مخلصاً عالمياً. كانت عملية التدويل هذه قد بدأت بالفعل بحلول وقت المناقشات الحادة التي دارت بين بولس والمسيحيين الأبيونيين. كان بولس يناضل لتحرير أسرار يسوع من الروابط غير الضرورية باليهودية ولجعلها جذابة لمزيد من اليهود المتأثرين بالثقافة اليونانية مثله. بالنسبة له، لم تكن الشريعة اليهودية التقليدية ذات صلة، إن وجدت أصلاً، إلا بالمسيحيين ذوي القدرات السيكك (النفسية). لقد جعلت التعاليم الجديدة (الوثنية أساساً) لأسرار يسوع الطرق اليهودية القديمة غير ضرورية. أما "المختونون" الذين جادل بولس ضدهم، على النقيض من ذلك، فقد رغبوا في الحفاظ على أسرار يسوع يهودية مميزة. كان هؤلاء اليهود المسيحيون الأكثر تقليدية موجودين في أورشليم، قلب اليهودية، بينما كان بولس يهوديًا متأثرًا بالثقافة اليونانية بشكل كبير، وكان يسافر من مدينة وثنية إلى أخرى.

على الرغم من حماسه الشديد، فشل بولس في مهمته المتمثلة في كسب معتنقين يهود لأسرار يسوع. ويُقال إنه في أفسس قام بالوعظ لمدة ثلاثة أشهر في المجمع اليهودي دون أي نتائج. بل إن اليهود هاجموه في أنطاكية. كان إخفاء أوزوريس-ديونيسوس في صورة المسيا اليهودي من أجل تهريب الرجل-الإله الوثني إلى اليهودية فكرة ماكرة، لكن معظم اليهود اكتشفوا هذه الحيلة بسهولة بالغة. لم يكن المسيا الذي صُلب كمجرم هو المخلص الذي كانوا ينتظرونه. بدت لهم المسيحية بمثابة عقيدة مربكة وهرطقية لمسيا فاشل.

لكن عندما توجه بولس إلى اليونانيين، حقق على الفور نجاحات غير عادية.62 كما لاحظ أحد الباحثين المعاصرين:

> "نحن مضطرون للاعتراف بوجود شيء من جهة يسيء إلى الأفكار اليهودية، ومن جهة أخرى يتوافق مع الأفكار اليونانية. آمل ألا يُساء فهمي إذا قلت إن المسيح لا بد أنه ظهر لليونانيين كبطل.
>
> إن المسيحية، من وجهة نظر تاريخية بحتة، هي عبادة أبطال يونانيين ضخمة مكرسة لمسيا يهودي. 65

بالنسبة للوثنيين، كانت هذه طائفة غامضة جديدة وغريبة تجمع بين عناصر من التقاليد اليهودية المثيرة للاهتمام والحكمة الخالدة للأسرار الوثنية. وبما أن بولس قد تخلص من الأعباء غير الجذابة للقوانين اليهودية القديمة، فلم يكن هناك ما يمنع الأمميين من اعتناق أسرار يسوع. علاوة على ذلك، بمجرد أن أصبحت الأسطورة تاريخية، اكتسبت طائفة المسيحية الجديدة جاذبية إضافية تتمثل في أنها قدمت ادعاءً ثوريًا حقيقيًا - وهو أن الرجل الإلهي قد سار بالفعل على الأرض في

الماضي القريب.

بحلول منتصف القرن الثاني، كانت أسرار يسوع قد رُفضت إلى حد كبير من قبل المجتمع اليهودي، لكنها لاقت قبولاً من قبل غير اليهود. لم يعد يُصوَّر يسوع على أنه جاء لإنقاذ اليهود، بل على أنه جاء لإنقاذ البشرية جمعاء. رفض المسيحيون من غير اليهود التقاليد اليهودية القديمة، كما كان بولس يرغب، لذلك لم تعد هذه مشكلة. لكن بحلول هذا الوقت، بدأ المجتمع المسيحي ينقسم مرة أخرى إلى فصيلين متميزين ومتناحرين - الحرفية والغنوصية.

ميلاد الحرفية

بعد عام 70 ميلادي، عندما دمر الرومان القدس، انتشر اليهود في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية كعبيد ولاجئين. اليهود الذين تم تأهيلهم فقط في الأسرار الظاهرية، بأفكار محدودة وغير ناضجة حول ماهية المسيحية، كانوا سينتشرون على نطاق واسع في جميع أنحاء العالم القديم، حاملين معهم ما اعتقدوا أنه "سيرة" يسوع المسيا. أما أولئك الذين كانوا في المناطق الغربية من الإمبراطورية فقد انقطعوا عن المراكز القائمة لأسرار يسوع في الإسكندرية والمناطق الشرقية من الإمبراطورية، وبالتالي مُنعوا من إكمال عملية التأهيل.

مع عدم وجود أساتذة للغنوص في نطاق مئات الأميال، فمن السهل تخيل كيف سيتطور شكل مشوش من أسرار يسوع بسرعة. في غضون بضعة عقود، أنشأ هؤلاء المسيحيون الغربيون ديانة كان الاعتقاد فيها بأن يسوع هو حرفيًا ابن الله الذي مات وقام من بين الأموات هي العقيدة المركزية. لم يكن لمسيحيتهم الحرفية مكان لأي أسرار باطنية. لم ينظروا إلى الأناجيل على أنها رموز مجازية، بل على أنها سجلات تاريخية لأحداث واقعية.

خلال القرن الثاني، أصبح قادة الجماعات المسيحية المحلية يُعرفون باسم "المشرفين" أو "الأساقفة". وبدون أي أسرار باطنية لنقلها، علّم هؤلاء الأساقفة أن الخلاص الأبدي مضمون لأي شخص يؤمن ببساطة بأن قصة يسوع صحيحة حرفياً. إن هذا الشكل المحدود من المسيحية، القائم فقط على الأسرار الظاهرية، هو الذي سيصبح في نهاية المطاف الكنيسة الكاثوليكية الرومانية.

استمرت أسرار يسوع الأصلية، التي نسميها الآن الغنوصية، في الازدهار في المكان الذي نشأت فيه، في الإسكندرية. أنتجت هذه المدينة كبار أساتذة الغنوصية في القرنين الثاني والثالث الميلاديين: كاربوقراطيس، وبازيليد، وفالنتينوس، وكليمنت، وأوريجانوس. من ناحية أخرى، اكتسبت النزعة الحرفية قوة في تلك المناطق من الإمبراطورية التي كانت معزولة عن أساتذة الغنوص في الشرق، وأصبحت في النهاية متمركزة في روما نفسها، حيث اتخذت طابعًا رومانيًا استبداديًا ضيقًا.

شكّل المتأهلون الأوائل في أسرار يسوع العديد من المجموعات المنفصلة في أماكن مختلفة، وغالبًا ما كانت تتمحور حول معلم معين غنوصي وتعمل مع أناجيلها الخاصة. حافظ الغنوصيون على هذا التقليد من التصوف والتنوع والتسامح. وعلى النقيض من ذلك، بدأ أتباع التفسير الحرفي للدين في بناء دين مركزي استبدادي.

من السهل أن نتخيل كيف كان ينظر أولئك الذين تأهلوا في الأسرار الباطنية بذهول إلى نمو النزعة الحرفية، التي أصبحت الآن خارجة عن سيطرتهم تماماً وبدأت تظهر في جميع أنحاء العالم القديم كطائفة دينية جديدة. زار العديد من أساتذة الأسرار الباطنية روما من أجل إدخال المسيحيين في الغنوص، لكنهم لم يلقوا ترحيباً. لم يكن الأساقفة المتمسكون بالحرفية مسرورين على الإطلاق بإعلان أحد المتصوفين الأجانب أنهم مجرد "مسيحيين سيكك (نفسيين)" بحاجة إلى مزيد من التلقين الروحاني. لقد شعروا بالاستياء من حكماء الغنوصية الذين "يسرقون أتباعهم" من خلال التقليل من شأن التعاليم الحرفية وتقديم التأهيل في الأسرار الباطنية السرية.

أما الغنوصيون، الذين ابتكروا قصة يسوع في المقام الأول، فقد اتُهموا الآن بتحريف التعاليم المقدسة للمخلص. احتج إيرينيئوس، المتحدث باسم المذهب الحرفي، على أن الغنوصيين "يقلبون إيمان الكثيرين، من خلال إبعادهم تحت

ذريعة المعرفة المتفوقة".64 كان الصراع حتميًا، ونشأت معركة مريرة من أجل روح المسيحية.

الخلاصة

وأخيراً شعرنا أننا وجدنا يسوع الحقيقي. إنه رجل الدين الغامض المتخفي! إنه "ابن الله" الأسطوري المتخفي في صورة "ابن داود" التاريخي. لقد أصبح واضحاً لنا الآن لماذا، على عكس جميع أساطير أوزوريس -ديونيسوس الأخرى، تم إعطاء قصة يسوع سياقاً تاريخياً، وكيف أنه بمجرد حدوث ذلك، أصبح نمو التفسير الحرفي أمراً لا مفر منه.

دعونا نستعرض بعض ما اكتشفناه حول أسطورة يسوع وتطورها:

- إن يسوع هو أوزوريس-ديونيسوس متنكر بشكل طفيف في صورة المسيا اليهودي من أجل جعل الأسرار الوثنية في متناول اليهود. تتضح طبيعته المركبة بشكل خاص من الروايات المتناقضة لميلاده، والتي تصوره في آن واحد على أنه المسيا من نسل داود

وأوزوريس-ديونيسوس ابن الله.

- في الأناجيل، يوضح يسوع أنه في الحقيقة ابن الله الذي مات وقام من بين الأموات، وليس المسيا اليهودي المنتظر.

- على الرغم من أنه يتوافق مع التوقعات اليهودية بشأن المسيا قدر الإمكان، إلا أنه من خلال موته وقيامته يظهر أن يسوع هو في الواقع أوزوريس-ديونيسوس.

- إلى جانب الزخارف الأسطورية الوثنية، تستند قصة يسوع إلى الزخارف الأسطورية اليهودية، وخاصة من قصة الخروج.

- تستند قصة يسوع إلى مفاهيم وصور تم تطويرها في الأدب اليهودي بين العهدين والتي تجمع بين الأفكار اليهودية والوثنية.

- في بعض النصوص، تمت إضافة اسم يسوع ببساطة لتحويل الرسائل التي سبقت المسيحية إلى وثائق مسيحية.

- كان من المتوقع أن يكون المسيا اليهودي شخصية تاريخية، مما يعني أنه يجب صياغة قصة يسوع في سياق تاريخي.

- استخدم مبتكرو سلسلة "أسرار يسوع" الزمان والمكان اللذين تم اختيارهما كخلفية لحياة يسوع لترميز رسائل رمزية. إن وقت ميلاد يسوع يربطه بميلاد العصر الجديد لبرج الحوت ويضعه في صراع مباشر مع الملك هيرودس المكروه والرومان. وقت وفاته يجعله في صراع مع المسؤول الروماني المكروه بشكل خاص، بيلاطس البنطي.

- في عام 70 ميلادي، دمر الرومان أورشليم، مما زاد من رغبة اليهود اليائسة في العثور على مخلص. أدت هذه الأزمة إلى وضع ضغوط خارجية على عملية تأريخ قصة يسوع، وأنتجت إنجيل مرقس من المسيح الصوفي الخالد الذي بشر به بولس.

- قدمت أسرار يسوع لليهود مسياً غامضاً كبديل لجميع المسيايين الغيورين الأصوليين الذين كانوا

يسببون الفوضى في يهودا في ذلك الوقت.

- على الرغم من أن تحويل المسيا اليهودي إلى أوزوريس-ديونيسوس من أجل تقديم الرجل-الإله الوثني لليهود كان فكرة ذكية، إلا أنها لم تنجح. رفض اليهود أسرار يسوع، لكن الوثنيين تبنوها كطائفة سرية جديدة.

- بعد عام 70 ميلادي، انتشر اليهود الذين لم يكونوا على دراية إلا بالأسرار الظاهرية للمسيحية في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية كعبيد ولاجئين. أما أولئك الذين كانوا في الغرب، والذين انقطعوا عن أساتذة الغنوص في الشرق، فقد طوروا ديانة جديدة، تستند فقط إلى الأسرار الظاهرية، والتي بشرت بيسوع التاريخي.

- استمرت أسرار يسوع الأصلية، والتي تسمى الآن الغنوصية، في الازدهار في الشرق.

- بحلول منتصف القرن الثاني، تعرض الغنوصيون، الذين ابتكروا قصة يسوع في المقام الأول، لهجوم من قبل المسيحيين الحرفيين باعتبارهم زنادقة قاموا بتحريف المسيحية الحقيقية.

من خلال دمج الأسطورة الخالدة عن الرجل-الإله الذي يموت ويبعث مع التوقعات اليهودية لمسيا تاريخي، اتخذ مبتكرو الأسرار اليهودية خطوة غير مسبوقة، لم يكن بإمكانهم التنبؤ بنتيجتها. ومع ذلك، عند التحليل، تبين أن النهاية كانت موجودة بالفعل في البداية. كان من المتوقع أن يكون المسيا منقذاً تاريخياً، وليس أسطورياً. لذلك كان من المحتم أن تتخذ قصة يسوع إطاراً شبه تاريخي. وهذا ما حدث. ما بدأ كأسطورة خالدة ترمز إلى تعاليم دائمة، أصبح الآن يبدو وكأنه سرد تاريخي لحدث فريد من نوعه في الزمن. من هذه النقطة، كان من المحتم أن يتم تفسيرها عاجلاً أم آجلاً على أنها حقيقة تاريخية. وبمجرد حدوث ذلك، ظهر نوع جديد تمامًا من الدين - دين قائم على التاريخ لا الأسطورة، وعلى الإيمان الأعمى بالأحداث المفترضة بدلاً من الفهم الصوفي للرموز الأسطورية، دين الأسرار الظاهرية بدون الأسرار الباطنية، دين الشكل بدون المضمون، دين الإيمان بدون المعرفة.

بقي جزء أخير من اللغز لنقوم بوضعه في مكانه. كيف تطورت المسيحية من طائفة سرية صغيرة إلى أكثر الأديان تأثيراً على مر العصور؟ ولماذا كانت المسيحية التي هيمنت في النهاية على العالم ليست التصوف العظيم والقديم للغنوصيين، بل الاستبداد الضيق للحرفيين؟

كنيسة مقلدة

> "وسيكون هناك آخرون من خارج جماعتنا يسمون أنفسهم أساقفة وشمامسة، كما لو أنهم قد تلقوا سلطتهم من الله. هؤلاء الناس قنوات جافة. إنهم يمارسون أعمالهم بكلمتي. إنهم يمدحون الرجال الذين ينشرون الكذب. إنهم يتمسكون باسم رجل ميت، ظانين أنهم سيصبحون أنقياء."
> يسوع في سفر نهاية العالم لبطرس

منذ بداية تاريخها وحتى يومنا هذا، كانت المسيحية ديناً للانقسام والصراع. لا توجد وثيقة واحدة في العهد الجديد لا تحذر من المعلمين الكذبة أو تهاجم المسيحيين الآخرين! في نهاية القرن الثاني، كتب الكاتب الساخر الوثني سيلسوس:

> "لا داعي للقول إن المسيحيين يكرهون بعضهم بعضاً كراهية شديدة. إنهم يتبادلون الافتراءات باستمرار بأبشع أشكال الإساءة، ولا يستطيعون التوصل إلى أي نوع من الاتفاق في تعليمهم."2

ويوضح قائلاً:

> "في بداية حركتهم، كانوا قلة قليلة العدد، ومتحدين في الهدف. ومنذ ذلك الحين، انتشروا في كل مكان، ويبلغ عددهم الآن الآلاف. لذلك، ليس من المستغرب وجود انقسامات بينهم - فصائل من جميع الأنواع، كل منها يريد أن يكون له منطقته الخاصة. ولا عجب أنه مع ازدياد هذه الانقسامات، لجأت الأطراف المختلفة إلى إدانة بعضها البعض، حتى أصبح لديهم اليوم شيء واحد مشترك، إن وجد،
>
> وهو اسم "المسيحي". لكن على الرغم من تمسكهم بفخر باسمهم، إلا أنهم يختلفون في معظم الجوانب الأخرى. 3

في القرن الأول، كانت المعارك في المجتمع المسيحي تدور حول علاقة أسرار يسوع باليهودية التقليدية. وبحلول منتصف القرن الثاني، كانت بين الغنوصيين والحرفيين. الفكرة المركزية للمسيحية الحرفية هي أن قصة يسوع، مهما بدت غريبة وأسطورية، هي في الواقع تاريخ حقيقي لأحداث خارقة للطبيعة. في مواجهة إصرار الغنوصيين على أن قصة يسوع كانت في الواقع رمزية صوفية، بدأ الحرفيون يؤكدون بشكل قاطع أن يسوع المسيح عانى وصُلب في عهد بيلاطس البنطي - وهو تصريح تكرر بإصرار متعصب يكشف عن مدى ضعف الحرفيين في ذلك الوقت.

فعلى سبيل المثال، تؤكد رسالة بطرس الثانية المزورة دفاعاً عن نفسها أن المسيحيين الحرفيين لا يتبعون "بعض القصص الخيالية المتقنة"! 5 يحث كاتب الرسائل المنسوبة إلى إغناطيوس المؤمنين على "عدم الانجرار وراء إغراء العقيدة الباطلة، بل الإيمان بثبات بالميلاد والآلام والقيامة، التي حدثت خلال فترة حكم بيلاطس البنطي".6 ويصر على: "لقد وُلد يسوع المسيح، نسل داود ومريم، من عذراء وعُمّد على يد يوحنا، واضطهد على يد بيلاطس وسُمّر على الصليب وهو في الجسد." 7

في نهاية القرن الثاني، تم تزوير العديد من الرسائل المنسوبة إلى الرسل بطرس ويوحنا ويعقوب للترويج لحملة التفسير الحرفي للنصوص ولتصوير الغنوصيين على أنهم زنادقة يخالفون التعاليم الحقيقية لأولئك الذين عرفوا يسوع بالفعل. تُعلّم رسالة يوحنا الأولى أن سبيل التمييز بين المعلمين الحقيقيين والمعلمين الزائفين هو أن يُقرّ الأولون بأن يسوع المسيح قد جاء "متجسدًا".8 وفي رسالة يوحنا الثانية (وهي عبارة عن هجوم لاذع من صفحة واحدة على الغنوصيين!)، يُحذّر الكاتب:

"لقد غزا العالم حشد من الناس ذوي العقول الخاطئة الذين لا يقبلون أن يسوع قد جاء كمسيا متجسد.
حتى مجرد إلقاء التحية عليهم يجعلك شريكاً في أعمالهم الشريرة." 9

لتعزيز التفسير الحرفي للقصة، تم تعديل قصة يسوع. يؤكد إنجيل يوحنا أن "الكلمة صار جسداً"، مغيراً صيغة بولس "في شبه الجسد".10 بالإضافة إلى هذه التعديلات، فقد حدد العلماء العديد من الإضافات إلى الأناجيل المصممة للتأكيد على أن يسوع قام حرفياً من القبر كإنسان مادي. في شكلها الأصلي، صورت الأناجيل يسوع القائم من بين الأموات كشخصية روحية شبحية. يذكر كل من لوقا ومرقس أن يسوع ظهر "بصورة أخرى" لتلميذين على الطريق إلى عمواس. بحسب رواية لوقا، لم يتعرف التلاميذ على الرجل الغريب إلا بعد أن تحدثوا معه لفترة من الوقت ودعوه لتناول العشاء، فتعرفوا عليه فجأة على أنه يسوع. في تلك اللحظة "اختفى عن أنظارهم". ومع ذلك، أُضيفت آيات لاحقة لتصوير يسوع القائم من بين الأموات وهو يستعرض "لحمه وعظامه" ويأكل السمك لإثبات وجوده الجسدي.11

يذكر يوحنا أن مريم المجدلية الحزينة رأت رجلاً ظنته البستاني عند قبر يسوع. لكن عندما نطق باسمها، تعرفت عليه فجأة بأنه يسوع، لكنه أمرها ألا تلمسه.12 وبعد هذه الرواية مباشرة، أضيفت قصة "توما المشكك"، حيث أعلن توما أنه لن يصدق أن يسوع قد قام من القبر فعلاً إلا إذا رآه ولمسه بنفسه. عندما ظهر يسوع، قال لتوما:

ضع إصبعك هنا، وانظر إلى يديّ؛ ومدّ يدك وضعها في جنبي؛ ولا تكن غير مؤمن، بل مؤمناً. 13

أخذ الأمور حرفياً

أخذ الحرفيون ما كان بالنسبة للغنوصيين استعارات صوفية حرفياً. ولأنهم كانوا يعتقدون أن يسوع قد قام حرفياً من بين الأموات بجسده المادي، فقد علّموا أن جميع المسيحيين بعد الموت سيقومون بالمثل حرفياً من القبر بأجسادهم المادية.

يصرح ترتليان بأن كل من ينكر قيامة الجسد هو مهرطق، وليس مسيحياً حقيقياً. بل إن أصحاب التفسير الحرفي للنصوص زعموا أن خبز ونبيذ القربان المقدس أصبحا حرفياً لحم ودم يسوع أثناء القداس - وهو ادعاء غير عادي لا تزال الكنيسة الكاثوليكية تروج له حتى يومنا هذا! 14

أدى اعتبار أسطورة يسوع تاريخاً إلى تخلي أصحاب التفسير الحرفي للأحداث عن العقيدة الغنوصية للتناسخ. ولأن أصحاب التفسير الحرفي للدين كانوا يعتقدون أن الإنسان الإلهي قد مات وقام مرة واحدة فقط في الزمن، فقد تصوروا أيضًا الحياة البشرية على أنها حدث يحدث مرة واحدة فقط. وبالتالي، فإن الثواب أو العقاب في الآخرة كانا دائمين، وليسا مقدمة مؤقتة لحياة بشرية أخرى. وقد تركهم هذا مع ما يسميه سيلسوس الوثني "العقيدة الهجومية" التي مفادها أن إلهًا صالحًا يمكن أن يسمح بترك أولئك الذين لم يرتقوا إلى المستوى المطلوب ليواجهوا عذابًا أبديًا.15

كما فسر أصحاب التفسير الحرفي فكرة المجيء الثاني الكارثي تفسيراً حرفياً. في الأناجيل، يُطلب من يسوع أن يعد بأنه سيعود في مجد خلال حياة بعض من سامعيه. بالطبع، رأى الغنوصيون هذا على أنه استعارة صوفية حول قيامة المتأهل باعتباره المسيح أو الديمون (التوأم السماوي أو الذات العليا) الكوني. أخذ أصحاب التفسير الحرفي هذه "النبوءة"

على ظاهرها، وبالتالي تُركوا أمام المهمة الصعبة المتمثلة في تفسير عدم ظهور يسوع كما وعد.

تعكس الرسالة الثانية المزورة لبطرس القلق والارتباك الواضحين في المجتمع المسيحي الحرفي بشأن هذه المسألة، وتقدم حلها اليائس الخاص، معلنة:

في الأيام الأخيرة سيأتي المتآمرون بمخططاتهم سائرين وراء رغباتهم الجشعة قائلين: "أين المجيء الثاني الذي وعدنا به؟ وفي هذه الأثناء، مات آباؤنا وأمهاتنا، ولا يزال العالم كله على حاله كما كان منذ بداية الخليقة." لا يغيب عنكم هذا الأمر يا أحبائي الأعزاء؛ أن يوماً واحداً عند الرب كألف سنة، وألف سنة كيوم واحد. إن الرب لا يتأخر في الوفاء بوعده؛ فما يسميه البعض تأخره هو في الحقيقة صبره عليك. إنه لا يريد أن يخسر أحداً، بل يريد أن تشمل التوبة الجميع. 16

وبالمثل، أوضح جاستن الشهيد أن الله كان يؤخر النهاية لأنه أراد أن يرى المسيحية تنتشر في جميع أنحاء العالم أولاً.17 وقد توصل آخرون من أصحاب التفسير الحرفي إلى فكرة سخيفة مفادها أن القديس يوحنا قد تحول إلى نوع من الخالدين وكان يعيش في بطمس أو أفسس، وبالتالي فإن نبوءة يسوع لم تكن خاطئة في نهاية المطاف.18

وبناءً على منطقه الغريب والملتوي، والذي استند فيه إلى حقيقة أن تابوت العهد قيل إنه كان بطول خمسة أذرع ونصف، حدد هيبوليتوس بطريقة ما نهاية الزمان في عام 202. عندما مر هذا التاريخ دون أحداث تذكر، تم تأجيله إلى عام 500. 19. وبحلول منتصف القرن الثالث، لم تعد "النهاية" مصدر قلق وشيك بالنسبة لمعظم المسيحيين. في أوائل القرن الخامس، حذف مترجمو النصوص المسيحية التي تعود إلى القرن الثاني جميع الإشارات إلى نهاية العالم الوشيكة لأنها أصبحت الآن مصدر إحراج.20 وعلى الرغم من كل هذا، بالطبع، استمر العديد من المسيحيين الحرفيين في التحذير من أن "النهاية قريبة"، كما يفعلون حتى اليوم.

كنيسة الأساقفة

قدم الغنوصيون للمتأهلين الغنوصيين، وهي تجربة روحية آنية لحقيقة تتجاوز الوهم الذي هو العالم. قدم أصحاب التفسير الحرفي للنصوص الأمل في حياة أخرى سماوية من خلال الإيمان بصحة القصص الإنجيلية تاريخياً. لكن بفعلهم هذا، خلقوا لأنفسهم معضلة صعبة: لماذا ينبغي لأي شخص أن يصدق قصة خارقة للطبيعة مثل قصة يسوع على أنها تاريخ حرفي؟ في كتاباته التي تعود إلى نهاية القرن الثاني، أقر ترتليان بأن أي شخص يحكم من منظور التجربة التاريخية العادية سيجد الادعاء بأن رجلاً عاد جسدياً من القبر أمراً لا يُصدق.21 في مواجهة هذا الشك العقلاني، فإن أفضل ما يمكنه فعله هو أن يجادل قائلاً: "إنه صحيح لأنه سخيف، وأنا أصدقه لأنه مستحيل". 22 وهذا من رجل يُزعم في كتب التاريخ أنه عالم لاهوت مسيحي عظيم!

من أجل تقديم تبرير مقنع لتفسير قصة يسوع كحقيقة تاريخية، اخترع الحرفيون نسبًا روحيًا زعموا أنه يربطهم مباشرة بالرسل، الذين عاشوا قبل حوالي 150 عامًا. وهذا يعني أنه بإمكانهم القول بأن صحة قصة يسوع التاريخية مضمونة من خلال الشهادات الشخصية لأولئك الذين عاشوا في ذلك الوقت، وهي شهادات تم تناقلها بأمانة إليهم من خلال الأساقفة المتعاقبين.

استخدم أصحاب التفسير الحرفي للنصوص هذا النسب المختلق كسلاح قوي في معاركهم مع الغنوصيين. زعم الغنوصيون أنهم يعلمون أسراراً باطنية خفية كان أصحاب التفسير الحرفي للدين يجهلونها. ردّ أصحاب التفسير الحرفي للنصوص بأنهم وحدهم ممثلون لسلسلة من الخلافة الرسولية تمتد إلى التلاميذ الاثني عشر.23 وجادل أصحاب التفسير الحرفي بأن هذا منح أساقفتهم سلطة الرسل الأصليين. حتى اليوم، يعزو البابا أسبقيته إلى بطرس على أساس أنه، وفقًا لبعض الروايات، كان من المفترض أن يكون أول شاهد عيان على القيامة.24

استغل الأساقفة الحرفيون ادعاءهم بأنهم ورثة التلاميذ الأصليين لتبرير مطالبتهم بالطاعة العمياء من المؤمنين المسيحيين.25 ولذلك، فإن أي شخص، مثل الغنوصيين، عارض سلطتهم كان متمرداً على المسيح. تُشير رسالةٌ تُنسب إلى كليمنت الروماني إلى شكوى من "أناسٍ متهورين وعنيدين" قاموا بـ"تمرد".26 وتُعلن أن الله قد فوّض سلطته للأساقفة، وبالتالي فإن كل من يرفض "الخضوع" مُذنبٌ بالعصيان ضد المسيح.27 بل إنها تذهب إلى حدّ المطالبة بأن كل من يعصي السلطات المُعيّنة إلهيًا "يجب أن يُعاقب بالإعدام"! 28

كما تحذر الرسائل المنسوبة إلى إغناطيوس من أن الأسقف يترأس "مكان الله". في الواقع، ينبغي على المؤمنين أن "يجلّوا ويكرموا ويطيعوا الأسقف كما لو كان إلهاً"! 29 بدون الأساقفة والكهنة والشمامسة، "لا يوجد شيء يمكن تسميته كنيسة". ° يكتب المؤلف:

> لا يجوز لأحد أن يفعل أي شيء يتعلق بالكنيسة بدون موافقة الأسقف. فليعتبر ذلك قرباناً صحيحاً يحتفل به الأسقف، أو الشخص الذي يعينه. لا يجوز التعميد أو إقامة وليمة أغابي (وجبة عبادة) بدون الأسقف. إن الانضمام إلى الأسقف هو الانضمام إلى الكنيسة؛ أما الانفصال عن الأسقف فهو الانفصال ليس فقط عن الكنيسة، بل عن الله نفسه. 31

وتجادل هذه الرسائل بأنه بما أن هناك إلهاً واحداً فقط في السماء، فينبغي أن يكون هناك أسقف واحد فقط في الكنيسة يطيعه الجميع. أصبح شعار "إله واحد، أسقف واحد" شعارًا للمسيحية الحرفية.32

وعلى النقيض من ذلك، نظم الغنوصيون أنفسهم دون وجود تسلسل هرمي للأساقفة والكهنة. استخدموا طريقة القرعة لتحديد من يجب أن يتولى دور الأسقف، والكاهن، وقارئ الكتاب المقدس، والنبي، وما إلى ذلك. في كل مرة كانوا يلتقون فيها، كانوا يجرون القرعة مرة أخرى، بحيث يتم تداول الأدوار باستمرار. وبهذه الطريقة اعتقدوا أن يد الله ستختار الشخص المناسب للوظيفة المناسبة في الوقت المناسب.33 ويخبرنا ترتليان، صاحب التفسير الحرفي، باستياء:

> وهكذا يحدث أن يكون رجل اليوم أسقفهم، وغداً رجل آخر؛ اليوم يكون أحدهم شماساً، وغداً قارئاً؛ اليوم يكون أحدهم قسيساً، وغداً يكون رجلاً عادياً. بل إنهم يفرضون وظائف الكهنوت حتى على العامة.34

بينما كان الأرثوذكس يبنون تسلسلاً هرمياً دائماً للسلطة، كان الغنوصيون يثبتون أنهم قادرون على العمل على قدم المساواة الروحية.35 وقد شعر ترتليان بالفزع، فكتب:

> "لا يجب أن أغفل سردًا لسلوك الهراطقة، ومدى تفاهته، ومدى بشريته، دون جدية، ودون سلطة، ودون انضباط، بما يتناسب مع عقيدتهم. بدايةً، من المشكوك فيه من هو المتعلم ومن هو المؤمن؛ فجميعهم لديهم نفس الوصول، ويسمعون بنفس الطريقة، ويصلون بنفس الطريقة - حتى مع الوثنيين، إذا حدث أن جاء أي منهم بينهم. أما السلام، فهم يلتزمون به مع الجميع، دون تمييز. ولا يوجد أي فرق بينهما، على الرغم من اختلاف مذاهبهما، لأنهما أقسما على التوحد في القتال ضد الحقيقة الواحدة. جميعهم متغطرسون، وجميعهم يقدمون لك الغنوص". 36

في الأصل، كان الرجال والنساء يجلسون معًا في جميع أشكال العبادة المسيحية. بينما استمر الغنوصيون في احترام المرأة على قدم المساواة الروحية، بدأ أتباع المذهب الحرفي في منتصف القرن الثاني تقريباً في فصل الجنسين. وبحلول

نهاية القرن، مُنعت النساء من المشاركة في العبادة على الإطلاق، ووُصفت الجماعات المسيحية التي شغلت فيها النساء مناصب قيادية بأنها هرطقية! 37 مرسوماً من ترتليان:

"لا يجوز للمرأة أن تتحدث في الكنيسة، ولا يجوز لها أن تعلم، ولا أن تعمد، ولا أن تقدم القربان المقدس، ولا أن تطالب لنفسها بنصيب في أي وظيفة ذكورية - ناهيك عن أي منصب كهنوتي." 38

من الغريب أنه في الوقت الذي كان فيه الغنوصيون يكرمون الإلهة ويشجعون الكاهنات، كان ترتليان، المعروف بكراهيته الشديدة للنساء، يوبخ النساء نيابة عن المسيحية الحرفية قائلاً:

أنتن بوابة الشيطان. أنتِ التي أقنعته، والتي لم يجرؤ الشيطان على مهاجمتها. ألا تعلمن أن كل واحد منكن حواء؟ إن حكم الله على ممارستكن للجنس لا يزال قائماً في هذا العصر؛ والذنب، بالضرورة، لا يزال قائماً أيضاً. 39

بحلول نهاية القرن الثاني، بدأ أتباع التفسير الحرفي للنصوص بوضع قواعد لتحديد من هو مسيحي ومن ليس كذلك. بحسب رأيهم، يجب على المسيحي أن يعترف بالعقيدة الحرفية، وأن يتعمّد، وقبل كل شيء أن يطيع الأساقفة.40 أما بالنسبة للغنوصيين، فكانت الكنيسة الحقيقية "غير مرئية"، ولا يستطيع تمييز من ينتمي إليها ومن لا ينتمي إليها إلا أعضاؤها.41 وأصرّ الغنوصيون على أن اعتناق المسيحية يتطلب أكثر من مجرد التعميد. يشرح إنجيل فيليب أن العديد من الناس "ينزلون إلى الماء ويصعدون دون أن يحصلوا على شيء" ومع ذلك يدّعون أنهم مسيحيون. كما أن إعلان العقيدة أو حتى الاستشهاد لا يجعل المرء مسيحياً، لأن "بإمكان أي شخص أن يفعل هذه الأشياء". استشهد الغنوصيون بقول يسوع: "من ثمارهم تعرفونهم"، وطالبوا بدليل على النضج الروحي لإثبات انتماء الشخص إلى الكنيسة الحقيقية.42

ليس من المستغرب أن يرى الأساقفة الحرفيون أن هذه النزعة الفردية الغنوصية تشكل تهديداً خطيراً لسلطتهم. أصبحت هجماتهم على الغنوصية أكثر تعصباً وتطرفاً. يحث إيرينيئوس على ضرورة "الاعتراف بالغنوصيين كعملاء للشيطان" ويحذر قائلاً: "لقد أعد الله ناراً أبدية لكل أنواع البدع". 43 يصبح شعار "الوثني خير من الهرطقي" لازمة متكررة لدى أتباع التفسير الحرفي للنصوص. 44 وبجنون معهود، يلمح جاستن الشهيد إلى أن الغنوصيين يمارسون "أكل لحوم البشر"! 45

يكتب مؤلف رسالة يهوذا في العهد الجديد، وهي عبارة عن جدل قصير ومتسم بنوع من جنون الارتياب، كُتب لسبب واحد فقط هو مهاجمة الغنوصيين:

أصدقائي الأعزاء، كنت أنوي أن أكتب إليكم عن خلاصنا المشترك، لكنني وجدت نفسي مضطراً بدلاً من ذلك إلى كتابة رسالة تحذير لكم لمواصلة الكفاح من أجل الإيمان كما تم نقله إلى القديسين، مرة واحدة وإلى الأبد. يبدو أن بعض الأشخاص الذين حُكم عليهم بالهلاك بالفعل، والذين لا يحترمون الدين، قد تسللوا بينكم، وحرفوا إرادة الله الحسنة تجاهنا إلى رخصة للفجور، وتحدوا سيدنا وربنا الوحيد، يسوع المسيح. إنهم يلوثون الجسد، ويتجاهلون السلطة، بل ويجدفون على قوى الكون. 46

لا يُنظر إلى الغنوصيين على أنهم مجرد أتباع لشكل بديل من أشكال الإيمان المسيحي، بل يتم تصويرهم على أنهم العدو الداخلي - سرطان خفي. إنهم "يجلسون بهدوء بجانبك، ويشكلون وصمة عار على موائد الحب الخاصة بنا". إنهم "نجوم انحرفت عن مسارها ومصيرها الأبدي هو ظلام الهاوية". توصي رسالة يهوذا بـ"تجنب قطعة ملابس ملوثة بملامسة أجسادهم باشمئزاز".47 ويصف مزور رسائل بولس إلى تيموثاوس التعاليم الغنوصية بأنها "وباء" ينتشر مثل

"الغرغرينا".48

رداً على ذلك، وصف الغنوصيون سلطات الكنيسة الحرفية بأنها "مبتذلة" و"دينية".49 ويصف الحكيم الغنوصي هيراكليون عقائد الكنيسة الحرفية بأنها "ماء راكد لا يغذي"، في مقابل "الماء الحي" الذي يقدمه المسيح للمختارين من خلال الغنوصية.50 ويهاجم كتاب "شهادة الحق" الحرفيين الذين ادعوا المسيحية، لكنهم "لا يعرفون من هو المسيح".51 ويأسف كتاب "الرسالة الثانية لسيث العظيم" على أن الغنوصيين "مكروهون ومضطهدون، ليس فقط من قبل الجاهلين، بل أيضاً من قبل أولئك الذين يعتقدون أنهم ينشرون اسم المسيح"، وهم "فارغون دون وعي، لا يعرفون من هم، كالحيوانات البكماء".52 وفي هذا النص الغنوصي، يشرح المخلص أنه قد تم إنشاء "كنيسة مقلدة" "تعلن عقيدة رجل ميت وأكاذيب، لتشبه الحرية و نقاء الكنيسة الكاملة.53

يقارن كتاب "الرسالة الثلاثية" بين الغنوصيين الذين هم أبناء الله الآب الحقيقي وبين الحرفيين الذين هم نسل الإله اليهودي الزائف يهوه. يجتمع أبناء الأب في محبة على قدم المساواة ويساعدون بعضهم بعضاً بشكل عفوي. أما المسيحيون الحرفيون، من ناحية أخرى، "يريدون أن يأمروا بعضهم بعضاً، ويتنافسوا فيما بينهم في طموحاتهم الفارغة". إنهم متضخمون بـ "شهوة السلطة، كل واحد منهم يتخيل أنه متفوق على الآخرين".54 وبالمثل، يشكو أوريجانوس:

> "في العديد من الكنائس المزعومة، وخاصة تلك الموجودة في المدن الكبيرة، يمكن للمرء أن يرى حكام شعب الله الذين لا يسمحون لأي شخص، وأحيانًا لا يسمحون حتى لأنبل تلاميذ يسوع، بالتحدث معهم على قدم المساواة." 55

الفالنتينية

على الرغم من أن المسيحيين الحرفيين قد قرروا بوضوح أن الغنوصيين زنادقة، إلا أن بعض الغنوصيين حاولوا ببسالة الحفاظ على الرؤية الأصلية لأسرار يسوع من خلال محاولة سد الفجوة المتزايدة باستمرار بين الأسرار الظاهرية والباطنية. وتبعاً للتقاليد المسيحية الأصلية لبولس، رأى حكماء مثل فالنتينوس أن الكنيسة تتألف بالضرورة من مسيحيين سيكك (نفسي) ومسيحيين بينيوماتك (روحي). كان بولس ينصح تلاميذه باستمرار بكيفية الحفاظ على هذين المستويين من الكنيسة يعيشان معًا بانسجام. لذلك رأى فالنتينوس وأتباعه أنه من واجبهم محاولة التوفيق بين المسيحيين سيكك (نفسي) (الحرفيين) والمسيحيين بينيوماتك (روحي) (الغنوصيين).

ميّز بولس بين تعاليمه الروحية (اللوغوس) وتعاليمه النفسية (الكريغما)،56 ومع ذلك أصرّ على أن يُقرّ جميع المسيحيين بالشيء نفسه لتجنّب الانشقاقات المُدمّرة داخل الجماعة.57 ونصح بولس أتباع المذهب الروحي 58 بأن يُبقوا فهمهم سرًّا بينكم وبين الله،59 حتى لا يُغضبوا أصحاب المذهب النفسي، حتى تُمجّدوا الله معًا.60 وبالمثل، لم يُخفِ أتباع الفالنتينية حقيقة تعليمهم للأسرار الباطنية، بل شاركوا أيضًا في الطقوس الظاهرية للكنيسة جنبًا إلى جنب مع المسيحيين الحرفيين.61

وجد إيرينيئوس صعوبة في مناقشة اللاهوت مع الفالنتينيين، لأنهم ببساطة وافقوا على كل ما قاله! 62- يشتكي:

> "يستمرون في سؤالنا كيف يُعقل أن نسميهم زنادقة عندما يعترفون بنفس الأشياء ويتمسكون بنفس العقيدة!" 65

لكن صائد الهرطقات العجوز سرعان ما يكشف ما يعتبره مؤامرة غنوصية خبيثة. "إنهم يعترفون بالفعل بألسنتهم بيسوع المسيح الواحد"، كما يوافق، لكنهم "يقولون شيئًا ويفكرون في شيء آخر". "من خلال ما يقولونه علنًا" يبدو أن الفالنتينيين مسيحيون حرفيون "ظاهريًا"، لكنهم "في السر يصفون الأسرار التي لا توصف".4 يشكو إيرينيئوس من أنهم حتى

"يجتمعون في اجتماعات غير مصرح بها"، أي في اجتماعات غير مصرح بها من قبل الأسقف - الذي كان بالطبع إيرينيئوس نفسه! 65

بحلول بداية القرن الثالث، انقسم المسيحيون الفالنتينيون أيضًا بين أولئك الموجودين في الشرق الذين يئسوا من الحرفيين باعتبارهم قضية خاسرة، معتبرين إياهم خارج "جسد المسيح"، والفالنتينيين الغربيين، مثل بطليموس وهيراكليون، الذين ما زالوا يناضلون من أجل توحيد المسيحية.66 نقلاً عن يسوع (الذي بدوره ينقل عن أفلاطون!) 67) جادلوا بأن "الكثيرين مدعوون، ولكن القليل مختارون"، وأوضحوا أن الأغلبية التي لم تكن لديها غنوص هم "المدعوون"، بينما كان الغنوصيون هم المختارون الذين يجب عليهم تعليم الكثيرين وهدايتهم إلى الغنوص. 68 علّم بطليموس أن المسيح جمع داخل الكنيسة المسيحيين "الروحيين" و"غير الروحيين" حتى يصبح الجميع روحيين في النهاية. توضح إيلين باجلز:

> وفي الوقت نفسه، كان كلاهما ينتمي إلى كنيسة واحدة؛ وكلاهما تم تعميدهما؛ وكلاهما شارك في الاحتفال بالقداس، وكلاهما أدلى بنفس الاعتراف. ما ميّزهم هو مستوى فهمهم. لقد عبد المسيحيون غير المتأهلين الخالق عن طريق الخطأ، كما لو كان هو الله؛ لقد آمنوا بالمسيح باعتباره الشخص الذي سيخلصهم من الخطيئة، والذي اعتقدوا أنه قام من بين الأموات بجسده؛ لقد قبلوه بالإيمان ولكن دون فهم سر طبيعته - أو طبيعتهم. أما أولئك الذين تلقوا الغنوص فقد أدركوا أن المسيح هو المرسل من أب الحق، وأن مجيئه كشف لهم أن طبيعتهم متطابقة مع طبيعته - ومع طبيعة الله. 69

بل إن الفالنتينيين أقروا بأن الأساقفة الحرفيين، مثل يهوه الخالق، يمكنهم ممارسة السلطة بشكل شرعي على المسيحيين ذوي القدرات سيكك (نفسية). لكن مطالب الأساقفة وتحذيراتهم وتهديداتهم، مثل تلك التي أطلقها يهوه نفسه، لم تكن ذات صلة بالمسيحيين الذين تم تأهيلهم في الأسرار الباطنية والذين تم فداؤهم وتحريرهم من خلال التجربة الصوفية للغنوص.70

لا أرثوذكسية

إن الصورة التقليدية التي تم الترويج لها بعناية عن الغنوصيين هي صورة مجموعة صغيرة من المتطرفين المجانين على هامش المسيحية الحرفية الأرثوذكسية التي تبنتها الغالبية العظمى من المسيحيين. لكن هذا مجرد دعاية معادية للغنوصية.71 في الواقع، كما كتب غيبون في كتابه "انحطاط وسقوط الإمبراطورية الرومانية"، فإن الغنوصيين "غطوا آسيا ومصر، واستقروا في روما، وتغلغلوا أحيانًا في مقاطعات الغرب".72 في القرون القليلة الأولى من الميلاد، لم يكن هناك في الواقع ما يسمى "الكنيسة"، بل فصائل متنافسة فقط، كان الحرفيون إحداها.

كان كل من جاستن الشهيد، وهو من أتباع التفسير الحرفي للنصوص، ومرقيون، وهو من أتباع الغنوصية المتشددة، وفالنتينوس، الذي حاول رأب الصدع بين الغنوصية والتفسير الحرفي للنصوص، من أهم المعلمين المسيحيين في روما في نفس الوقت تمامًا.73 هذا يدل على مدى تنوع المجتمع المسيحي في منتصف القرن الثاني. على الرغم من أن جاستن الشهيد سيُذكر كبطل مسيحي عظيم، وسيتم تجاهل الاثنين الآخرين باعتبارهما زنادقة ثانويين، إلا أن فالنتينوس ومرقيون كانا في حياتهما أكثر تأثيراً بكثير من جاستن. ألهم كلاهما حركات مسيحية تحمل اسميهما والتي ازدهرت لقرون.

الحقيقة هي أن الغنوصيين كانوا من كبار المفكرين في المسيحية المبكرة الذين حظوا باحترام أعداد كبيرة من المسيحيين حتى تم قمع الغنوصية بعنف في القرنين الرابع والخامس. على سبيل المثال، كان فالنتينوس فيلسوفًا وشاعرًا إسكندريًا مثقفًا للغاية، وقد تم انتخابه أسقفًا لمصر. كان فالنتينوس شخصيةً بارزةً في المسيحية المبكرة، وقد أعرب

إيرينيئوس عن أسفه لسعي العديد من الأساقفة والشمامسة والأرامل والشهداء من أتباع المذهب الحرفي إلى الانضمام إلى المسيحية الفالنتينية.74 حتى ترتليان المتعصب أقرّ بأن فالنتينوس كان "رجلاً كفؤاً، يتمتع بالذكاء والبلاغة".75 وبالمثل، أقرّ القديس جيروم، أحد أتباع المذهب الحرفي، بأن مرقيون كان "حكيماً حقيقياً".76 أما جاستن الشهيد، بطل المذهب الحرفي، فقد كان يتوق بشدة إلى أن يُعتبر فيلسوفاً عظيماً، لكن رُفض قبوله في مدرستي الفلسفة الفيثاغورية والأفلاطونية لجهله بالرياضيات.77 ولم يصبح مسيحياً إلا بعد هذه الرفض.

قام الحكماء الغنوصيون بتأليف عدد هائل من الأناجيل والرسائل الروحية، بما في ذلك بالطبع النسخة الأصلية من قصة يسوع التي أصبحت إنجيل مرقس في العهد الجديد.

إلى جانب ذلك، قاموا أيضاً بكتابة أولى التعليقات على الأناجيل. كان من المعروف أن بازيليد قد كتب 24 كتابًا من الشروح، على الرغم من عدم وجود إشارة محددة إلى الأناجيل التي أصبحت فيما بعد قانونية. وقيل أيضاً إنه كتب إنجيلاً بنفسه وكتاباً عن التعاليم الهندوسية! 78 يُنسب إلى كل من بطليموس وهيراكليون (حوالي 170) كتابة تعليق على إنجيل يوحنا - لذا فإن أول تعليق على أي كتاب في العهد الجديد كتبه أيضًا غنوصي.79

أما أصحاب النزعة الحرفية، بالمقارنة، فقد أنتجوا القليل من المحتوى ذي القيمة الحقيقية، حيث ركزوا على الجدال ضد الهراطقة. لم تبدأ كتابة هذه الأعمال المناهضة للغنوصية إلا في منتصف القرن الثاني تقريبًا، عندما بدأت الحرفية في الظهور كقوة مستقلة بذاتها. بحسب يوسابيوس، الداعية الكنسي في القرن الرابع، فإن أول كاتب مناهض للهرطقة كان أغريبا كاستور (حوالي 135).80 ومن المعروف أيضًا أن جاستن الشهيد (حوالي 150) قد ألف عملاً ضد الهرطقات. لكن لم يبقَ أي من هذين العملين. وقد تكهن بعض العلماء بأن ذلك يعود إلى كونهم أنفسهم "غير أرثوذكسيين" للغاية بالنسبة للمسيحيين الأرثوذكس اللاحقين.81 ولم تصلنا أي ردود على الهراطقة حتى عمل إيرينيئوس في نهاية القرن الثاني. استندت جميع الردود اللاحقة بشكل أو بآخر إلى إيرينيئوس، وكثيراً ما كانت مجرد نسخ لتعليقاته وتحيزاته.

لكن هذه الوثائق التي تهاجم الهراطقة ليست البيانات النهائية للمسيحية "الأرثوذكسية". في القرون القليلة الأولى الميلادية، لا نجد ببساطة أي "عقيدة" بالمعنى الذي نفهمها اليوم. لا يمكن اعتبار التمسك الحرفي بالنصوص "أرثوذكسياً" إلا بالنظر إلى الماضي، لأن أصحاب التمسك الحرفي بالنصوص تمكنوا في النهاية من السيطرة على الكنيسة في القرون اللاحقة. في القرون القليلة الأولى، مارست فصائل مختلفة نفوذاً متفاوتاً في أوقات مختلفة، وحتى أكثر المسيحيين "أرثوذكس" تعصباً وجدوا أنفسهم في نهاية المطاف "زنادقة".

في الربع الأول من القرن الثالث، اعترض هيبوليتوس، صاحب المذهب الحرفي، على السياسات التي اقترحها في روما معلم غنوصي وعبد سابق يُدعى كاليستوس. أراد كاليستوس أن يعترف المسيحيون بالزواج بين المؤمنين وعبيدهم وأن يوسعوا نطاق غفران الخطايا ليشمل التجاوزات الجنسية.82 وقد افترى هيبوليتوس على كاليستوس ووصفه بأنه مجرم عادي، لكن غالبية المسيحيين في روما احترموه كمعلم سُجن وعُذب، وانتخبوه أسقفًا. وجد هيبوليتوس، صائد الهرطقات المتعصب، نفسه الآن "هرطقيًا" من كنيسة روما التي عمل بجد لتأييد سلطتها.

بعض أعظم المتحدثين باسم الحرفية انشقوا بالفعل إلى الغنوصية في نهاية حياتهم، بما في ذلك تاتيان، حامي جاستن الشهيد، 84 وحتى صائد الهرطقات المتعصب ترتليان!

انضم ترتليان إلى مجموعة من الغنوصيين الذين استلهموا من مونتانوس، الذي كان سابقًا كاهنًا في أسرار الإله الوثني آتيس! 8 مستخدمًا نفس السم الذي هاجم به الهراطقة سابقًا، أدان ترتليان الآن الكنيسة "الأرثوذكسية" لكونها كنيسة لمجرد من السيكك (النفسيين)، ومنظمة "لعدد من الأساقفة" وليست "كنيسة روحية لأناس روحيين".81 ومن المفارقات، بالنظر إلى كراهية ترتليان السابقة للنساء، أن المونتانيين كانوا مشهورين بكاهناتهن المنتشيات! يكتب أحد الخبراء المعاصرين:

"لو انتصر مونتانوس، لكانت العقيدة المسيحية قد تطورت تحت إشراف نساء متوحشات ومتهورات."

وفي النهاية ترك ترتليان المونتانيين وأسس طائفة مسيحية خاصة به - التيرتليانيين.88 ليس من المستغرب أن التاريخ المسيحي التقليدي يتجاهل تحول ترتليان إلى الغنوصية. إلا أن كتاباته ضد الغنوصيين تم نسخها بلا نهاية، وأصبحت نصوصاً قياسية في معركة الكنيسة الحرفية للقضاء على جميع الأشكال البديلة للمسيحية.

إن فكرة "الأرثوذكسية" توحي بوجود منظور واحد مشترك بين غالبية المسيحيين، ولكن لا يوجد دليل يشير إلى أن هذا صحيح بالفعل. لم يظهر شيء اسمه "الأرثوذكسية" إلا عندما تم اعتماد المسيحية الحرفية كدين رسمي للإمبراطورية الرومانية. في هذا الوقت فقط اكتسب الفصيل الحرفي القدرة على فرض وجهة نظره الخاصة. وحتى مع ذلك، استمرت الغنوصية في الازدهار لقرون. ما كان يُعتبر "أرثوذكسياً" لم يعكس أبداً آراء أغلبية المسيحيين الممارسين. لطالما عكست آراء الأساقفة ذوي النفوذ.

المسيحية و اليهودية

كما رأينا، انقسم المجتمع المسيحي منذ البداية بشأن القضية الشائكة المتعلقة بعلاقته باليهودية التقليدية. بحلول منتصف القرن الثاني، كان معظم المسيحيين من الأمم، وليسوا يهوداً، وقد رفضوا الختان وجميع الأحكام والنواهي الأخرى التي وضعها موسى. لكن الجدل استمر.

أراد معظم الغنوصيين رفض الإله اليهودي يهوه تمامًا لصالح مفهوم أكثر صوفية لله باعتباره الوحدة العليا، وهو مطابق لإله أفلاطون والأسرار الوثنية. جادل المعلم الغنوصي المؤثر مرقيون لصالح الانفصال التام بين المسيحية واليهودية. ألف نصًا بعنوان "الأطروحات المضادة"، جمع فيه بين اقتباسات من العهدين القديم والجديد ليُبين تناقضهما.89 بالنسبة لمرقيون، كان يهوه "بربريًا متعصبًا"90، والعهد القديم مجرد سرد لجرائمه ضد الإنسانية.91 كانت المسيحية وحيًا جديدًا من الله الصالح، عقيدة عالمية لا علاقة لها بعقيدة أمة صغيرة ناقصة.92

كما رفض معظم الحرفيين تقاليد اليهودية. في الواقع، يذكر جاستن الشهيد بموافقة أن العديد من الحرفيين لم يكونوا يتحدثون حتى مع إخوانهم المسيحيين الذين اتبعوا شريعة موسى، لاعتقادهم أن هؤلاء المسيحيين لن يتمتعوا بالخلاص الأبدي.93 ومع ذلك، فقد أراد الحرفيون الاحتفاظ بالعهد القديم. كان يُنظر إليه على أنه يروي "تاريخًا" إلهيًا، مما يدعم ادعاءهم بأن العهد الجديد كان أيضًا واقعيًا وليس أسطوريًا، ويمكن استخدامه أيضًا، غالبًا بأكثر الطرق سخافة، كمصدر "للنبوءات" حول مجيء يسوع، والتي كان يُعتقد أنها تثبت صحة وجهة نظرهم الحرفية. كان يُنظر إلى امتلاك تراث قديم على أنه أمر مرموق، لذا فإن الاحتفاظ بالعهد القديم كان يعني أيضًا أنه يمكنهم الادعاء، كما فعل ترتليان، بأن المسيحية "تستند إلى كتب اليهود القديمة جدًا" وأن هذه الكتب أقدم بكثير من أي كتاب أو مدينة أو طائفة أو عرق في العالم الوثني.94

أراد المسيحيون المتمسكون بحرفية النصوص اليهودية، لكنهم لم يرغبوا في اليهودية نفسها. لذلك أعلنوا أنه بما أن اليهود قد رفضوا المخلص الذي أرسله الله إليهم، فقد فقدوا حقهم في ميراثهم الروحي، الذي أصبح الآن ملكاً شرعياً للمسيحيين فقط. أصبحت هذه النصوص اليهودية معروفة لأول مرة باسم العهد القديم، الذي تنبأ بالعهد الجديد للمسيحية. بل إن أسفار العهد القديم أعيد ترتيبها بشكل مناسب بحيث انتهت بنبوءة بدت وكأنها تقود بسلاسة إلى تحققها الظاهر في الأناجيل.95

مع ازدياد تأثر المسيحية الحرفية بالثقافة الرومانية، انتقلت مسؤولية موت يسوع من الحاكم الروماني بيلاطس إلى الأمة اليهودية ككل.96 وفي إنجيل متى، يُجبر الحشد اليهودي الذي طالب بقتل يسوع على الهتاف: "دمه علينا وعلى أولادنا". 97 كما كتب أحد الخبراء المعاصرين:

لقد كان إرث هذه الكلمات مروعاً. وقد استُشهد بها لتبرير قرون من اضطهاد المسيحيين لليهود. ومن الجدير بالذكر أنه لم يصدر إعلان رسمي يبرئ الأجيال اللاحقة من اليهود من مسؤولية قتل المسيح إلا في مجمع الفاتيكان الأخير. 98

ابتداءً من القرن الثاني فصاعداً، كتب المسيحيون الحرفيون عدداً من الكتيبات الطويلة والمسيئة ضد اليهود. ندد بهم الأسقف ميليتو من ساردس (حوالي 170) ووصفهم بأنهم "قتلة الله"100 - مجرمون اخترعوا "نوعًا جديدًا تمامًا من الجريمة".101 واعتُبر الدمار الذي لحق بالأمة اليهودية على يد الإمبراطورية الرومانية انتقامًا عادلًا من الله. لقد جلب اليهود معاناتهم على أنفسهم.102

أصبحت عملية الختان، التي اعتبرها خصوم بولس شرطاً أساسياً لكون المرء مسيحياً حقيقياً، علامة على المشاركة في ذنب سفك الدماء:

"لأن الختان بحسب الجسد قد أعطي لكم من إبراهيم كعلامة لكي تميزوا عن سائر الأمم وعنا، ولكي تتألموا أنتم وحدكم ما تتألمون به الآن بحق؛ لكي تصبح أرضكم خراباً، ومدنكم محروقة، ويأكل الغرباء ثمار أرضكم أمامكم، ولا يطأ أحد منكم أورشليم." لذلك فقد حلت بكم هذه الأمور بحق وعدل، لأنكم قتلتم البار، وقبله أنبياءه، والآن تخونون الذين يرجون فيه، والذين أرسلوه، الله القدير، خالق كل شيء. 103

في حين كان يتم تشويه صورة اليهود بشكل متزايد، تم اختلاق تقاليد صورت بيلاطس البنطي على أنه رجل عادل وقديس - بل وحتى مسيحي! وبحلول القرن الرابع، تم تكريم كل من بيلاطس وزوجته كقديسين! هذا هو مدى سخافة وتناقض تاريخ المسيحية المبكرة في الواقع.

نشأة العهد الجديد

ولانتزاع المسيحية من الغنوصيين وبناء دين مركزي قائم على عقائد مشتركة، كان على الأساقفة الحرفيين مواجهة تأثير العدد الكبير من الأناجيل الغنوصية المتداولة في ذلك الوقت. لذلك شرعوا في إنشاء مجموعة محدودة من النصوص المقدسة المقبولة كبيان نهائي للمسيحية، ورفضوا جميع النصوص الأخرى باعتبارها مزيفة وهرطقة. وكان أساس ذلك هو العهد القديم الذي تم اقتباسه من اليهود. إلا أن اختيار النصوص الأخرى التي سيتم تضمينها كان يمثل مشكلة. بحلول ذلك الوقت، كانت مختلف الطوائف المسيحية قد تبنت نصوصاً مختلفة باعتبارها مقدسة، وجادلت جميعها بأن مجموعتها المفضلة من الأناجيل والرسائل والأساطير يجب أن تشكل القانون المسيحي. استمر الجدل محتدماً من نهاية القرن الثاني حتى القرن الرابع وما بعده.104 ومن الحقائق اللافتة للنظر أنه على الرغم من أن جميع أشكال المسيحية الحديثة تقريباً لا تشكك في النصوص الواردة في العهد الجديد، إلا أنه في القرون الأربعة الأولى، وُصفت كل وثيقة من هذه الوثائق في وقت أو آخر بأنها إما هرطقية أو مزورة! 105

يُزعم أن أول محاولة لوضع قانون مسيحي قد قام بها بابياس من هيرابوليس حوالي عام 110. هو شخصية غامضة لا يمكن قول الكثير عنها، على الرغم من أنه، ومن المثير للاهتمام، يشير إلى إنجيل متى على أنه مجموعة من "النبوءات"، مما يوحي بأن النص الذي كان بين يديه كان مختلفًا بشكل كبير عن النص الذي وصل إلينا.106 من الواضح أنه لم يكن هناك عهد جديد في زمن جاستن الشهيد (حوالي 150). إن "مذكرات الرسل" التي يشير إليها تختلف تماماً عن الأناجيل الأربعة القانونية.107 وفي جميع أعماله لم يذكر متى أو مرقس أو لوقا أو يوحنا. حاول تاتيان (حوالي 170) دمج أحد الأناجيل مع الأناجيل الأخرى، وبالتالي إخفاء التناقضات بينها، لكن هذا لم يحظَ بقبول عام في المجتمع

المسيحي.108 وفي نهاية القرن الثاني، حاول إيرينيئوس تقنين الأناجيل الأربعة التي لدينا اليوم باستخدام الادعاء بأن كلًا منها مستمد من أحد تلاميذ يسوع كمعيار للأصالة - وهو أمر مثير للسخرية، لأن مرقس ولوقا لا يدعيان حتى أنهما شاهدان عيان على الأحداث التي يصفانها! 109

استبعد العهد الجديد بعضًا من أقدم النصوص المسيحية وأكثرها اقتباسًا، مثل إنجيل توما، وراعي هرماس، وإنجيل العبرانيين، لأنه لا يحتوي أي منها على أي إشارة إلى القصة شبه التاريخية ليسوع. يزعم إنجيل توما أنه مجموعة من "الأقوال السرية" ليسوع، كما سجلها توما "توأمه". رواية "راعي هرماس"، التي لاقت رواجًا كبيرًا بين المسيحيين الأوائل، هي إعادة صياغة مُقنّعة لنص وثني في الأصل، حيث يلتقي هرماس بكاهنة وثنية تتنبأ بالغيب، متخفيةً في هيئة تجسيد لـ"الكنيسة".110 وكما يُشير أحد المراجع الحديثة، فإن مؤلف هذا العمل، رغم تجاهله اليوم، هو في الواقع "المسيحي الأول الذي نعرفه جيدًا بعد القديس بولس".111 أما إنجيل العبرانيين فهو الإنجيل الأكثر ذكرًا بالاسم في الكنيسة الأولى.112 ومع ذلك، من السهل فهم سبب عدم إدراجه في العهد الجديد، رغم شعبيته المبكرة. ومن بين البدع الأخرى التي تروي أن يسوع كان في رحم أمه لمدة سبعة أشهر فقط - وهو ادعاء غريب، كما رأينا، تم تقديمه أيضًا للإله الوثني ديونيسوس! 113

كانت العديد من الأعمال الغنوصية، مثل أعمال توما، تحظى بشعبية كبيرة بحيث لا يمكن تجاهلها ببساطة، لذلك تم تطهيرها من محتواها الهرطقي وتكييفها لتناسب أجندة حرفية. كما كتب أحد الباحثين:

> لم يكن لدى الأساقفة والمعلمين الكاثوليك أي فكرة أفضل لوقف هذا السيل من الكتابات الغنوصية وتأثيرها بين المؤمنين، إلا من خلال تبني الروايات الأكثر شيوعًا من الكتب الهرطقية، وبعد إزالة سموم العقيدة الزائفة بعناية، إعادة تقديمها في هذا الشكل المنقح بين أيدي الناس. 114

ربما كانت أعمال الرسل بمثابة اقتباس من نصوص غنوصية في الأصل. في نهاية القرن الثاني، اعتبر إيرينيئوس وترتليان سفر أعمال الرسل كتابًا مقدسًا، ومع ذلك، قبل جيل واحد فقط، لم يكن جاستن الشهيد قد سمع به.115 تم تأليف سفر أعمال الرسل بالشكل الذي نعرفه الآن في الوقت المناسب تمامًا ليكون أداة قوية ضد الغنوصية، مؤكدًا على تاريخية التلاميذ ومضفيًا الشرعية على الأساقفة الذين ادعوا الحفاظ على نسبهم. كما صوّرت أعمال الرسل بولس على أنه رسولٌ للحرفية، وجعلته يُقرّ بوضوح بأولوية بطرس والرسل الآخرين.116 وبالطبع، رفض الغنوصيون سفر أعمال الرسل، مشيرين إلى أن بولس في الرسائل لا يتوافق بشكل واضح مع بولس في أعمال الرسل.117

سفك الدماء الرائع

بلغ الصراع بين الحرفيين والغنوصيين ذروته تحت ضغط الاضطهاد الروماني للمسيحية، الأمر الذي رد عليه الغنوصيون والحرفيون بطرق مختلفة للغاية.

بالنسبة لأصحاب التفسير الحرفي، كان يسوع شهيدًا، وبالتالي فإن الموت كان علامة على السير بخطى مجيدة على خطاه. يصف سيبريان (توفي عام 258 ميلاديًا) بوضوح ابتهاج الرب بـ"المشهد السامي، العظيم، المقبول" لـ"الدم المتدفق الذي يطفئ نيران جهنم بدمائه المجيدة".118 كان يُنظر إلى الشهداء الحرفيين على أنهم أبطال روحيون ومحاربون مقدسون، تمامًا كما يُنظر إلى المتطرفين المسلمين اليوم.119 كان الاستشهاد ضمانًا لمكان في الجنة. مع وجود مثل هذه الجائزة المعروضة، سعى العديد من المسيحيين الحرفيين بنشاط إلى الموت. كانوا يعتقدون أنهم "يشترون لأنفسهم الحياة الأبدية من خلال المعاناة لمدة ساعة واحدة".120 ويصرح ترتليان بأنه يرغب في المعاناة "ليحصل من الله على المغفرة الكاملة"، وذلك بتقديم دمه مقابل ذلك.121

من نواحٍ عديدة، يشبه هؤلاء المتعصبون، الذين تجمعوا في مجموعات صغيرة على هامش المجتمع، تلك

الطوائف الدينية الحديثة التي تقدم لأتباعها مكافآت سماوية مقابل سعيهم طواعية إلى الموت من خلال الانتحار الجماعي - على الرغم من أنه من الجدير بالذكر أن ترتليان وإيرينيئوس، وهما من أكثر المتحمسين للشهادة المجيدة، تمكنا بطريقة ما من تجنب هذا المصير المرغوب فيه ظاهريًا! 122

وعلى النقيض من ذلك، اعتبر الغنوصيون فكرة أن الاستشهاد يضمن الخلاص سوء فهم كامل للمسيحية. كانوا يعتقدون أنه ينبغي على المرء أن يتقبل مصيره الذي قدره الله، بما في ذلك الموت شهيداً،123 لكنهم اعتبروا أن السعي بنشاط إلى الاستشهاد كطريق سريع إلى الجنة أمر سخيف ومضلل. كان من الممكن إيجاد التنوير الروحي من خلال الإدراك الصوفي للغنوص، وليس من خلال الإيماءات الكبيرة.

يُعلن نص غنوصي يُسمى "شهادة الحقيقة" أن أولئك المتحمسين للاستشهاد هم "الحمقى" الذين يقولون ببساطة عبارة "نحن مسيحيون" بينما لا يعرفون "من هو المسيح". إنهم "شهداء فارغون، لأنهم لا يشهدون إلا لأنفسهم". لن يكون موتهم إلا "موتاً بشرياً" ولن يؤدي إلى الخلاص الذي يتوقعونه، لأن "هذه الأمور لم تُحسم بهذه الطريقة" و"ليس لديهم الكلمة التي تعطي الحياة". إنّ الذين يُعلّمون بأنّ الله يُريد "التضحية البشرية" يُصوّرون اللهَ كآكل لحوم البشر.124 هؤلاء المسيحيون الحرفيون هم "الذين يضطهدون إخوانهم"، إذ يُشجّعون المؤمنين السذّج على "الذهاب إلى الجلاد" مُتوهمين أنّهم إذا "تمسّكوا باسم رجل ميت سيصبحون أنقياء".125 يشعر مؤلف نهاية العالم بطرس بالرعب الشديد من ابتهاج الحرفيين بأعمال العنف المُرتكبة ضدّ "الصغار".126

يكتب كليمنت الإسكندري عن أولئك الذين يسعون إلى الاستشهاد بتعاطف أكبر باعتبارهم أطفالاً "لم يصبحوا بعد رجالاً محبين لله، كما هو حال الغنوصي". ويوضح قائلاً:

> إذن، لا أحد ممن يتسم بالشجاعة غير العقلانية هو غنوصي؛ إذ يمكن للمرء أن يصف الأطفال بالشجاعة الذين يتعرضون لأشياء مرعبة بسبب جهلهم بما يجب الخوف منه. حتى أنهم يلمسون النار. ويمكن وصف الوحوش البرية التي تندفع نحو رؤوس الرماح، بشجاعة وحشية، بأنها شجاعة. وربما يصف هؤلاء الناس لاعبي الخفة بالشجعان، الذين يتقلبون على السيوف ببراعة معينة، ويمارسون فناً مؤذياً من أجل مكاسب تافهة. لكن من هو شجاع حقاً، ويواجه الخطر الناجم عن المشاعر السيئة للجماهير أمام عينيه، ينتظر بشجاعة كل ما يأتي. وبهذا يتم تمييزه عن الآخرين الذين يطلق عليهم اسم الشهداء، حيث أن بعضهم يخلقون لأنفسهم أسباباً لذلك، ويندفعون إلى قلب المخاطر. فبعضهم يعاني من حب المجد، وآخرون من الخوف من عقاب أشد، وآخرون من أجل الملذات والمتع بعد الموت، كونهم أطفالاً في الإيمان، مباركين حقاً، لكنهم لم يصبحوا بعد رجالاً محبين لله، كما هو حال الغنوصي. فكما هو الحال في مسابقات الجمباز، كذلك في الكنيسة، توجد تيجان للرجال وللأطفال. 127

لم يعتقد الغنوصيون أن يسوع مات حرفياً كشهيد، بل إن موته كان يمثل رمزياً حقيقة صوفية عميقة. إن تقليد يسوع لم يكن يعني السعي إلى الشهادة، بل يعني الموت عن الذات الدنيا والقيامة كالمسيح في الداخل.

بالنسبة للحرفيين، جعلت هذه المواقف الغنوصية معاناة الشهداء تبدو بلا جدوى. يكتب مؤلف رسالة منسوبة إلى إغناطيوس بغضب:

> "ولكن إذا كان، كما يقول البعض، معاناة يسوع كانت في المظهر فقط، فلماذا أنا سجين، ولماذا أتوق إلى القتال مع الوحوش الضارية؟ في هذه الحالة، سأموت عبثاً." 128

اعتبر الحرفيون الغنوصيين خونة يقوضون محاولاتهم لتوحيد الكنيسة في مواجهة الظلم من خلال تقديم تبرير لاهوتي للجبن.129 من ناحية أخرى، اعتبر الغنوصيون الحرفيين متطرفين متعصبين يقودون السذج إلى معاناة لا طائل منها بوعود كاذبة. 30

الرومان والاضطهادات

يصور التاريخ التقليدي لاضطهاد المسيحية الإمبراطورية الرومانية على أنها كانت تكن كراهية خاصة لهذا الدين الجديد، لكن هذا لم يكن صحيحاً. كانت روما تطهر نفسها باستمرار من المتصوفين والفلاسفة والطوائف الدينية، التي كانت تعتبرها تهديداً لاستقرارها.131 كان لدى الرومان علاقة حب وكراهية مع الأسرار، التي كانت الطائفة المسيحية مجرد مثال آخر عليها. لقد انجذبوا إلى الروحانية الغريبة والفلسفة العميقة لهذه الطوائف الأجنبية، لكنهم شعروا أيضاً بالرعب من التحدي الجذري الذي شكلته للسلطة السياسية الرومانية. فعلى سبيل المثال، اتُهم أتباع أسرار ديونيسوس، مثل أتباع أسرار يسوع اللاحقين، بالتآمر للإطاحة بالدولة. منذ عام 186 قبل الميلاد، مُنعت طقوس ديونيسوس في روما، ودُمّرت المعابد في جميع أنحاء إيطاليا.132 وأُعدم عدد هائل من المتأهلين، وصل في بعض الأحيان إلى آلاف في المرة الواحدة.133

في أوقات مختلفة خلال القرون القليلة الأولى، كان التفلسف في روما جريمة في الواقع.134 حتى الفيلسوف الرواقي العظيم أبكتاتوس نُفي، إلى جانب عدد لا يحصى من الآخرين.

ومثل الشهداء المسيحيين الذين أتوا بعدهم، أُرسل العديد من الفلاسفة إلى حتفهم لرفضهم التنازل للسلطات الرومانية المستبدة. يُخلّد نصٌّ بعنوان "أعمال الشهداء الوثنيين" شجاعة ونزاهة أولئك المُضطهدين.135 وقد سُجِّل أن الفلاسفة ذهبوا إلى المحرقة وهم يضحكون على الانهيار المفاجئ لمصائر البشر، وماتوا "دون حراك في النيران".136

بحسب التاريخ التقليدي للمسيحية، تعرض عدد كبير من المسيحيين للاضطهاد المروع من قبل الرومان منذ أقدم العصور. في الواقع، لم يكن هناك اضطهاد قانوني للمسيحيين حتى منتصف القرن الثالث. كانت الاضطهادات السابقة ضد الأفراد فقط أو يقتصر على مدينة معينة. لم يُنظر إلى المسيحيين على أنهم يشكلون تهديداً خاصاً، وبالتالي لم يتعرضوا للاضطهاد بشكل خاص. في القرن الثاني، كتب الإمبراطور تراجان إلى أحد حكامه أنه يجب منح المسيحيين محاكمة عادلة وأنه لا ينبغي للقضاة أن يأخذوا الهجمات المجهولة على محمل الجد. كان يُمنع ملاحقة المسيحيين، وكان على المُدّعين دفع تكاليف أي مقاضاة.137

لكن في عام 250 ميلادي، اجتاح الطاعون العالم القديم، وأباد أعداداً هائلة من السكان. كانت الإمبراطورية على وشك الانهيار، ووجدت الطائفة المسيحية نفسها كبش فداء لمصائب الرومان. أمر الإمبراطور ديسيوس المسيحيين بتقديم القرابين الحيوانية للآلهة من أجل صحة ورفاهية الإمبراطورية، وحرض على أول اضطهاد عام ضد أولئك الذين رفضوا ذلك. لم يستمر الأمر سوى عام واحد، لكنه تكرر في عهد فاليريان في الفترة 257-259 ومرة أخرى في عهد ديوكلتيانوس في الفترة 303-305. لذا، فقد تعرضت المسيحية للاضطهاد الرسمي طوال تاريخها لمدة خمس سنوات.138 وقد بات من المعروف الآن أن حجم هذه الاضطهادات، حتى ما يُسمى بـ"الاضطهاد الكبير" في عهد ديوكلتيانوس، قد تم تضخيمه بشكل كبير من قِبل دعاة المسيحية.139 ويخبرنا أوريجانوس، في منتصف القرن الثالث، أن المسيحيين "القليلين" الذين ماتوا من أجل إيمانهم "كانوا يُحصون بسهولة".140 ففي ظل اضطهاد ديسيوس، لم يُعانِ في مدينة الإسكندرية الشاسعة سوى عشرة رجال وسبع نساء لكونهم مسيحيين! 141

في الواقع، غالباً ما لم يُظهر الحكام الرومان أي رغبة في إلحاق الأذى بالمسيحيين عمداً. عُرض على المسيحيين الذين رفضوا المشاركة في الطقوس الإلزامية للإمبراطورية حل وسط. إذا رفضوا أكل لحوم الأضاحي، ألا يمكنهم تقديم البخور؟ أحد الحكام يتوسل إلى شهيد محتمل:

"هل تريد الانتظار بضعة أيام للتفكير في الأمر؟ ألا ترى جمال هذا الطقس اللطيف؟ لن تجد أي متعة إذا قتلت نفسك." 142

ومن المفارقات أن المسيحيين أنفسهم كانوا غالباً ما يسعون إلى الاستشهاد. توجهت مجموعة من المسيحيين إلى حاكم آسيا وتوسلوا إليه أن يقتلهم، لكنه رفض، قائلاً لهم إنهم أحرار في استخدام المنحدرات والحبال إذا كانوا يريدون الموت بشدة! 143

ومثل الغنوصيين، رأى الإمبراطور والفيلسوف الرواقي ماركوس أوريليوس أن التطوع للاستشهاد هو مجرد تظاهر فارغ وليس مثالاً على القبول المستنير للقدر. ويكتب:

"يجب أن ينبع الاستعداد للموت من حكمة الإنسان نفسه، وليس من مجرد عناد كما هو الحال عند المسيحيين: يجب أن يأتي ذلك بشكل مدروس وبطريقة تقنع الآخرين بأن الموت ليس أمراً مروعاً، وليس بعروض مأساوية." 144

كان بعض الأباطرة الرومان متعاطفين بالفعل مع المسيحية، إذ اعتبروها ديانة غامضة أخرى مثيرة للاهتمام وغريبة. ويُقال إن ألكسندر سيفيروس (حوالي 230) كان يمتلك تمثالاً للمسيح في مصلاه الخاص إلى جانب تماثيل لآلهة آخرين من آلهة الأسرار الوثنية.145 وكانت والدته راعية للفيلسوف المسيحي أوريجانوس، بالإضافة إلى فلاسفة وثنيين مشهورين.146

نمو المسيحية

على الرغم من الادعاءات التقليدية، لا يوجد دليل على أن الاضطهاد الروماني أدى إلى زيادة كبيرة في عدد المسيحيين. لم تنتشر المسيحية على نطاق واسع إلا بعد أن اعتنقها الإمبراطور قسطنطين، وعندها لم يعد الاستشهاد خيارًا متاحًا لأن المسيحيين كانوا جماعة مفضلة ومحمية.147

عادة ما يتم تصوير المسيحية على أنها "تنتشر بسرعة، خاصة بين الفقراء والمحرومين، حتى أصبحت القوة المهيمنة في العالم القديم، في انتظار أن تأخذ مكانتها المقدرة كدين للإمبراطورية الرومانية". لكن هذا خيال محض، روج له ترتليان (حوالي 200)، الذي يدعي ادعاءً شائناً مفاده: "جميع المواطنين تقريباً في جميع المدن تقريباً مسيحيون". 148 يُقرّ العلماء الآن بأن هذا مبالغة سخيفة. 149 ويُقرّ أوريجانوس (حوالي 240)، وهو الأكثر موثوقية، بأن المسيحيين لم يكونوا في الواقع سوى جزء ضئيل من سكان العالم القديم. 150

إن مسألة عدد المسيحيين في القرون القليلة الأولى يصعب الإجابة عليها للغاية. لا تكاد النقوش والنصوص الوثنية تشير إلى المسيحيين قبل عام 250.

لم يتم ذكرهم أيضًا في أهم تاريخين كتبا في أوائل القرن الثالث.151 لدينا إحصائية فعلية واحدة فقط، وهي تلك التي قدمها المؤرخ المسيحي يوسابيوس من القرن الرابع، وهو مصدر غير موثوق به للغاية. ويخبرنا أنه في عام 251 تم دعم "أكثر من ألف وخمسمائة أرملة وفقيرة" من قبل مسيحيي روما، والذين شملوا 154 قسيسًا من مختلف الرتب (52 منهم كانوا

طاردين للأرواح الشريرة!). 152 يُقدّر الباحثون أنه بحلول عام 250، كان حوالي 2% من سكان الإمبراطورية مسيحيين.153 بعد ذلك الوقت، ربما ارتفعت النسبة إلى حوالي 4-5% من السكان.154 مع ذلك، حتى في القرن الرابع، لم يكن يوسابيوس يعرف سوى ثلاث بلدات صغيرة مسيحية في كامل الأراضي المقدسة.155

لم يكن نمو شعبية المسيحية في القرون الثلاثة الأولى الميلادية أمراً فريداً، بل كان جزءاً من طفرة عامة في شعبية الأسرار في جميع أنحاء العالم القديم. مع دخولها الألفية الجديدة، كان الشك الديني متفشياً داخل الإمبراطورية الرومانية. وكما يقول غيبون: "كان الفلاسفة يرون جميع الآلهة على أنها صحيحة بنفس القدر، وكان السياسيون يرونها خاطئة بنفس القدر، وكان القضاة يرونها مفيدة بنفس القدر". 156 لكن بلوتارخ يخبرنا أن المعابد التي كانت في حالة تراجع خلال شبابه كانت تزدهر مرة أخرى في بداية القرن الثاني. خلال هذا القرن في أثينا، أعيد إحياء طقوس ديونيسوس التي كانت قد انقطعت تمامًا، وازداد عدد الأشخاص الذين يسعون إلى الانضمام إلى إليوسيس بشكل كبير. حظيت أسرار ميثراس بشعبية كبيرة في جميع أنحاء الإمبراطورية.157

ردود فعل الوثنيين تجاه المسيحية

كانت المسيحية طائفة غامضة أخرى تكتسب شعبية إلى جانب العديد من الطوائف المماثلة الأخرى. ومع ذلك، فقد كان الأمر يجذب انتباه المثقفين الوثنيين. كانت ردود أفعالهم تجاه هذا الدين الجديد مماثلة لردود فعل المجتمع السائد تجاه العديد من الطوائف الدينية الهامشية في الوقت الحاضر. عندما أصبحت المسيحية شائعة للغاية بحيث لا يمكن تجاهلها ببساطة، تم السخرية من ادعاءاتها بالأصالة (بحق) واتُهم قادتها بالتلاعب بالسذج لملء جيوبهم وتعزيز غرورهم.

اعتبر تاسيتس وبليني (حوالي 112)، وهما أول كاتبين وثنيين أبديا اهتمامًا بالمسيحية، المسيحيين مجرد متعصبين خرافيين يميلون إلى الحماس العاطفي المفرط.158 ووصفهم سيلسوس (حوالي 170) بأنهم "شعبٌ انعزل عن بقية الحضارة" بادعائهم أن عقيدتهم فريدة من نوعها ومعارضة للوثنية القديمة.159 ويرى سيلسوس أن المسيحيين غير عقلانيين، لأنهم "لا يريدون تقديم أو تلقي سبب لما يؤمنون به"، بل يكسبون المهتدين بإخبارهم "ألا يطرحوا أسئلة بل أن يؤمنوا".160 ويكتب سيلسوس:

> "إن الدين، الذي ترسخ في الطبقات الدنيا، يستمر في الانتشار بين العامة: بل يمكن القول إنه ينتشر بسبب ابتذاله، وأمية أتباعه." وبينما يوجد عدد قليل من الأشخاص المعتدلين والعقلانيين والأذكياء الذين يميلون إلى تفسير معتقداتها بشكل مجازي، إلا أنها تزدهر في شكلها الأنقى بين الجاهلين. 161

سخر صديقه، الكاتب الساخر لوسيان، من المسيحية واصفاً إياها بأنها مجرد عملية احتيال تهدف إلى جني المال من السذج:

> "إذا تمكن محتال محترف يعرف كيف يستغل الموقف من التسلل بينهم، فإنه سيجعل نفسه مليونيراً بين عشية وضحاها، وهو يضحك في سره على هؤلاء السذج." 162

إن الفيلسوف المسيحي أوريجانوس، الذي كتب في منتصف القرن الثالث، لا يقل انتقاداً للمجتمع المسيحي، إذ وصفه بأنه يتكون من رجال مهتمين بكيفية كسب المال ونساء يثرثرن بصوت عالٍ لدرجة أنه لا يمكن سماع أي شيء! 163 يقر أوريجانوس بحزن بأنه مع تحول المسيحية إلى دين راسخ، أصبحت فاسدة:

"أعترف أنه في الوقت الحاضر ربما، عندما ينظر حتى الأثرياء وأصحاب المناصب الرفيعة والسيدات ذوات الذوق الرفيع والنسب الرفيع إلى أتباع الدين نظرة إيجابية بسبب كثرة الناس الذين يعتنقون الدين، يمكن للمرء أن يجرؤ على القول إن البعض يصبحون قادة للتعاليم المسيحية من أجل القليل من المكانة."164

في منتصف القرن الثالث، دفعت امرأة ثرية تدعى لوسيلا بالفعل لجعل خادمها ماجورينوس أسقفًا لقرطاج! 165 ورد أن بولس الساموساطي، أسقف أنطاكية عام 260، وجد أن خدمة الكنيسة مهنة مربحة للغاية. كان يبتزّ تبرعات متكررة من الأثرياء بين أتباعه، وكان يستولي على جزء كبير منها لنفسه لتمويل أسلوب حياته المترف.166

في عام 270 كتب الفيلسوف الوثني فَرفوريوس النقد الأكثر تدميراً للمسيحية في 15 مجلداً. لقد أثبت أن الأناجيل المسيحية مليئة بالتناقضات والمبالغات والاستحالة والأكاذيب، ولا يمكن أن تكون موحى بها من الإله الحق. لقد سخر من الاعتقاد بالقيامة الجسدية ووصفه بأنه مادي وسخيف. لقد اعتبر من الجهل والابتذال أن يؤكد أي شخص أن الكون العظيم والجميل سيفنى في نهاية العالم بينما سيحفظ الله جسده المادي التافه إلى الأبد. بالنسبة لفَرفوريوس، فإن وعد أي مجرم بأنه سيُغفر له ويدخل الجنة طالما أنه تعمّد قبل موته يقوض أسس مجتمع منظم من البشر الأسوياء.167 وقد اعترض على ادعاءات المسيحيين باكتشاف الطريق الوحيد إلى الله، وقدم في المقابل "الطريق العالمي" للفلسفة الوثنية. أدرج في كتبه وحيًا لأبولو يُشيد بالمسيح، لكنه يؤكد أن الطائفة المسيحية عبثية لأن تجسد الله أسطورة.168 وليس من المستغرب أنه عندما اعتنقت الإمبراطورية الرومانية المسيحية، مُنعت مؤلفات فَرفوريوس على الفور وأُحرقت.169

الكنيسة الكاثوليكية الرومانية

من المفارقات العظيمة في التاريخ أن الإمبراطورية الرومانية العظيمة اعتنقت المسيحية في نهاية المطاف - ليس فقط كطائفة غامضة أخرى، ولكن كدين واحد وحقيقي. يبدو من غير المعقول أن تقوم روما، بعد أن دمرت دولة إسرائيل تدميراً كاملاً، بتبني دين ذي تاريخ يهودي كنصوص مقدسة، قائم على نبي يهودي يقال إنه أعدمه حاكم روماني. كيف يُعقل أن يحدث هذا؟ يشير التاريخ التقليدي، بطبيعة الحال، إلى أنه لا يمكن أن يكون إلا يد الله التي ترشد البشرية بعيدًا عن ظلام الوثنية. وبغض النظر عن احتمال أن تكون المسيحية هي دين الله المفضل، إلا أن هناك أسباباً أخرى لنجاحها.

لم تكن المسيحية هي الطائفة السرية الأجنبية الوحيدة التي تبنتها الإمبراطورية الرومانية. في عام 304، أي قبل 17 عامًا فقط من أن تصبح المسيحية دين الدولة، تم إعلان رجل دين آخر ولد بأعجوبة في 25 ديسمبر واحتفل أتباعه أيضًا بوجبة رمزية من الخبز والنبيذ "حامي الإمبراطورية" - المخلص الفارسي ميثراس. كان الفرس المنافسين الرئيسيين والأعداء القدامى للرومان، لذا فإن تبني الرومان لميثراس هو في الواقع أكثر إثارة للصدمة من تبنيهم للمخلص اليهودي يسوع.

انتشرت أسرار ميثراس بسرعة فائقة في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية في القرن الأول الميلادي.170 وفي ذروة شعبيتها في القرن الثالث، مُورست الميثرائية من أقصى الإمبراطورية إلى أقصاها؛ كما يقول أحد المؤرخين المعاصرين، "من ضفاف البحر الأسود إلى جبال اسكتلندا وإلى حدود الصحراء الكبرى".171 وغالبًا ما تخبرنا آثار الميثرائية أن العبيد، كما الأحرار، كانوا من المتأهلين في الأسرار، وأن العبيد غالبًا ما كانوا يصلون إلى أعلى المراتب - ففي الميثرائية، أصبح الأحرار هم الأوائل.172 وفي نهاية القرن الثاني، انضم الإمبراطور كومودوس نفسه إلى أسرار ميثراس، مما أثار ضجة كبيرة في العالم الروماني وأدى إلى زيادة كبيرة في شعبية هذه العبادة.173 وقد حاول عدد من الأباطرة بعد كومودوس جعل الميثرائية دين الإمبراطورية.

وقد انجذب قادة رومانيون آخرون بدرجات متفاوتة إلى ديانات غامضة مختلفة. اتخذ مارك أنتوني من

ديونيسوس قدوة لنفسه. نظر كلوديوس إلى آتيس. كان فسبازيان يعبد سيرابيس. كرّم دوميتيان أوزوريس. حاول إلغابالوس فرض عبادة هيليوس التوحيدية.174 ولتأكيد ادعائهم بـ "إمبراطورية واحدة، إمبراطور واحد" في مواجهة التفكك المتزايد، احتاج الأباطرة الرومان إلى "عقيدة واحدة" - دين عالمي أو "كاثوليكي". تم اقتراح كل هذه الطوائف في أوقات مختلفة، ولكن دون جدوى.

في النصف الأول من القرن الرابع، جرب الإمبراطور قسطنطين المسيحية. كان مرشحاً مثالياً لهذا الدور. كان الرومان بحاجة إلى ديانة سرية لأنها كانت تحظى بشعبية كبيرة بين الناس. لكن الديانات السرية كان يقودها المتصوفون والفلاسفة، الذين تجرأوا على التشكيك في سلطة الدولة وتقويضها. لكن المسيحية الحرفية كانت ديانة غامضة تخلصت من جميع المثقفين المزعجين. لقد كان

> ديناً استبدادياً بالفعل، يشجع المؤمنين على الإيمان الأعمى بمن يشغلون مناصب السلطة. كان هذا بالضبط ما أرادته السلطات الرومانية - دين بلا متصوفين، وأسرار ظاهرية بلا أسرار باطنية، وشكل بلا مضمون.

في عام 321 أصبح قسطنطين أول إمبراطور مسيحي. على الرغم من أن دافعه كان سياسياً بوضوح، وليس روحياً، إلا أنه ادعى بعد سنوات عديدة من الحادثة أن اهتدائه جاء من خلال رؤية مقدسة.175 عشية المعركة، رأى هو و"جميع الجنود" "علامة الصليب" في سماء الظهيرة، مكتوب عليها عبارة "بهذا ننتصر". لم يكن هذا الصليب المسيحي المألوف، بل رمز "chi-rho" الوثني.176 بعد أن خلد قسطنطين إلى النوم متسائلاً عن معنى العلامة التي ظهرت في السماء، زاره المسيح في أحلامه، وكان يحمل الرمز نفسه، وأمره أن "يستخدم صورته في معاركه ضد العدو".177 قام قسطنطين بنقش الشعار على دروع جنوده، وانتصر في المعركة كما وعد، وأصبح مسيحياً. إذا صدقناه، فسيبدو أن يسوع "أمير السلام" قد انتصر على أفظع إمبراطورية في العالم القديم من خلال تقديمه لإمبراطورها تعويذة عسكرية سحرية! نشأ رمز chi-rho في البرديات الوثنية حيث استخدمه العلماء كعلامة لتمييز المقاطع النبوية بـ "chi-rho"، والتي ترمز إلى الكلمة اليونانية chreston، والتي تعني "مبشر". مع اعتناق قسطنطين للمسيحية، أصبح رمز "chi-rho " يُفسر على أنه اختصار لكلمة المسيح. لذلك كان لهذا الرمز معنى مزدوج، واحد للوثنيين وواحد للمسيحيين، وهو ما يناسب أغراض قسطنطين تمامًا.

كان قسطنطين قبل كل شيء براغماتياً. لم تبرز مسيحيته إلا عندما كان ذلك يخدم مصالحه السياسية. عندما تم تكريم النصر الذي وُعد به في رؤيته بنصب تذكاري، لم يشر النقش إلى المسيحية، بل صوّر جنودًا رومانيين يتلقون عونًا إلهيًا من مساعديهم السماويين الوثنيين المعتادين.178 على الرغم من اعتناقه المسيحية بمعجزة، أمر قسطنطين بوضع رأسه على تمثال إله الشمس هيليوس الضخم في المنتدى الروماني، وأمر بسك عملات معدنية تصوّره إلى جانب هيليوس.179 ومع ذلك، ظلّ يقبل لقب البابا الأعظم، كبير كهنة العالم الوثني - كما فعل جميع الأباطرة المسيحيين حتى عام 382! 180

ومثل معظم الأباطرة الرومان، كان قسطنطين رجلاً شرساً وقاسياً. خلال حروبه في بلاد الغال (306-12) ورد ما يلي:

> "حتى الوثنيين شعروا بالصدمة عندما قدم ملوكًا بربريين للوحوش، مع أتباعهم بالآلاف في كل مرة."
> 181

من الواضح أن قسطنطين لم يصبح أكثر تعاطفاً بعد اعتناقه المسيحية. بعد فترة وجيزة من ترؤسه مجمع نيقية المسيحي عام 325، أمر بقتل ابنه كريسبوس وزوجة أبيه فوستا.182 بل إنه تعمّد تأجيل معموديته حتى فراش موته ليتمكن من الاستمرار في الخطيئة مع ضمان حياة أبدية في الجنة.183 كانت سمعة قسطنطين سيئة لدرجة أن الكنيسة الرومانية

نفسها لم تجرؤ على تقديسه.184

كان مصدر إلهام قسطنطين لاعتناقه المسيحية والدته هيلانة، التي اعتنقت المسيحية قبل ذلك بوقت. بعد أن أُجبرت على المنفى إثر تورطها في قتل زوجة أب قسطنطين، قامت بجولة في الأراضي المقدسة. وهنا وجدت بأعجوبة قبر المسيح ومغارة ميلاده، إلى جانب بقايا الصلبان الثلاثة التي استخدمت لصلب يسوع واللصين في الجلجثة. لقد كانت هذه معجزة استثنائية حقاً، حيث تم إعدام آلاف اليهود الآخرين في الـ 300 سنة التي انقضت منذ أن لقي يسوع حتفه على ما يبدو! 185 قام قسطنطين ببناء كنائس على هذه المواقع المقدسة التي تم اكتشافها بالصدفة، والتي لا تزال تُكرم على أنها مقدسة حتى يومنا هذا. تم إرسال أجزاء من الصليب المقدس إلى جميع أنحاء الإمبراطورية، وتم تكريم هيلانة من قبل الكنيسة الكاثوليكية باسم "القديسة هيلانة، مكتشفة الصليب الحقيقي"! 186 كما بنى قسطنطين بازيليكا ضخمة في موقع الضريح، يُفترض أنها تُشير إلى قبر بطرس في روما، والتي ستصبح فيما بعد الفاتيكان - مركز قوة الكاثوليكية الرومانية.187

وجد قسطنطين المجتمع المسيحي منقسماً بشدة، كما هو الحال دائماً - ليس فقط بين الحرفيين والغنوصيين، ولكن أيضاً داخل المجتمع الحرفي نفسه. يقال إن المسيحيين بدأوا في مجمع نيقية بتكديس الالتماسات ضد إخوانهم المسيحيين على حجر الإمبراطور! 188 لم يكن لدى قسطنطين نفسه أي فهم للاهوت. في الواقع، ألقى خطابات كانت قريبة بشكل محرج من الهرطقة.189 ومع ذلك، كان يعلم أنه بحاجة إلى الوحدة. لذلك قام بفرضه.

تم وضع عقيدة في نيقية لا تزال تُردد في الكنائس في جميع أنحاء العالم حتى اليوم. نفي الأساقفة الذين رفضوا الموافقة على العقيدة من الإمبراطورية كمجرمين بمرسوم من الإمبراطور نفسه.190 أما الذين انضموا إلى العقيدة، فقد دُعوا للبقاء في نيقية كضيوف لقسطنطين احتفالاً بالذكرى العشرين لتوليه العرش.191 وقد انضم العديد من الأساقفة إلى العقيدة ثم ندموا على ذلك لاحقاً. وكتب أحدهم لاحقاً إلى قسطنطين متأسفاً: "لقد ارتكبنا عملاً فاحشاً يا أمير، بموافقتنا على التجديف خوفاً منك". 192

بعد قسطنطين، أصبحت الإمبراطورية الرومانية مسيحية بشكل متزايد في ظل أباطرة مسيحيين متعاقبين، كانوا أكثر تعصبًا من أي وقت مضى - أي باستثناء فترة وجيزة في عهد يوليان (360-363)، الذي حاول إعادة الوثنية.193 كان هو نفسه فيلسوفًا أفلاطونيًا معروفًا بتواضعه، وقد كتب ترنيمة جميلة للإله الواحد وكان من المطلعين على أسرار ميثراس وديونيسوس. أعلن التسامح مع جميع الأديان، بل وحاول إعادة بناء الهيكل اليهودي في أورشليم، لكنه لم ينجح قط، مما أسعد الكنيسة المسيحية المعادية للسامية. لم تدم النهضة الوثنية التي قام بها يوليان طويلاً، وبعد وفاته، أُعيدت المسيحية وفرضت بقوة أكبر.

على الرغم من عقيدة نيقية، ظلت الكنيسة المسيحية منقسمة على نفسها إلى الأبد، منخرطة في صراعات سياسية داخلية مستمرة متخفية بشكل رقيق في صورة نقاش لاهوتي. في ظل الأجواء الاستبدادية لتلك الحقبة، تم طرد الخاسرين من المجتمع وأصبحت آراؤهم محرمة. لكن لم يكن أحد آمناً. قد تصبح وجهة النظر "الأرثوذكسية" اليوم "هرطقية" غداً. في أواخر القرن الرابع، كتب هيلاري، أسقف بواتييه، بكلمات يائسة:

> "في كل عام، بل في كل شهر، نبتكر عقائد جديدة لوصف الأسرار الخفية." نتوب عما فعلناه، وندافع عن التائبين، ونلعن من دافعنا عنهم. إننا إما ندين مذهب الآخرين في أنفسنا، أو ندين مذهبنا في مذهب الآخرين؛ وبتمزيق بعضنا بعضاً إرباً، نكون سبباً في خراب بعضنا بعضاً. 196

وبحلول ذلك الوقت، بدأ حتى المسيحيون الحرفيون ينظرون إلى الكنيسة الرومانية لا على أنها تحقيق لخطة المسيح، بل على أنها عمل "المسيح الدجال"! 197

تزييف التاريخ

كانت الكنيسة الرومانية بحاجة إلى تاريخ مناسب لعقيدتها يشوه سمعة أعدائها ويحتفل بانتصارها كدليل على مصيرها الذي منحه الله لها. لذلك، تم قمع حقيقة أصول المسيحية بشكل صارم، وتم اختلاق تاريخ أكثر قبولاً - وهو تاريخ ملفق لا يزال يعتبر دقيقاً من قبل الغالبية العظمى من الناس حتى يومنا هذا. كان الغنوصيون يبتكرون بانتظام ودون خجل أناجيل خيالية. لكنهم أقروا بأنهم كانوا يضفون طابعاً أسطورياً. لم يكن المقصود من أعمالهم، التي تعد قصة يسوع نفسها مثالاً عليها، أن تُؤخذ على أنها أي شيء آخر غير الخيال الرمزي. لكن عندما ابتكر أصحاب التفسير الحرفي خيالاتهم، حاولوا تمريرها على أنها سجلات تاريخية. هذه الأعمال، التي تشكل أساس التاريخ التقليدي للمسيحية، هي تزويرات صارخة.198

في نهاية القرن الثاني، تم إدخال تعديلات على رسائل بولس الأصلية وتزوير رسائل جديدة لجعله يتماشى مع المسيحية الحرفية وإبعاده عن الغنوصية. وكجزء من عملية رومنة المسيحية بشكل عام، تم اختلاق تقليد مفاده أن بولس كان على اتصال وثيق مع رجل الدولة الروماني البارز سينيكا. لا تزال ثلاثمائة مخطوطة موجودة تحتوي على ثماني رسائل من بولس و11 رسالة من سينيكا رداً عليها - جميعها مزيفة تماماً، بالطبع، ولكن كان يُعتقد أنها أصلية حتى القرن الماضي! فيها، يُجبر سينيكا على اعتناق المسيحية، ويُرشحه بولس ليكون واعظًا رسميًا للإنجيل في البلاط الإمبراطوري! 99 في القرن الرابع، وبناءً على هذه الأكاذيب، أدرج جيروم سينيكا ضمن قائمة قديسيه المسيحيين.200

كما تم تزوير رسائل بأسماء العديد من الرسل. هذه النصوص مدرجة الآن في العهد الجديد وتعتبر من الكتب المقدسة، ولكن في ذلك الوقت كانت تُنظر إليها بعين الشك. حتى يوسابيوس، ناطق الدعاية الكاثوليكية، اعتبر صحة رسائل يعقوب ويهوذا وبطرس الثانية ويوحنا الثانية والثالثة موضع شك، واعتبر سفر الرؤيا مزيفاً تماماً.201

استمرت الرسائل المنسوبة إلى مسيحيين أوائل مثل جاستن الشهيد وإغناطيوس الأنطاكي وكليمنت الروماني في التزوير والتحريف والإضافة حتى القرن الخامس الميلادي.202

أتاحت ترجمة الأعمال إلى اللاتينية فرصاً للتحريف. وبهذه الطريقة، تم تقديم تعاليم مثل تعاليم الفيلسوف المسيحي أوريجانوس على أنها متوافقة مع ما كان يُعتبر أرثوذكسياً في ذلك الوقت.203

كانت تُكتب سير ذاتية وهمية للقديسين المسيحيين بشكل روتيني، وغالبًا ما تستند مباشرة إلى حياة وأساطير رجال الدين الوثنيين المتوفين.204 وقد اختُرعت قصص عن قدوم بطرس إلى روما وصلبه رأسًا على عقب لإضفاء المصداقية على كنيسة روما باعتبارها مركز السلطة المسيحية. لكن هذه القصص اختُرعت في وقت متأخر لدرجة أن أحداً لم يفكر حتى في إدراجها في العهد الجديد.

تم تحرير الأعمال الغنوصية الشائعة لإزالة تعاليمها الغنوصية واستبدالها بمواد صحيحة عقائدياً.205 حتى أن المسيحيين قاموا بتكييف الأعمال الوثنية لتأييد عقيدتهم الخاصة. زورت نبوءات العرافة الوثنية التي تنبأت بمجيء يسوع في أوائل القرن الرابع، واستشهد بها قسطنطين نفسه في مجمع نيقية كدليل على ألوهية يسوع.206 بل إنهم زوّروا وصية أورفيوس التي أُجبر فيها نبي الأسرار القديم على إنكار تعاليمه الوثنية السابقة.207

أُضيفت إضافات مسيحية خرقاء إلى أعمال الفيلسوف اليهودي الفيثاغورسي فيلو،208 وتم اختلاق أساطير سخيفة مفادها أنه أجرى مناقشات حول الشريعة مع التلميذ يوحنا والتقى ببطرس في روما! 209 وبالمثل، تحول المؤرخ اليهودي يوسيفوس إلى مسيحي، بل وتمت مساواته بشخصية يوسف الرامي في العهد الجديد! 210 كما سبق ذكره، أُضيفت إلى أعماله إضافات تشهد باحترام على الوجود التاريخي ليسوع. 211

كما تم تزوير وثيقة أخرى منسوبة إلى يوسيفوس بعنوان "في جوهر الله" لتعزيز التزوير السابق من خلال وضع العقائد المسيحية على لسان يوسيفوس. من خلال الدراسات اللغوية الدقيقة، يعرف العلماء الآن "بشكل لا يدع مجالاً للشك" أن مزور هذا النص لم يكن سوى هيبوليتوس (حوالي 222)، صائد الهرطقات الرئيسي وحامي إيرينيئوس! 212 وقد أظهر الباحثون أيضًا أوجه تشابه في اللغة والأسلوب بين هذه الرسالة المزورة ورسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكي، التي كُتبت للتشكيك في صحة الرسالة الأولى (الأصلية). 213 لذا، فمن المحتمل أن يكون هيبوليتوس هو مزور هذه الرسالة المنسوبة إلى بولس. 214

القديس بيلاطس البنطي!

إن الطبيعة السخيفة لما كان يُعتبر تاريخاً في السنوات الأولى للمسيحية تتجلى بوضوح في تبييض صورة بيلاطس البنطي. كان هذا الحاكم الروماني الوحشي مكروهاً جداً من قبل اليهود لدرجة أنهم حملوه مسؤولية موت المخلص، وذلك من قبل أولئك الذين وضعوا أسطورة يسوع في سياقها التاريخي في الأصل. لكن بحلول القرن الثاني، روى ترتليان قصة سخيفة مفادها أن بيلاطس قد تبرأ من موت يسوع لأنه "في قلبه السري" كان مسيحياً بالفعل! 215 وفقًا لترتليان، فإن أول خبر عن المسيحية وصل إلى روما كان تقريرًا من بيلاطس يشير إلى أن المسيح (الذي يُفترض أنه أعدمه للتو) كان إلهيًا بالفعل. 216 أراد الإمبراطور تيبريوس (المعروف بازدرائه لجميع الأديان) على الفور وضع المسيح بين آلهة الرومان، لكن مجلس الشيوخ رفض خططه. لسبب ما، لم يشكك هذا الإمبراطور القوي في أعضاء مجلس الشيوخ الخاضعين له عادةً، بل اكتفى بحماية المسيحيين من قسوة القوانين القمعية. وهذا في حد ذاته أشبه بالمعجزة، حيث كان تيبريوس يعيش قبل سنوات عديدة من سن مثل هذه القوانين! 217

وفي وقت لاحق، تم تزوير وثيقة تسمى أعمال بيلاطس بناءً على خيال ترتليان. ثم استند نص آخر يسمى إنجيل نيقوديموس إلى هذا النص لإنشاء ما يسميه أحد الباحثين المعاصرين "قصة خيالية بثلاثة مستويات عميقة".218 في إنجيل نيقوديموس، نقرأ أنه عندما وصل تقرير بيلاطس عن إعدام يسوع إلى روما، أمر الإمبراطور بإحضار بيلاطس

أمامه مكبلاً بالسلاسل. ثم أعلن الإمبراطور أمام مجلس الشيوخ بأكمله والآلهة والجيش:

> "كيف تجرؤ على فعل مثل هذا الشيء، أيها الفاسق، وقد رأيت مثل هذه العلامات العظيمة المتعلقة بذلك الرجل؟ بجرأتك الخبيثة دمرت العالم بأسره. كان ينبغي عليك، بمجرد أن سلموه إليك، أن تحافظ عليه آمناً وترسله إليّ، لا أن تتبعهم وتصلب رجلاً صالحاً صنع مثل هذه الآيات العجيبة التي ذكرتها في تقريرك. لأنه من الواضح من هذه العلامات أن يسوع هو المسيح، ملك اليهود". 219

ما إن نطق الإمبراطور باسم المسيح حتى سقطت جميع تماثيل الآلهة وتحولت إلى غبار. اعتذر بيلاطس مدعياً أن "عصيان اليهود الخارجين عن القانون وغير المؤمنين" هو ما دفعه إلى فعل ذلك. فأصدر الإمبراطور مرسوماً ضد اليهود يطالب فيه بما يلي:

> "أطيعوا وهاجموهم، وشتتوهم بين جميع الأمم، واستعبدوهم، واطردوهم من يهودا، واجعلوا الأمة ضئيلة الأهمية بحيث لا يمكن رؤيتها في أي مكان، لأنهم رجال مليئون بالشر".

ثم اقتيد بيلاطس إلى مكان إعدامه وهو يتلو صلاة إلى الرب. وبينما كان ينهي كلامه، أعلن صوت يسوع من السماء:

> "ستدعوك جميع الأجيال والعائلات من الأمم مباركاً، لأنه في ولايتك تحقق كل ما تنبأ به الأنبياء عني، وستكون شاهداً لي عند المجيء الثاني".

ثم يُروى أن رأس بيلاطس قُطع، واستقبله ملاك الرب، وعندها غمرت زوجته بروكلا فرحة عارمة، ففارقت الحياة على الفور ودُفنت مع زوجها. 220 وقد أصبح بيلاطس قديسًا في الكنيسة القبطية، ويُحتفل بعيده في 25 يونيو! 221 كما تم تبجيل زوجته بروكلا كقديسة في الكنيسة الشرقية.

على الرغم من أن هذا ربما كان يُعتبر تاريخاً في ذلك الوقت، إلا أنه يبدو للأذن الحديثة هراءً واضحاً. ومع ذلك، فإن التاريخ التقليدي الأكثر قبولاً والذي تم اعتباره "حقيقة مطلقة" لمدة 1500 عام قد تم إنشاؤه من قبل نفس الأشخاص الذين قدموا لنا هذه الخرافات. إنها خيالية وغير دقيقة بنفس القدر، ولولا شيوعها لكان من السهل تجاهلها بنفس القدر.

يوسابيوس داعية الكنيسة

تم تنظيم التاريخ الخيالي الكامل للمسيحية وتجميعه بشكل نهائي في القرن الرابع من قبل الأسقف يوسابيوس، المعروف باسم "أبو تاريخ الكنيسة". كان أحد الأساقفة الذين غيّروا موقفهم اللاهوتي تمامًا في مجمع نيقية سعيًا وراء رضا الإمبراطور قسطنطين.222 ثم أصبح كاتب سيرة قسطنطين الشخصية، متجاهلًا جرائمه بتملقٍ مُذل.223 وأوضح يوسابيوس للمؤمنين أنه كما أن كلمة الله ترشد السماوات وتُسيّرها، فإن الإمبراطور الروماني يُعبّر عن إرادة الله في حكم العالم المتحضر.24 كان الإمبراطور صوت المسيح على الأرض!

كانت مهمة يوسابيوس تزويد المسيحية الرومانية بتاريخ مناسب، وهي مهمة أداها دون أدنى اعتبار

للحقيقة.225 وبأسلوبٍ بليغٍ في التقليل من شأن الأمر، يصف أحد المؤرخين المعاصرين قراءة يوسابيوس بأنها دخولٌ إلى "عالم أدبيٍّ مُغرٍ، حيث لا يُؤخذ كل ما يُقال فيه على محمل الجد".226 ويصفه باحثٌ معاصرٌ آخر، وبصراحةٍ أكبر، بأنه "أول مؤرخٍ غير أمينٍ وظالمٍ للعصور القديمة".227 ويصف آخر "عدم أمانة" يوسابيوس في "تزويره المتعمد للتواريخ".22 ويصف آخر تاريخ يوسابيوس بأنه "سطحي" و"مُزوِّرٌ عمدًا" ومُؤلِّفٌ "بروحٍ عديمة الضمير وعشوائية للغاية".229 وكما يُلاحظ مؤرخٌ آخر بحق، فإن "ما يُمكن استخلاصه من يوسابيوس لا يجعله محبوبًا لدى الباحثين المعاصرين". 230

يعترف يوسابيوس نفسه بشكل غير مباشر بأنه لم يدرج في روايته للتاريخ المسيحي إلا ما "يعود بالنفع على مجد" الكنيسة، بينما أخفى كل ما قد يسيء إليها.231 ويخلص أحد الباحثين المعاصرين إلى ما يلي:

> "لذلك نحن ملزمون بالنظر إلى جهوده بأقصى درجات عدم الثقة، ونعتبر الاستشهاد به كسلطة مختصة مساراً غير نقدي للغاية؛ كما هي عادة الكثيرين على الرغم من هذا التقصير، كلما ناسب ذلك غرضهم." 232

يُستشهد بيوسابيوس كمرجع في التاريخ المسيحي لمجرد أن كتابه هو "التاريخ" الوحيد الباقي للكنيسة خلال القرون الثلاثة الأولى.233 ولذلك، فقد اعتمد جميع مؤرخي الكنيسة من بعده روايته، مما أدى إلى استمرار الأكاذيب التي أصبحت التاريخ التقليدي للمسيحية.

يكرر يوسابيوس في كتابه "التاريخي" جميع الاتهامات المعتادة الموجهة ضد الغنوصيين. ولتبرير مزاعم الأساقفة الحرفيين بتمثيل التقاليد المسيحية الأصلية، يقدم خطوط الخلافة الرسولية التي تربطهم بتلاميذ يسوع. زُيِّفت هذه الأنساب المزعومة في وقت سابق، على الأرجح على يد إيرينيئوس، لكن يوسابيوس أضاف إليها من عنده.234 في كثير من الأحيان، لا يُقدِّم سوى قائمة بأسماء نسجها في التاريخ بالتخمين والاختلاق، مما يُؤدي غالبًا إلى تناقضات وأخطاء واضحة.235 يذكر يوسابيوس أن أساقفةً قادوا الكنيسة في روما منذ أوائل القرن الأول، مع أنه لا يوجد أي دليل على ظهور زعيم واحد للجماعة المسيحية في روما إلا بعد ذلك بكثير.236

يبالغ يوسابيوس أيضاً بشكل كبير في أعداد المسيحيين الذين عانوا في الاضطهادات، ويؤلف سيراً ذاتية لشهداء مسيحيين مستمدة في الواقع من أساطير شهداء وثنيين.237 ورغم حرصه على فهرسة أعمال الكتاب المسيحيين السابقين، إلا أنه يتجنب بحكمة إخبارنا بأي من الأفكار التي عبروا عنها، وبالتالي لا يعرضهم أو يعرض نفسه لاتهامات الهرطقة. حتى في روايته عن أوريجانوس، الذي كان مصدر إلهامه الأكبر في شبابه، لم يذكر يوسابيوس شيئًا عن أفكار أوريجانوس، التي بدأت تُثير الشكوك في أوساط المجتمع الأرثوذكسي.238 أما بالنسبة لليهود، فقد ابتهج يوسابيوس بمصيرهم المأساوي على يد الرومان، معتقدًا أن ذلك لا يعدو كونه جزاءً عادلاً لقتلهم المخلص. بعد أن كتب صفحات يسرد فيها كل التفاصيل المروعة لمعاناتهم بمتعة واضحة، يخلص إلى القول: "هكذا كانت مكافأة معاملة اليهود الظالمة والشريرة لمسيح الله". 239

يروي يوسابيوس قصة سخيفة مفادها أن الله أخبر المسيحيين الأوائل في كنيسة القدس بالفرار إلى بر الأمان في بيلا المجاورة قبل أن يدمر أورشليم بغضبه عام 70 ميلادي (بمساعدة بسيطة من الرومان!). 240 ولكنه يذكر أيضًا أنه عندما ذهب المسيحيون اللاحقون للبحث عن كنيسة أورشليم، لم يجدوا سوى مجموعة من الغنوصيين الأبيونيين. لماذا أراد الله إنقاذ هؤلاء المسيحيين "الأصليين" فقط ليحولهم إلى زنادقة؟ هذا ما لم يوضحه يوسابيوس! لكن يبدو أنه لا يلاحظ أبداً مدى جنون وتناقض خيالاته.

وبدون أدنى شعور بالذنب، قام يوسابيوس بأعجوبة بإخراج رسالة من "الأرشيف" كتبها يسوع نفسه إلى أمير

الرها، يهنئ فيها الأمير على إيمانه بالمخلص دون أن يراه قط! 241 إذن، هذا هو الرجل الذي قدم لنا ما يُعرف بتاريخ المسيحية، وهو موظف متملق لإمبراطور روماني مستبد، بنى عمله على تقليد دام 200 عام من الخداع والتزوير.242

تدمير الوثنية

في القرن الثاني، اعترف ترتليان، الذي ادعى أنه اعتنق المسيحية بعد أن شهد مسيحيين يذهبون إلى حتفهم كشهداء، بأنه هو الآخر كان يستمتع بمشاهدة "الوحشية المضحكة" للاضطهادات الرومانية العامة.243 ويبدو أن هذا الحب للدماء والمعاناة لم يتخل عنه بعد أن أصبح مسيحياً. وبمتعة واضحة، يرسم صورة قاتمة وعنيفة للمصير الذي ينتظر الوثنيين في "يوم الحساب الأخير":

> "أنت مولع بالمشاهد، فتوقع أعظم المشاهد على الإطلاق، وهو الحساب الأخير والأبدي للكون. كيف لي أن أُعجب، كيف لي أن أضحك، كيف لي أن أفرح، كيف لي أن أبتهج، وأنا أرى هذا العدد الكبير من الملوك المتغطرسين، والآلهة المتوهمة، يئنون في أحلك هاوية الظلام، - هذا العدد الكبير من القضاة الذين اضطهدوا اسم الرب، يذوبون في نيران أشد ضراوة مما أشعلوه ضد المسيحيين؛ هذا العدد الكبير من الفلاسفة الحكماء يحمرون خجلاً في ألسنة اللهب مع علمائهم المضللين؛ هذا العدد الكبير من الشعراء المشهورين يرتجفون أمام المحكمة، ليس محكمة مينوس، بل محكمة المسيح؛ هذا العدد الكبير من الممثلين التراجيديين، أكثر رقة في التعبير عن معاناتهم؛ هذا العدد الكبير من الراقصين..." 244

ويمضي قدماً، مستمتعاً بالأهوال المروعة التي سيعاني منها خصومه إلى الأبد. لم يكن يعلم أن مثل هذه الأهوال ستصيب العديد من الوثنيين في غضون بضعة أجيال، ليس في يوم القيامة، ولكن في القرن الرابع على يد الكنيسة الكاثوليكية الرومانية.

بعد أن تم تبنيها كدين للإمبراطورية الرومانية، قامت الكنيسة الحرفية بترويع الوثنيين بوحشية لا هوادة فيها. أُلقي القبض على أنبياء الوثنيين وعُذِّبوا حتى اعترفوا بأن آلهتهم كانوا دجالين.245 وقُيِّد الكهنة إلى معابدهم وتُركوا ليموتوا جوعًا.246 وبدون أي دليل يدعم الاتهامات، أُدين الوثنيون بتهمة التضحية بالأطفال، ورش دمائهم على مذابح الآلهة، وصنع أوتار الغيتار من أحشائهم - وهي جرائم خيالية اعترفوا بها بعد أن تعرضوا لتعذيب مروع. ثم أُحرق الكثيرون أحياءً.247

تم تدنيس بعض الأضرحة القديمة وتسويتها بالأرض، بينما تم الاستيلاء على أضرحة أخرى وتحويلها قسراً إلى كنائس مسيحية.248 أُلقيت الأعمال العظيمة للروحانية الوثنية في نيران هائلة وضاعت إلى الأبد. أدلى أحد الشهود بما يلي:

> "تم تكديس عدد لا يحصى من الكتب معًا، وأكوام عديدة من المجلدات تم جلبها من منازل مختلفة، ليتم حرقها تحت أنظار القضاة باعتبارها محظورة. أحرق أصحاب المكتبات مكتباتهم بالكامل. كان الرعب الذي اجتاح الجميع عظيماً للغاية." 249

لم تتعرض الوثنية للهجوم بسبب عبادتها الخاطئة لآلهة غير موجودة. ولم يكن هناك أي خلاف على أن الآلهة قادرة بالفعل على القيام بمعجزات مثل شفاء المرضى والتنبؤ بالمستقبل. بل اعتُبرت الآلهة الوثنية شياطين تستخدم سحرها لخداع وتضليل السذج.250 وأصبحت "الديمون (التوأم السماوي أو الذات العليا)" الوثنية "شياطين" شريرة يجب القضاء على عبادتها.251 وفي منتصف القرن الرابع، طالب أسقف الإمبراطور المسيحي قسطنطين قسطنس بما يلي:

"إن شريعة الله الأعلى تأمركم بأن تعاقبوا بشدة وبكل طريقة جريمة عبادة الأصنام. استمع إلى ما يأمر به الله بشأن هذه الجريمة، وأودعه في ضميرك المقدس. يأمر الله ألا يُستثنى ابن ولا أخ، ويوجه السيف كمنتقم عبر أطراف الزوجة الحبيبة. كما أنه يضطهد صديقاً له بقسوة بالغة، فيُحرض جميع الناس على حمل السلاح لتمزيق أجساد الأشخاص المدنسين. يُحكم بالدمار حتى على المدن بأكملها إذا تم القبض عليها متلبسة بهذه الجريمة." 252

في عام 383، ناشد سيماخوس، وهو عضو مجلس شيوخ روماني وثني مضطرب، الإمبراطور المسيحي فالنتينيان الثاني من أجل التسامح الديني. كتب عبثاً:

"من المعقول اعتبار جميع أشكال العبادة واحدة. ننظر إلى النجوم نفسها، السماء ملك للجميع، الكون نفسه يحيط بنا. ما أهمية الطريقة التي يسعى بها كل شخص إلى الحقيقة؟ لا يمكن الوصول إلى سر عظيم كهذا عبر طريق واحد فقط." 253

بحلول عام 386، كانت جماعات من الرهبان المجانين، الذين اجتاحتهم الديانة الأصولية، تعيث فساداً في جميع أنحاء الإمبراطورية، خارجة تماماً عن سيطرة القانون. ناشد ليبانياس الوثني الإمبراطور التدخل:

"لم تأمر بإغلاق المعابد أو بمنع دخول أي شخص إليها. لم تطرد من المعابد والمذابح النار أو البخور أو قرابين العطور الأخرى. لكن هذا الحشد المرتدي ملابس سوداء، الذي يأكل أكثر من الأفيال ويستنزف كميات هائلة من الكأس - هؤلاء الناس يا ملك، على الرغم من أن القانون لا يزال ساري المفعول، يهاجمون المعابد حاملين الهراوات والحجارة وقضبان الحديد، بينما يستخدم البعض الآخر، بدون هذه الأدوات، أيديهم وأقدامهم. ثم يحدث دمار شامل حيث تُهدم الأسقف، وتُهدم الجدران، وتُسحب التماثيل، وتُرفع المذابح، ويجب على الكهنة إما أن يصمتوا أو يموتوا. عندما يتم تدمير الأول، يندفع الناس للثاني والثالث، وعلى عكس القانون، تتراكم الغنائم فوق بعضها البعض. تدور معظم الأحداث في الريف، ولكن بعضها يحدث حتى في المدن. إن القوى المهاجمة في كل حالة كثيرة العدد، ولكن بعد انتهاكات لا حصر لها، تتحد هذه الجماعات المنفصلة وتطالب بعضها البعض بتقديم تقييم عما فعلته، ومن المخزي ألا تكون قد ألحقت أكبر قدر من الضرر."254

يتنبأ أحد الوثنيين المجهولين (حوالي عام 390) بحزن:

"عندما أموت لن تكون هناك أضرحة، وستختفي معابد سيرابيس المقدسة العظيمة في ظلام لا شكل له، وسيسود ظلام خيالي وغير مادي على أجمل الأشياء على الأرض." 255

وأخيرًا، في السادس عشر من يونيو عام 391، أصدر الإمبراطور ثيودوسيوس مرسومًا بإغلاق جميع المعابد الوثنية.256 فانتهزت حشود مسيحية الفرصة على الفور لتدمير معبد سيرابيس الرائع

في الإسكندرية، ولم يتبق منه سوى أساساته.257 وطالب مرسوم إمبراطوري بحرق جميع الكتب المعادية للمسيحية خشية أن تغضب الله وتثير غضب المتدينين.258 وردًا على ذلك، قام رهبان أميون بتدمير آلاف السنين من الحكمة والمعرفة العلمية المتراكمة باعتبارها مجرد خرافات وثنية.

يكتب الكاتب الوثني إيونابيوس، الذي يصف "الرهبان الذين يشبهون الرجال لكنهم يعيشون مثل الخنازير"، بيأس أن "أي شخص كان يرتدي رداءً أسود كان يتمتع بسلطة استبدادية". 259 في عام 415، حرض رئيس أساقفة الإسكندرية كيرلس رهبانه على تحريض حشد مسيحي على قتل آخر عالمة وثنية في مكتبة الإسكندرية، وهي امرأة بارزة تُدعى هيباتيا.260 مُزِّقت إربًا إربًا، ورُفع كيرلس إلى مرتبة القديسين.261

في عهد قسطنطين، مُنحت المسيحية مكانة مساوية للديانات الوثنية في الإمبراطورية. بعد نصف قرن، في عهد ثيودوسيوس، أُعلن أنها الدين الوحيد الذي يُسمح للشخص بممارسته.262 توفي ثيودوسيوس عام 395. وبعد مرور 15 عاماً بالضبط، دمر القوط الغربيون روما.

ازدهرت هذه المدينة الفخورة، مركز أعظم إمبراطورية في العالم القديم، لألف عام تحت حكم آلهتها الخاصة. في غضون بضعة عقود من اعتناق المسيحية، دمرت كل عجائب وإنجازات العصور القديمة ثم هلكت هي نفسها.263 لم تنجح المسيحية كدين وحيد في الإمبراطورية الرومانية مثل ما فشلت الميثرائية والطقوس الوثنية الأخرى. في الواقع، كانت المسيحية هي الدين الذي رافق سقوطها.

تدمير الغنوصية

حتى بعد أن أصبحت المسيحية الحرفية الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية، ظلت الغنوصية قوة مؤثرة. في القرن الرابع، كان المسيحيون الهراطقة لا يزالون منتشرين بكثرة لدرجة أن كيرلس الأورشليمي اضطر إلى تحذير المؤمنين من توخي الحذر من دخول كنيسة غنوصية عن طريق الخطأ.264 وفي عهد ثيودوسيوس، كان هناك العديد من الهراطقة بين رجال الدين والرهبان في مصر لدرجة أن البطريرك تيموثاوس جعل تناول اللحوم إلزاميًا أيام الأحد، لطرد الغنوصيين النباتيين! 265

على الرغم من نزعته الغنوصية الواضحة، فقد تم انتخاب الفيلسوف سينيسيوس أسقفًا لمدينة قورينا.266 وقد درس الفلسفة الأفلاطونية مع هيباتيا العالمة الوثنية من الإسكندرية، واعتبر القيامة تمثيلًا رمزيًا لسر لا يمكن وصفه. كان يُعلّم أن الدين الحق الوحيد هو الفلسفة، وأن قصص الدين وممارساته، في أحسن الأحوال، ليست سوى تعبيرات شعبية مفيدة عن الحقيقة الفلسفية لغير المتخصصين في الفلسفة.267 إلا أنه في ظل المناخ السائد آنذاك من التمسك بالعقيدة، اضطر إلى التعهد بأنه كأسقف سيلتزم بالنهج السائد علنًا، لكنه سيُمارس الفلسفة سرًا.268 ومع ذلك، فقد حوّل طقوس ليلة عيد الفصح للمعمّدين الجدد إلى طقوس انضمام أقرب إلى الطقوس الوثنية منها إلى المسيحية الأرثوذكسية.269

رداً على الشعبية المستمرة للغنوصية، شرعت الكنيسة الرومانية في توحيد المسيحية بالقوة - وهو هدف نفذته بكفاءة لا ترحم. أصدر ثيودوسيوس أكثر من 100 قانون ضد الغنوصيين، معلناً عدم شرعية معتقداتهم واجتماعاتهم ودعوتهم وامتلاكهم للممتلكات، وفي النهاية وجودهم نفسه! 370 ينص أحد المراسيم على ما يلي:

> "افهموا الآن من خلال هذا النظام الحالي: أيها النوفاطيون، والفالنتينيون، والمرقيونيون، والبوليكيون، ما هذا النسيج من الأكاذيب والغرور، وما هذه الأخطاء المدمرة والسامة، التي نسجت بها عقائدكم بشكل لا ينفصم! نحذركم: لا يتجرأ أحد منكم، من الآن فصاعداً، على الاجتماع في جماعات. ولمنع ذلك، نأمر بتجريدكم من جميع البيوت التي اعتدتم الاجتماع فيها، وأن يتم تسليمها فوراً إلى الكنيسة الكاثوليكية." 271

في عام 381، جعل ثيودوسيوس الهرطقة جريمة ضد الدولة. أُدينت الكتابات الغنوصية باعتبارها "بؤرة انحراف متعددة" والتي "لا ينبغي حظرها فحسب، بل يجب تدميرها بالكامل وحرقها بالنار".272 وتم قمع جميع المناقشات الفلسفية تمامًا. يُعلن البيان ما يلي:

> لن تتاح الفرصة لأي رجل للخروج إلى العامة والجدال حول الدين أو مناقشته أو تقديم أي نصيحة بشأنه." 273

في أوائل القرن الخامس، قاد رئيس دير، كان يعمل كـ"حارس شخصي" لدى كيرلس، رئيس أساقفة الإسكندرية القوي، هجمات على المجتمعات المسيحية الهرطقية، مهددًا،

> سأجعلكم تعترفون برئيس الأساقفة كيرلس، وإلا فإن السيف سيقضي على معظمكم، وعلاوة على ذلك، فإن من ينجو منكم سيذهب إلى المنفى." 274

عبّر أوغسطين، المتحدث العظيم باسم المسيحية الكاثوليكية، عن روح العصر خير تعبير عندما أوضح أن الإكراه كان ضرورياً لأن الكثير من الناس لا يستجيبون إلا للخوف.275 كانت القوة العسكرية "لا غنى عنها" لقمع الهراطقة - لمصلحتهم الخاصة، بالطبع. يُعلن أوغسطين: "أنا نفسي ممتلئ بالخوف، فأملأكم بالخوف". 276 لقد أصبحت روحانية القديس بولس القائمة على الحب والمعرفة العامة بمثابة دين الطاعة والرعب في الكنيسة الرومانية.277

عدم التسامح المتأصل

على الرغم من أن المسيحية الحديثة تتكون من عدد لا يحصى من الطوائف المتنوعة ذات المناهج المتعارضة، إلا أن جميعها تقريبًا - الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت وغير الملتزمين وغيرهم - تشكلت بشكل أساسي من خلال انتصار التفسير الحرفي في القرن الرابع. يرتكز معظم المسيحيين اليوم في إيمانهم على الوجود التاريخي ليسوع. إنهم يوافقون على العقيدة الرسولية التي تم صياغتها تحت إشراف قسطنطين المستبد. لم يقرأوا سوى تلك النصوص القليلة التي تم اختيارها لإدراجها في العهد الجديد من خلال عملية صراع عقائدي مستمر، وتزوير صارخ، وسياسات فاسدة في الكنيسة الأولى. لقد بقينا مع الفكرة الخاطئة بأن التفسير الحرفي هو المسيحية، وليس مجرد تيار فكري واحد داخلها.

لماذا انتصرت النزعة الحرفية على الغنوصية؟ بطبيعتها، جذبت الغنوصية أصحاب الطبيعة الصوفية. أما التفسير الحرفي للنصوص، من ناحية أخرى، فقد اجتذب أولئك المهتمين بتأسيس دين. كان الغنوصيون مهتمين بالتنوير الشخصي، وليس بإنشاء كنيسة. لم يكن بإمكانهم الانتصار على أصحاب التفسير الحرفي للأمور، لأنهم لم يكونوا ليرغبوا في ذلك أبدًا.

كانت النزعة الحرفية في الأصل هي الأسرار الظاهرية للمسيحية، وقد صُممت لجذب المتأهلين إلى المسار الروحي. بفضل حكاياتهم الرائعة عن السحر والمعجزات، ووعدهم بالخلود من خلال طقوس بسيطة كالتعميد والإيمان، كان من المفترض أن تكون الأسرار الظاهرية أكثر شعبية وجاذبية على نطاق واسع من الأسرار الباطنية. كما يقول يسوع: "كثيرون مدعوون وقليلون مختارون". 278 لو أن سلامة أسرار يسوع الأصلية قد نجت، لكانت شعبية الأسرار الظاهرية قد أدت بشكل طبيعي إلى دخول المزيد والمزيد من المتأهلين في الأسرار الباطنية للغنوص. بمجرد أن أصبحت الغنوصية والحرفية تقليدين متميزين في صراع مع بعضهما البعض، كان من المحتم أن تثبت الحرفية أنها الأكثر شعبية.

كان انتصار المذهب الحرفي في نهاية المطاف على المذهب الغنوصي نتيجة حتمية. الأمر المثير للدهشة هو أن الأمر استغرق وقتاً طويلاً.

لكن قبل كل شيء، يعود نجاح المسيحية الحرفية إلى صفة عظيمة كانت تتمتع بها منذ البداية وما زالت تعززها - ألا وهي التعصب. هذا ليس نزوة تاريخية، بل هو نتيجة منطقية لاعتبار قصة يسوع حقيقة تاريخية.

كانت الوثنية والغنوصية متسامحتين بطبيعتهما لأنهما كانتا مبنيتين على الأساطير.279 آمنت الطوائف المختلفة بأساطير مختلفة، لكن هذا لم يكن يعني أنها كانت متعارضة مع بعضها البعض. كان التعدد مقبولاً لأن المهم هو المعنى الباطني، وليس التعبير المحدد. لكن التعصب متأصل في النزعة الحرفية. إذا كان يسوع هو ابن الله الوحيد الذي يطلب من المؤمنين الاعتراف بذلك كحقيقة تاريخية، فإن المسيحية يجب أن تكون في معارضة لجميع الأديان الأخرى التي لا تعلم هذا. علاوة على ذلك، إذا كان مصير جميع غير المؤمنين هو الهلاك الأبدي، فإن ذلك يجعل من واجب المسيحيين الحرفيين نشر معتقداتهم، بالقوة إن لزم الأمر، لإنقاذ أكبر عدد ممكن من الأرواح، حتى لو كان ذلك يعني تدمير أجسادهم للقيام بذلك. كانت هجمات الكنيسة الرومانية على الوثنية والغنوصية بمثابة حملة صليبية دينية، وواجب إلهي. لقد أصبح التعصب المتغطرس مقدساً.

الخلاصة

عندما راجعنا الأدلة، بدا لنا أن "التاريخ" التقليدي للمسيحية لم يكن أقل من أكبر عملية تستر على مر العصور. لقد تم قمع العقائد الغنوصية الأصلية للمسيحية وأصولها الحقيقية في الأسرار الوثنية بلا رحمة من خلال التدمير الجماعي للأدلة وتلفيق تاريخ زائف ليناسب الأغراض السياسية للكنيسة الرومانية. كل من شكك في التاريخ الرسمي تعرض للاضطهاد حتى تم القضاء عليه تماماً، ولم يبقَ أحد ليناقشه.

ساعدتنا المقارنات مع التاريخ الحديث على فهم ما حدث. في بداية القرن العشرين، استولى عدد قليل من الشيوعيين على السلطة في روسيا. ومع ذلك، في غضون بضع سنوات، انضم عدد هائل من الناس، بمن فيهم العديد من الموظفين المدنيين الذين أداروا النظام السابق، إلى الحزب الشيوعي. لماذا؟ لأنه إذا كنت ترغب في التقدم، كان عليك الآن أن تكون عضواً في الحزب، وإذا ربطت نفسك بأي شكل من الأشكال بالنظام السابق، فسيتم وصمك بأنك عدو للشعب. وبالمثل، بمجرد أن أصبحت المسيحية دين الإمبراطورية الرومانية، بدأت أعدادها تتزايد بشكل هائل. لماذا؟

لأن المسيحيين كانوا يحظون بمعاملة تفضيلية. لم يكن رجال الدين مطالبين حتى بدفع الضرائب! 280 إذا كنت تريد حياة هادئة وناجحة، فعليك أن تصبح مسيحياً. وإذا لم تفعل ذلك، فإنك تخاطر بأن تُوصم بأنك "منشق" وثني - عدو لله. وكما قامت آلة الدعاية الستالينية بتزييف التاريخ بلا ضمير لإخفاء طغيانها وإثبات صحة عقائدها وصلاحها، كذلك قامت آلة الدعاية المسيحية بتغذية المؤمنين بأكاذيبها.

مثل الشيوعية، بدأت المسيحية برسالة الحرية والمساواة، لكنها انتهت بإنشاء نظام استبدادي وسلطوي. في السنوات الأخيرة، أدى التعصب العقائدي إلى قيام شيوعيين شباب متعصبين في الصين وكمبوديا بإطلاق ثورات ثقافية كارثية دمرت ثروات حضاراتهم القديمة وأبادت أعداداً كبيرة من المثقفين، مما ترك مجتمعاتهم في أزمة عميقة. وبالمثل، قبل 15 قرناً، أطلق رهبان مسيحيون متعصبون ثورة ثقافية دمرت عجائب وإنجازات الوثنية القديمة، مما أدى إلى تراجع الحضارة الغربية 1000 عام.

إن التدمير المتعمد لتراثنا الوثني هو أعظم مأساة في تاريخ العالم الغربي. من الصعب استيعاب حجم الخسائر. تم استبدال التصوف الوثني والبحث العلمي بالاستبداد العقائدي. فرضت الكنيسة الرومانية عقيدتها بالتهديدات والعنف، وحرمت أجيالاً من البشر من حقهم في التفكير بأفكارهم الخاصة وإيجاد طريقهم الشخصي للخلاص الروحي. بينما كانت

الأدبيات العظيمة للعصور القديمة تُحرق، أعلن القديس أوغسطين انتصار الأصولية الحرفية، فكتب:

"لا يجوز قبول أي شيء إلا بناءً على سلطة الكتاب المقدس، لأن هذه السلطة أعظم من كل قوى العقل البشري." 281

لقد بنى القدماء الأهرامات والبارثينون، ولكن في غضون بضع مئات من السنين من المسيحية نسي الناس في العديد من مناطق أوروبا كيفية بناء المنازل من الطوب. في القرن الأول قبل الميلاد، ابتكر بوسيدونيوس نموذجًا دوارًا بديعًا للنظام الشمسي، يُمثل بدقة مدارات الكواكب.282 وبحلول نهاية القرن الرابع الميلادي، كان من المحرمات عدم الإيمان بأن الله وضع النجوم في السماء كل ليلة.283 وفي القرن الثالث قبل الميلاد، كان العالم الإسكندري إراتوستينس قد حسب محيط الأرض بدقة تصل إلى بضعة في المائة، ولكن أصبح من البدعة الآن عدم الإيمان بأن الأرض مسطحة.284

وجدنا أنفسنا نتساءل، إذا كانت الوثنية بدائية للغاية والمسيحية الحرفية هي الدين الحق الوحيد، فلماذا تم استبدال الحضارة الوثنية بألف عام نسميها بشكل مناسب "العصور المظلمة"؟

أعظم قصة على الإطلاق

"هناك نهر واحد للحقيقة يستقبل روافد من كل جانب." 1
كليمنت الإسكندري

لا شك أن القدماء كانوا سيرون أنه من المناسب أن نعيد تقييم المسيحية في هذه اللحظة من الزمن. بحسب علم التنجيم الوثني، نشأت المسيحية في بداية شهر الحوت العظيم. هذا العصر يقترب من نهايته حالياً، وبداية عصر الدلو الجديد. من المنظور القديم، إذن، نقف عند نقطة تحول مماثلة في مسار التاريخ مثل المسيحيين الأوائل. إن الأوقات التي نعيش فيها تذكرنا في كثير من النواحي بالتغيير الأخير للعصور. تتزايد المخاوف من نهاية العالم. تنتشر طوائف انتقائية جديدة غريبة في كل مكان. فقدت الأديان الرسمية مصداقيتها وهي في تراجع. ما الشكل الذي ستتخذه الروحانية في عصر الدلو القادم؟

للمضي قدماً بثقة نحو المستقبل، من الضروري التصالح مع الماضي، لذلك من المناسب فحص المسيحية الحرفية التي هيمنت على الألفي عام الماضية من ثقافتنا بشكل نقدي. من الناحية الروحية، كان هذا حقاً "عصراً مظلماً" تميز بالدين الاستبدادي والتعصب الديني والحروب الدينية. من خلال تبني دور الإيمان الحقيقي الوحيد، خلقت المسيحية الحرفية هوة لا يمكن ردمها بينها وبين جميع التقاليد الروحية الأخرى. وقد استُخدم تفوقها المعلن ذاتياً لتبرير التدمير العنيف للمجتمعات الأخرى حول العالم. بل إنها اضطهدت بشكل مروع حتى المتصوفين والمفكرين الأحرار من أبناء جلدتها. من خلال تبني الإله الأب اليهودي يهوه باعتباره الوجه الوحيد المقبول لله، فقد أخضعت الأنثى الإلهية، وهو منظور لاهوتي استخدمته لإضفاء الشرعية على إخضاع المرأة. إن إصرارها على الإيمان الأعمى بالعقائد ومعارضتها للبحث الفكري قد دفع الكثيرين إلى رفض جميع أشكال الروحانية باعتبارها مجرد خرافات. بالنسبة لعدد متزايد من الناس اليوم، أصبح الدين في أحسن الأحوال مجرد مزحة، وفي أسوأ الأحوال مصدراً للتحيز والتعصب والصراع.

بينما تكرم الثقافات الأخرى أسلافها باعتبارهم مصدر حكمتها وحضارتها، فقد شوهنا سمعة أسلافنا ووصفناهم بعبدة الشيطان. ما الذي فعله هذا بالنفسية الغربية؟ لقد أصبحنا ثقافة منفصلة عن جذورها. لم تتمكن الحضارة الغربية من الخروج من مستنقع الخرافات والصراعات التي انحدرت إليها إلا بعد إعادة اكتشاف الفلسفة الوثنية في القرن الخامس عشر، خلال عصر النهضة الذي أطلق عليه اسم "النهضة" أو "الولادة الجديدة"، وهي عملية أثمرت في السنوات الأخيرة ثمار العلوم الحديثة. ومع ذلك، وعلى عكس القدماء، لم ننظر إلى العلم والروحانية على أنهما جانبان من نفس اللغز، بل

على أنهما عدائيان بشكل لا هوادة فيه تجاه بعضهما البعض.

على الرغم من أنها سعت إلى توحيد العالم تحت راية دين واحد، إلا أن المسيحية الحرفية كانت في الواقع سبباً لانقسامات عميقة: المسيحيون ضد الوثنيين، والرجال ضد النساء، والعلم ضد الدين، والإيمان ضد العقل. إن أطروحة أسرار يسوع ليست مجرد تاريخ جديد للمسيحية، بل هي فرصة لشفاء الجروح التي خلفتها هذه الانشقاقات المروعة في الروح الغربية.

لو اعترفت المسيحية بدينها للأسرار القديمة، لأمكنها أن تتصل مجدداً بالتيار العالمي للتطور الروحي البشري، وأن تصبح شريكاً، لا خصماً، لجميع التقاليد الدينية الأخرى التي وصفتها بأنها من عمل الشيطان. لو تخلصت من عبء العهد القديم الميت وإلهه القبلي الغيور، لأمكنها أن تعيد اكتشاف حكمة الأنوثة الإلهية. لو تخلت عن تعصبها، لأمكنها أن تعيد إحياء الشعور القديم بالدهشة التي جمعت بين العلم والتصوف في مغامرة إنسانية واحدة للاكتشاف. لو أنها استطاعت أخيراً أن تقر بأن العهد الجديد هو عمل رجال ونساء، وليس كلمة الله التي تسجل أحداثاً واقعية، لما كان هناك ما يمنعها من استعادة أسرارها الباطنية الصوفية. هل هذا كثير جداً أن نأمله؟

قبل قرن من الزمان فقط، كان معظم المفكرين يعتقدون أن قصة آدم وحواء كانت حقيقية حرفياً. اعتُبرت فكرة داروين عن التطور الطبيعي سخيفة وهرطقية. اليوم، باتت فكرة داروين "التي لا يمكن تصورها" مقبولة على نطاق واسع. تقترح أسرار يسوع تحولاً مماثلاً في فهمنا للمسيحية. قد يبدو اليوم من الفظيع الادعاء بأن المسيحية تطورت من الوثنية وأن قصة يسوع، مثل سفر التكوين، هي أسطورة رمزية. لكن غداً سيكون هذا واضحاً وغير مثير للجدل.

لم تصل المسيحية كتدخل إلهي فريد من نوعه. لقد تطورت من الماضي، مثل أي شيء آخر. لا توجد فواصل مفاجئة في التاريخ، بل سلسلة متصلة من التغيير. لم تمت الأسرار الوثنية القديمة. لقد تحولت إلى شيء جديد - إلى المسيحية. لقد تشكلت الروحانية الغربية من خلال هذين التقليدين العظيمين. لقد حان الوقت لإعادة اكتشاف أرضية مشتركة بيننا والمطالبة بتراثنا الغني بأكمله.

بالطبع لن يقبل الأصوليون هذا الأمر أبداً، ولكن إذا خضعت المسيحية للضغوط الرجعية للعودة إلى ماضيها الاستبدادي، فإنها ستلقي بنفسها في مزبلة التاريخ. العالم الحديث ببساطة أكثر تطوراً من أن ينخدع بفكرة "لا بد أن يكون هذا صحيحاً لأنه مذكور في الكتاب المقدس". لم تعد المسيحية بالفعل القوة المهيمنة التي كانت عليها في السابق.

مع زوالها، أصبحت ثقافتنا تبحث بيأس عن اتجاه روحي جديد. لن تلعب المسيحية دوراً في خلق روحانية جديدة لعصر الدلو الجديد إلا بالعودة إلى جذورها الصوفية. إن المسيحية الحرفية مبنية على أسس غير مستقرة من الأكاذيب التاريخية. عاجلاً أم آجلاً، لا بد أن تنهار. لكن المسيحية الصوفية ترتكز بقوة على أساس الحقيقة الأسطورية الخالدة، وهي ذات صلة اليوم كما كانت دائماً.

حقيقة واحدة

لقد علّم المتصوفون من جميع التقاليد الروحية أن هناك حقيقة واحدة فقط، حاضرة دائماً ولا تتغير أبداً. لم يتم الكشف عنها فجأة لأول مرة قبل 2000 عام. إن المسيحية ليست سوى فصل في سعي الإنسان الدائم للمعنى، وتيار في بحر الوعي البشري المتطور، ومحاولة أخرى للتعبير عن الغنوص الخالد التي سعى إليه المتصوفون منذ أقدم العصور. لم يأتِ الله إلى الأرض في رحلة لمرة واحدة فقط. ولا يتعين علينا انتظار عودته الموعودة التي تعد بنهاية العالم. الحقيقة هي أن الله لم يرحل أبداً.

على الرغم من عدم وجود تقليد الآن يمكنه أن يُدخل المسيحيين المعاصرين في الأسرار الباطنية السرية المشفرة في قصة يسوع، إلا أن هذه التعاليم الصوفية العميقة لا تزال موجودة لأولئك الذين لديهم "عيون ترى" وقد اكتشفها باستمرار أعظم المتصوفين المسيحيين على مر القرون. إن استكشاف ماهية هذه التعاليم بشكل كامل مهمة كبيرة

للغاية بالنسبة لهذا الكتاب الحالي، ويجب أن تنتظر عملاً آخر. كل ما نأمل أن نكون قد أثبتناه هو أن هناك فلسفة واحدة دائمة في جوهر كل من الأسرار الوثنية والمسيحية، وأن هذين العدوين التقليديين هما في الواقع قريبين.

إن رغبتنا ليست مهاجمة المسيحية، بل الإشارة إلى إمكانية استعادة شيء فقدته - الأسرار الباطنية التي تكشف أسرار الغنوص. نحن لا نشعر بأن أطروحة أسرار يسوع تقوض المسيحية، بل إنها تكشف عن عظمة قصة يسوع القديمة. إنها حقاً "أعظم قصة على الإطلاق" - قصة استغرقت آلاف السنين في صنعها. كتب أرنولد توينبي في كتابه "دراسة التاريخ":

"خلف صورة شبه الإله المحتضر، تلوح صورة أعظم لإله واحد يموت من أجل عوالم مختلفة بأسماء متنوعة - من أجل عالم مينوي باسم ديونيسوس، ومن أجل عالم سومري باسم تموز، ومن أجل عالم حثي باسم آتيس، ومن أجل عالم سرياني باسم أدونيس، ومن أجل عالم مسيحي باسم المسيح. من هو إله هذه التجليات الكثيرة ولكن بشغف واحد فقط؟"2

الجواب هو كل واحد منا. لقد علمتنا الأسرار القديمة أننا جميعًا أبناء وبنات الله، ومن خلال فهم أسطورة الانسان-الإله المضحى به، يمكننا أيضًا أن نبعث إلى هويتنا الإلهية الخالدة الحقيقية. كتب الفيلسوف الوثني سالوستيوس عن أسطورة الإله الغامض آتيس:

"تمثل قصة آتيس عملية كونية أبدية، وليست حدثاً معزولاً في الماضي. بما أن القصة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالكون المنظم، فإننا نعيد إنتاجها بشكل طقوسي لنكتسب النظام في أنفسنا. نحن، مثل آتيس، سقطنا من السماء؛ نموت معه بطريقة روحانية ونولد من جديد كأطفال رضع."3

وينطبق الأمر نفسه على أسطورة يسوع. إنها ليست "حدثاً معزولاً في الماضي"، بل تشير إلى الإمكانية الدائمة للولادة الروحية، هنا والآن. لا يزال بإمكانها أن تكشف السر الذي أعلنه بولس، "المسيح فيكم". كما وعد يسوع الغنوصي في إنجيل توما،

"من يشرب من فمي يصبح مثلي. سأصبح أنا هو، وستُكشف له الأشياء الخفية." 4

ملاحظات

الفصل الأول: الفكرة التي لا يمكن تصورها

1 إنجيل توما، 62

2 نقش ميثرائي مقتبس في جودوين، ج. {1981)، 28

3 تايلور، ل. ر. (1931)، 27. في غضون جيل واحد من وفاة الإسكندر، كان هيكاتيوس من أبديرا في مصر وليون من بيلا يستخدمان الاسم المركب أوزوريس-ديونيسوس.

4 يرجى ملاحظة أنه تماشياً مع الاتفاقية الحديثة، يتم إعطاء جميع التواريخ على أنها قبل الميلاد أو بعد الميلاد - "قبل العصر المشترك" أو "العصر المشترك". تحل هذه المصطلحات المحايدة دينياً محل المصطلحين الأكثر شيوعاً قبل الميلاد وبعد الميلاد.

5 يُعرف هذان المعسكران تقليدياً على التوالي باسم المسيحيين "الأرثوذكس" أو "الكاثوليك" والغنوصيين. من أجل منع حدوث لبس مع المؤسسات التي تستخدم هذه الأسماء اليوم، اخترنا استخدام مصطلح "حرفي" بدلاً من "كاثوليكي" أو "أرثوذكسي".

6 روبنسون، ج. م. (1978)، 362، نقلاً عن الرسالة الثانية لسيث الكبير، 60، 20

7 باجلز، إي. (1979)، 147

الفصل الثاني: الأسرار الوثنية

1 يوربيدس، الباكوسيات، 194، الأسطر 74-83

2 كيرك ورافين، (195 7)، 393، أناكسوغوراس الأب. 532؛ انظر 141، أناكسيماندر مقتطف. 140

3 أول ذكر للأرض الكروية في الغرب هو في كتاب أفلاطون، فيدو، 110ب، على الرغم من أن ديوجانس لايرتيوس يخبرنا أن فيثاغورس هو أول من أطلق على الأرض اسم كروية، انظر غوثري، ك.

.S. (1987)، 15

4. أكد العالم الإسكندري إراتوستينيس (275-194 قبل الميلاد) أنه إذا أبحر المرء غربًا من إسبانيا فسيصل في النهاية إلى الهند، انظر مارلو، ج. (1971)، 72. كيرك ورافين، المرجع السابق، 257، مقتطف. 329: يقول معظم الناس أن الأرض تقع في مركز الكون، لكن الفلاسفة الإيطاليين المعروفين باسم الفيثاغوريين يتخذون وجهة نظر معاكسة. ويقولون إن النار موجودة في المركز، والأرض هي أحد الكواكب التي تخلق الليل والنهار من خلال حركتها الدائرية حول المركز. وقد تم اعتماد نظرية فيثاغورس لاحقًا من قبل علماء الفلك في مكتبة الإسكندرية: "يفترض أرسطرخس الساموسي ... أن الأرض تدور حول الشمس على محيط دائرة." انظر والبانك، إف دبليو (1981)، 185. كان أريستارخوس خليفة إراتوستينيس في منصب كبير أمناء المكتبة. انظر مارلو، مرجع سابق. المرجع السابق.،

5 مارلو، ج. المرجع السابق، 71. كان حساب إراتوستينيس صحيحًا بنسبة خطأ أقل من 1 في المائة.

6 لين-فوكس، ر. (1986)، 47. حكم أغسطس إمبراطورية تضم أكثر من 100 مليون نسمة. في مصر، على سبيل المثال، لم يقترب عدد السكان من ثمانية ملايين مرة أخرى حتى منتصف القرن التاسع عشر.

7 ورد في كيريني، سي. (1967)، 11. يعلق زوسيموس على القوانين التي أصدرها الإمبراطور المسيحي فالنتينيان في القرن الرابع الميلادي لحظر الاحتفال بالأسرار اليونانية لإليوسيس. اعتبرتها السلطات المحلية غير قابلة للتطبيق لأن الأسرار كانت لا تزال تحظى بتقدير كبير.

8 كامبل، ج. (1964)، 268، نقلاً عن شيشرون، في القوانين، 2.36

9 بوركيرت، دبليو (1985)، 291: "ديونيسوس هو إله الاستثنائية". مع ازدياد استقلال الفرد، تصبح عبادة ديونيسوس وسيلة لفصل الجماعات الخاصة عن الدولة. إلى جانب المهرجانات العامة المتعلقة بديونيسوس، تظهر أسرار ديونيسوس. غوثري، دبليو. كيه. سي. (1952)، 50: "إن ظهور ديانات الأسرار في مجرى التاريخ هو المقصود بـ أولئك الذين يشيرون إلى النهضة الدينية العظيمة في القرن السادس. ومن الآن فصاعدًا... يصبح اختيار المعتقد مسألة تتعلق بالمزاج الفردي. انظر واليس، ر. ت. . (1992)، 28، الذي يسجل وجهة نظر ياغر بأن "منذ القرن الرابع قبل الميلاد، لم يكن شكل الدين اليوناني الذي جذب معظم الناس ذوي التعليم العالي هو دين الآلهة الأولمبية، بل دين الأسرار، الذي أعطى الفرد علاقة شخصية أكثر مع الألوهية". كانت الديانات السرية مناسبة تمامًا للظروف التي أعقبت غزو الإسكندر، عندما تم جمع الثقافات المنفصلة سابقًا معًا. وُلد علم مقارنة الأديان، وأُعيد ابتكار الآلهة القومية والعرقية القديمة. قدمت اللغة الكوينية المتوسطية الجديدة للفرد تحديات وفرصاً جديدة. ازدهرت طوائف الخلاص الفردية التابعة للأسرار في هذه البيئة.

10 بوركيرت، المرجع السابق، 289. إن الفهم الصوفي بأن النهاية والبداية واحد هو شعور يعبر عنه العديد من المتأهلين. في اليونانية، كلمة "التأهيل" هي telete، وتعني "الإنهاء"، ولكن عندما ترجم شيشرون المفهوم إلى اللاتينية استخدم initiatio، والتي تعني "البدء". إن كون كلا المصطلحين صحيحين هو انعكاس لهذه المفارقة. بالنسبة للمتأهل، لحظات الميلاد والموت والتأهيل هي نفسها.

11 لوسيوس أبوليوس، الحمار الذهبي، 187، الفصل 18: "كان هذا أسعد يوم في طقوس تأهيلي، وأحتفل به كعيد ميلادي... بقيتُ لأيامٍ أخرى في المعبد، مستمتعاً بالمتعة التي لا توصف وأنا أتأمل تمثال الإلهة، لأنني كنتُ مرتبطاً بها بدين امتنان لا أستطيع أن آمل في سداده أبداً."

12 أفلاطون، فيدروس، 250ب-ج

13 كينغسلي، ب. (1995)، الفصل 24. يذكر كينغسلي أن الوضع الحالي للبحوث المتعلقة بالفلاسفة ما قبل سقراط قد وصل إلى نقطة الأزمة. كان علماء ما بعد عصر التنوير الكلاسيكيون يشعرون بالحرج من التصوف و"ترويج المعجزات" لدى رجال مثل فيثاغورس وأمبادوقليس، كما شعروا بالحرج من الخوارق في العهد الجديد. وبالتالي، تم تجاهل أو إساءة فهم تأثر أفلاطون بالأسرار وبالمذاهب الأورفية/الفيثاغورية. بدأ المؤرخون الآن فقط في الاعتراف بأن الفلسفة "العقلانية" قد انبثقت من موجة التصوف الشرقي التي اجتاحت اليونان في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد. انظر بوردمان و غريفين و موراي (1986)، 115: "كان تطور العلوم والفلسفة متزامنًا مع انتشار المذاهب غير التقليدية المستمدة من الأساطير الشرقية، ومتورطًا فيها إلى حد ما."

14 أفلاطون، المأدبة، 220 ج-د

15 كيرك ورافين، (1957)، 183. كان يتم رعاية الأطفال الأيتام في أفسس في معبد آرتميس، "الأم العظيمة" لآسيا الصغرى. إلى هذا المعبد تبرع هِرَقْليطُس بكتابه الشهير. كان الدب هو الحيوان الطوطمي لآرتميس، ربما بسبب غريزة الأمومة الحامية بشدة لديه. كان يُعرف أطفال المعبد باسم "الأشبال".

16 بلوتارخ، حياة بيريكليس، 16

17 كان ديوجانس وأنتيسِتنيس من تلاميذ أفلاطون ومؤسسي الفلسفة الكلبية.

18 كان يوربيديس آخر كتّاب التراجيديا اليونانية الكلاسيكية، وكانت مسرحية "باكوس" آخر أعماله. تم اكتشاف الكهف الذي يُعتقد أن يوربيديس عمل فيه وتأمل فيه مؤخراً بالقرب من سلاميس.

19 كينغسلي، المرجع السابق، 112، يوضح اعتقاده بأن أجزاء كبيرة من فلسفة أفلاطون مستمدة من تعاليم الأسرار. لقد تشكلت الأسرار من خلال الحركة الدينية للأورفية والفيثاغورية التي اجتاحت اليونان في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد. يقول باوسانياس، في إشارة إلى عقيدة فيثاغورية سرية: "من رأى الأسرار أو قرأ كتب أورفيوس سيفهم ما أعنيه"، مما يعني ضمناً أن أقوال أورفيوس شكلت مصاحبة طقسية لأداء الطقوس المقدسة. إن قطعة مكتشفة حديثًا من قبل ابن أخ أفلاطون، إسبوزيبوس، الذي تولى الأكاديمية بعد أفلاطون، لا تدع لنا مجالًا للشك في أنه رأى أفلاطون خليفة لفيثاغورس، انظر بوركيرت، دبليو. (1972)، 62. يشير أرسطو أيضًا إلى اعتماد أفلاطون على فيثاغورس، انظر كينغسلي، المرجع السابق، 111. قال فوتيوس إن أفلاطون كان يعتمد كلياً على الفيثاغوريين الإيطاليين، وادعى نومانويس من أفاميا أن أفلاطون استمد جميع مذاهبه من فيثاغورس، انظر بوردمان، جريفين وموراي، المرجع السابق، 700. يخبرنا برقلس أن "أفلاطون تلقى كل معرفته بالأمور الإلهية من كتابات فيثاغورس وأورفيك" وقد انتقد موديراتوس من كاديز أفلاطون بشدة، متهمًا إياه باستخدام أفكار فيثاغورس دون أن ينسب الفضل إليه حيثما كان ذلك مستحقًا، انظر غوثري، ك. س. (1987)، 41.

لا يمكن فهم الأسرار والأورفية والفيثاغورية وفلسفة أفلاطون إلا ككل متكامل. لسوء الحظ، كان مفتاح هذا اللغز هو السر الذي تم الكشف عنه أثناء مراسم التأهيل، وهو سر كان المتأهلون يأخذونه معهم إلى القبر.

20 كان، سي. إتش. (1979)، 95 ، نقلاً عن قصيدة منسوبة إلى كليانثس

21 أنجوس، س. (1925)، 70، نقلاً عن كتاب "فيما يتعلق بالآلهة والكون"، 4

22 مقتبس من غريغوري، ج. (1987)، 188؛ مع تعديل طفيف

23 بوركيرت، دبليو. (1992)، 90، نقلاً عن سوباتروس، البلاغي، 8.114

24 أنجوس، المرجع السابق، الفصل السابع. تم تدمير إليوسيس على يد ألاريك القوطي بمساعدة الرهبان المسيحيين.

25 بوركير. دبليو (1985), 286، وانظر , إتش. أر. (1929), 38، والذي يقدم أيضًا دليلًا على قبول النساء والعبيد في الطقوس، وقد تم تنصيب العديد من النبلاء والأباطرة الرومان في إليوسيس، بما في ذلك سولا، ومارك أنطوني، وشيشرون، وأغسطس، وكلاوديوس، ودوميتيان، وهادريان، وماركوس أوريليوس، انظر ماغنيان ,الرابع . (1938), 25 وما بعدها.

26 كيريني، سي. (1967)، 1 أوف. ذهب الكاهن البراهمي زارماروس كسفير للإمبراطور أغسطس من الملك بوروس ملك الهند. أصدر أغسطس، الذي تولى بنفسه منصب الراهب في عام 31 قبل الميلاد، مرسوماً يقضي بإقامة طقوس أسرار إليوسيس خارج موسمها لتأهيل ضيفه. في ذروة الأسرار، عندما فُتح المعبد واشتعلت النار العظيمة، أذهل زارماروس المتفرجين بدخوله مباشرة في ألسنة اللهب.

11 هيرودوت، التاريخ، 544، الكتاب 8، 63-8. ثلاثون ألفًا، وهو عدد المحتفلين بديونيسوس الذين ظهروا في الرؤية المعجزة عام 479 قبل الميلاد، هو الرقم الذي ذكره هيرودوت في مكان آخر لجميع سكان أثينا.

28 بوركيرت، المرجع السابق، 287

29 تم انتزاع قسم السرية الذي يؤديه المتأهلون قبل قبولهم في الحرم الداخلي، الذي كان يتسع لـ 3000 شخص في المرة الواحدة. أُقيمت الطقوس السرية في إليوسيس لأكثر من 1100 عام، وخلال هذه الفترة لا بد أن مئات الآلاف من الناس قد خضعوا للتأهيل. على الرغم من ذلك، لم يبقَ أي سرد مباشر لما حدث في الداخل ليُرضي المؤرخ. ما تم تجميعه حتى الآن هو دليل غير مباشر من الفخار والنحت والشعر والمسرحيات،

والفلاسفة وغيرهم من المصادر الأدبية.

30 كيريني، المرجع السابق، 55: يظهر الكاهن الأكبر في إليوسيس على أنه ديونيسوس ثان. تم استعارة زي الكاهن الأكبر من الممثل في مآسي إسخيلوس، وهو دليل على العلاقة الوثيقة بين أصول الأسرار وولادة المسرح.

31 أنجوس، س. (1925) , 61

32 إن تطور المسرح من عبادة ديونيسوس حقيقة معروفة، ولكن كيفية حدوث ذلك غير مفهومة بشكل كافٍ ولم يتم البحث فيها بشكل دقيق. يكتب جاسيت: كانت المأساة طقساً دينياً ... العلماء اليونانيون في حيرة من أمر إيمان الأثينيين، فهم غير قادرين على إعادة بنائه. إلى أن يفعلوا ذلك، ستظل المأساة اليونانية مجرد صفحة مكتوبة بلغة لا نمتلك قاموساً لها. انظر كيريني، سي. (1976)، 315. نعلم أن الأوركسترا الدائرية للمسرح قد تم استلهامها من أماكن الدراس الدائرية المستخدمة في وقت الحصاد، وأن المسرح نشأ من طقوس شعبية واسعة النطاق تُقام تكريماً لديونيسوس.

يقدم غوثري، دبليو. كيه. سي. (1952)، 32، دليلاً على أن أول مأساة تم تقديمها في خدمة ديونيسوس كانت عرضًا تمثيليًا - مسرحية عاطفية مصحوبة بالغناء. لذلك، من المحتمل أن تكون المأساة الأولى قد ارتبطت بموت الإله وتقطيع أوصاله. ويشير غوثري أيضًا إلى أنه في المسرح اليوناني، فإن عدد المسرحيات التي تناولت تمزيق الأبطال إلى أشلاء، وبعضهم قريب جدًا من ديونيسوس، أمر مثير للدهشة. إن فهم أن الأسرار والمسرح قد نشأت في نفس الثقافة، وفي نفس الفترة، وتحت رعاية نفس الإله الراعي، يقدم نظرة ثاقبة قيّمة لما كان يمكن أن يحدث في المشهد الدرامي الذي تم تمثيله في إليوسيس.

33 أوتو، دبليو إف (1965)، 49. انظر أيضًا ماكيورو، ف. د. . (1930), 75، حيث تم ذكر التقاليدين حول من أدخل موت ديونيسوس في الأسرار. يقول أحدهم إن أورفيوس نفسه هو من ابتكر هذا الابتكار، ويقول آخر إن الشاعر الأورفي أونوماكريتوس هو من ابتكره في القرن السادس قبل الميلاد. يؤكد كليمنت الإسكندري أن الرموز التي تم الكشف عنها في الأسرار تشير إلى وفاة ديونيسوس. 34 مصطلح يعني التطهير. يذكر أرسطو في كتابه "فن الشعر" أن المأساة يجب أن تؤدي إلى تطهير (تطهير) المشاعر من خلال الشفقة والرعب. كان من المفترض أن تكون الأسرار أيضًا بمثابة تطهير. يُعتقد أن قصيدة إمبيدوكليس كاثايموي، التي لا تزال بعض أجزائها المثيرة للاهتمام، كانت بمثابة طقوس للتأهيل.

35 أنجوس، المرجع السابق، 93، نقلاً عن سينيسيوس عن أرسطو. يكتب أرسطو أن المتأهلين في الأسرار لم يكن من المتوقع أن يتعلموا شيئًا/[ماثين]، ولكن أن يعانوا شيئًا/[باثين].

36 مقتبس في بوركيرت، دبليو. (1992)، 11

37 فيدلر، د. (1993)، 6: تجسدت تعاليم الأديان الغامضة بشكل مميز في الرموز والأساطير والصور الرمزية، على أنها "قصص تعليمية" ونماذج أساسية للتجربة الإنسانية. اعتمدت بعض المدارس الفلسفية، وخاصة الرواقيين والأفلاطونيين، على الأساطير التقليدية لتوضيح الرؤى التي تتجاوز مجرد الوصف المنطقي. علاوة على ذلك، رأوا أن تفسير الأساطير التقليدية، مثل السعي وراء الفلسفة نفسها، يشكل، في جوهره، عملية تأهيل.

38 أفلاطون، فيدو، 69C

39 المرجع نفسه، 69 د: "كما يقول أولئك الذين يفهمون الأسرار، "هناك العديد من الذين يحملون العصا، ولكن القليل

منهم يصبحون باكوي ". "كان الهدف من الأسرار هو أن تصبح واحدًا مع الإله. 40 نقلا عن فيدلر، المرجع السالف الذكر، 23. يكتب سالوستيوس أيضًا: يمكن أن يسمى الكون نفسه أسطورة، لأن الأجسام والأشياء المادية واضحة فيه، بينما يتم إخفاء النفوس والعقول،" انظر إهرنبرغ ،في. (1968)، 5.

41 هيليودوروس، قصة إثيوبية، 9.9، مقتبس في فيدلر، مرجع سابق. المصدر السابق، 322، ملاحظة

42 كينغسلي، ب. (1995)، 367. كان المبتدئ يسمى ميستاي، وهو ما يعني "عيون مغلقة" وهو جذر كلماتنا "الغموض" و "التصوف". كانت ميستاي هم أولئك الذين لم يفهموا بعد الأسرار الباطنية السرية. كان المستوى الأعلى من المتأهلين يسمى إيبوبتاي، وهذا يعني "أن نرى". كان الإيبوبتاي هم أولئك الذين فهموا الأسرار الباطنية.

43 كيريني، سي. (1976)، مقدمة، الرابع والعشرون. على الرغم من هذه الوفرة من الأدلة المادية لشعبية طائفة ديونيسوس، يكرر كيريني رثاء نيتشه بأنه "حتى اليوم، لا يزال كل شيء تقريبًا في مجال الديونيسي لم يتم اكتشافه". أسرار يسوع هي جزء من هذا الاكتشاف المستمر.

44 هاريسون، ج. (1922)، 413. غالبًا ما يشار إلى ديونيسوس ببساطة باسم ديونيسوس بولينوموس، "ديونيسوس ذو الأسماء المتعددة".

45 هيرودوت، التاريخ، 197، الكتاب 2، 172: "على هذه البحيرة يتصرف المصريون ليلاً فيما يسمونه أسرارهم، شغف ذلك الكائن الذي لن أتحدث باسمه". مثل جميع المتأهلين للدين الغامض اليوناني، تعهد هيرودوت رسميا بالحفاظ على أسراره، ولكن هنا في مصر وجد نفس الطقوس التي يتم تنفيذها علنا. لذلك، غالباً ما يكون غامضاً عمداً أو يلتزم صمتاً بليغاً لا يفهمه إلا المتأهلون الآخرون. لا بد أن هيرودوت قد اندهش لرؤية تمثيل علني لنفس الدراما التي عُرضت في إليوسيس لقلة مختارة في سرية تامة. يكتب بشكل غامض، "كل تفاصيل هذه العروض معروفة لي، لكنني لن أقول أكثر من ذلك".

46 موراي، م. أ. (1949)، 39: يمكن اتباع الدراما المقدسة لتفاني وتضحية الله المتجسد في نصوص الهرم. يعود تاريخها إلى 2700 قبل الميلاد.

47 سمح بساميتيكوس I لليونانيين الأيونيين بإنشاء مركز تجاري في الدلتا في عام 670 قبل الميلاد.

48 يخبرنا إيليان عن التاج الذهبي لفيثاغورس والملابس البيضاء والسراويل. تم تفسير هذا على أنه اللباس التقليدي للشاعر الأيوني من قبل بعض العلماء، لكن بوركيرت، دبليو (1972)، 165، يلاحظ أنه "في نفس اللباس بالضبط، يظهر الإله الأعلى، سيد الموت وإعادة الميلاد في" الشعيرة الدينية لميثراس ". لذلك من المرجح أن حساب زي فيثاغورس يهدف إلى تصويره على أنه متأهل. يلاحظ دالفييلا، ج. (1981)، 114، أن هذا كان اللباس التقليدي للمتأهلين في الأسرار وكان يرتديه لاحقًا الموعوظون المسيحيون الذين يخضعون للمعمودية.

49 غوثري، ك.س. (1987) 60

50 هاريسون، المرجع السالف الذكر، 365: "في هوميروس، ديونيسوس ليس أوليمبيًا بعد. في إفريز البارثينون يأخذ مكانه بين الآلهة الجالسة".إن عمل هاريسون يفعل الكثير لشرح الثورة التي حدثت في أثينا في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد. خلال هذا الوقت، اجتاحت اليونان طائفة ديونيسوس فيما يرقى إلى إحياء ديني. في الديانة الأولمبية هوميروس كان هناك حدود صارمة بين الآلهة الذين كانوا خالدين والرجال الذين محكوم عليهم بالموت. اخترق ديونيسوس هذا المحظور الديني - وهو إله أصبح رجلاً، ومات وعبر الحدود الأولمبية ليصبح إلهًا. على عكس آلهة أوليمبوس القديمة، يتم تصوير ديونيسوس دائمًا محاطًا بعصابة من الأتباع البشريين ورافق انتصاره في أثينا إنشاء أول ديمقراطية. يسمي هاريسون ديونيسوس "إله الشعب".

51 انظر يامبليخوس، "الحياة الفيثاغورية" و فَرفوريوس، "حياة فيثاغورس" في تاريخ الفلسفة. أنشأ أتباع فيثاغورس مجتمعات دينية مكرسة لـ "الحياة الأورفية" في جنوب إيطاليا في القرن السادس قبل الميلاد. تم قبول الرجال والنساء على قدم المساواة، وتم تقاسم جميع الممتلكات غير شائعة وأخذ المبتدئون تعهدًا بالصمت لمدة خمس سنوات. قام الفيثاغوريون عند الفجر لعبادة الشمس المشرقة، وقضوا اليوم في الدراسة الفلسفية والشعائر الدينية، وفي وجبة مسائية جماعية كانت هناك قراءات من الكتب المقدسة. كانوا نباتيين صارمين، وارتدوا اللون الأبيض ومارسوا العزوبة. هذه الممارسات تذكرنا بوضوح بممارسات أديرة العصور الوسطى، لكن هذا التشابه ليس من قبيل الصدفة. كان القديس أنطونيوس، مؤسس الدير المسيحي الأول، هو نفسه فيثاغوريًا ونمذجة مجتمعه الرهباني على مجتمعات فيثاغورس في كروتون في جنوب إيطاليا. انظر ليتزمان، هـ. (1961)،الكتاب 4، 136 وما يليها.

52 أوزوريس- ديونيسوس هو العنوان الأكثر فائدة لفهم طبيعة إله الأسرار. يذكر هيرودوت أن طقوس ديونيسوس مشتقة من طقوس أوزوريس وأن "أوزوريس هو ديونيسوس". في القرن الأول قبل الميلاد، يؤكد ديودوروس هذا، قائلاً: "إن طقوس أوزوريس هي نفس طقوس ديونيسوس وإيزيس التي تشبه إلى حد كبير طقوس ديميتر ؛ الأسماء وحدها بعد أن تم تبادلها، والعقوبات في الهاوية للظالمين، وحقول الصالحين، والمفاهيم الرائعة، الحالية بين الكثيرين - كل هذه تم تقديمها من قبل أورفيوس في تقليد عادات الجنازة المصرية". بلوتارخ، في القرن الثاني الميلادي، يذكر أيضًا بشكل لا لبس فيه أن "أوزوريس هو نفس ديونيسوس"، انظر بلوتارخ، 35 ،De hideet Osiride. كتب والتر بوركيرت، وهو مرجع بارز في الدين اليوناني، في عام 1977: "إلى أي مدى تعتمد الأسطورة، بل وطائفة ديونيسوس العالم الآخر والمعتقدات في السعادة والعقاب في العالم السفلي، على طائفة أوزوريس المصرية منذ البداية، يبقى سؤالاً يجب طرحه بجدية." انظر بوركيرت، دبليو (1985)، 298.

53 بوركيرت، دبليو جيه 1992)، 37. جاء تيموثيوس، وهو كاهن إليوسيس، إلى الإسكندرية في عام 300 قبل الميلاد لتأسيس الأسرار هناك.

54 (توركان، ر. (1992)، 201)

55 (أنجوس، س. (1925)، 202)

56 المرجع نفسه، 283. في شيشرون، في الحياة الجيدة، 109، يروي شيشرون أنه "عندما سُئل سقراط عن البلد الذي ينتمي إليه، أجاب:" العالم ". " ديوجانس، أتباع تلميذ سقراط أنتيستِنيس، أطلق على نفسه بالمثل اسم كوزموبوليتان. جزء من سجلات ديموقريطس: "بالنسبة للرجل الحكيم، الأرض كلها مفتوحة،- لأن أرض الروح الصالحة هي الأرض بأكملها"، انظر ليندسي، ج. (1970)،

57 أنجوس، المرجع السالف الذكر، 195، بتكييف طفيف.

58 واليس بودج، إي إيه، الديانة المصرية (1899)

59 المرجع نفسه، 59

الفصل الثالث: المحاكاة الشيطانية

1 جاستن الشهيد، الاعتذار الأول، 54، مقتبس من هوفمان، آر جي (1987) 24

2 في هوفمان، 120

3 يستعرض دالفيبلا، ج. (1981)، 119، أوجه التشابه الواسعة بين المسيحية والأسرار ويلاحظ أن "كل نقاط الاتصال هذه مع المؤسسات الوثنية لا يمكن أن تفشل في إذهال وإزعاج المسيحيين الذين اضطروا إلى شن

حرب ضد آخر المدافعين عن الوثنية".

4 كينغ، سي دبليو (1887)، 122-3. ادعى جاستن الشهيد أن قصة ديونيسوس "اخترعها الشياطين" لتتوافق مع نبوءة معينة في سفر التكوين وجعل المسيح الحقيقي موضع شك انظر غوثري، دبليو. كيه. سي. (1952)، 266. بعد قرنين من الزمان، كان الأب المسيحي فيرميكوس ماتيرنوس لا يزال يشرح قصة قيامة ديونيسوس كمحاولة للسخرية من الإيمان الحقيقي.

يكره بسخط، "الشيطان أيضًا لديه مسيحييه"، دالفيلا جي(1981)، 119، مقتبسًا من خطأ الدين المدنس، 23.

5 ورد في كينغزلاند، دبليو. (1937)، 99. في الاعتذار الأول، الفصل 62، يتهم جاستن أيضًا الميثريين بإخبار عبادهم "بخلع أحذيتهم" في تقليد للأمر المعطى لموسى انظر الاعتذار، 1.62. '

6 "نحن نؤمن ... برب واحد هو يسوع المسيح ابنه، الإله الوحيد المولود". "عقيدة التفاني" لعام 341 م، انظر دوران، ر. (1995) 102

7 يوربيدس، الباكوسيات، 222، الخط 836

8 نسخة الملك جيمس من المناولة المقدسة، بناءً على "عقيدة التفاني".

9 هاريسون، ج. (1922)، 444، نقلاً عن الباكوسيات، الخط 723

10 يوحنا 14

11 رومية 8 :3

12 يوريبيدس، المرجع السالف الذكر، 191، السطر 5.

13 المرجع نفسه، 192، السطر 22

14 لين، إي. إن. (1996)، 40. كانت سيبيل، الإلهة العذراء، تُعرف باسم ماترديوم، والدة الإله. في القرن الرابع، تولت ماري هذا العنوان.

15 انظر الهرمسية (ستوبايوس مقتطف. 23)، حيث يتم الترحيب بإيزيس باسم كوري كوزمو، عذراء العالم.

16 كامبل، ج. (1964)، 26. يكتب عالم الأساطير جوزيف كامبل عن أوجه التشابه بين ميلاد يسوع وأسطورة أورفيك عن الميلاد المعجز لديونيسوس، "بينما كانت الإلهة العذراء جالسة هناك، تنسج بسلام عباءة عليها تمثيل للكون، دبرت والدتها أن يعلم زيوس بوجودها؛ فاقترب في شكل ثعبان ضخم. وحبلت العذراء بإله الخبز والخمر المحتضر والحي، ديونيسوس، الذي ولد وتربى في ذلك الكهف، ومزق حتى الموت كطفل وقام من الموت... في الأسطورة المسيحية، المستمدة من نفس الخلفية القديمة، اقترب الله الروح القدس في صورة حمامة من مريم العذراء، ومن خلال أذنها حملت بالله الابن، الذي ولد في مغارة، ومات وقام من بين الأموات، وهو حاضر بشكل أقنومي في الخبز والخمر في القداس.

17 إحدى الشظايا القليلة المتبقية من إنجيل العبرانيين تقول عن مريم أن "المسيح كان في رحمها سبعة أشهر"، انظر بارنستون، دبليو. (1984)، 335، وميتزجر، بي. إم. (1987).

170. يُعتقد أن إنجيل العبرانيين قد كُتب في مصر، انظر ستانتون، ج. (1995)، 101. ووفقًا لكليمنت، فقد

اقتبس أيضًا من كتاب طيماوس لأفلاطون، انظر بارنستون، و. (1984)، 335.

18 كيريني، سي. (1976)، 106. وقد سجل ديودوروس الصقلي ولوسيان حمل سيميلي الذي استمر سبعة أشهر.

19 جاستن الشهيد، اعتذار) 3

20 لاكتانتيوس، المؤسسات الإلهية، 4.27،20، مقتبس في توركان، ر. (1992)،

279. يوضح أحد آباء الكنيسة أن عقيدة هوية الآب والابن كانت "ضمنية في الأسرار الإلهية".

21 موراي، م. أ. (1949)، 45. كان ملوك وملكات العصر البطلمي يبنون غرفة للولادة في كل معبد. هنا كان يُحتفل سنوياً بميلاد الملك، ابن الله.

22 المرجع نفسه، 39

23 غوثري، ك.س. (1987)، 58، نقلاً عن لامبليخوس، حياة فيثاغورس

24 غروبر وكيرستن (1985)، 223

25 كينغسلي، ب. (1995)، 380، يرسم مسار انتقال التقاليد الأورفية/الفيثاغورية الخفية من أمبادوقليس إلى المتصوفة في الإسلام. إن الغنوصيين اليهود والمسيحيين والهرمسيين والخيميائيين في الإسكندرية جميعهم محطات على هذا الطريق؛ جميعهم ينحدرون من تقليد كلاسيكي باطني واحد.

26 انظر سالوست، كاتالين، 51.20

27 أنجوس، س. (1925) , 227

28 ديتنبرغر، سيلوج، الطبعة الثانية، 1.347، الطبعة الثالثة، 760، نقلاً عن المرجع نفسه، 109

29 المرجع نفسه، 227

30 فيرجيل، القصائد الرعوية، 53. تم كتابة قصيدة فيرجيل الرابعة، ما يسمى بقصيدة "المسياني"، في عام 40 قبل الميلاد. كان شعراء العصر الأوغسطيني منغمسين بعمق في الفلسفة اليونانية والتصوف، ومن خلالهم تم تسخير مذاهب أورفيوس وفيثاغورس والتعاليم الفلكية حول العصر الجديد لخدمة الدعاية الإمبراطورية. على الرغم من أن عيد ميلاد أغسطس كان 23 سبتمبر، إلا أنه صور نفسه على أنه الجدي، مثل ميثراس ويسوع. على العملات المعدنية، تم تصويره بعلامة الجدي. أن هذه كانت "بوابة الآلهة" في البروج - ولادة الشمس من جديد في الانقلاب الشتوي - كانت شائعة في الفكر اليوناني الروماني. ماير، فاولر وكونواي، (1907)، 22. كانت أقرب محاولة مسجلة لتفسير القصيدة بهذا المعنى هي محاولة الإمبراطور قسطنطين العظيم. أعلن أن الشاعر كان يعرف أنه يكتب عن المسيح، لكنه "لف النبوءة في قصة رمزية من أجل الهروب من الاضطهاد". لقد تم قبول هذا الاعتقاد لقرون ولكن انظر الصفحة 12، حيث يكتب أحد الباحثين المعاصرين عن "الفكرة السخيفة، ولو لم تكن صادقة، لربما قلت إنها تجديفية، وهي أن قصيدة الإكلوج تحتوي على نبوءة مسيانية موحى بها".

31 Wallace-Hadrill, A. (1993), 86. وقد رُويت حكايات مماثلة عن ميلاد الإسكندر الأكبر.

32 ديتنبرغر، النقوش اليونانية المختارة من الشرق، 458. يكتب الباحث الأوغسطي أندرو والاس-هادريل عن

النقش الذي تم اكتشافه مؤخرًا والذي تم وضعه في عام 9 قبل الميلاد في آسيا الصغرى: "لو كان لدينا المزيد من هذا النوع من الأشياء، لكانت الروابط مع فكر ولغة بولس تبدو أقل غرابة". انظر والاس-هادريل، أ. (1993)، 93.

33 ورد في هوفمان، ر. ج. (1987)، 57

34 بالنسبة للوثنيين، كانت أسطورة الميلاد الإلهي قصة تعليمية مجازية. بالنسبة للمطلعين على الأسرار، يتكون الإنسان من جسد مادي ونفس روحية. إن "أبانا" الإلهي هو الله، الذي يمنحنا روحنا الخالدة، و"أمنا" المادية هي الأرض (المادة)، التي تمنحنا جسدًا فانياً. لا يمكن للمادة أن تلد بمفردها، بل يتم تلقيحها بشكل غامض بواسطة روح غير مرئية لإنتاج الحياة، ولذلك يتم تصويرها على أنها عذراء أبدية. بالنسبة للفلاسفة الوثنيين، كلنا أبناء وبنات الله. إن ولادة أوزوريس-ديونيسوس المعجزة هي رمزية تعبر للمتأهلين عن هذه الحقيقة الروحية.

35 يوريبيدس، مسرحية الباكوسيات، السطر 519، نقلاً عن هاريسون، ج. (1922)، 436

36 المرجع نفسه. تم تصور ديونيسوس بطريقة غامضة.

37 كيريني، سي. (1967)، 202، وهو حدث يعترف بأنه "رمزي".

38 هاريسون، ج. (1922)، 552

39 المرجع نفسه، ص 548. كان زواج هذه الأم وولادة هذا الابن ذروة الأسرار.

40 واليس بادج، إي. أ.، الديانة المصرية (1899)، 43

41 المرجع نفسه، ص 37، ترنيمة إلى رع من عام 1100 قبل الميلاد

42 دوات هو اسم للعالم السفلي الذي يسكنه الموتى.

43 موراي، ماجستير (1949)، 68

44 هاريسون، ج. (1922)، 548 وما بعدها، انظر أيضًا بوركيرت، و (1985)، 239. يقول بوركيرت عن هذا الطقس

القديم والمهرجان الذي يستمر ثلاثة أيام والذي كان يُحتفل به: "لا يمكن تجاهل تشابه معين مع تسلسل الجمعة العظيمة وعيد الفصح".

45 ويلسون، آي. (1984)، 52

46 بوركيرت، دبليو . (1985), 297، نقلاً عن الرابسوديات الأورفية: "يسلم حكم العالم للطفل ديونيسوس ويضعه على العرش". حدث هذا في كهف الولادة.

47 كومون^ف. (1903)، 131

48 غوثري، دبليو كيه سي (1952)، 197. رفض الفيثاغوريون التضحية بالحيوانات، وكان هذا هو البديل الذي قدمه أمبادوقليس.

49 فرايزر، ج. (1922)، 337

50 المرجع نفسه، ص 346

51 المرجع نفسه، ص 347

52 كامبل، ج. (1964)، 339. كان الشروق الهلالي لنجم سيريوس (ألمع نجم في نصف الكرة الشمالي)، والذي كان يبشر بظهور النيل، مرتبطًا لآلاف السنين من قبل المصريين ببعث أوزوريس.

54 المرجع نفسه.

55 ليتزمان، هـ. (1961)، الكتاب 3، 314: "اتبع إبيفانيوس نفس العادة [الاحتفال بميلاد يسوع في 6 يناير] في قبرص في عام 1990 ميلادي."

380. فعلت الكنيسة السريانية الشيء نفسه في القرن الرابع؛ وعندما كان يوحنا فم الذهب يعظ في أحد العنصرة عام 386 م في أنطاكية، لم يذكر سوى ثلاثة أعياد مسيحية؛ عيد الغطاس، وعيد الفصح، وعيد العنصرة، ووصف عيد الغطاس صراحة بأنه عيد ظهور الله على الأرض، أي عيد ميلاد المسيح.

56 كيريني، سي. (1976)، 299: في مصر، كان الخامس من يناير منذ عام 1996 قبل الميلاد تاريخًا احتفاليًا بمناسبة ميلاد النور.

57 وفقًا للنقوش، فإن ديونيسوس هو "نور زيوس"، انظر كيريني، سي. (1976)، 279. يذكر أحد آباء الكنيسة، فيرميكوس ماتيرنوس، أن ديونيسوس قد تم استقباله بعبارة "السلام عليك أيها النور الجديد"، انظر أنجوس، إس. (1925)، 115. وقد تم الترحيب بآتيس أيضًا باعتباره "نورًا جديدًا"، انظر المرجع نفسه، 136. يكرر كليمنت الإسكندري صيغة السر "السلام عليك يا نور"، ولكن هذه المرة لتحية يسوع كالشمس، انظر ستيفنسون، ج. (1957). , 181-2.

58 غريفز (1955)، 58

59 كامبل، ج. (1964)، 349

60 يوحنا 3:30

61 بورفيري (1991)، 44: "السرطان هو البوابة التي تنزل من خلالها النفوس، أما الجدي فهو البوابة التي تصعد من خلالها". ينسب بورفيري هذا المذهب إلى أفلاطون. في علم التنجيم، يحكم القمر برج السرطان، سيدة الحياة، بينما يحكم زحل برج الجدي، إله الموت.

62 فرايزر ج. (1922), 360

63 إنجي، دبليو. آر. (1899)، 353، نقلاً عن ترنيمة هوميروس إلى ديميتر

64 موراي، إم. أي (1949)، 39

65 كومون، ف. (1903)، 157

66 أنجوس، إس. (1925)، 82: 'في قاعة التأهيل في معبد مينات أنطاكية، تم العثور على تجويف مستطيل، والتفسير الأكثر وضوحًا له هو أنه مخصص للتعميد. في المزار الوثني الموجود تحت الأرض، والذي تم اكتشافه قبل بضعة أشهر في طريق سالاريا، فإن أبرز ما يلفت الانتباه هو خزان مغمور في عمق الأرض والذي ربما كان يستخدم كمعمودية.

67 المرجع نفسه، 81

68 كومون، المرجع السابق، 167

69 أنجوس، المرجع السابق، 81. يقول كليمنت الإسكندري: "في كتاب "الأسرار" المتداول بين اليونانيين، تحتل عمليات التطهير المكانة الأولى".

70 نقلاً عن المرجع نفسه.

71 رومية 6: 1-8؛ انظر أيضًا راعي هرماس، حيث يكون "ختم ابن الله" هو الماء "الذي ينزلون فيه أمواتًا ويصعدون أحياءً".

72 ويلز، جي. أ. (1975)، 184

73 المرجع نفسه.

74 كومون، المرجع السابق، 157

75 يشير دالفيلا، جي. (1981)، 114، إلى أن المسيحية استولت على الطقوس الوثنية بشكل كامل تقريبًا. يمكن مقارنة طقوس المعمودية المسيحية التي سجلها يوحنا فم الذهب وكيرلس وديونيسيوس بتلك الخاصة بطقوس التأهيل الوثنية التي كتبها كلوديوس وثامسطيوس وبلوتارخ.

76 لوسيوس أبوليوس، الحمار الذهبي، 286

77 ورد في إيسلر، ر. (1920)، 208

78 متى 3: 11-12؛ انظر أيضًا هاريسون، ج. (1963)، 34، الذي يشير إلى أن المعمودية بالنار كانت ترمز إليها في الكنيسة الأولى بغمر شعلة مشتعلة في جرن المعمودية، ودالفيلا، ج. (1981)، 113، الذي يسجل أنه في الكنيسة الرومانية الأولى، كان البابا يقود "المختارين" إلى المعمودية حيث يقدس الماء في جرن المعمودية عن طريق النفخ على سطح الماء. ثم يغمس الشمامسة شموعهم في الماء. في كتاب القداس الروماني، الذي لا يزال ساري المفعول حتى اليوم، يغمس الكاهن شمعة عيد الفصح في جرن المعمودية، ويصلي "حتى تملأ هذه الشمعة هذا الماء بقوتها". كان اليونانيون يضيفون قطعًا من الحطب أو المشاعل المضاءة من لهب المذبح إلى ماء التطهير، كما كانوا يستخدمون التطهير بالهواء. وكما يشير دالفيلا، فإن "جرن المعمودية في المسيحية يحتوي بالتالي على العناصر الرئيسية الثلاثة التي كان على المرشحين للأسرار المقدسة أن يمروا بها سابقاً".

79 هاريسون، ج. (1922)، 547

80 فرايزر، ج. (1922)، 388

81 يوحنا 3: 3-12

82 ليتزمان، هـ. (1961)، الكتاب 3، 320. انظر أيضًا الصفحة 314، حيث يخبرنا كليمنت الإسكندري أن أتباع بازيليد الغنوصيين احتفلوا بمعمودية يسوع في ليلة 5 يناير. بعد مرور مائة وخمسين عاماً على البازيليديين، اعتمد الحرفيون هذا التاريخ باعتباره عيد الظهور ومعمودية يسوع.

83 المرجع نفسه. احتفل المسيحيون بيوم ميلاد أوزوريس بفيضان النيل، واعتبروه اليوم الذي قدّس فيه المسيح الماء.

84 المرجع نفسه. يروي ليتزمان، وهو مؤرخ كنسي أرثوذكسي، العديد من الروابط بين معجزات الخمر ليسوع وديونيسوس، ثم يعلن: "لا حاجة إلى تفسير لإظهار كيف تم اعتماد هذا اليوم بالذات لإحياء ذكرى عرس قانا عندما أجرى يسوع المعجزة التي كان يقوم بها ديونيسوس". نختلف في هذا الأمر - نحتاج إلى توضيح.

85 أوتو، دبليو. إف. (1965)، 98

86 المرجع نفسه، انظر أيضًا ليتزمان، المرجع السابق، ص 314

87 يوحنا 2: 1-11

88 ليتزمان، المرجع السابق، 321

89 هوفمان، ر. ج. (1987)، 133، ملاحظة 59

90 يقدم أنجوس، إس. (1925)، ص 307، وصفًا مفصلاً للمواجهة بين أسكليبيوس ويسوع

91 المرجع نفسه، ص 309. أصبحت تماثيل أسكليبيوس نماذج لتصويرات يسوع في القرنين الرابع والخامس.

92 كينغسلي، ب. (1995)، 342

93 ورد في غوثري، ك. س. (1987)، 91. وقد سجل فَرفوريوس نفس المعجزة.

94 مرقس 4: 35-41

95 غوثري، المرجع السابق: "يتم سرد العديد من التفاصيل الرائعة والإلهية بالإجماع وبشكل موحد عن فيثاغورس، مثل التنبؤات التي لا تخطئ بالزلازل، والطرد السريع للأوبئة والأعاصير، والتوقف الفوري للبرد، وتهدئة أمواج الأنهار والبحار، حتى يتمكن تلاميذه من تجاوزها بسهولة أكبر". وقد تحققت القدرة على إحداث معجزات من هذا النوع على يد أمبادوقليس الأغريجنتي، وإبيمينيدس الكريتي، وأباريس الهايبربوري، وقد قاموا بهذه المعجزات في أماكن كثيرة. بل إن فيثاغورس كان يمتلك القدرة على الظهور في مكانين في وقت واحد. يروي فَرفوريوس قائلاً: "يكاد يكون هناك إجماع على أنه في نفس اليوم كان موجودًا في ميتابونتوم في إيطاليا، وفي تاورومينيوم في صقلية، وفي كل مكان كان يتحدث مع أصدقائه، على الرغم من أن المكانين يفصل بينهما أميال عديدة، سواء في البحر أو البر، مما يتطلب رحلة تستغرق أيامًا عديدة." غوثري، 128.

96 يوحنا 21: 12

97 غوثري، المرجع السابق، 128. يكتب فَرفوريوس: "عندما التقى ببعض الصيادين الذين كانوا يسحبون شباكهم المحملة بالأسماك من الأعماق، تنبأ بالعدد الدقيق للأسماك التي اصطادوها". قال الصيادون إنهم سيفعلون كل ما يوصي به إذا كان تقديره دقيقاً. قاموا بحسابها بدقة، ووجدوا العدد صحيحاً، ثم أمرهم بإعادة الأسماك حية إلى البحر؛ والأكثر عجباً، أنه لم يمت أي منها، على الرغم من أنها كانت خارج الماء لفترة طويلة.

98 في كتاب "أورفيوس الصياد"، يستكشف الدكتور إيسلر العلاقة بين قصة الإنجيل وفيثاغورس.

99 وهو الجذر التربيعي لـ 3، النسبة المتحكمة في المثلث متساوي الأضلاع، ويتم إيجاده في نسبة vesica piscis (الطول مقسومًا على الارتفاع) وهو صيغة رياضية لا غنى عنها، انظر فيدلر، د. (1993)، 305.

100 فيدلر، د. (1993)، 108: "أي شخص يعرف القليل عن الرياضيات سيتعرف على الفور على قصة الـ 153 سمكة في الشبكة على حقيقتها: مشكلة هندسية، وإن كانت في هذه الحالة ذات بُعد كوني." لقد أثبت فيدلر بوضوح أن قصة إطعام الـ 5000 شخص بطريقة معجزة وقصة السمكة في الشبكة تنتميان إلى بعضهما البعض. كل رقم في قصة إطعام الناس، بدءًا من الأشخاص الجالسين بوحدات 50 و100 وصولًا إلى الأرغفة الخمسة والسمكتين، هو جزء من صيغة تؤدي في النهاية إلى نجم جميل ذي 12 شعاعًا بقياس 888.

101 كيرك ورافين، (1957)، 354-5، نقلاً عن مقتطف. 354

102 بحسب كتاب حياة فيثاغورس لإياmليخوس، 28

103 كينغسلي، ب. (1995)، 40

104 انظر: آفا تشيتوود، "موت أمبادوقليس"، AfP، 1986، ص 180؛ وأيضًا يوحنا 11: 43

105 كان أبولونيوس التياني حكيمًا من القرن الأول الميلادي. تمت كتابة سيرته الذاتية في بداية القرن الثالث الميلادي، وبحلول ذلك الوقت كانت قد اكتسبت العديد من الإضافات الأسطورية. لاحظ العديد من العلماء أوجه التشابه مع قصة يسوع، وهي حقيقة دفعت المسيحيين الأوائل إلى اقتراح أنها كتبت لتشويه سمعة رجلهم المعجز. في الواقع، تستند

كلتا القصتين إلى سيرة ذاتية قياسية تُنسب إلى العديد من صانعي المعجزات في العالم القديم.

106 أندرسون، ج. (1994)، 32

107 انظر مرقس 5: 22، وانظر أندرسون، المرجع السابق، ص 96

108 لوقا 4: 24

109 ورد في إيسلر، ر. (1931)، 149

110 مرقس 5: 10-14 ولوقا 8: 32-3

111 بوركيرت، و. (1985)، 286 ؛ انظر أيضًا هاريسون، ج. (1922)، 153. عندما سُمح لإليوسيس بإصدار عملتها المستقلة، اختارت الخنزير كعلامة ورمز لأسرارها، وهو حيوان ارتبط بالعالم السفلي منذ العصر الحجري الحديث. في بعض الأساطير، يُقتل أدونيس على يد خنزير بري.

112 هاريسون، المرجع السابق، 152. استحم المتأهلون في البحر تحت ضوء القمر المكتمل، وكان كل منهم يحمل خنزيره الصغير كقربان.

113 بوركيرت، المرجع السابق، 242

114 أعمال الرسل 2: 5-13

115 هيرودوت، التاريخ، الكتاب 8، 135؛ انظر أيضًا أثانايساكيس، أ. ب. (1976) ، 20، ترنيمة هوميروس لأبولو، 158-64. من المحتمل أن يكون لهذا التقرير صلة بالفيثاغوريين. كان المذبح في ديلوس يقدم فقط قرابين بلا دماء، وكثيراً ما يتم ذكر الجزيرة فيما يتعلق بفيثاغورس النباتي.

116 بوركيرت، المرجع السابق، 110: "لقد تمت مقارنة هذا بحق بمعجزة العنصرة والتحدث بألسنة في العهد الجديد."

117 هوفمان، ر. ج. (1987)، 69

118 نقلاً عن المرجع نفسه، ص 66

119 تم استلهام الشمعدان اليهودي من الصور البابلية لـ "الأنوار السبعة" - الشمس والقمر والكواكب الخمسة المرئية. اجتاحت الأبراج البابلية اليونان وإيطاليا في القرون الأربعة قبل الميلاد، مما أفاد اليهود. وبحلول العصر الروماني، كانوا معروفين جيداً كبائعين للتمائم والأبراج، وغالباً ما كان من الصعب تمييزهم عن الكلدانيين. في عام 139 قبل الميلاد، نسمع عن طرد الكلدانيين واليهود على حد سواء من روما. ومن المثير للاهتمام أن هؤلاء اليهود مسجلون كعابدين لسبزيوس، وهو اسم آخر لديونيسوس. في كتابه "الأديان الغامضة في العالم القديم"، يقدم جودوين العديد من التصويرات اليهودية للأبراج من العصر الروماني. 120 كيريني، سي. (1976)، الشكل 146. قرص بريِنديزي الذي يعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد هو أقدم تصوير معروف للأبراج في أوروبا. في المركز، يصعد ديونيسوس وأريادني إلى السماء في مركبة الشمس. في القرن السادس قبل الميلاد، أعاد الشاعر الأورفي أونوماكريتوس كتابة قصة ديونيسوس وقدم فكرة الطفل الإلهي الذي قتله وأكله الجبابرة الاثنا عشر. وبذلك جعل الأسطورة متوافقة مع الفكرة الفلكية للروح الواحدة للعالم التي تتجلى في 12 نموذجًا أصليًا. في الوقت نفسه، أعيد صياغة محاكمات هيراكليس العديدة إلى المحاكمات الاثنتي عشرة المألوفة لنفس السبب. يظهر هيراكليس كنموذج أصلي للمتأهل على العديد من المزهريات، وأقدمها يعود تاريخها إلى 530 قبل الميلاد. مع دخول ديميتر وديونيسوس إلى أوليمبوس، تم دمج الآلهة العشرة التي اعترف بها هوميروس في الآلهة

الاثني عشر التي أصبحت قانونية من هذه الفترة فصاعدًا. ثم بُذلت محاولات مختلفة في العصر الهلنستي لمساواة كل إله من آلهة الأولمب بعلامة معينة.

121 انظر غودوين، ج. (1981). جمع غودوين العديد من الصور التي تصور آلهة غامضة محاطة بالأبراج.

122 كيرك ورافين (1957)، 326. وصف أمبادوقليس، تلميذ فيثاغورس، الله بأنه "كرة مستديرة تفرح بعزلتها ... كرة مساوية له من كل جانب".

123 وبالتالي، يلعب هذا النموذج الأصلي دورًا حيويًا في تنظيم كل شيء بدءًا من الذرات وحتى الخلايا. إذا تم تطبيق ضغط متساوٍ على هذه الكرات بحيث يصبح الجزء الثالث عشر المركزي مسطحًا، فإنه يتخذ شكل مجسم ذي اثني عشر وجهًا - وهو شكل صلب ذو 12 جانبًا خماسيًا. كان المجسم ذو الاثني عشر وجهاً مقدساً لدى الفيثاغوريين، وكان يُعادل "الكل" و"المجال الكوني" للسماء. وهو أحد المواد الصلبة المقدسة الخمسة التي وصفها أفلاطون في كتاب تيمايوس، والتي تم ربط أربعة منها بعناصر التراب والماء والهواء والنار. كان الشكل الخامس، وهو الشكل ذو الاثني عشر وجهاً، يعتبر الأكثر قدسية ويرتبط بالعنصر الخامس، وهو الأثير أو الروح. في كتاب تيمايوس، 22، يربط أفلاطون بين المجسم ذي الاثني عشر وجهاً والأبراج الفلكية. وكعلامة على الكمال، يظهر ذلك في محاكمات هرقل الاثنتي عشرة، وأشهر السنة الاثني عشر، وتلاميذ المسيح، وأتباع محمد، وآلهة الأولمب، وأعضاء هيئة المحلفين، وما إلى ذلك.

124 لوقا 9: 28-36

125 يوربيدس، الباتشي، 241، الأسطر 22-5. هذه المسرحية سليمة إلى حد كبير باستثناء بعض الخسائر التي لحقت بمشهد الظهور الإلهي لديونيسوس.

126 هاريسون، ج. (1922)، 541، يقتبس ترنيمة طقسية من دلفي حول ظهور ديونيسوس في إليوسيس

127 أنجوس، س. (1925) , 310

128 يوربيديس، المرجع السابق، 211

129 لوقا 7: 31-35. توضح رسالة برنابا أن هذا كان تقليدًا قديمًا واسع الانتشار حول يسوع وأتباعه: "في اختياره للرسل أظهر نفسه حقًا ابن الله، لأن هؤلاء الرجال كانوا أشرارًا من أشد الناس سوءًا"، انظر لوث، أ. (1968)، 164.

130 ليتزمان، هـ. (1961)، الكتاب 4، 136 وما بعدها. لم يخفِ أثناسيوس، كاتب سيرة أنطونيوس، حقيقة أن حياة أنطونيوس اتبعت مثال فيثاغورس. ومثل فيثاغورس، يوصف أنطونيوس بأنه ظهر على الساحة العامة "كصوفي مكرس ممتلئ بالله" و"كشخص منخرط في الأسرار المقدسة، ولديه معرفة بالعالم غير المرئي وسلطة عليه". ثم بدأ بتنظيم نظامه الثيوقراطي للرهبان على نفس المنوال الذي نظم به فيثاغورس مدينة فلسفية في جنوب إيطاليا لتلاميذه. انظر بوركيرت، دبليو . (1985), 303، حيث يسجل بوركيرت بعض أوجه التشابه بين الرهبنة المسيحية والمجتمعات الفيثاغورية في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد.

131 مرقس 11: 2 ومتى 21: 2

132 لوسيوس أبوليوس، الحمار الذهبي، ص170. كان المشي على سعف النخيل علامة على النصر، كما في وصف أبوليوس لإيزيس: "كانت على قدميها الإلهية نعال من سعف النخيل، رمز النصر".

133 أفلاطون، المأدبة، 175هـ

134 فرايزر، ج . (1922), 349; انظر أيضًا لين، إي. إن . (1996), 39. كان كل من آباء الكنيسة فيرميكوس ماتيرنوس وأرنوبيوس على دراية بالتشابه بين شجرة الصنوبر والصليب.

135 جودوين، ج. (1981)، 12

136 هاريسون، ج. (1922)، 617

137 المرجع نفسه. يربط هاريسون بين "الحمار الذي حمل الأسرار" والحمار الذهبي لأبوليوس.

138 بوركيرت، دبليو. (1985)، 287

139 لوسيوس أبوليوس، الحمار الذهبي، 13. في إحدى مراحل القصة، تهرب شابة من كهف أحد قطاع الطرق وتركب إلى بر الأمان على ظهر حمار. ويشير أبوليوس إلى أن رؤية عذراء تركب منتصرة على حمار أمرٌ استثنائي - مما يعني أنها سيطرت على شهوات الجسد.

140 المرجع نفسه. يناقش غريفز (1955) رمزية الحمار.

141 عرف الإغريق هذه الشخصية باسم تايفون.

142 كيريني، سي. (1976)، اللوحة 54ب

143 المرجع نفسه، اللوحة 55

144 المرجع نفسه.

145 بوركيرت، دبليو (1992)، 11، أي أن غير المطلعين لا يصلون أبدًا إلى التجميع.

146 لوقا 23: 2

147 يوربيدس، الباتشي، 203، سطر 384

148 مرقس 14: 63

149 يوربيديس، المرجع السابق، 199، السطر 246

150 المرجع نفسه، صفحة 205، الأسطر 435^4

151 يوحنا 19: 10-11

152 يوريبيدس، المرجع السابق، 208، السطر 547

153 لوقا 23: 34

154 يوريبيدس، المرجع السابق، 208، السطر 484

155 لوقا 23: 28-30

156 يوريبيدس، المرجع السابق، 209، الأسطر 548-550

157 بل إن السلطات تدبّر تأخيراً لمدة شهر واحد في إعدام سقراط وتضمن أن يكون الأمن في سجنه متساهلاً حتى يتمكن من الهرب. كما يرفض سقراط هذه الفرصة لإعفاء المدعين العامين من العقاب، ويعلن أنهم يخشون فرض العقوبة أكثر مما يخشاه هو من تحملها.

158 أفلاطون، دفاع عن سقراط، 37ب

159 المرجع نفسه، ب-ج

160 متى 26: 39

161 أفلاطون، كريتو، 44ب. يستشهد سقراط من الإلياذة، 9.363، ليلمح إلى أنه بعد ثلاثة أيام من وفاته سيعود إلى موطنه الحقيقي.

162 ووكر، د. ب. (1972)، 45. توجد رواية وفاة سقراط في كتب أفلاطون، والتي تم حظرها جميعها في الإمبراطورية المسيحية. عندما ظهروا في فلورنسا في القرن الخامس عشر، أثاروا ضجة كبيرة. وقد ترجمها عالم عصر النهضة والقس الكاثوليكي مارسيليو فيتشينو، الذي انبهر بالمقارنات بين سقراط ويسوع. كلاهما كانا مثالين على التواضع، وانعدام الطموح التام للشرف الدنيوي، والقبول الطوعي للموت غير العادل. وتساءل فيتشينو أيضاً عن الثلاثين قطعة من الفضة، وصياح الديك عند الفجر، وكأس السم. أصبحت أوجه التشابه بين سقراط ويسوع معروفة جيداً الآن. يكتب أحد علماء الأدب الكلاسيكي المعاصر عن وفاة سقراط: "لقد تمت مقارنتها في كثير من الأحيان بقصة الأناجيل"، انظر إهرنبرغ، ف. (1968). ,377.

163 غوثري، ك. س. (1987)، 267، القول رقم 12. في الأقوال الأخلاقية القصيرة لسيكستوس الفيثاغوري، والتي وُجدت بين الأناجيل الغنوصية، نقرأ: "الحكيم الذي كانت مكانته بين الناس ضئيلة في حياته، سيُشتهر عندما يموت". وينطبق هذا التوقع تماماً على يسوع أيضاً.

164 سينيكا، رسائل من رواقي، 236: "عدد من الرواقيين الذين أدى عدم احترامهم للأباطرة إلى استشهادهم".

165 المرجع نفسه. تورط سينيكا نفسه في مؤامرة ضد نيرون و"انتحر".

166 ماكمولين، ر. (1966)، 64

167 المرجع السابق نفسه، 55. يتتبع ماكمولين عمق ومدى المقاومة الفلسفية لطغيان الإمبراطورية. تم في النهاية تجميع قصص جرأة الفلاسفة البطولية في كتاب بعنوان "أعمال الشهداء الوثنيين".

168 أفلاطون، الجمهورية، الكتاب الثاني، 361 هـ؛ انظر أيضًا أفلاطون، الدفاع، 41 أ. يتساءل سقراط عما إذا كان سينضم هو أيضًا إلى صفوف المتهمين ظلمًا ويقارن ملاحظاته معهم في الحياة الآخرة.

169 هوفمان، ر. ج. (1987)، 112-113

170 يوربيدس، الباتشي، 200، سطر 242. يوربيدس يساوي بين ديميتر والخبز وديونيسوس والنبيذ.

171 مرقس 14: 22

172 فرايزر، ج. (1922)، 376. دفعت هذه الزخارف فرايزر إلى رؤية غودراان الأسرار على أنه "تجسيد للذرة" التي يمثل موتها وقيامتها حصاد المحاصيل وإعادة نموها. كان المصريون يضربون صدورهم وينشدون رثاءً وهم يقطعون أول حبة قمح ويدوسونها على أرض البيدر، لأن أوزوريس كان "يموت" حتى يتمكنوا من الحصول على الخبز

الذي يعيشون منه. وبالمثل، كان اليونانيون يرتدون أقنعة ديونيسوس وينشدون الأغاني المقدسة للإله أثناء دوسهم للعنب، لأن ديونيسوس كان "يموت" ليزودهم بالنبيذ المسكر. خلال مهرجان البذر العظيم، اعتاد الكهنة المصريون دفن تماثيل أوزوريس المصنوعة من التراب والذرة، والتي عند استخراجها لاحقاً، وُجد أنها قد نبتت. وأوضح فرايزر قائلاً: "سيُعتبر إنبات الحبوب هذا فألاً حسناً، أو بالأحرى سبباً، لنمو المحاصيل". أنتج إله الذرة الذرة من نفسه؛ وبذل جسده لإطعام الناس، ومات لكي يعيشوا. وكما لاحظنا، كان أوزوريس-ديونيسوس أكثر بكثير من مجرد إله الذرة أو النبيذ. تُطلق الهيروغليفية المصرية على أوزوريس لقب "قوة الحياة". إنه يمثل عملية الموت والقيامة الغامضة التي هي الحياة نفسها. أقر المعلقون الوثنيون، مثل بلوتارخ، بالاستعارات الزراعية السطحية في أساطير أوزوريس وديونيسوس، لكنهم أشاروا إلى المعنى الصوفي الأعمق. بالنسبة لهم، كان حصاد المحاصيل وإعادة نموها بحد ذاته استعارة للموت البشري والولادة من جديد. فكما ينمو الذرة من البذور المزروعة في الأرض، كذلك يمكن للبشر أن يولدوا من جديد روحياً بعد موتهم ودفنهم. ربما بدأت الأسرار كطقوس سحرية لضمان استمرار خصوبة الأرض، كما يقترح فريزر، ولكن في شكلها المتطور أصبحت تجسد وعد الخلود للبشر.

173 المرجع نفسه، ص 338

174 مرقس 14: 24

175 يوحنا 15: 1-6

176 واليس بادج، إي. أ.، الديانة المصرية، (1899)، 172: "اعتقد المصريون القدماء أن الموتى يجب أن يأكلوا الآلهة وبالتالي يكتسبون قواهم."

177 إنجي، دبليو آر (1899)، 355. إلى جانب القربان المقدس، كان المسيحيون الأوائل يحتفلون بانتظام بـ "أغابي" أو "وليمة المحبة". في جميع الأسرار الوثنية تقريبًا، كانت وجبة أغابي، أو وجبة مقدسة، تسبق مراسم التأهيل. يوضح بلوتارخ: "ليس النبيذ أو الطعام ما يُسعدنا في هذه المناسبات".

الأعياد، ولكن الأمل الطيب، والإيمان بأن الله حاضر معنا، وأنه يقبل تضحياتنا برحمته.

178 غوثري، دبليو. كيه. سي. (1952)، 114. قبل أن تصل الأسرار إلى اليونان من مصر، كانت الطقوس الأولمبية القديمة تقدم القرابين للآلهة على أساس مبدأ المعاملة بالمثل - أي أنه بعد تقديم القرابين للآلهة، فإن الآلهة سترد شيئًا ما إلى الناس. تم استبدال القرابين غير المأكولة في الديانة الأولمبية بطقوس الأسرار التي كان المتأهلون يتواصلون فيها بشكل صوفي مع الإله من خلال تناول جسد الإله بشكل رمزي. يكتب الكاهن المسيحي دين إنجي: "لطالما كانت هناك فكرتان عن التضحية، على حد سواء في الطوائف الوحشية والمتحضرة ... الصوفية، حيث تكون بمثابة تواصل، والضحية التي تُقتل وتُؤكل هي نفسها الإله، أو رمز للإله؛ والتجارية، حيث يُقدم شيء ذو قيمة للإله على أمل الحصول على بعض الفوائد في المقابل. لقد شجعت الأسرار بالتأكيد فكرة التواصل، وجعلت من السهل على الطقوس المسيحية أن تجمع في نفسها كل العناصر الدينية التي يمكن أن يحتويها سر من هذا النوع. انظر إنجي، دبليو. آر. . (1899)، 355.

179 بوركيرت، دبليو. (1992)، 111

180 جاستن، الاعتذار الأول، 66، نقلاً عن ستيفنسون، ج. (1957)، 64

181 كومون، ف. (1903)، 158

182 غريبر وكيرستن (1985)، 230. كان لدى طائفة ميثراس ستة أسرار مقدسة أخرى تتطابق تمامًا مع تلك الموجودة في الكنيسة الكاثوليكية.

183 جود وين، ج. (1981)، 28

184 يوحنا 6:53

185 يوحنا 6:56

186 هاوما هو المقابل الفارسي لسوما عند الهندوس، وقد تم الإشادة به مراراً وتكراراً في نصوص ريجفيدا. ميثراس هو المقابل الفارسي للإله ميترا، الذي يظهر أيضًا في هذه النصوص المقدسة. يشير أصل هذه الأسماء إلى الهوية القديمة للعرقين، المشتقة من أصل أصلي معروف للمؤرخين باسم "الهندو-أوروبي". يستكشف ليندسي، ج. (1970)، 89، الأساطير الإيرانية الهندية كما تم تطويرها في العصر اليوناني الروماني. ربط الفرس نبات الهوما بالإنسان البدائي غايومارت، الذي قُتل على يد أعدائه. تم ربط النبتة بابن الله الذي تعرض للضرب والتشويه في الهاون حتى يتمكن السائل المانح للحياة من جسده من منح قوة جديدة لعباده.

187 أفلاطون، القوانين، 775ب

188 أفلاطون، فيدروس، 244د

189 كامبل، ج. (1964)، 112. ويعلق باحث آخر قائلاً: "إن أكل الإله هو أصل المأساة اليونانية"، انظر كاربنتر وفاراون (1993)، 28.

190 يوربيدس، الباتشي، 200، السطر 284؛ انظر أيضًا كاربنتر وفارون، مرجع سابق. المرجع السابق، 65

191 كاربنتر وفاراون، المرجع السابق، ص 52، الشكل 6

192 بوركيرت، دبليو. (1992)، 111

193 أنجوس، س. (1925)، 129

194 جودوين، ج. (1981)، 28

195 جاستن الشهيد، اعتذار، 66، نقلاً عن ستيفنسون، ج. (1957)، 64

196 شيشرون، طبيعة الآلهة، الكتاب الثالث، 201، السطر 41

197 ميد، جي. آر. إس. (1906) , 342

198 أعمال الرسل 5: 30

199 غلاطية 3: 13

200 دانلاب، إس. إف. (1866)، 115

201 هاريسون، ج. (1922)، 429

202 أوتو، دبليو إف (1965)، 217. انظر الفصل 6، الملاحظة 2، للاطلاع على تفاصيل مجموعة AugustFrickenhaus التي تضم العديد من هذه الصور.

203 يصف إنجيل مرقس 15: 17 إلباس يسوع الرداء الأرجواني وإكليل الشوك بطريقة لا يمكن تمييزها عن نصب صنم ديونيسوس المصور على العديد من المزهريات اليونانية التي يعود تاريخها إلى القرن السادس قبل الميلاد. يقوم المتأهلون في إليوسيس بلف وشاح أرجواني حول أجسادهم كرمز لديونيسوس، الذي كان يرتدي الرداء الأرجواني لبرسيفوني أثناء إقامته في العالم السفلي، انظر بوركيرت، دبليو. (1985)، 283. ارتدى المتأهلون في الأسرار في أندانيا المجاورة عصابات رأس أرجوانية اللون أثناء الاحتفال، انظر ماير، م. و. (1987)، 59.

204 ميتزجر، ب. م. (1987)، 57. تشير رسالة برنابا إلى المرارة. تذكر الأناجيل الأربعة جميعها أن الخل قُدِّم ليسوع، لكن متى 27: 34 فقط يشير إلى النبيذ الممزوج بالمرارة.

205 هاريسون، ج. (1922)، 569، نقلاً عن بسيلوس، في الأسرار: "هناك جرعة من المرارة وآلام المخاض".

206 كامبل، ج. (1964)، 260. يقول كامبل: "لقد تمت مقارنتهم باللصين اللذين صُلبا مع المسيح، أحدهما سيصعد إلى السماء والآخر سينزل إلى الجحيم".

207 كيريني، سي. (1976)، الشكل 85. كانت المشاعل رمزية في أسرار الأنودوس والكاثودوس، طريق صعود النفس وطريق هبوطها، إلى التجسد والخروج منه.

208 مرقس 3: 17

209 يشير بوركيرت، دبليو (1985)، 165، إلى أن بنثيوس يرتدي ملابس تشبه ملابس ديونيسوس قبل موته، والذي يتم تنفيذه بعد ذلك على غرار المصير الذي عادة ما يلحق بالإله نفسه.

210 ديودوروس الصقلي، 3.65. في الكتاب 1.20، يخبرنا ديودوروس أن أوزوريس هو من قتل ليكورغوس "الذي عارض مساعيه" (أي نشر تعاليمه في جميع أنحاء العالم). هذا يؤكد فقط أنه بحلول القرن الأول قبل الميلاد كان من المعروف على نطاق واسع أن الشخصيتين كانتا مترادفتين.

211 أفلاطون، الجمهورية، الكتاب الثاني، 361هـ

212 يسجل غوثري، دبليو. كيه. سي. (1952)، 266، دليل الدكتور إيسلر على وجود تقليد قديم لأورفيوس المصلوب.

213 جاستن الشهيد، الاعتذار الأول، الفصل 60

214 أفلاطون، فيدو، 83د: "كل لذة وألم هما نوع من المسامير التي تثبت الروح بالجسد".

215 أرنوبيوس، ضد الأمم، 2.344، نقلاً عن دنلاب، إس. إف. (1866)،

106. كان أرنوبيوس متعمقًا في الأفلاطونية المحدثة والهرمسية قبل أن يعتنق المسيحية. انظر توركان، ر. (1992)، 333. كان على دراية كبيرة بالأسرار وطقوسها.

216 يصف بوركيرت، دبليو (1985)، 240، نصب تمثال ديونيسوس كما هو موضح في مزهريات لينايا: "يتم لف قطعة قماش حول العمود للإشارة إلى الجسم، ويتم تثبيتها أحيانًا بواسطة عارضة عرضية / يتم ذلك في نفس المهرجان الذي يشبهه الباحث في مكان آخر بعيد الفصح.

217 كيريني، سي. (1976)، الشكل 137

218 المرجع نفسه، 378: "إنه يحضر للطفل الهيكل الصليبي الغامض الذي تم حمله في أثينا في عيد الأنثيستيريا، وهو إشارة إلى إقامة ديونيسوس الوشيكة في العالم السفلي."

219 كينغ, سي. دبليو. (1887), 279; انظر أيضًا ويلسون، أي . (1984), صفحة الغلاف. إن التحيز المسيحي وحده هو ما يمنعنا من رؤية هذا الرسم على الجدران على حقيقته - تصوير تقيّ من قبل أحد أتباع عبادة أوزوريس الذي اعتقد أنه تغلب على ست، عدو إلهه. تتناغم الصور تمامًا مع قصة أبوليوس الرومانسية عن التأهيل في كتابه "الحمار الذهبي". بالإضافة إلى ذلك، يصور الرسم الجداري رمزًا فيثاغورسيًا آخر معروفًا، وهو الحرف "Y". يسجل كومون العديد من النقوش على القبور التي تحمل هذا الرمز {انظر كومون (1922)، 26-7، 76، 148،

150). كان بالنسبة للفيثاغوريين رمزاً للمسارين المفتوحين للإنسان في الحياة وفي الموت. في الحياة، يؤدي الطريق الأيسر إلى الفناء، بينما يؤدي الطريق الأيمن إلى الفضيلة، وكذلك بعد الموت... يؤدي المسار اليدوي إلى تارتاروس، المطهر اليوناني، متبوعًا بالتناسخ اللاحق، بينما يؤدي المسار الأيمن إلى حقول إليسيوم.

220 هاريسون،}. (1922), 220. كلمة "صيدلية" مشتقة من هذا المصدر. فارماكوس (الرجل السحري) عبارة عن تركيبة أو تعويذة سحرية للطرد. في كتابات المسيحيين الأوائل، يصف إغناطيوس الأنطاكي القربان المقدس بأنه دواء الخلود، انظر هوفمان.

آر. جيه. (1987), 16.

221 أوتو، دبليو إف (1965)، 38-9: تم قيادة فارماكوس (الرجل السحري) في جميع أنحاء المدينة لامتصاص كل السموم.

222 نحن على دراية بطقوس كبش الفداء من العهد القديم. سفر اللاويين 16: 21: "يضع هارون كلتا يديه على رأس التيس الحي ويعترف عليه بجميع آثام بني إسرائيل. سيحمل التيس عليه كل آثامهم إلى أرض غير مسكونة." إلا أن أسطورة كبش الفداء كانت موضوعاً شائعاً في منطقة البحر الأبيض المتوسط. تطورت المأساة اليونانية من طقوس ديونيسوس التي كانت تُمارس في العصور القديمة، وكان التراجودوي هم المغنين الذين قادوا الماعز للتضحية، انظر

بوركيرت، دبليو (1985)، 102. حدث تطور مثير للاهتمام لهذا الموضوع في العصر الهلنستي عندما تم الادعاء بأن عيد ميلاد سقراط هو اليوم الذي "يطهر فيه الأثينيون المدينة"، انظر هاريسون، ج. (1922)، 97. ويخبرنا ليسياس أيضًا أن الطغاة الثلاثين وصفوا عمليات القتل السياسي لسقراط وغيره بأنها تطهير - تطهير بالمعنى الطبي والسياسي المشؤوم للكلمة، انظر بوركيرت، دبليو (1985)، 83. تشير هذه الشظايا إلى أنه في القرون التي تلت وفاته، كان تلاميذ سقراط يحاولون ربط مصيره بمصير الفارماكوس، وهو كبش فداء تولى طواعية دوره التضحوي من أجل تطهير المدينة من خطاياها. تظهر نفس هذه الدوافع في حياة يسوع.

223 هاريسون، ج. (1922)، 99

224 بوركيرت، دبليو. (1985)، 105

225 مرقس 15: 17-20

226 عبرانيين 9: 22. يُثار جدل حول نسبة هذا العمل إلى بولس.

227 جودوين، ج. (1981)، 111

228 توركان، ر. (1992)، 226

229 موراي، إم.أي (1949)، 74

230 أفلاطون، كراتيلوس، 400 ج: "لأن البعض يقول إن الجسد هو قبر النفس التي يمكن الاعتقاد بأنها مدفونة في حياتنا الحالية". كان شعراء الأورفية ... يعتقدون أن النفس تعاني من عقاب الخطيئة حتى يتم دفع العقاب/

231 كيرك ورافين، (1957)، 352. بحسب أمبادوقليس، فإن النفس الساقطة تُطرد "من المباركين، وتولد طوال ذلك الوقت في أشكال جميع أنواع الأشياء الفانية وتغير حياة بائسة بأخرى".

232 غوثري، دبليو. كيه. سي. (1952)، 72-3. بعد جمع كمية كبيرة من المواد الأورفية المكتشفة حديثًا، كتب الباحث الكلاسيكي غوثري: "بالنظر إلى الوراء بهذه الطريقة، فإننا لا نندهش فقط من التناقضات مع الأنواع الدينية السائدة في اليونان في القرن الخامس، ولكن أيضًا من أوجه التشابه مع المسيحية". تشمل السمات المشتركة بينها وبين الأورفية فكرة التحول الديني، والدين كأسلوب حياة، والخطيئة الأصلية، والتواصل، وأجزاء من علم الأخرويات الخاص بها. (1952)

207

233 فرايزر، ج. (1922)، 360

234 المرجع نفسه. ومرة أخرى، لجأ المسيحيون إلى حجة "مكر الشيطان". انظر لين، إي. إن . (1996)، 37، الذي يسجل دفاع القديس أوغسطين عن أوجه التشابه العديدة بين آتيس ويسوع.

235 إن النموذج الأساسي لجميع أساطير آلهة الأسرار هو أوزوريس في مصر. لا يقع موسم الحصاد المصري في الخريف، بل في أشهر مارس وأبريل ومايو - وقت عيد الفصح. قد يكون هذا هو السبب في أن وفاة الرجل الإله لا تُحتفل بها في الخريف، كما قد يتوقع المرء، بل في الربيع.

236 كيريني، سي. (1967)، 349

237 أنجوس، إس. (1925)، 60: "تم نقل الشجرة، التي تم تجهيزها مثل جثة، إلى المزار". وفي الليلة التالية، تم الاحتفال بقيامة آتيس بفتح قبره.

238 لين، إي. إن. (1996)، 39: "عاد الشاب آتيس إلى الحياة بأعجوبة بعد ثلاثة أيام." كانت هذه الطائفة هدفاً مفضلاً لهجمات الكتاب المسيحيين بسبب هذا الأمر والعديد من أوجه التشابه الأخرى. يتناول كل من القديس أوغسطين وفيرميكوس ماتيرنوس مدى قرب الطقوس من طقوس المسيحية. يسجل أوغسطينوس باشمئزاز تصريح كاهن من آتيس - أن آتيس نفسه كان مسيحياً!

239 أنجوس، س. (1925)، 60

240 فرايزر، ج. (1922)، 350

241 المرجع نفسه، ص 360

242 المرجع نفسه. انظر أيضًا كامبل، ج. (1955)، 368، حيث يشير راهنر إلى أن كهنة طائفة آتيس اشتكوا من أن المسيحيين كانوا يقلدون احتفالهم الربيعي، ولين، إي. إن. (1996)، 39، حيث يلاحظ أحد الباحثين الكلاسيكيين، "عندما أذهب إلى قداس الجمعة العظيمة، يصعب عليّ أن أقرر ما إذا كان الإله الذي يُدفن هو آتيس أم المسيح/

243 بوركيرت، دبليو. (1985)، 241. كان مهرجان أنثيستيريا القديم هو النموذج الذي استندت إليه أسرار إليوسيس. في العصر الكلاسيكي، استمر الاحتفال بمهرجان أنثيستيريا باعتباره "ديونيسيا الصغرى"، بينما أصبحت أسرار إليوسيس "ديونيسيا المدينة".

فيما يتعلق بالأسطورة التي تم تجسيدها في هذا المهرجان السابق، كتب بوركيرت: "ديونيسوس، إله الخمر، قُتل هو نفسه وقُطّع إلى أشلاء ليُستخدم كخمر للشرب المقدس". يُعدّ علماء الرموز في العصر الهلنستي المتأخر أول من يقول هذا صراحةً. في الفترة المبكرة التي كانت تحت تأثير هوميروس، كان الإله بحكم التعريف خالداً ولا يمكن قتله. في الأساطير السرية للأسرار، كانت القصص المروية مختلفة بلا شك؛ ربما تكون أسطورة تقطيع أوصال ديونيسوس قديمة قدم مهرجان أنثيستيريا نفسه.

244 فرايزر، المرجع السابق، 359

245 شيشرون، في الحياة الطيبة، 104

246 دانلاب، إس. إف. (1866)، 23

247 لوسيان، الأم السورية العظيمة، 4.262

248 متى 27: 59 ويوحنا 19: 39-40

249 بلوتارخ، إيزيس وأوزيريس، 16

250 دانلاب، إس. إف. (1866)، 104

251 بلوتارخ، المرجع السابق، 39 و 42. يسجل أحد البرديات السحرية اليونانية من نفس الفترة: "في ميناء بوسيريس سأصرخ باسم من مكث ثلاثة أيام وثلاث ليال في النهر، أوزيريس الغريق"، انظر ليندسي، ج. (1970)، 172.

252 نصوص الأهرامات، كما ورد في أنجوس، س. (1925)، 46

253 فيدلر، د. (1993)، 173، نقلاً عن أوريجانوس، ضد سيلسوس، 5.17: "أعيد تجميعه مرة أخرى، وكان، كما لو أنه عاد إلى الحياة، وصعد إلى السماء".

254 فرايزر، ج. (1922)، 335

255 المرجع نفسه، ص 389. انظر أيضًا دالفيلا، جي. (1981), 118، الذي يلاحظ أن آلهة الأسرار الوثنية، من خلال معاناتها وقيامتها، "لم تكن أقل من دور المخلص الذي نجده في مفهوم المسيا المسيحي".

256 فيدلر، المرجع السابق، ص 144، نقلاً عن ترتليان، وصفة ضد الهراطقة، 40

257 كومون، ف. (1903)، 138

258 المرجع نفسه، ص 146. قام كومون بجمع مجموعة كبيرة من العقائد الأخروية الميثرية المطابقة للمسيحية.

259 ماكمولين، ر. (1966)، 96. يعزو ماكمولين ذلك إلى "تغلغل الفيثاغورية الواضحة في الطبقات الاجتماعية العليا التي كان سينيكا وأمثاله على دراية بها". 260 كينغسلي، ب. (1995), 234; انظر أيضًا 297، ملاحظة 27. كان هيراكليتس تلميذاً لأفلاطون. للاطلاع على أوجه التشابه بين قصة موت أمبادوقليس في كتاب هيراكليتوس البنطي وقصة موت يسوع في إنجيل مرقس، انظر: آفا تشيتوود، "موت أمبادوقليس"، المجلة الأمريكية لعلم النفس.

1986

261 في كتاب "التواريخ"، الكتاب الرابع، 94-98، يعيد هيرودوت سرد أسطورة نزول فيثاغورس إلى العالم السفلي بشكل غامض، وهو ما قام به لإثبات مذهبه في خلود النفس. كما أن الفكرة الأسطورية المتمثلة في النزول إلى الجحيم موجودة أيضاً في أساطير أوديسيوس، وهرقل، وأورفيوس، وفيثاغورس، وأمبادوقليس، وإينياس، وغيرهم الكثير.

262 ماكمولين، ر. (1966)، 317، ملاحظة 6. في عام 1927 كتب ليفي كتابًا بعنوان أسطورة فيثاغورس في اليونان في فلسطين. يسجل الكتاب الطبيعة المزدوجة لفيثاغورس للإنسان والإله (8-15)، وصعوده إلى السماوات جسديًا (67) وقصص ظهوره لتلاميذه (78).

263 هوفمان، ر. ج. (1987)، 67. يسجل ماكيورو، ف. د. (1930)، 13، العديد من الوثنيين الذين زُعم أنهم ماتوا ثم عادوا إلى الحياة. بدءًا من إر، الذي تُروى قصته في الكتاب الأخير من جمهورية أفلاطون، رُويت قصص مماثلة عن ثيسبيسيوس، وكليونيموس، وروسس، وهيرونيموس، وماخاتيس، وكليوديموس، وإمبيدوتيموس.

264 غوثري، دبليو. كيه. سي. (1952)، 61

265 فرايزر، ج. (1922)، 360. أدى عيد انتقال العذراء في أغسطس إلى إزاحة مهرجان العذراء ديانا الوثني.

266 كينغ، سي. دبليو. (1887)، 173. كما سجل الملك النقش "الطاهرة هي سيدتنا إيزيس 7".

267 فرايزر، المرجع السابق، 383

268 ستانتون، ج. (1995)، 43. لم تحتوي النسخة الأصلية من إنجيل مرقس على أي كلمات تتجاوز 16 كلمة.

8. انظر هوفمان، ر. ج. (1987)، 132، حيث يؤكد سيلسوس أن هذه هي القصة التي يعرفها.

269 روبنسون، ج. م. (1978)، 139

270 يوحنا 19:25

271 أوتو، دبليو إف (1965)، 67. انظر غوثري، دبليو. كيه. سي . (1952), 136، حيث تم استيراد ثلاث مينادات من طيبة إلى مغنيسيا لتأسيس عبادة جديدة لديونيسوس. ربما لعبت الكاهنات الثلاث دور الأقدار الثلاثة التي يقال إنها حاضرة عند ولادة كل نفس. في رؤية أفلاطون للحياة الآخرة، تُقاد النفوس إلى المصائر الثلاثة قبل أن تُقاد "إلى ميلادها كالشهب"، انظر كتاب الجمهورية.

.620e ,10

272 كيريني، سي. (1967)، 135

273 هاريسون، ج. (1922)، 290-1

274 ليتزمان، هـ. (1961)، الكتاب 3، 147. في القرن الرابع، صدر أمر ببناء كنيسة فوق المغارة في أورشليم التي يُفترض أن يسوع دُفن فيها. لكن أولاً، كان لا بد من هدم ضريح أفروديت الموجود فوقه. وهذا يشير إلى أن الكهف في الواقع كان في الأصل ملكاً لعشيقها أدونيس.

275 فرايزر، ج. (1922)، 374

276 أنجوس، س. (1925)، 125

277 ماكيورو، فـ. د. (1930)، 77

278 لوسيوس أبوليوس، الحمار الذهبي، 284: "طقوس التأهيل تقترب من الموت الطوعي الذي لا يوجد له سوى أمل ضئيل في القيامة". لذا فهي عادةً ما تختار الرجال المسنين الذين يشعرون بأن نهايتهم تقترب بسرعة، لكنهم ليسوا مصابين بالخرف لدرجة تمنعهم من حفظ سر: فبفضلها، يولدون من جديد بمعنى ما، ويعودون إلى حياة جديدة وصحية.

279 واليس بادج، إي. أ.، الديانة المصرية (1899)، 71

280 المرجع نفسه، 72

281 يوحنا 16: 19-22

الفصل الرابع: الأفلاطونية الكاملة

1 ورد في هوفمان، ر. ج. (1987)، 91

2 المرجع نفسه، 55

3 المرجع نفسه، 91

4 إنجي، دبليو. آر. (1899)، 78

5 كينغزلاند، دبليو. (1937)، 139. انظر أيضًا جاستن الشهيد، الاعتذار الأول، الفصل 46.

6 جاستن الشهيد، الاعتذار الثاني، 13، نقلاً عن ستيفنسون، ج. (1957)، 61

7 إنجي، دبليو آر (1899)، 77-8. يصف إنجيي هذا بأنه "مفهوم غريب".

8 القديس أوغسطين، الاعترافات، مدينة الله، العقيدة المسيحية، الفصل 28.43

9 نقل جاستن مارتير، المرجع السابق، عن ستيفنسون، المرجع السابق، ص 62

10 القديس أوغسطين، المرجع السابق، الفصل 40، بعنوان: "كل ما قاله الوثنيون بحق، يجب أن نستخدمه لأغراضنا".

11 ورد في إنجي، دبليو آر (1899)، 351

12 ورد في أنجوس، س. (1925)، 239

13 المرجع نفسه.

14 يامبليخوس، في الأسرار، 1.11.12

15 أريستوفان العالم الإسكندري، وليس الكاتب المسرحي الأثيني، على الرغم من أنه كتب أيضًا، في مسرحية الضفادع، أن حقول إليسيوم، الجنة اليونانية، كانت مفتوحة فقط لأولئك الذين "تم إدخالهم وعاشوا حياة تقية"، انظر أنجوس، المرجع السابق، 239.

16 بورفيري، في القوانين الخاصة، نقلاً عن بلافاتسكي، هـ. ب.، الكتابات الباطنية، دار النشر الثيوصوفية، 1907، 214

17 يقتبس أنجوس، المرجع السابق، ص 79، ثلاثة توجيهات أخلاقية من الأسرار من سيلسوس. انظر أيضًا بوركيرت، دبليو (1985)، 283.

18 ورد في إنجي، المرجع السابق، ص 86

19 من نقش في متحف إبيداوروس، وهو أهم مزار لأسكليبيوس في العالم القديم.

20 غوثري، ك. س. (1987)، 268، القول رقم 22

21 ورد في هوفمان، ر. ج. (1987)، 123

22 إن المذهب الرواقي للضمير مستمد من شيطان سقراط، الصوت الداخلي الذي كان يوجه سلوك الفيلسوف. في أفلاطون، فايدون، 107د، يُطلق على الديمون اسم "الروح الحامية" التي ترشد النفس في الحياة وبعد الموت. من الصعب عدم استنتاج أن التعليم الكاثوليكي عن الملاك الحارس مستمد من المذهب الأفلاطوني عن الروح الحارسة.

23 ورد في أنجوس، س. (1925)، 208

24 فولكنر، ر. أو. (1972)، 29 , تعويذة 125, المعروف باسم "الاعتراف السلبي" أو "إعلان البراءة". انظر أيضًا أنجوس ، المرجع السابق، 78 وما بعدها. جمع أنجوس العديد من الأمثلة على الاعتراف قبل الانضمام إلى الجماعة.

25 سويتونيوس، حياة نيرون 34: "لقد جاء إلى أثينا حيث كانت تقام أسرار إليوسيس، لكنه لم يجرؤ على المشاركة عندما أمر المنادي جميع الأشخاص الفاسقين والمجرمين الحاضرين بالانسحاب قبل بدء الاحتفالات."

26 أنجوس، س. (1925)، 80.

27 كامبل). (1955), 45. كما تم انتزاع الاعترافات من المتأهلين في أسرار ساموثراكيا. تنقل الحكاية التالية ما كان على الأرجح موقفًا نموذجيًا لدى اليونانيين تجاه هذا الابتكار. عندما طُلب من أحد المتدربين الإسبرطيين الاعتراف بأفظع جريمة ارتكبها، أجاب: "من يرغب في معرفة ذلك، أنت أم الآلهة؟" فأجاب الكاهن: الآلهة. لم يقتنع المحارب الإسبرطي، فأجاب باقتضاب: "إذن اذهبوا، فإذا أرادوا أن يعرفوا، فسأخبرهم".

28 ورد في إنجي، دبليو. آر. (1899)، 354

29 المرجع نفسه.

30 جودوين، ج. (1981)، 27

31 أنجوس، س. (1925)، 204

32 متى 7: 12

33 فريك، ت. (1997)، 80-1

34 غوثري، ك. س. (1987)، 268، القول رقم 20

35 متى 5: 39

36 غوثري، المرجع السابق، القول رقم 55

37 دي فوجل، سي جيه (1966)، 109، 125. لقد علّم فيثاغورس أهل جنوب إيطاليا أنه "يجب ألا يبدأوا في إهانة الآخرين، وإذا أساء إليهم الآخرون، فلا يجب عليهم الدفاع عن أنفسهم ضد المعتدين".

38 إبيكتيتوس، تعاليم إبيكتيتوس، 31، الفصل 8، الآية 12

39 ورد في هوفمان، ر. ج. (1987)، 113

40 أفلاطون، كريتو، 49ب-هـ

41 نقلاً عن هوفمان، المرجع السابق، ص 114

42 ورد في غوثري، دبليو. كيه. سي. (1952)، 197. كانت الحياة الأورفية تدعو إلى اتباع نظام غذائي نباتي صارم.

43 انظر أفلاطون، الجمهورية، الكتاب الثاني، 364ب-هـ. كان أفلاطون ينتقد في كثير من الأحيان المبشرين الأورفيين المتجولين الذين قاموا بالطقوس لكنهم لم يستطيعوا تقديم أي تفسير لما كانوا يفعلونه.

44 جودوين، ج. (1981)، 146

45 متى 10: 9-10

46 يُعتقد عمومًا أن الفلسفة الكلبية نشأت مع ديوجين وأنتيسِتنيس، تلميذي سقراط حافي القدمين. لكن بوركيرت ينسبها بدلاً من ذلك إلى الفيثاغوريين: إن سخرية ديوجين هي بطريقة ما استمرار للفيثاغورية ... هناك مصادفات لا لبس فيها. انظر بوركيرت، دبليو. (1972)، 203. كان ديودوروس الأسبندوسي معاصراً لديوجينيس. وقد سخر منه

ستراتونيكوس قائلاً إنه كان يرتدي "رداءً غريباً من الجلد"، وكان "يجمع الأتباع ويرتدي شعراً طويلاً ولحية طويلة، ويحمل مجرفة مطوية ومحفظة وعصا". كما يشير بوركيرت، فإن الخيوط تقود من هنا إلى الرواق أيضًا؛ فقد كان كل من زينو وكريسبوس مهتمين بجوانب من الفيثاغورية. إن وصف ستراتونيكوس لديودوروس يشبه بشكل غريب وصف يوحنا المعمدان بعد عدة قرون.

47 ليتزمان، هـ. (1961)، الكتاب 4، 126-7. وفي وقت لاحق، انتقد الآباء المسيحيون الرهبان لكونهم لا يمكن تمييزهم عن الكلبيين، بأقدامهم الحافية، وعباءاتهم، وعصيهم، ولحاهم. وكما يشير ماكمولين، "كانت بعض الصور النمطية للفضيلة الخارقة متأصلة بعمق في العقل القديم بحيث لا يمكن استئصالها". انظر ماكمولين، ر. (1966)، 93.

48 أبكتاتوس، تعاليم إبيكتيتوس، 196. كان يرتدي كل من الكلبيين والمتصوفين المسيحيين الأوائل رداءً خشناً يسمى "التريبون". انظر أيضًا 209، حيث يستخدم أبكتاتوس مصطلح odos، بمعنى "الطريق". كما ورد ذكره في أعمال الرسل 22: 4 و 19: 9 و 23. بحلول زمن يسوع، كان الفلاسفة الكلبيون في كل مكان. كانوا بالنسبة للعالم القديم مثل حاملي الحقائب والرهبان بالنسبة للعصور الوسطى، مشهد مألوف في كل مكان، مثير للريبة ومقدس في آن واحد،" ماكمولين، ر. (1966)، 60. كان أبكتاتوس، العبد الفريجي المقعد، أشهر هؤلاء؛ وقد عاش في نفس فترة حياة يسوع. في كتاب أبكتاتوس، 193، كتب أحد علماء الكلاسيكيات: "لقد لوحظت أوجه التشابه في الفكر والتعبير بين أبكتاتوس والعهد الجديد في كثير من الأحيان، وسيكتشف القارئ العديد من أوجه التشابه الأخرى التي لم أرَ ضرورة لتسليط الضوء عليها".

49 أبكتاتوس، تعاليم أبكتاتوس، 26، الكتاب 8، 5-6. انظر أيضًا ماكمولين، ر. (1966)، 57 ، حيث يصف أبكتاتوس الخطر في محاولة استقطاب المتحولين في شوارع روما، مصرحًا: "في هذه الأيام، هذا النشاط ليس آمنًا للغاية". في عام 71 ميلادي، قام فسبازيان بنفي جميع الفلاسفة من روما، كما فعل دوميتيان في عام 90، وهي عملية تطهير شملت أبكتاتوس.

50 ورد في هوفمان، ر. ج. (1987)، 94

51 لوقا 12: 33

52 جوثني، ك. س. (1987)، 268، القول رقم 28

53 ماك، ب.ل. (1993) , 126

54 مرقس 13: 35

55 أبكتاتوس، تعاليم أبكتاتوس، 81، الفصل 12

56 مرقس 10: 14-16

57 هيرديوس، مقتطف. 94، نقلاً عن كامي، سي. إتش. (1979)، 71. ماكيورو، ف. د. (1930) الفصل الثامن، يحدد بشكل قاطع هوية الطفل بأنه ديونيسوس الذي "تلقى المملكة من زيوس بعد قيامته". من المهم أن نجد في أعمال هِرَقْليطُس أولى الإشارات في الأدب اليوناني إلى "الميستاي" و"الباكوس". الآلهة الوحيدة التي تم ذكرها بشكل خاص، باستثناء زيوس وأبولو، هي هاديس وديونيسوس. يخبرنا أن آخر اثنين هما نفس الشيء.

58 مرقس 10: 18

59 تفسير أبينغدون للكتاب المقدس، نيويورك، 1929. الجنة والنار هما "تطورات دينية في الفترة ما بين العهدين"،

وفقًا لكتاب العهد الجديد غير المنقح، 499. على سبيل المثال، أيوب 21: 23-6، يستاء من عدم التمييز في الموت بين الأشرار والأبرار: "إنهم يرقدون على حد سواء في التراب". انظر أيضًا بيرنشتاين، أ. إي .(1993), 158، الذي يشير إلى أن النظام التثنوي يقيس العدالة وفقًا لمعايير الرخاء والمحن في الحياة - جميع مكافآته وعقوباته تقتصر على هذا العالم. على الرغم من أنه يستكشف العديد من الخيارات الأخرى الممكنة في الكتاب المقدس، إلا أن بيرنشتاين يعترف بأن هذه الخيارات محفوظة على أنها "آراء أقلية". في الحرب اليهودية،

2.14.163-5، والآثار القديمة، 18.14، يسجل يوسيفوس أن الصادقيين، وهم التقليديون بين الطوائف اليهودية، أنكروا كلاً من خلود النفس والعقوبات بعد الموت. في رأيه، اكتسب الفريسيون دعم غالبية الناس لأنهم كانوا يعلمون أن النفس تبقى بعد الموت وتتلقى إما مكافأة حياة جديدة في جسد آخر أو عقابًا أبديًا في العالم السفلي. كان يُنظر إلى الفريسيين على أنهم مُحدثون ومُتأثرون بالثقافة اليونانية.

60 سوفوكليس، من. 719، نقلاً عن أنجوس، س. (1925)، 238-9. في كتاب الجمهورية، الكتاب الثاني، 364هـ، يشير أفلاطون إلى الكهنة الذين "يجعلون ليس فقط الرجال العاديين ولكن الدول يعتقدون أن هناك بالفعل غفرانًا للذنوب وتطهيرًا لأعمال الظلم ... وأن هناك أيضًا طقوسًا خاصة تخلصنا من الشرور في ذلك العالم الآخر، بينما تنتظر أشياء فظيعة أولئك الذين أهملوا التضحية".

61 بلوتارخ، المقالات الأخلاقية، 176، "رسالة عزاء"

62 المرجع نفسه، 184. ويتابع بلوتارخ قائلاً: "في البداية هناك تجوال وجري شاق في دوائر، ورحلات عبر الظلام على طرق غير مؤكدة ونهايات مسدودة؛ ثم قبل النهاية مباشرة، هناك كل أنواع الأهوال، مع ارتجاف ورعشة وتعرق ودهشة تامة". بعد ذلك، يستقبل المسافر نور غريب وعجيب، فيُسمح له بالدخول إلى عالم نقي و مراعي خصيب، حيث يميز الأصوات الرقيقة والرقصات المهيبة وجلال الأرواح المباركة والرؤى المقدسة. ها هو ذا حر، وقد اكتملت طقوس تأهيله، ويسير بحرية كضحية متوجة ومضحية، منضمًا إلى الاحتفالات/

63 ورد في أنجوس، س. (1925)، 95

64 ورد في بوركيرت، دبليو. (1985)، 289

65 ورد في غودوين، ج. (1981)، 36. لم تكن طقوس الأسرار تُهيئ المتأهل للموت فحسب، بل كانت تُعتبر أيضًا بمثابة تمثيل لعملية الموت. يكتب بلوتارخ: "الموت والتأهيل يرتبطان ارتباطًا وثيقًا/ مقتطف. 178، طبعة لوب. في مقطع متناقض بشكل رائع، يشرح قائلاً: "إن أعلى تأهيلنا في هذا العالم ليست سوى حلم بالرؤية الحقيقية وتأهيل الموت". لقد تم تصميم الأسرار بعناية لإيقاظ ذكريات الأشياء السامية القادمة.

66 دانلاب، إس. إف. (1866)، 32، نقلاً عن بلوتارخ

67 القديس أوغسطين، مدينة الله، 7.24

68 نقلا عن بوركيرت، مرجع سابق. المرجع السابق، 289. كتب بيندار: "طوبى لمن رأى هذا ونزل إلى باطن الأرض؛ فهو يعرف نهاية الحياة، ويعرف البداية التي منحها زيوس".

69 ينسب غوثري، دبليو. كيه. سي. (1952)، 269، معظم العقائد المسيحية حول الحياة الآخرة إلى الأورفيين باستثناء واحد: كان الأورفيون سيجدون عقيدة قيامة الجسد "مقززة".

70 يوثق كومون، ف. (1922)، 198، مسار انتقال المذاهب الأورفية من اليونانيين إلى اليهود وأخيراً إلى المسيحيين.

71 كينغسلي، ب. (1995)، 203-4

72 المرجع نفسه، ص 119، الحاشية 26

73 ورد في هوفمان، ر. ج. (1987)، 95

74 يسجل كومون، ف. (1903)، 191، هذا التشابه وغيره من أوجه التشابه بين المذاهب المسيحية والميثرائية.

75 كورنثوس الثانية 12: 2

76 نقلاً عن هوفمان، المرجع السابق، 76-7

77 كان أفلاطون أول من سجل هذه الآراء في كتاب الجمهورية، الكتاب العاشر. في نهاية القرن الثاني قبل الميلاد كتب بوليبيوس ما يلي: "لم يكن القدماء يتصرفون بحماقة أو عشوائية عندما قدموا للناس مفاهيم مختلفة تتعلق بالآلهة والإيمان بعقاب هاديس / ولكن مثل معظم اليونانيين والرومان المتطورين، اعتبر هذه الأساطير مجرد خرافة ضرورية لكبح جماح "الرغبات الخارجة عن القانون والغضب غير العقلاني والعواطف العنيفة". انظر بوليبيوس، صعود الإمبراطورية الرومانية، 349. وبالمثل اعتبر تيمايوس من لوكري مثل هذه الحكايات "قصصًا مفيدة"، كومون، ف. (1922)، 78. لكن فلاسفة آخرين هاجموا هذه الخرافات بشدة، واعتبروها "معتقدات مسممة للحياة" وتحريفاً للعقيدة الحقيقية. انظر كومون، 176. في كتاب "طبيعة الكون"، صفحة 126، كتب لوكريتيوس، الفيلسوف الأبيقوري من القرن الأول قبل الميلاد: "أما بالنسبة لجميع تلك العذابات التي يُقال إنها تحدث

في أعماق الجحيم، هم موجودون بالفعل هنا والآن، في حياتنا. من وجهة نظر هؤلاء الفلاسفة، "العقاب الوحيد الذي يمكن أن يصيب النفس الخاطئة هو التناسخ، الذي يجبرها على إعادة تجسيد نفسها في سجن جسدي"، كومون، 78. في مينون، 76هـ، يذكر أفلاطون أن الأشرار يعانون في تجسد جديد من نفس العنف الذي مارسوه في هذا التجسد، وفي القوانين، 870د-هـ، يذكر أن هذا ما علمه كهنة الأسرار.

78 لين-فوكس، ر. (1986)، 327

79 كومونت، ر (1922)، 188. يقول كومون أنه على الرغم من أننا نعرف هذه العقيدة من خلال أوريجانوس، إلا أنه "لم يفعل سوى إعادة إنتاج نظرية أدت إليها تطور الأفكار الوثنية".

80 ورد في هوفمان، ر. ج. (1987)، 70. وكما يشير سيلسوس، كانت هذه الأمور غالباً متطرفة. يروي أفلاطون في كتاب الجمهورية، الكتاب العاشر، 615-16، كيف تم القبض على النفوس الشريرة وسلخ جلودها بينما كان معذبوها يشرحون للنفوس الأنقى التي تمر سبب معاقبة ضحاياهم. 81 نقلاً عن هوفمان، المرجع السابق، ص 86. وعلى النقيض من ذلك، يقتبس سيلسوس بإعجاب من الحكيم الوثني هِرَقْليطُس، الذي يقول: "يجب التخلص من الجثث مثل الروث، لأنها روث". طلب ديوجانس أن يُلقى بجثته في خندق ويُغطى بقليل من التراب. كان الجسد بالنسبة للأورفيين بمثابة قبر الروح.

82 متى 25: 31-3. يعود تاريخ محاكمة الموتى في محكمة الحياة الآخرة إلى مصر القديمة، ولكن يمكن رؤية تقسيمهم إلى أولئك الذين على اليمين وأولئك الذين على اليسار يتطور مع انتشار هذه المعتقدات بشكل مطرد في الغرب. في كتاب الجمهورية، الكتاب العاشر، 61413-د، يتحدث أفلاطون عن تعاليم الأورفية حول مصير النفس بعد الموت. وعن حساب الآخرة كتب قائلاً: "بعد كل حساب، أمروا الصالحين بالسير يميناً وأعلى عبر السماء، وعليهم علامات تدل على الحساب الذي صدر بحقهم، وأمروا الظالمين بسلوك الطريق يساراً وأسفل، وهم أيضاً يحملون خلفهم علامات كل ما أصابهم...". في المخطط الغنوصي السيثي، انظر بيركنز، ب. (1993)، 57 و209، تصعد النفوس على اليمين إلى نور العالم الإلهي، وتعود النفوس على اليسار إلى الأرض/الهاديس. ويمكن العثور على نفس المذاهب بالضبط، وتحديداً في

سياق تعاليم فيثاغورس وأورفيك، في كتاب الإنيادة لفيرجيل، الكتاب السادس. وأخيراً، في متى 25: 31-3، يصبح يسوع هو القاضي الذي يضع "الخراف عن يمينه، والماعز عن يساره".

83 كومون، ف. (1903) , 146

84 متى 24: 7-8

85 اكتشف هيبارخوس ظاهرة ترنح مداري الاعتدالين في عام

170 قبل الميلاد. وقد شرحت نظريته سبب تغير الكوكبة التي تقع خلف الشمس عند الاعتدال الربيعي بمرور الوقت، وظهور الشمس وكأنها تتحرك ببطء إلى الوراء عبر علامات الأبراج على مدى 25000 عام. كان حساب هيبارخوس لهذا "العام العظيم" دقيقاً في حدود ست ثوانٍ من الدرجة الواحدة في السنة، وهو إنجاز لا يصدق. انظر والبانك، إف دبليو (1981)، 187.

تقضي الشمس ما يقرب من 2000 عام في كل برج، وكان القدماء يطلقون على هذا اسم "الشهر العظيم". خلال حياة أبرخش، تغير الشهر من برج الحمل إلى برج الحوت، وفي حوالي عام 2040 م سيتغير إلى برج الدلو. بحلول القرن الأول الميلادي، انتشرت التكهنات حول العصر الجديد، وكذلك ممارسة التنجيم التي ارتبطت به ارتباطًا وثيقًا.

86 ورد في إيسلر، ر. (1920)، 71. قام الدكتور إيسلر بجمع كمية هائلة من الأدلة على أقرب الاتصالات بين الأورفية والمسيحية في القرون القليلة الأولى، موضحًا كيف أصبح أورفيوس الصياد ببطء يسوع صياد البشر.

87 المرجع نفسه، 22. كان السوريون يعبدون إله السمك الذي أطلق عليه البعض اسم نون أو داجون أو أدونيس، والذي أطلق عليه اليونانيون اسم إختيس.

88 فيرجيل، القصائد الرعوية، 53، الإكلوج 4.

89 استخدم شعراء العصر الأوغسطي صور العصر الجديد بشكل متكرر، كما تحتوي أعمالهم على العديد من الإشارات المبطنة إلى المذاهب الصوفية الأورفية والفيثاغورية.

90 أولانسي، د. (1989)، الفصل 5

91 بحسب المذاهب الوثنية، يمثل يسوع آخر كبش قرباني وأول سمكة قربانية.

92 كومون، ف. (1903)، 191، وأولانسي، د. (1989)، 73. كانت هذه المذاهب شائعة في العصر الروماني.

93 ورد في هوفمان، ر. ج. (1987)، 77

94 كيرك ورافين، (1957)، 169. من المسلّم به لدى فلاسفة ما قبل سقراط أن الله واحد. زينو وميليسوس وهِرَقْليطُس وأمبادوقليس وفيثاغورس جميعهم متفقون مع زينوفانيس.

95 ورد في فريك وغاندي (1997)، 47

96 ورد في فيدلر، د. (1993)، 22

97 جاستن الشهيد، الخطاب الحثيث إلى اليونانيين، 19.1، نقلاً عن غوثري، ك. س. (1987)، 298. ويتابع جاستن: "عندما يقول فيثاغورس أن الوحدة هي المبدأ الأول لكل الأشياء وأنها سبب كل خير، فإنه يعلم من خلال

الاستعارة أن الله واحد ووحده." ويستشهد جاستن أيضًا بسوفوكليس وأورفيوس وأفلاطون كدليل على أن أحكم اليونانيين كانوا يؤمنون بالإله الواحد، على الرغم من أن جاستن يرى أن كل هؤلاء تعلموا من موسى أثناء سفرهم في مصر.

98 واليس بادج، إي. أ.، الديانة المصرية (1899)، 83

99 نقلاً عن المرجع نفسه، 19-20

100 المرجع نفسه، 107

101 إليس، ن. (1988) , 21

102 أنجوس، س. (1925)، 190

103 ورد في هوفمان، ر. ج. (1987)، 56

104 ورد في أندرسون، ج. (1994)، 84

105 اتُهم سقراط وأناكسوغوراس ودياغوراس بعدم الإيمان بالآلهة. تم حرق كتاب بروتاغوراس "عن الآلهة"، الذي شكك في طبيعة الآلهة، علنًا في أثينا، وتمت محاكمة المؤلف بتهمة الهرطقة. تُعد محاكمات الهرطقة التي جرت في أثينا في نهاية القرن الخامس فريدة من نوعها في التاريخ اليوناني، وكان سقراط أشهر ضحاياها، لكن بلوتارخ يخبرنا أن 1500 مواطن آخر قد أُعدموا.

106 نقلاً عن هوفمان، المرجع السابق، ص 53

107 فريك وغاندي (1998)، 26. كان دياغوراس معجباً مع صديقه بالعديد من النصب التذكارية النذرية الباهظة الثمن للآلهة المحيطة بمعبد في سَمَدْرَك. شرح له صديقه أن هذه النصب قد أقيمت امتناناً من قبل أولئك الذين، أثناء تعرضهم للخطر في البحر، وعدوا بتكريم الآلهة إذا أنقذهم التدخل الإلهي من الموت غرقاً. وبالتالي، كانت هذه الآثار دليلاً على فعالية الصلاة وقوة الآلهة. أجاب دياغوراس بسخرية: "تخيل كم كان سيبلغ عدد الضحايا لو تمكن جميع الذين غرقوا من إقامة واحدة أيضاً".

108 ورد ذلك في كتاب ديوجانس لايرتيوس "حياة الفلاسفة المشهورين"، كما ورد في ماك، ب. ل. (1993)، 116

109 ورد في فريك وغاندي (1998)، 27

110 لوسيان، برلمان الآلهة، 9-11، نقلاً عن جودوين، ج. (1981) , 6

111 نقلاً عن هوفمان، المرجع السابق، ص 71

112 المرجع نفسه، 103

113 المرجع نفسه، 56

114 كليمنت الإسكندري، ستروماتا، 31

115 شيشرون، الجمهورية، 6.17، نقلاً عن أنجوس، س. (1925)، 108

116 يوحنا 10: 31-6 117 دوران/ر. (1995) /78

118 نقلاً عن المرجع نفسه، ص 75. انظر الحوار مع ترايفو، 58-61

119 يعتبر الإسلام المسيحية ديانة تعددية الآلهة تعبد ثلاثة آلهة. انظر إلى القرآن الكريم، سورة النساء، الآية 171، التي تنصح بما يلي: "آمنوا بالله ... ولكن لا تدعوه "ثالوثاً"". وعلى عكس النظرة المسيحية ليسوع، يحرص المسلمون على توضيح أن محمداً ليس إلهاً، قائلين: "لا إله إلا الله، ومحمد رسول الله".

120 لين-فوكس، ر. (1986)، 191. تقتبس عظة مسيحية نجت من منتصف القرن الخامس بعنوان "عن الثالوث" بكثرة من كلمات الآلهة الوثنية. ربما تستمد عقيدة الثالوث من الهندسة المقدسة: فالعدد المتعالي باي مخفي داخل الدائرة، وهو رمز للكل وبالتالي لله.

121 ورد في بوركيرت، دبليو. (1972)، 265

122 ورد في كتاب واليس بادج، إي. أ.، الدين المصري (1899)، ص 24

123 ورد في موراي، م. أ. (1949)، 46

124 يوحنا 1: 1-5

125 كان، سي. إتش. (1979)، 250. من تعليق كان: "تبدأ الحكمة بمعرفة الذات، ذهب هِرَقْليطُس باحثاً عن نفسه، لكن ما وجده داخل نفسه كان منطقاً عميقاً بما يكفي ليكون متطابقاً مع الكون."

126 هِرَقْليطُس، مقتطف. 36، نقلاً عن المرجع نفسه، 45

127 إبيكتيتوس، تعاليم أبكتاتوس، 134، الفصل 9.2

128 فيتروفيوس، في العمارة، من مقدمة طبعة لوبيديشن

129 كليمنت الإسكندري، كليمنت الإسكندري، 167. يصف كليمنت أورفيوس بأنه "مفسر للأسرار".

130 موراي، م. أ. (1949)، 46. في نصوص أهرامات سقارة، يتم الخلق من خلال الكلمات. بحلول الأسرة الثامنة عشرة (حوالي 1550 قبل الميلاد) كانت نظرية كلمة الله باعتبارها القوة الخلاقة قد تطورت بشكل جيد، وكذلك مفهوم الفرعون باعتباره كلمة الله المتجسدة.

131 فيدلر، د. (1993) 38

132 ميد، جي. آر. إس. (1906)، 388. بحسب هيسيخيوس، فإن اللوغوس هو "سبب الفعل". إنه ما يحفز الإبداع. يمكن أيضًا عرض اللوغوس على شكل كلمة "سبب". يمكن تفسير هذا بشكل مبرر بعدة طرق: على أنه "سبب الأشياء" و"مبدأ الترتيب" وأيضًا على أنه "الملكة التي يفهم بها العقل". يمكن ترجمة إنجيل القديس يوحنا إلى: "في البدء كان السبب". يكتب القديس يوحنا أن اللوغوس "كان الحياة والحياة كانت نور الناس"، ويذكر سيكستوس الفيثاغوري كذلك، "إن العقل الذي فيكم هو نور حياتكم"، انظر غوثري، ك.

S. (1987)، 268، القول رقم 31.

133 الهرمسية، الكتاب 1.5. انظر فريك وغاندي (1997)، 38: "كلمة التهدئة هي ابن الله".

134 كوبنهافر، ب. ب. (1992)، 1، الكتاب 1.6: "الكلمة التي تعطي النور والتي تأتي من العقل هي ابن الله".

135 ورد في غوثري، دبليو. كيه. سي. (1952)، 227. يقول هيبوليتوس: "الجميع يعلم أنه قال إن الأب والابن هما واحد".

136 ورد في هاريسون، ج. (1922)، 480

137 كلمة اللوغوس تعني أيضاً "النسبة" أو "العلاقة". يمكن أيضًا ترجمة إنجيل القديس يوحنا على أنه بداية: "في البدء كانت العلاقة". ما هي هذه العلاقة؟ إنها العلاقة البدائية بين الأب والابن، والعقل والفكر، والوعي وما يدركه، والخالق والمخلوق، ووحدة الأشياء وكثرتها. هذه العلاقة هي علاقة ترابط، لأن الاثنين واحد. لذلك، وكما يعلمنا يسوع، فهي في جوهرها علاقة حب. يمكن إرجاع هذه العقيدة إلى التقاليد اليونانية. كان إيروس إلهاً مفضلاً لدى سقراط وأفلاطون والفيثاغوريين والأورفيين. وفقًا لأسطورة الخلق الأورفية، وضعت الليل بيضة فضية في الظلام فقس منها الإله "المولود الأول" إيروس، انظر جريفز، ر. (1955)، 30. تقول الأسطورة أن الوحدة الأصلية انقسمت إلى نصفين أصبحا نمطًا لجميع الثنائيات، السماء والأرض، الروح والمادة، الذكر والأنثى. كان الدافع المباشر الذي انبثق من ذلك هو الرغبة في إعادة توحيد ما تم تقسيمه، ونتيجة لذلك وُلد الحب. يُطلق على إيروس أحيانًا اسم فانيس، أو النور، ولكن مع تطور الأسطورة الأورفية، أصبح الفلاسفة يجسدونه في صورة اللوغوس.

138 ورد في إنجي، دبليو آر. (1899)، 87. ويشرح إنجيل غنوصي مسيحي بالمثل: "عندما أراد الآب، الذي ليس حتى الواحد، والذي يتجاوز كل إمكانية للفكر والوجود، والذي ليس ذكراً ولا أنثى، أن يصبح عدم قدرته على التعبير موجوداً، وأن يتخذ عدم رؤيته شكلاً، فتح فمه ونطق بكلمة، مثله؛ الذي ظهر أمامه، أصبح وسيلة لرؤيته لما كان عليه - أي نفسه تظهر في صورة عدم رؤيته"، ميد، جي. آر. إس. (1906)، 363. في كتيب مسيحي غنوصي، يشرح يسوع بالمثل قائلاً: "أنا ابن الآب الذي هو فوق كل وجود ... بينما أنا، ابنه، موجود / ميد، 381".

139 ورد في فيدلر، د. (1993)، 48. اللوغوس هو ما يربط كل الأشياء ببعضها، وهو ما يجعلها كياناً واحداً متكاملاً. إنها صورة إله متعالٍ بطريقة أخرى، المبدأ الوسيط الذي من خلاله يستطيع المتصوف أن يختبر الوحدة المتعالية. ولهذا السبب يعلم كليمنت: "الإنسان الذي يسكن معه اللوغوس مخلوق على صورة الله وهو جميل". يصبح ذلك الإنسان إلهاً / بالنسبة لكليمنت، قد يكون للمرء العديد من المعلمين في الحياة، لكن المعلم الروحي النهائي هو اللوغوس نفسه، "المعلم الذي تأتي منه كل التعليمات".

140 بلوتارخ، إيزيس وأوزيريس، 372هـ-3ب، نقلاً عن دي فوغل، سي. جيه. (1966)،

211. كما اعترف آباء الكنيسة الأوائل، كان اليونانيون يطلقون على هرمس اسم "اللوغوس". يردد نص من نصوص المسيحيين الغنوصيين كلمات القديس يوحنا عن المسيح: "هرمس هو الكلمة الذي عبر وصاغ الأشياء التي كانت والتي هي والتي ستكون" / انظر فيدلر

د. (1993)، 46، نقلاً عن الغنوصيين النَحَشية الذين هاجمهم هيبوليتوس.

141 أوريجانوس، التولد الأبدي للابن، نقلاً عن ستيفنسون، ج. (1957) , 204

142 القديس أوغسطين، الاعترافات، الكتاب 7، الآية 14

143 ورد في كينغزلاند، دبليو. (1937)، 135

144 يشير إنجي، دبليو. آر. (1899)، ص 349، إلى أن العديد من المصطلحات المسيحية في اليونانية الأصلية تكشف عن تأثرها بمصطلحات الأسرار الوثنية. المعمودية بالماء: mystikon loutron؛ المعمودية بشكل عام: myesis، والتي كانت تعني في الأسرار أيضًا "التأهيل"؛ الشخص المعمد: memyemenos أو mystes أو summystes، الشخص غير المعمد: amyetos؛ مسحة المرضى: crisma mystikon؛ مُحتفل القداس: mystrios lanthanontos mystagogos، الأسرار المقدسة: mysteria، وأيضًا telete أو tele أو teleiosis أو teleionsthai أو teleiopoios، وكلها يمكن ترجمتها على أنها تشير إلى التأهيل.

145 أنجوس، إس. (1925)؛ بارنستون، دبليو (1984): "يمكن أن تشير اللغة بنفس القدر إلى عضو في كنيسة أو

طائفة سرية." 146 1 كورنثوس 14: 2 147 بوركيرت، دبليو. (1992) ,3

148 دالفيلا، ج. (1981)، 108

149 ورد في بوركيرت، المرجع السابق؛ 134، الحاشية 11

150 ورد في كامبل، ج. (1955)، 367. قدمت المسيحية المبكرة نفسها على أنها لغز غامض، "ألغاز تجعل الرجال يتجمدون من الرهبة". عبارة "هذا معروف للمطلعين" هي عبارة تتكرر في جميع الخطب اليونانية. كتب القديس ديونيسيوس الأريوباغي: "احرصوا على ألا تكشفوا قدس الأقداس، واحفظوا أسرار الله الخفي حتى لا يطلع عليها المدنسون، وفي إشراقاتكم المقدسة تحدثوا عن المقدس فقط للقديسين".

151 دالفيلا، جي. (1981)، 111. يمتنع سوزومينوس عن ذكر رمز نيقية في تاريخ الكنيسة الخاص به "لأن الكتاب قد يقع في أيدي غير المتأهلين". في كنائس الشرق، كان الشماس يطرد غير المتأهلين من الكنيسة لحظة القداس بنفس الصيغة تقريبًا التي كانت تُستخدم لفتح الأسرار المقدسة.

152 كليمنت الإسكندري، كليمنت الإسكندري، 257

153 المرجع نفسه، ص 256

154 إيسلر، ر. (1920)، 69. استُخدمت كلمة "إكليسيا" اليونانية التي تعني "التجمع" في العصر الهلنستي للإشارة إلى التسلسلات الهرمية المعقدة لجمعيات الأسرار. وقد استعارت الكنيسة لاحقًا كلاً من الهيكل والاسم من هذه الجمعيات.

155 أنجوس، س. (1925)، 276

الفصل الخامس: الغنوصيون

1 من مقدمة كتاب "غنوص النور" (مخطوطة بروس المكتشفة عام 1769)، الترجمة الأولى للقس لامبلو، كما ورد في كينغزلاند، دبليو. (1937)، 100

2 تم اكتشاف مخطوطة بروس في عام 1769، وتم جلب مخطوطة أسكيو، التي تحتوي على كتاب بيستيس صوفيا، إلى لندن في عام 1785. لم يُنشر أيٌّ من هذين العملين باللغة الإنجليزية حتى القرن التاسع عشر. لم يتم اكتشاف مخطوطة أخميم حتى عام 1896. في عام 1851 تم العثور على كتابين مفقودين لهيبوليتوس في جبل آثوس في اليونان يحتويان على معلومات قيمة عن الغنوصيين، بما في ذلك اقتباسات مباشرة من النصوص الغنوصية. يبدو أن علماء الهرطقة اللاحقين، الذين اعتمدوا بشكل أساسي على عمل هيبوليتوس، قد حذفوا هذه الكتب في وقت مبكر ولم يتم نقلها بحكمة من قبل خلفائه، انظر كروس، ف. ل. (1958)، 641. في عام 1945، شهدت دراسة الغنوصية ثورة عندما تم اكتشاف 52 نصًا غنوصيًا في نجع حمادي بصعيد مصر. لأول مرة

على مدى 1600 عام، تمكن العلماء من السيطرة على الجدالات العدائية للمصادر الآبائية نقطة بنقطة.

3 إنجي، دبليو آر (1899)، 86: "الإيمان هو معرفة موجزة للحقائق العاجلة، وهو مناسب للأشخاص الذين هم في عجلة من أمرهم، لكن الغنوص هو إيمان علمي."

4 فريك وغاندي (1997)، 101

5 من المهم الإشارة إلى أن المدرسة التعليمية المسيحية كانت موجودة قبل أن تصبح مسيحية تحت سلطة كليمنت. رونيا، د. ت. (1993)،

133، يشكك في رواية يوسابيوس لتاريخ المدرسة: كلمات "يوسابيوس" تشير بالتأكيد إلى أن المدرسة كانت موجودة قبل أن يتولى بانتاينوس المسؤولية. فلماذا يذكر ذلك هنا لأول مرة؟ هل السبب هو افتقاره للمعلومات، أم أنه - من وجهة نظره الاعتذارية نيابة عن التقاليد الأرثوذكسية - منخرط في عملية تستر؟ يقترح رونيا ما يلي: "تولى بانتاينوس إدارة المدرسة من الأعضاء السابقين الذين كان لديهم توجه غنوصي أكثر". عندها سيكون لدى يوسابيوس سبب لإنكار الاستمرارية الحقيقية. يذكر مارلو، ج. (1971)، 251، أن معلم بانتاينوس كان فيثاغورسيًا. سيؤدي جمع كل هذه المعلومات معًا إلى السيناريو التالي. نشأت مدرسة الغنوصية اليهودية في الإسكندرية من جماعات يهودية/فيثاغورية مثل جماعة ثيرابيوتا، واعتمدت في ذلك على أعمال فيلو. خلال القرن الأول، انتشرت تعاليمها على نطاق واسع في مصر وفلسطين وسوريا. يعتبر روبرتس (1979) أنه من المحتمل أن: "إذا كان فالنتينوس وبازيليد قد قاما بالتدريس في الإسكندرية، فإن المكان الواضح لتدريسهما كان سيكون هذه المدرسة". انظر أيضًا رونيا ، 133، ملاحظة 4. بعد تدمير المجتمع اليهودي في الإسكندرية في الربع الأول من القرن الثاني، حلت فترة من الفوضى. ومن هذا انبثقت المدرسة التي أدارها بانتاينوس، وأخيراً المدرسة الغنوصية المسيحية لكليمنت.

6 كليمنت، ستروماتا، 7.1: "الغنوصي وحده هو التقي حقًا ... المسيحي الحقيقي هو الغنوصي" انظر ستيفنسون، ج. (1957)، 184 وما بعدها.

7 إيرينيئوس، ضد الهرطقات، 2.14.1-6، نقلاً عن بيركنز، ب. (1993)، 81-179

8 المرجع نفسه، 1.23.2-4، نقلاً عن بارنستون، دبليو. (1984)، 607

9 باجلز، إي. (1975)، 158. انظر أيضًا دالفيلا، جي. (1981), 105

10 ورد في بارنستون، دبليو. (1984)، 656

11 إيرينيئوس، ضد الهرطقات، 1.24.6-7، نقلاً عن المرجع نفسه، 649

12 باجلز، إي. (1979)، 67

13 ورد في ماكمولين، ر. (1966)، 208

14 عُقد المؤتمر الأول الذي جمع بين "المتخصصين في البياتونية من جهة، والمتخصصين في "العالم السفلي المتوحش" للغنوصيين من جهة أخرى" في عام 1992 في نيويورك. في مساهمته في النقاش، وصف جون كيني أحد نصوص نجع حمادي بأنه أشبه بـ "شغب في كهف أفلاطون"، انظر واليس، ر.ت. (1992)، 204. يصف أ. د. نوك الغنوصية بأنها "البياتونية الجامحة"، انظر واليس، ر. ت. (1992)، 187. انظر أيضًا دالفيلا، جي . (1981)، 103، حيث يصف دالفيلا الغنوصيين بأنهم "نصف وثنيين"، و122، حيث يشير ووبرمين إلى الغنوصية على أنها "الأورفية المسيحية".

15 لين-فوكس، ر. (1986)، 308. في عام 180 ميلادي، نسمع عن مسيحيين من آسيا الصغرى يعيشون في روما. لقد درسوا إقليدس وأرسطو و"كادوا يعبدون جالينوس". ومن المفارقات أن جالينوس سخر من اعتماد المسيحيين على الإيمان الأعمى، لكن يبدو أن هؤلاء المسيحيين كانوا يردون على انتقاداته بشكل مباشر. وفي الوقت المناسب، تم حرمانهم من الكنيسة من قبل أسقف روما. انظر يوسابيوس (1965)، 177، حيث يعبر يوسابيوس عن وجهة النظر الأرثوذكسية لهؤلاء الهراطقة الذين "يفسدون بفسادهم الإلحادي الإيمان البسيط للكلمة المقدسة".

16 روبنسون، ج. م. (1978)، 18. تحتوي مخطوطة نجع حمادي على رمز عنخ، وهو الهيروغليفية المصرية التي تعني الحياة، محفور على الغلاف. وُجدت بين النصوص الغنوصية أعمال وثنية لسيكستوس الفيثاغوري، وأجزاء

من جمهورية أفلاطون التي تتناول مصير "الإنسان الصالح"، ومقتطفات من كتاب هرمسية.

17 لين-فوكس، ر. (1986)، 307. يذكر كليمنت أكثر من 300 مؤلف وثني، لا نعرف عنهم شيئاً الآن. انظر كليمنت الإسكندري، كليمنت الإسكندري، 13. يعتبر محرر لوب أن كليمنت كان على دراية جيدة بالأسرار لدرجة أنه ربما كان من المتأهلين. انظر غريغوري، ج. (1987), 25-^6.

18 كليمنت الإسكندري، ستروماتا 6.26. انظر أيضًا 7.55 و 6.109

19 لين-فوكس، ر. (1986)، 520-1. يتذكر أحد تلاميذ أوريجانوس كيف قام أوريجانوس، باستخدام أسلوب الكلام "التحفيزي" لأساتذة الوثنية، بتعليمه كيفية التحكم في النفس بشكل إلهي على الجسد بهدف وثني قديم هو "معرفة الذات".

20 ورد في باجلز، إي. (1988)، 85

21 تم تدريس أوريجانوس وأفلوطين على يد أمونيوس.

22 بورفيري، حياة أفلوطين، 20. انظر دورن، ر. (1995)، 32-3

23 ورد في واليس، ر. ت. (1992)، 112

24 ورد في روبنسون، ج. م. (1978)، 9. انظر أيضًا واليس ، المرجع السابق، الذي يشير إلى أن أفلوطين لا يذكر خصومه بالاسم، أو يشير إليهم على أنهم غنوصيون، ولكن هويتهم على أنهم "مسيحيون وطوائف أخرى" يؤكدها فَرفوريوس. يتهم أفلوطين خصومه بـ "التخلي عن الفلسفة القديمة" لصالح اكتشافات زوستريانوس وألوجينيس وغيرهم. (تم العثور الآن على أعمال منسوبة إلى هؤلاء المؤلفين في نجع حمادي.) وهو يعتبرهم أصدقاءً تلوثوا بشدة بالتعاليم الجديدة لدرجة أنهم لم يتمكنوا من التغلب عليها، حتى بعد أن علمهم العقيدة الصحيحة. كتب أفلوطين ضدهم من أجل تنوير زملائه التلاميذ بأن أ) كل ما هو جدير بالثناء في تعاليم المرتدين قد تم أخذه من أفلاطون، و ب) ما أضيف إليه بعيد كل البعد عن الحقيقة. وقد تولى تلميذه فَرفوريوس عمله ووسعه إلى 15 مجلداً بعنوان "ضد المسيحيين". لم يبقَ منها سوى القليل من الشظايا، أما الباقي فقد أُلقي في النيران في القرن الرابع.

25 روبنسون،}. م. (1978)، 171. يُعد كتاب "أصل العالم" مثالاً جيداً على التوفيق الغنوصي بين الأساطير والفلسفة اليونانية والأفكار المسيحية. يذكر نص غنوصي يُسمى كتاب الكلمة العظمى أن يسوع أمر تلاميذه بالذهاب إلى الجليل والعثور على رجل أو امرأة مات فيهما معظم الشر، وأخذ جرتين من الخمر منهما إلى ذلك المكان.

حيث هو، وكذلك فرعان من الكرمة. وبعد أن فعلوا ذلك، هيأ يسوع مكاناً للقربان، فوضع جرة نبيذ واحدة على اليمين وأخرى على اليسار، ونثر بعض التوت والتوابل حول الجرتين. ثم أمر التلاميذ بارتداء أثواب من الكتان الأبيض. هذه الصورة مطابقة تقريبًا لتمثيلات أسرار ديونيسوس اليونانية الموجودة على المزهريات القديمة (انظر اللوحة 5).

26 ميد، جي. آر. إس. (1906)، 510-11

27 بارنستون، دبليو. (1984)، 639

28 المرجع نفسه، ص 640. كما هو الحال في الأساطير الوثنية، فإن تجارب هيراكليس الاثنتي عشرة تُعادل علامات الأبراج الفلكية. في هذا النص الغنوصي، يُحاكم هيراكليس على يد إلوهيم، مما يجعل زيوس مساوياً للإله اليهودي.

29 المرجع نفسه، 640-1

30 ميد، المرجع السابق، 199-200. إن جدل هيبوليتوس ضد الغنوصيين النَحَشية لا يقدر بثمن لأنه يشير إلى أن تعاليم المسيحية الغنوصية ومذاهب الأسرار متطابقة. انظر بارنستون، دبليو. (1984), 635، لمزمور النَحَشية، وهو أحد أجمل النصوص الغنوصية على الإطلاق.

31 هيبوليتوس، إلينخوس، 5. 9.5، كما ورد في سيغال، ر. أ. (1992)، 70

32 يونغ، ك. (1959)، 199. في كتاب "إلينخوس"، يقتبس هيبوليتوس ترنيمة من ترانيم النَحَشية التي تعطي العديد من ألقاب الرجل الإلهي: أدونيس، أوزيريس، آدم، كورياس، بان وباكوس. أوزوريس هو الراعي الذي يرشد النفوس (كل نفس هي نجم في الأساطير المصرية) إلى حقول الصالحين (حقول النجوم في سماء الليل، أو الجنة) بعد الموت.

33 ميد، المرجع السابق، 203

34 روبنسون، ج. م. (1978)، 455. يُشاد بالأم والأب والابن باعتبارهم الثالوث البدائي في الغنوصية السيثية. من المحتمل أن يكون الثالوث المصري المكون من أوزوريس وإيزيس وحورس هو الأصل النهائي لكل من المفاهيم الغنوصية والمسيحية للثالوث الإلهي. تجسد الأسطورة الغنوصية سقوط صوفيا من السماء وتجوالها الضائع في العالم، حيث يتم تجاهلها أو إساءة معاملتها من قبل الرجال، انظر ميد، جي آر إس (1906)، 333. هذه هي نفس العقيدة الموجودة في الوثنية. إن بلوغ الحكمة وحده هو ما يمكن أن يعيد النفس الساقطة إلى أصلها السماوي. على سبيل المثال، كان فيثاغورس أول رجل يطلق على نفسه لقب فيلسوف ـ حرفيًا "محب صوفيا".

35 روبنسون، ج. م. (1978)، 143. ويشير إنجيل فيلبس، 25، بسخرية إلى أن "بعضهم قال: مريم حُبلت من الروح القدس". إنهم مخطئون. إنهم لا يعرفون ما يقولون. متى حملت امرأة من امرأة؟

36 ميد، المرجع السابق، ص 334. تكشف العديد من هذه الأسماء عن اشتقاقها من طائفة إيزيس.

37 يشير كينغسلي، ب. (1995)، 355، إلى "أوجه التشابه الواسعة" بين مذاهب أمبادوقليس والغنوصيين.

38 باجلز، إي. (1975)، 23

39 أفلاطون، تيمايوس، 3.28: "إن اكتشاف خالق هذا الكون وأبوه مهمة صعبة بالفعل، وإذا تم العثور عليه

فسيكون من المستحيل إخبار الجميع عنه".

40 شبه أناكسغوراس الله بعقل كوني: "كل الأشياء تحتوي على جزء من كل شيء، لكن العقل لا نهائي ويحكم نفسه بنفسه، فهو لا يختلط بشيء ولكنه وحيد تمامًا في ذاته". وكل الأشياء التي كانت ستكون، وكل الأشياء التي كانت ولكنها ليست الآن، وكل الأشياء التي هي الآن أو التي ستكون، رتبها العقل كلها، بما في ذلك هذا الدوران الذي تدور فيه الآن النجوم والشمس والقمر والهواء والأثير. كيرك ورافين، (1957)، 372. وقد ردد هذا الكلام أمبادوقليس: "إنه عقل مقدس لا يوصف، يندفع بأفكار سريعة عبر العالم كله"، كما ورد في المرجع نفسه، 350، وزينوفانيس: "إله واحد، أعظم بين الآلهة والبشر، لا يشبه البشر بأي حال من الأحوال لا في الجسد ولا في الفكر". يبقى دائماً في نفس المكان، لا يتحرك على الإطلاق. "بدون عناء يهز كل شيء بفكرة عقله"، المرجع نفسه، 169.

41 فيدلر، د. (1993) , 18

42 أفلاطون، تيمايوس، 41. الديميورج (الصانع) هو إله ثانوي يخدم القوى العليا.

43 باجلز، إي. (1979)، 62

44 الخروج 20:5

45 الكتاب السري ليوحنا، كما ورد في باجلز، المرجع السابق، ص 56

46 ماك إيفيدي , سي. (1967), 162. في كتاب "ايقونيات الأركونات "، توبخ صوفيا الخالق الزائف، وتسميه سمائل، إله العميان. يشير إيرينيئوس إلى نظام غنوصي حيث عندما ادعى يهوه، "أنا الآب والإله، وليس فوقي أحد"، صرخت أمه الإلهة صوفيا ضده قائلة: "لا تكذب، ففوقك أبو الكل، الإنسان الأول، والإنسان ابن الإنسان". 'نقلاً عن ميد، جي. آر. إس. (1906)، 189.

47 إيرينيئوس، ضد الهرطقات، 1.27.1، نقلاً عن بارنستون، دبليو. (1984)، 644

48 ورد في إنجي، دبليو آر. (1899)، 110. يكرر القديس أوغسطين هذا حرفياً، ليس باعتباره أفلاطونية بل باعتباره عقيدة مسيحية أرثوذكسية.

49 باجلز، إي. (1979) , 46

50 ورد في ميد، جي. آر. إس. (1906)، 489

Ibid., 506 51

52 بوركيرت، دبليو. (1985)، 102

53 هاريسون، ج. (1922)، 514. يخبرنا ديون كريسوستوم المسيحي أنه في الأسرار يجلس المتأهل كما لو كان متوجًا على عرش بينما يرقص معلموه من حوله. يقوم أرِسْطُفان بمحاكاة نفس الطقوس في مسرحية السحب، ويشير إليها أفلاطون في مسرحية يوثيديموس، 277د. يناقش كيريني، سي. (1967)، 9، المصابيح التي تم اكتشافها في إليوسيس. كان يرتدي هذه الملابس الراقصون بقيادة ديونيسوس، وكانت تحاكي رقصة "الأثير النجمي". جسدت الأسرار هبوط النفس وصعودها أثناء التجسد، حيث ترمز الأضواء إلى الكواكب والنجوم، والتي تم تخيلها على أنها سلم سماوي يربط الأرض بالسماء. يقدم لنا ديو البروسي أوضح شرح لهذه الطقوس وأهميتها: "إذا أحضر المرء رجلاً، يونانياً كان أم بربرياً، للتأهيل في خلوة صوفية، تغمره بجمالها واتساعها، بحيث يرى العديد من المناظر الصوفية ويسمع العديد من الأصوات من هذا القبيل، مع ظهور الظلام والنور في تغيرات مفاجئة وأمور أخرى لا حصر لها تحدث، وحتى كما

يفعلون في ما يسمى بحفل التتويج - يجلسون المتأهلون ويرقصون حولهم - إذا كان كل هذا يحدث، فهل من الممكن ألا يشعر مثل هذا الرجل بأي شيء في نفسه، وألا يستنتج أن هناك بصيرة وخطة أكثر حكمة في كل ما يجري، حتى لو كان قد أتى من أقصى درجات البربرية؟" يعلق كيريني قائلاً: "إن الإشارة المقصودة هي إلى الكون، رقصة النجوم والشمس حول الأرض وغيرها من عجائب الطبيعة التي تتجاوز الحيل الفنية للطقوس الغامضة؛ إن تشبيه الكون بقاعة غامضة ضخمة يعود إلى الفيلسوف الرواقي كليانثيس، الذي عاش في أثينا، وعلى الأرجح كان يفكر في إليوسيس." انظر بوركيرت، دبليو. (1992)،

90

54 كومون، ف. (1903)، 153. كانت أقنعة الحيوانات المقدسة التي يرتديها المتأهلون في ميثراس ترمز إلى علامات الأبراج، وكان القتل التمثيلي للمتأهل يرمز إلى موت النفس وهبوطها إلى سجن الجسد.

55 أعمال يوحنا، 97-102. يحتوي كتاب ياهو الغنوصي أيضًا على إشارة إلى الرقصة الدائرية، انظر كامبل. (1955), 171.

56 ميد، جي. آر. إس. (1906)، 431. انظر أيضًا كامبل، ج. (1955)، 173، الذي يشير إلى أنه في القرن الرابع كان من المعروف على نطاق واسع أن أعمال يوحنا كانت طقسًا للتأهيل. المسيح هو معلم الأسرار، وتلاميذه هم ميستاي سيصبحون مُعلِّمين مُخلصين للمسيح. وهذا يفسر التنديد العنيف به في مجمع نيقية الثاني.

57 لم يتم تخصيص الأصوات في النسخة الأصلية. وقد قام ميد بذلك.

58 ميد، جي. آر. إس. (1906)، 431 وما بعدها

59 ورد في إنجي، دبليو آر (1899)، 88

60 كليمنت، ستيوماتا، 1.12 و7.61

61 أوريجانوس، ضد سيلسوس، 1.7، نقلاً عن فيدلر، د. (1993)، 33. انظر أيضًا واليس، ر.ت. (1992) , 14

62 ورد في بارنستون، دبليو. (1984)، 628

63 ميد، جي. آر. إس. (1906)، 278. فرض الفيثاغوريون صمتًا لمدة خمس سنوات على المبتدئين، وهو ما يخبرنا يوسابيوس أنه كان يمارسه أيضًا أتباع بازيليد.

64 ورد في ميد، المرجع السابق، ص 521

65 كليمنت، ستيوماتا، 5.9. انظر إنجي، دبليو آر. (1899)، 88، حيث يؤكد العميد إنجي أن كليمنت قد اقتبس هنا "حرفيًا من وثيقة فيثاغورية حديثة".

66 ورد في بارنستون، دبليو. (1984)، 638

67 في عام 1973، نشر مورتون سميث رسالة غير معروفة سابقًا لكليمنت تشير إلى إنجيل مرقس السري. يحيط بالوثيقة جدل واسع، حيث يرفضها البعض باعتبارها مزورة، بينما يقبلها آخرون على أنها أصلية. يقدم ستانتون، جي. (1995)، 93، الوضع الحالي للنقاش. يمكن العثور على الوثيقة نفسها في بارنستون، دبليو، المرجع السابق، 339.

68 بارنستون، المرجع السابق، 341

69 ستانتون، ج. (1995)، 95

70 بارنستون، المرجع السابق، 340

71 يوحنا 11:16

72 مرقس 14: 51

73 ورد في خان، سي. إتش. (1979)، 55. انظر أيضًا 109، حيث يشير كان إلى استخدام هِرَقْليطُس المفضل لكلمة ginoskein للمعرفة التي تتجاوز الرأي.

74 أفلاطون، فيدروس والرسائل 7 و 8، 53. ويشير محرر هذه النسخة من كتاب فيدروس إلى أن أفلاطون يقارن مرارًا وتكرارًا بين كلمة "إبيستيمي" (المعرفة) وكلمة "دوكسا" (الآراء). لا يمكن الحصول على المعرفة الحقيقية إلا من خلال السعي وراء الفلسفة الخالصة. لا يمكن أن يكون العالم العقلاني إلا مصدراً للرأي السائد.

75 فيدلر، د. (1993)، 9

76 باجلز، إي. (1979)، 48

77 كليمنت، ستروماتا، 6.26

78 المرجع نفسه، 7.55

79 المرجع نفسه، 6.109

80 المرجع نفسه، 7.57

81 باجلز، المرجع السابق، 125

82 ورد في روبنسون، ج. م. (1978)، 142؛ انظر أيضًا باجلز، المرجع السابق، 59

83 كان هذا الأمر هو الذي دفع سقراط إلى البحث عن المعرفة الحقيقية. انظر أفلاطون، الاعتذار، 22هـ-3ج.

84 ورد في باجلز، المرجع السابق، ص 141

85 ورد في روبنسون، ج. م. (1978)، 448

86 نقلاً عن باجلز، المرجع السابق، 136، 141

87 يُعد سقراط أشهر من شرح عقيدة الديمون. انظر الاعتذار 3Id، فيدروس 242، و الجمهورية 496c. يصف شيطانه بأنه صوت داخلي كان يأتيه بالنصائح طوال حياته، انظر أفلاطون، فيدروس والرسائل 7 و8، 43، ملاحظة

3. إن كون هذا المذهب يسبق سقراط يتضح من خلال أمبادوقليس، الفصل. 132. كان أمبادوقليس يؤمن بوجود ذات إلهية غريبة عن الجسد - والتي لا يسميها النفس بل الديمون، وهو منفي من الآلهة التي يتوق للعودة إليها. انظر غوثري، دبليو. كيه. سي. (1962)، 318.

88 كانت العلاقة بين الديمون والإيدولون - بين الذات العليا والذات الدنيا - تُتصور أحيانًا على أنها مثل العلاقة بين الجسد وظله. هذه العقيدة هي أساس أسطورة كهف أفلاطون، حيث يشاهد الرجال المقيدون ظلالهم المتلألئة وهي تُلقى على الحائط ويظنونها حياة حقيقية.

89 يشير بوركيرت، دبليو (1985)، 202، إلى أن الإله في الأساطير اليونانية غالباً ما يكون له شبيه بشري. أصبح التوأمان كاستور وبولوكس جزءًا من أيقونات الميثرائية لهذا السبب: في أيام متناوبة يكون أحدهما على قيد الحياة والآخر ميتًا، وهو رمز للعلاقة بين الديمون (التوأم السماوي أو الذات العليا) والإيدولون (الذات الدنيا). يسجل إنجيل توما الغنوصي قول يسوع الغامض: "اثنان سيرقدان على سرير واحد، أحدهما سيموت والآخر سيعيش".

90 انظر إلى كتاب أبكتاتوس، تعاليم أبكتاتوس، 145، وكتاب العناية الإلهية.

4. يشرح أبكتاتوس: "لقد وضع الله بجانب كل إنسان حارسًا، وهو الديمون (التوأم السماوي أو الذات العليا) لكل إنسان، المكلف بمراقبته؛ الديمون لا يستطيع النوم، ولا يمكن خداعه". إلى أي حارس أعظم وأكثر حرصاً كان بإمكانه أن يعهد بنا؟ لذلك، عندما تغلقون الأبواب، وتظلمون البيت، تذكروا ألا تقولوا أبداً إنكم وحدكم؛ لأنكم لستم وحدكم، بل الله معكم، والديمون (التوأم السماوي أو الذات العليا) معكم.

91 ورد في فريك وغاندي (1998)، 40

92 ميد، جي. آر. إس. (1906)، 599. يروي أحد الغنوصيين المجهولين رؤيته للديمون (التوأم السماوي أو الذات العليا) والإيدولون (الذات الدنيا)، الذي ظهر له على هيئة عملاق وقزم: "وقفت على جبل شاهق، ورأيت رجلاً عملاقاً وآخر قزماً؛ وسمعت صوتاً يشبه صوت الرعد، وكان قريباً جداً من أن أسمعه؛ وتحدث إليّ قائلاً: أنا أنت وأنت أنا، وأينما كنت فأنا هناك". أنا متشتت في كل مكان، ومن أي مكان تريد أن تجمعني، وبجمعك لي تجمع نفسك.

93 يصف فالنتينوس، في سيغال، ر. أ. (1992)، 237، كيف أن الملاك الحارس، وهو الذات، يمنح الشخص الغنوص. فقط عندما يصبح الإيدولون (الذات الدنيا) والديمون (التوأم السماوي أو الذات العليا) واحدًا يمكن للفرد أن يحقق الكمال والخلود. يكتب سيغال: "يتضح أكثر فأكثر أن هذا هو الافتراض المميز والأساسي للغنوص".

94 يؤكد النص الهرمي رقم 215 للمتوفى: "لن تهلك ولن يهلك شبيهك". لأنك شبيهك.

95 ورد في لين-فوكس، ر. (1986)، 565. بدأ ماني بالتبشير بدينه الغنوصي العالمي في عام 242 ميلادي في بابل. انتشرت بسرعة في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية. كان القديس أوغسطين "مستمعاً" مانوياً لمدة ثماني سنوات. في عام 304، تم اعتبار المانوية جريمة يعاقب عليها بالإعدام في الغرب، لأن خلفيتها الفارسية جعلتها موضع شك كبير. وفي الشرق الأكثر تسامحاً، انتشر في نهاية المطاف حتى وصلت إلى الصين. وقد عادت للظهور في الغرب في العصور الوسطى وتعرضت للاضطهاد الشديد.

96 ورد في هولرويد، س. (1994)، 69

97 ورد في ميد، جي. آر. إس. (1906)، 475 وما بعدها

98 المرجع نفسه.

99 انظر سيغال، ر. أ. (1992)، 51. يشير مصطلح Quispel إلى الاقتران الغامض بين الملاك والإنسان. استخدم كارل يونغ هذا كعنوان لأحد أعماله العديدة التي استلهمها من الغنوصية.

100 ورد في إنجي، دبليو. آر. (1899)، 82

101 ورد في سيغال، ر. أ. (1992)، 237

102 يكتب ماركوس أوريليوس في كتابه "التأملات"، 139، أن "الدايمون" الذي أعطاه الله لكل إنسان ليكون حارسه ومرشده هو في الواقع "جزء" من الله نفسه.

103 باجلز، إي. (1979)، 141. يقول الحكيم الغنوصي سمعان الساحر: "كل إنسان هو مسكن لقوة لا متناهية - أصل الكون".

104 يشير إنجي، المرجع السابق، ص 353، إلى أن الغنوصيين "كان لديهم الكثير من القواسم المشتركة مع الأورفيك ميستاي" الذين صاغوا هذا القول. انظر أيضًا أنجوس، إس. (1925), 112، الذي يسجل العديد من الصلوات الهرمسية حول هذا الموضوع بما في ذلك ما يلي: "لأنك أنا، وأنا أنت؛ اسمك هو اسمي، لأني أنا الإيدولون (الذات الدنيا)".

105 غوثري، ك. س. (1987)، 270، قول 92

106 كليمنت الإسكندري، مربي، 3.1

107 ورد في أنجوس، س. (1925)، 111

108 المرجع نفسه، 106

109 ورد في ميد، جي. آر. إس. (1906)، 223

110 وهذا مطابق للعقيدة الهندوسية القائلة بأن أتمان هو براهمان - الذات هي الله. تقول كاثا أوبانيشاد: "إن الأتمان، الذات، شعلة صغيرة في القلب، تسكن داخل جميع الكائنات". كل من يعرف ذاته العليا (أتمن)، يصل إلى براهمان، الروح العليا. تنص أوبانيشاد ماندوكيا بشكل قاطع على ما يلي: "براهمان هو الكل وأتمان هو براهمان".

111 يخبرنا هيرودوت، في كتابه "التواريخ"، الكتاب الثاني، 122، أن عقيدة التناسخ نشأت عند المصريين ولكن تم "تبنيها من قبل بعض الكتاب اليونانيين". على الرغم من أنه "يمتنع عن ذكرهم"، فليس هناك شك في أنه يشير إلى الأورفيين والفيثاغوريين.

يذكر كينغسلي، ب. (1995)، 368، أن هذا كان معروفًا جيدًا حتى في العصور الكلاسيكية: "حافظ الفيثاغوريون على سرية كانت استثنائية تمامًا، ولكن تعاليمهم التي كانت "معروفة للجميع" هي خلود النفس والتناسخ". بحسب ديوجانس لايرتيوس، علم فيثاغورس أن: "النفس، التي تدور حول دائرة الضرورة، تتحول وتُحصر في أوقات مختلفة في أجساد مختلفة"، كما ورد في غوثري، ك.

S. (1987)، 145. في كتاب القوانين، 870هـ، ينسب أفلاطون هذه العقيدة إلى كهنة الأسرار، الذين قاموا بتدريسها مع عقيدة "الكارما" المرتبطة بها: "سيذكرون أيضًا حقيقة يؤمن بها الكثيرون ممن تعلموها من أفواه أولئك الذين ينشغلون بهذه الأمور في الأسرار، وهي أن الانتقام يُتخذ على مثل هذه الجرائم بعد الموت، وعندما يعود الخاطئ إلى عالمنا مرة أخرى، يجب عليه حتمًا أن يدفع ثمن الطبيعة - يجب أن يُفعل به كما فعل." في مينون، 81ب-ج، يخبرنا سقراط: "إن النفس، بعد أن ولدت من جديد مرات عديدة، وبعد أن رأت كل الأشياء الموجودة، لديها معرفة بها جميعًا".

112 بلوتارخ، المقالات الأخلاقية، 184، "رسالة عزاء"، 10

113 ميد، جي. آر. إس. (1906)، 282

114 ورد في بارنستون، دبليو (1984)، 60

115 ورد في ميد، المرجع السابق، ص 485

116 أفلاطون، الجمهورية، الكتاب العاشر، 614 وما بعدها

117 ورد في ميد، المرجع السابق، ص 516

118 أفلاطون، كراتيلوس، 400 ج: "الجسد عبارة عن قفص أو سجن تُحبس فيه النفس". لقد علّم كاربوقراطيس الغنوصي نفس المذهب، ووصف الجسد أيضاً بأنه سجن. وادعى أن النفوس تتجسد من جديد حتى تكمل جميع الخطايا وأن هذا هو المعنى الحقيقي وراء تعليم يسوع في لوقا 12: 58: "لن تخرجوا حتى تدفعوا آخر فلس". انظر بارنستون، دبليو (1984)،

649

119 ورد في بارنستون، المرجع السابق، ص 61

120 أفلاطون، كراتيلوس، 400 ج: "لأن البعض يقول إن الجسد هو قبر النفس التي يمكن الاعتقاد بأنها مدفونة في حياتنا الحالية". كان شعراء الأورفيين ... يعتقدون أن النفس تعاني من عقاب الخطيئة حتى يتم دفع العقاب.

121 أوريجانوس، دي برينسيبيس، 2.8.3، مقتبس في ستيفنسون، ج. (1957)، 203

122 برنشتاين، أ. إي. (1993)، 307. كان رأي أوريجانوس هو رأي الوثنيين - أن الجميع سيعودون في النهاية إلى الله في عملية استعادة كاملة (apokatasis). لقد استخدم بديهية الفلسفة الأفلاطونية المحدثة القائلة بأن النهاية يجب أن تكون مثل البداية. كل من عوقب سيشفى، وعلى هذا الأساس أنكر العذاب الأبدي.

123 أوريجانوس، في المبادئ، 3.1.20-1. انظر أيضًا كينغزلاند، دبليو. (1937), 138. يتساءل أوريجانوس كيف يمكن لشخص أن يولد أعمى إلا إذا كان يُعاقب على خطيئة سابقة. ويقول إن التناسخ يمنح النفوس وقتًا كافيًا لتطهير ذنوبها وإكمال دورة حياتها، انظر برنشتاين، المرجع السابق، 311.

124 برنشتاين، المرجع السابق، ص 307. كان جيروم، في نهاية القرن الرابع، أول من أدان أوريجانوس. (أنكر جيروم وجود النفوس قبل الموت، لكنه علم أن الله "يخلق نفوسا جديدة يوميًا"). لا تزال هذه العقيدة "الخلقية" مقبولة حتى اليوم، انظر براندون، إس. جي. إي (1969)، 84. إن قدرة إله صالح على الاستمرار في خلق ملايين النفوس يومياً، مع علمه بأن الكثير منهم سيُحكم عليهم في النهاية بالعذاب الأبدي، ليست سوى واحدة من العديد من مظاهر القسوة والعبث في هذا اللاهوت. في عهد جستنيان عام 543 م، تم حرق النص اليوناني لأوريجينوس باعتباره هرطقة. كما يشير ستيفنسون، ج. (1957)، 203، لم يكن هناك رأي آخر لأوريجانوس تم معارضته بشدة أكثر من عقيدته في "الخلاص النهائي للجميع".

125 انظر يوسيفوس، الطريق اليهودي، 2.14.165. بحسب رأي يوسيفوس، اكتسب الفريسيون دعم غالبية الناس لأنهم كانوا يعلمون أن النفس تبقى بعد الموت وتتلقى إما مكافأة حياة جديدة في جسد آخر أو عقابًا أبديًا في العالم السفلي. كان الفريسيون، ومن بينهم بولس، من دعاة التحديث والتأثر بالثقافة اليونانية، وقد عارضهم الصادقيون التقليديون بشدة. يذكر إنجيل مرقس 12: 18 أن: "يعلم الصادقيون أنه لا قيامة"، ولكن على عكس يوسيفوس، الذي كان يكتب في نفس الوقت، فإنه لا يذكر أن الفريسيين كانوا يعلمون عقيدة التناسخ الأورفية.

126 يوحنا 1:19

127 مرقس 8: 27. لم يتم توضيح كيف يمكن أن يكون يسوع تجسيداً لمعاصره يوحنا المعمدان.

128 تُظهر لوحات فيلا الأسرار في بومبي كاهنات باكوس فقط وهنّ يقمن بإجراء مراسم التأهيل. يؤكد كل من رواية ليفي عن مهرجان باكوس عام 186 قبل الميلاد، ومجلس الشيوخ الذي أذن بالتطهير الوحشي للطائفة، الدور المحوري الذي لعبته النساء.

129 توركان، ر. (1992)، 292. حرر طقس باكوس النساء بشكل ملحوظ، واللاتي ارتبطن به منذ ظهوره الأول في اليونان - ISO باجلز، إي. (1979), 87

131 المرجع نفسه.

132 يقدم هاريسون، ج. (1922)، 645-7، تفاصيل عن العديد من النساء الفيثاغوريات.

133 يشير كينغسلي، ب. (1995)، 162، إلى أن: "إحدى السمات الأكثر غرابة - وفقًا للمعايير الكلاسيكية - للفيثاغورية القديمة هي المساواة في المكانة بين المرأة والرجل".

134 ورد في هاريسون، المرجع السابق. يقول يامبليخوس إن فيثاغورس أشاد بالنساء لعدلهن، لأنهن كن على استعداد لمشاركة ما يملكن مع الآخرين - وهي صفة نادراً ما توجد في الرجال، انظر ديفوجيل، سي .ج. (1966) 134.

135 هاريسون، المرجع السابق، 646-7. بالإضافة إلى ذلك، بعد وفاته، تم تخصيص منزل فيثاغورس كمزار للإلهة ديميتر، وتم تسمية الشارع الذي كان يقع فيه على اسم الميوزات.

136 باجلز، المرجع السابق، 81

137 روبنسون، ج. م. (1978)، 245. كما يصور كتاب بيستيس صوفيا مريم على أنها الأكثر روحانية بين جميع التلاميذ، انظر ميد، جي. آر. إس. (1906)، 467.

138 روبنسون، المرجع السابق، 524. إن المواجهة بين مريم وبطرس هي سيناريو أسطوري موجود أيضًا في إنجيل مريم، وإنجيل توما، وكتاب صوفيا، وإنجيل المصريين. تمثل مريم المجدلية صوفيا، "حكمة" الأسرار الباطنية للمسيحية، بينما يمثل بطرس الأسرار الظاهرية التي يمارسها المسيحيون الذين لم يتلقوا هذه التعاليم السرية بعد. يمثل بطرس، الذي أطلق عليه يسوع هذا الاسم والذي يعني "الصخرة"، التعليم القائل بأن الأسرار الظاهرية يجب أن تخلق صخرة صلبة داخل المتأهل لبناء معبد الغنوص. لكن الخطر يكمن في أن يصبح المبتدئ متغطرسًا ويعتقد أنه يفهم الأسرار بينما في الواقع لم يخطُ سوى الخطوة الأولى. ولتوضيح ذلك، غالباً ما يتم تصوير بطرس على أنه أحمق ومتقلب، سواء في الأناجيل الغنوصية أو في العهد الجديد. إن بطرس هو الذي أنكر يسوع ثلاث مرات والذي صرخ عليه يسوع قائلاً: "ابتعد عني يا شيطان"، انظر ميد، جي. آر. إس. (1906)، 580. لقد سيطرت كراهية النساء الجاهلة التي يمثلها رمز بطرس بشكل أسطوري على المسيحية الأرثوذكسية، وكانت النتائج كارثية. لقد اختفى الجانب الأنثوي الإلهي الذي لعب دوراً حيوياً في التعاليم الوثنية والغنوصية تقريباً من المسيحية الحرفية.

139 باجلز، المرجع السابق، 85

140 المرجع نفسه، 80

141 كانت النساء في مجتمع الفالنتينيين يعتبرن مساويات للرجال. وقد عملن كنبيات ومعلمات ومبشرات ومعالجات وكهنة.

142 ورد في باجلز (1979)، 80

143 المرجع نفسه، 66

144 يوريبيدس، الباكوسيات، 657-9

145 ورد في باجلز، المرجع السابق، ص 62

146 ورد في باجلز، إي.، (1975)، 45

147 باجلز، إي. (1979)، 61، انظر أيضًا باجلز، إي. (1975)، 45. قبل خمسة قرون، أعلن هِرَقْليطُس: "بالنسبة لله كل الأشياء عادلة وجيدة ومنصفة، لكن البشر اعتبروا بعض الأشياء ظالمة، والبعض الآخر عادلاً". انظر كان، سي. إتش. (1979), 61, قول هِرَقْليطُس 68.

148 ورد في باجلز، إي. (1979)، 63

149 جودوين، ج. (1981)، 86

150 ورد في باجلز، إي . (1975)، 19. يستشهد بازيليد برسالة بولس إلى أهل روما 2: 12-16 لدعم موقفه.

151 ستيفنسون، ج. (1957)، 163 وما بعدها. لا يحتاج الغنوصي إلى اتباع القواعد الأخلاقية ليكون محباً لأنه، كما يوضح كليمنت، "إن من تحرر من خلال الغنوص هو في الحقيقة عبد بسبب حبه لأولئك الذين لم يتمكنوا بعد من بلوغ حرية الغنوص". إذن، فإن الغنوصي ليس منحرفاً شهوانياً، كما يريدنا الحرفيون أن نعتقد، بل هو شخص يختار أن يعبر عن الحب بشكل طبيعي لذاته، بدلاً من اتباع مدونة أخلاقية مفروضة بدافع الخوف من الشر أو الأمل في المكافأة. ويوضح كليمنت أكثر قائلاً: "إن الرجل ذو الفهم والفطنة هو الغنوصي". وليس عمله هو الامتناع عن الشر (لأن هذه خطوة نحو الكمال الأسمى)، أو فعل الخير بدافع الخوف. ولم يعد عليه أن يفعل ذلك أملاً في مكافأة موعودة. لكن فعل الخير بدافع الحب، ومن أجل جودته الخاصة، هو الخيار الذي ينبغي أن يكون عليه الغنوصي.

152 ورد في كينغزلاند، دبليو. (1937)، 203

153 كليمنت، ستروماتا، 7.33

الفصل السادس: ترميز يسوع

1 لوقا 8: 1. في متى 13: 11 يقول يسوع للتلاميذ: "أُعطي لكم أن تعرفوا سر ملكوت السماوات، أما هم فلم يُعطوا".

2 ورد في باجلز، إي. [1979]، 51

3 إيرينيئوس، ضد الهرطقات، 1.18، نقلاً عن المرجع نفسه، 48. إن إبداع الغنوصيين هو علامة على حيوية هذه الحركة الجديدة. وكما يشير بوركيرت في سياق آخر، "لا يتم الحفاظ إلا على العقائد الميتة دون تغيير، أما العقيدة التي تؤخذ على محمل الجد فتخضع دائمًا للمراجعة في عملية إعادة التفسير المستمرة". بوركيرت، دبليو. (1972)، 135.

4 باجلز، المرجع السابق، 44

5 مرقس 4: 11-12. في إنجيل يوحنا 16: 12 و25، يعد يسوع تلاميذه بتعاليم أكثر وضوحًا عندما يكونون مستعدين لتلقيها: "لا يزال لدي أشياء كثيرة لأقولها لكم، ولكنكم لا تستطيعون تحملها الآن". لقد كلمتكم بهذه الأمور

بالأمثال، ولكن ستأتي ساعة لا أتكلم فيها بالأمثال بعد الآن، بل أخبركم بوضوح عن الآب. يشير كينغزلاند، دبليو (1937)، 25-6، إلى أنه لا يوجد أي من هذه "الأسرار" التي شرحها يسوع في الأناجيل القانونية. بدلاً من ذلك، يجب علينا اللجوء إلى النصوص المنحولة والغنوصية للعثور عليها.

6 ورد في إنجي، دبليو. آر. (1899)، 355

7 ديمتريوس، في الأسلوب، نقلاً عن بوركيرت، دبليو. (1992)، 79. يشير سترابو، متبعًا بوسيدونيوس، إلى "الإخفاء في الأسرار" الذي "يحاكي الطبيعة التي تتجنب الإدراك المباشر".

8 نقلاً عن المرجع نفسه. لقد عبّر هِرَقْليطُس عن ذلك بأبسط طريقة عندما قال: "الطبيعة تحب الاختباء".

9 ورد في روبنسون، ج. م. (1978)، 150. يجد إنجيي دليلاً على النهج الرمزي للغنوصيين تجاه الأناجيل في إنجيل يوحنا. يكتب: "إن الإنجيل الرابع غارق في الرمزية من هذا النوع. من الواضح أن المعجزات الثماني التي اختارها القديس يوحنا قد تم اختيارها لقيمتها الرمزية؛ في الواقع، يبدو أنه يعتبرها في المقام الأول أمثالًا تم تمثيلها. كلمته المفضلة لوصف المعجزات هي "علامات" أو "رموز". إنجي، دبليو آر (1899)، 58.

10 ورد في هوفمان، ر. ج. (1987)، 102-3

11 ورد في ستيفنسون، ج. (1957)، 206

12 لين-فوكس، ر، (1986)، 524. لقد علّم أحد المتصوفين اليهود أوريجانوس أن الكتاب المقدس يشبه منزلًا مليئًا بالغرف المغلقة، وأن الله قد خلط المفاتيح، وكان على ورثته أن يجدوا المفتاح المناسب لكل قفل.

13 مقتبس في ستيفنسون، المرجع السابق.

14 المرجع نفسه. انظر أيضًا مارلو، ج. (1971)، 255، حيث يشير مارلو إلى أنه على الرغم من أن أوريجانوس يكتب عن القصة الحرفية كنقطة انطلاق ضرورية في السعي وراء المعرفة الإلهية، "يشعر المرء في كتاباته باعتقاد أن التجسد كان تنازلاً غير ضروري بل ومؤسفًا للجهل البشري، وهو ما كان بإمكان الفيلسوف المسيحي الحقيقي الاستغناء عنه".

15 كليمنت، ستروماتا، 6.10، نقلاً عن فيدلر، د. (1993)، 31. ينصح كليمنت قائلاً: "بما أننا نعلم أن المخلص لا يعلم شيئاً بطريقة بشرية بحتة، بل يعلم كل شيء بحكمة إلهية وباطنية، فلا يجب أن نستمع إلى أقواله بشكل جسدي؛ بل يجب علينا، من خلال البحث والفهم المناسبين، أن نبحث ونتعلم المعنى الكامن فيها."

16 كينغزلاند، دبليو. (1937)، 203

17 ورد في ميد، جي. آر. إس. (1906)، 449

18 غوثري، ك. س. (1987)، 19 وما بعدها. كانت الأرقام عند الفيثاغوريين "المبدأ، المصدر، أصل كل الأشياء".

19 ورد في ليمبرييه، ج. (1949)، 3

20 ورد في ميد، المرجع السابق، ص 335. انظر أيضًا فيدلر، د. (1993)، 23. ومن بين المعلمين الغنوصيين الذين استخدموا الرمزية العددية في تعاليمهم: بازيليد، وفالنتينوس، وماركوس، وكولارباسوس، ومنعموس.

21 غوثري، المرجع السابق، 297

22 ميد، المرجع السابق، 222. اعتقد منعموس، إلى جانب الفيثاغوريين، أن الكون يتكون من العناصر الخمسة التي تمثلها الأجسام الأفلاطونية الخمسة.

23 انظر دالفيلا، جي. (1981)، 106، الذي يعتبر أن الغنوصية لم تستعر فقط من أسرار إليوسيس، بل إن عقيدتها في مصير النفس "تشبه إلى حد كبير أسرار ميثراس" لدرجة أنه لا بد من وجود بعض التأثير. يكشف أوريجانوس عن عقيدة الميثرائية حول الكواكب والنجوم و"مرور النفس عبرها". هذا هو الرمز. يوجد سلم بسبعة أبواب، وفي أعلاه باب ثامن. لكن سيلسوس يشير إلى أن هذا ليس جديداً على الميثرائية. ويصفها بأنها "نظام قديم مفاده أن هناك سبع سماوات وأن طريق النفس يمر عبر الكواكب". ويذكر سيلسوس بوضوح أيضاً أن المسيحيين الذين عرفهم في القرن الثاني كانوا يعلمون نفس العقائد التي كانت سائدة في الميثرائية. انظر هوفمان، ر. ج. (1987)، 95.

24 فيدلر، د. (1993)، 35

25 المرجع نفسه، 73

26 المرجع نفسه، ص 321

27 المرجع نفسه ، 32. يتحدث الغنوصي ماركوس عن الاسم المنطوق للمخلص يسوع على أنه يتكون من ستة أحرف، بينما يتكون اسمه الذي لا يوصف من 24-8 + 8 + 8- عدد الأحرف في الأبجدية اليونانية، انظر ميد، جي. آر. إس. (1906)، 375. يشير نبوءة سيبيلية مسيحية أيضًا إلى الرقم الصوفي ليسوع: أربعة حروف علة لديه، ضعف عدد الحروف الساكنة فيه. والآن سأعلن لك العدد الكامل أيضاً. ثمانية مونادات، وإليها ثمانية عشر عقدًا، وثمانمائة سيظهر اسمه أيضًا. فوق الكواكب السبعة في النظام الغنوصي توجد كرة النجوم الثابتة، حيث تسكن صوفيا ويسوع في منطقة "أجدود". ومن ثم فإن الاسم الصوفي ليسوع يعادل "كمال الثمانيات": 888. ويشير راهنر إلى أنه على الرغم من غياب أجدود عن المسيحية الحديثة، إلا أنه كان في مرحلة مبكرة جزءًا من المسيحية الأرثوذكسية. كتب ثيودوتوس، في كتاب نقله كليمنت: "من تولده الأم يُقاد إلى الموت وإلى العالم، أما من يجدده المسيح فيُنقل إلى الحياة في أجدود" (نقلاً عن كامبل).

ج. (1955)،

392. كيرلس الإسكندري في القرن الرابع يسمي التكريس "mystehon Christi"، والذي يرمز إليه أجدود"، كامبل، 390.

28 فيدلر، المرجع السابق، 264

29 رؤيا 13: 18: «هنا الحكمة». من كان له فهم فليحسب عدد الوحش، لأنه عدد إنسان وعدده 666.

30 فيدلر، المرجع السابق، 29

31 المرجع نفسه، 84

32 المرجع نفسه، ص 264. انظر أيضًا دراسة الدكتور إيسلر عن الأعداد لقصة يسوع؛ إيسلر، ر. (1920)، 115.

33 إيرينيئوس، ضد الهرطقات، 1.14.4، نقلاً عن فيدلر، د. (1993)، 30

34 نقلاً عن المرجع نفسه، ص 278. كان هذا رقماً مهماً بالنسبة لأفلاطون، الذي ذكر أن الطاغية أسوأ بـ 729

مرة من الرجل الصالح.

35 المرجع نفسه، 108

36 مرقس 8: 19

37 ورد في روبنسون، ج. م. (1978)، 201

38 إيسلر، ر. (1931)، 450

39 روبنسون، المرجع السابق، 124. إن باجلز محقة في اقتراحها أن السطور الافتتاحية لكل من إنجيل توما وتوما المناضل يمكن قراءتها كما لو أن "أنت أيها القارئ، أنت الأخ التوأم ليسوع".

هذه إحدى بديهيات التعاليم الغنوصية. انظر باجلز، إي. (1979)، 47.

40 متى 27: 17

41 ميد، جي. آر. إس. (1906)، 217

42 نقلاً عن روبنسون، المرجع السابق، ص 436

43 أعمال يوحنا، 97-102

44 المرجع نفسه. يختتم النص بعرض واضح للدوسيتية: لقد نفّذ الرب كل شيء بشكل رمزي من أجل هداية الناس.

45 ومن هنا جاءت نصيحة يسوع في إنجيل توما: "كونوا عابرين سبيل".

46 كامبل، ج. (1964)، 372 وما بعدها، نقلاً عن أعمال يوحنا والتعليق على الدوسيتية.

47 قام أتباع الماني المسيحي الهرطقي بنقل هذه التعاليم من خلال التمييز بين يسوع ابن مريم ويسوع ابن الله. كان ابن مريم (الإيدولون (الذات الدنيا)) هو الذي عانى الموت على الصليب، وليس ابن الله (الديمون (التوأم السماوي أو الذات العليا)).

48 يوريبيدس، الباكوسيات، 622-5

49 سفر رؤيا بطرس، كما ورد في روبنسون، ج. م. (1978)، 377

50 يوربيدس، مرجع سابق. المرجع السابق، 1،044-121

51 روبنسون، المرجع السابق، ص 377، رؤيا بطرس

52 نقلاً عن المرجع نفسه، ص 365؛ انظر أيضاً ص 341، إعادة صياغة سام. بعد معموديته، تنبأ المخلص بأن الطبيعة في غضبها ستحاول الإمساك به، لكنها لن تتمكن إلا من صلب سولداس، وهو اسم آخر ليسوع الأرضي.

53 بامستون، دبليو. (1984)، 628، نقلاً عن هيبوليتوس عن بازيليد

54 مرقس 15: 21

55 القرآن الكريم، سورة 4، الآيات 156-157

56 يكتب هِرَقْليطُس: "البشر خالدون فانون والفانون خالدون؛ ما دام أحدهما حياً يكون الآخر ميتاً، وعندما يموت أحدهما يكون الآخر حياً"، انظر كان، سي. إتش. (1979)، 71. وذكر بيندار أيضًا أن: "بينما يخضع الجسد للموت، تبقى النفس حية، لأنها وحدها تأتي من الإله". لكنها تنام بينما تكون الأطراف نشطة، انظر كرانستون، إس. (1977)، 208.

57 أنجوس، س. (1925)، 96. كان يُنظر إلى طقوس التأهيل على أنها موت ينهض منه المؤمنون من خلال الولادة الجديدة. في اللغة اليونانية، تتشابه الكلمات التي تعني الموت والتأهيل بشكل كبير، وكانت بمثابة تلاعب ذكي بالكلمات مألوفة. يقول أفلاطون: "الموت هو بمثابة التأهيل". إن القيامة التي وعد بها المسيحيون الأوائل هي نفسها التي قدمها أوزوريس-ديونيسوس وغيرهما من الآلهة الأسطورية في الأسرار. في يوحنا 3: 1-21، كان تلميذ يسوع نيقوديموس مرتبكًا لأنه أخذ تعليم يسوع عن الولادة الجديدة حرفيًا. ويسأل: "كيف يمكن أن يولد الإنسان وهو عجوز؟" هل يستطيع أن يدخل رحم أمه مرة ثانية ويولد؟ كما بشر الحكيم المصري هرمس تريسميجستوس بالولادة الروحية، ومثل نيقوديموس، فسر تلميذه تات هذا حرفيًا واعترف لمعلمه قائلًا: "لا أعرف يا تريسميجستوس من أي رحم يمكن أن يولد الإنسان مرة أخرى، ولا من أي بذرة"، انظر كتاب هرمس، الكتاب 13. يشرح كل من يسوع وهرمس أن هذه الولادة الجديدة لا ينبغي فهمها حرفياً، بل بشكل صوفي.

58 ورد في روبنسون، المرجع السابق، ص 52 وما بعدها. يشرح كتاب القيامة أن الوجود البشري العادي هو موت روحي، لكن القيامة هي استنارة روحية، انظر باجلز، إي. (1979)، 42. ومرة أخرى، فإن هذا التعليم مستمد من الوثنية. يقول سقراط في غورغياس، 493أ: "لا ينبغي أن أتفاجأ، كما تعلمون، إذا كان يوريبيدس محقًا عندما قال: "من يدري، إذا كانت الحياة هي الموت، والموت هو الحياة؟" [نقلاً عن بوليدوس مقتطف] 7] وربما نكون أمواتاً بالفعل، فقد سمعت ذات مرة أحد حكماءنا يقول إننا الآن أموات، وأن جسدنا قبر. وقد ذكر هِرَقْليطُس قبل قرن من الزمان أن: "عندما نعيش تكون نفوسنا ميتة، ولكن عندما نموت تحيا نفوسنا وتعيش". كان الغرض من طقوس التأهيل هو إيقاظ النفس من هذه الحالة الشبيهة بالموت. هذه هي العقيدة الحقيقية التي تكمن وراء ادعاء أمبادوقليس بقدرته على إحياء رجل من الموت. مع انتصار المسيحية الحرفية، أُسيء فهم هذه العقيدة تماماً على أنها إعادة إلى الحياة لأشخاص ماتوا بالفعل.

59 ورد في روبنسون، المرجع السابق، ص 55

John 10 v 17 60

61 باجلز، إي. (1979), 41; الملاحظتان 36 و 37 تعطيان مصادر باجلز. .

62 المرجع نفسه، 43. تكتب باجلز: "ما أثار اهتمام الغنوصيين أكثر بكثير من الأحداث الماضية المنسوبة إلى يسوع "التاريخي"، هو إمكانية لقاء المسيح القائم من بين الأموات في الحاضر."

63 إنجيل فيليب، 73.5

64 روبنسون، المرجع السابق، 56

65 في رسالة تيموثاوس الثانية 16-18، اتُهم اثنان من الغنوصيين بتعليم "أن قيامتنا قد حدثت بالفعل" و"زعزعة إيمان الناس".

66 إن فكرة أن القيامة قد حدثت بالفعل تظهر في العديد من النصوص في مكتبة نجع حمادي، انظر رسالة القيامة، وتفسير النفس، وإنجيل فيليب.

67 ورد في روبنسون، المرجع السابق، ص 56

68 المرجع نفسه، بصيغة معدلة لتشكيل اقتباس واحد

69 المرجع نفسه.

70 إن كون الزواج المقدس في صميم أسرار إليوسيس واضح من الطقوس التي تم تنفيذها في ذروتها. فُتِحَتْ جرتان، واحدة إلى الشرق والأخرى إلى الغرب، بينما صرخت الآلهة إلى السماء قائلة: "مطر!" وإلى الأرض، "احملي!"

71 Harrison, J. (1922), 564. كان لديميتر زواج مقدس مع إياسيون الفاني، والذي يخبرنا ثيوكريتوس أنه كان طقساً صوفياً يمنح الفرح "الذي لن يتعلمه غير المتأهلين أبداً".

72 أنجوس، س. (1925)، 114. يخصص أنجوس عدة صفحات لموضوع الزواج المقدس في الوثنية.

73 Kerenyi, C. (1976), 308. احتفلت زوجة الحاكم باسيليوس بـ "الطقوس المقدسة التي لا توصف" والتي يسميها أريتايوس "ميستيريون". وقد حدث ذلك في البوكوليون، أو حظيرة الماشية، بالقرب من معبد ديونيسوس. يكتب بوركيرت عن هذا الطقس: "لا يوجد مكان آخر تتحدث فيه الأدبيات اليونانية بوضوح عن طقوس الزواج المقدسة". انظر بوركيرت، دبليو. (1985) , 239.

74 هاريسون، المرجع السابق، 643-4. في فليا في الجزء الجنوبي الغربي من بيلوبونيز، تم الاحتفال بأسرار أندانا، انظر ماير، م. و. (1987)، 49 وما بعدها. من حيث العمر والوقار، لم يكن هناك سوى أولئك الذين كانوا في إليوسيس. في فليا كان هناك الحرم الداخلي، وغرفة زفاف، وعبادة إيروس. كما كان هذا المكان مقصدًا للعديد من الفيثاغوريين المشهورين، ومن بينهم هيبياس (انظر بوركيرت).

دبليو (1972)، 206)، فيلولاوس [انظر بوركيرت، 237)، أريستوكسينوس، [انظر غوثري، كيه إس (1987)، 243) و إيشيكراتيس {انظر غوثري، دبليو كيه سي (1962)، 310). يذكر ديوجين لايرتيوس أربعة من أتباع فيثاغورس من فليوس، انظر دي فوغل، سي. جيه. (1966).

.28

75 أنجوس، مرجع سابق. المرجع السابق، 114؛ انظر ماكيورو، زاجيوس، 69، للتوضيح

76 هاريسون، المرجع السابق، 538. يخبرنا فيرميكوس ماتيرنوس أن: "المستائيين هم أولئك الذين تم تنصيبهم للتو باسم العرائس/

77 المرجع نفسه. ويشير هاريسون إلى أنه على الرغم من أن الآباء المسيحيين "شوهوا" الأسرار الوثنية بشكل فظيع، "فعندما يبحثون عن مثال لأسرارهم الخاصة، فإنهم يعترفون بأن الزواج المقدس كان يعتقد من قبل المحتفلين بأنه روحي".

78 لكنها ليست غائبة تماماً. يذكّر ترتليان رعيته قائلاً: "لقد تزوجتم المسيح"، بينما علّم سيبريان أن الارتداد هو ارتكاب "الزنا للمسيح"، انظر لين فوكس، ر. (1986)، 370.

79 بارنستون، دبليو. (1984)، 288. هناك عدة نسخ من هذه الأسطورة الغنوصية عن سقوط صوفيا وفدائها: بيستيس صوفيا [انظر ميد، جي. آر. إس. (1906)، 459]، وتفسير النفس [انظر روبنسون، جيه. إم. (1978)، 190]، وإنجيل الحقيقة [انظر بارنستون، دبليو. (1984)].

290). انظر أيضًا ميد (1906)، 385 وما بعدها. في النظام الفالنتيني، يحدث زواج يسوع وصوفيا بعد أن يتم تخليصها من حالتها الساقطة.

80 روبنسون، ج. م. (1978)، 190

81 باجلز، إي. (1988)، 68-9

82 ورد في روبنسون، المرجع السابق، ص 129

83 إيرينيئوس، ضد الهرطقات، 1.21.3

84 هاريسون، ج. (1922)، 539، نقلاً عن إبيفانيوس

85 أنجوس، س. (1925)، 116

86 المرجع نفسه، نقلاً عن هيبوليتوس، فيلوسوفومينا، 5.8

87 ورد في روبنسون، المرجع السابق، ص 151

88 في الأسطورة الغنوصية "تفسير النفس"، تضيع صوفيا (النفس) وهي تبحث عن الضوء المنعكس في العالم الذي خلقه الديميورج (الإيدولون (الذات الدنيا)). في هذا العالم، تبحث عن الإشباع في كل الأماكن الخاطئة، وتلوث نفسها بالعديد من العشاق الذين يعاملونها كعاهرة. خجلاً من نفسها، تبقى النفس في العبودية، تعيش في بيت دعارة. الهدية الوحيدة التي تتلقاها من عشاقها هي بذورهم الملوثة، لكن أطفالها (أفكارها) بكم، وعميان، ومرضى، وضعفاء العقل. تبقى النفس في هذا الأسر الجنسي والنفسي حتى اليوم الذي تدرك فيه وضعها وتتوب. تطلب المساعدة من الأب الذي يرسل لها أخاها (الديمون أو الذات العليا) كعريس. ثمرة اتحادهما هي أطفال صالحون وجميلون (أفكار صالحة وفاضلة). انظر روبنسون، المرجع السابق،

190

89 باجلز، إي. (1975) ,68

90 متى 25: 1-13

91 ورد في روبنسون، ج. م. (1978)، 134، القول 75. يُستخدم مصطلح "المنعزل" [monarchos] للإشارة إلى الغنوصي، ويُستخدم بشكل متكرر في إنجيل توما، انظر باجلز، إي. (1979)، 130. ومنها اشتُقّ مصطلحا "الرهبانية" و"الراهب".

92 ورد في فريك وغاندي (1998)، 40

93 سيغال يفك شفرة الأسطورة الأورفية: "تم وضع الإله الشاب ديونيسوس على عرش بمجرد ولادته في كهف في جزيرة كريت". لكن العمالقة أعطوه مرآة لتشتيت انتباهه، وبينما كان الطفل يحدق في المرآة مفتونًا بصورته، قام العمالقة بتمزيق الطفل إلى أشلاء والتهموه. لم ينجُ سوى قلب الإله. هذا يعني أن ديونيسوس، عندما رأى صورته الإيدولون (الذات الدنيا)، انعكاسه في المرآة، قد تم تكراره واختفى في المرآة، وبالتالي تشتت في الكون. بحسب حكماء الأورفية، هذا يعني أن نفس العالم منقسمة ومشتتة عبر المادة. لكن نفس العالم تبقى غير منقسمة ونقية بمعزل عن كل اتصال بالمادة. انظر سيغال، ر. أ. (1992)، 254. عندما اكتشف زيوس الجريمة، قام بتدمير الجبابرة الاثني عشر، ومن رمادهم خلق البشرية. تشرح هذه الأسطورة الأورفية كيف تتجلى الشرارة الإلهية أولاً في 12 رجلاً نموذجياً، وهي علامات الأبراج، ثم لاحقاً في جموع البشر الذين ولدوا تحت تأثير إحدى هذه العلامات أو الأخرى. في العشاء الأخير، تم تناول جسد يسوع بشكل رمزي من قبل 12 من أتباعه كنوع من هذه التضحية.

94 بلوتارخ، إيزيس وأوزوريس، 2

95 Wells, G. A. (1975), 191

96 ورد في ميد، جي. آر. إس. (1906)، 505

97 المرجع نفسه، 426

98 المرجع نفسه، 539

99 المرجع نفسه، 462؛ انظر أيضًا باجلز، إي. (1975)، 28، حيث يشرح ثيودوتوس الغنوصي معنى بولس في رسالة رومية 4 الآيات 15-21. يسوع هو "الشخص" الذي سمح لنفسه طواعية بأن "ينقسم" من أجل إعادة "الكثيرين" إلى الوحدة.

100 أنجوس، س. (1925)، 97

101 كان كتاب الموتى المصري يضمن الخلود للمتوفى من خلال الاندماج مع أوزوريس. أصبح الشخص المتوفى أوزوريس وحصل على الاسم الجديد أوزوريس، انظر أنجوس، المرجع السابق.

138. وبالمثل في اليونان، اندمج المتأهل مع باكوس وأصبح باكوسيًا. تحتوي الألواح الذهبية الأورفية التي تم العثور عليها مدفونة داخل رهبان في جنوب إيطاليا على تعاليم حول العالم الآخر مستمدة من كتاب الموتى المصري. كان هذا الاستيعاب بالغ الأهمية في ضمان نعيم الحياة الآخرة لدرجة أن المتأهلين حافظوا على نقائهم الطقسي حتى في الموت. يؤكد نقش من مقبرة في كوماي أنه "لا يجوز دفن أي شخص هنا لم يصبح باكوس"، انظر غوثري، دبليو. كيه. سي. (1952)، 202.

102 إنجيل فيليب، 67.26.7، نقلاً عن روبنسون، ج. م. (1978)، 150

103 أوريجانوس، ضد سيلسوس، 6.79، نقلاً عن فيدلر، د. (1993)، 50

104 ورد في ميد، جي. آر. إس. (1906)، 558

105 المرجع نفسه، 484

106 المرجع نفسه، ص 596، انظر ص 270. بحسب الحكيم الغنوصي بازيليد، فإن المخلص هو الإنسان الكامل داخل الإنسان الحيواني.

107 إنجيل فيليب، 61:30، كما ورد في روبنسون، ج. م. (1978)، 147

108 لوقا 6: 40

109 أفلاطون، كراتيلوس 400 ج، غورغياس 493 أ فيدو 70 ج. يجادل ويلي بأن أسطورة الطبيعة التيتانية/الديونيسية للإنسان كانت أصل العقيدة القائلة بأن الجسد هو قبر النفس، انظر كامبل، ج. (1955). , 75. ويشير إلى أنه بدءًا من فيلولاوس وأفلاطون، اعتبر جميع المفكرين القدماء عقيدة السوما/السيما أورفية. ويستشهد كل من كليمنت وكلاوديانوس مامرتوس (القرن الخامس الميلادي) وماكروبيوس بفيلولاوس لدعم الأصل الأورفي-الفيثاغوري لعقيدة السوما/السيما، انظر غوثري، دبليو. كيه. سي. (1962)، 311.

110 يشرح النص الغنوصي "الرسالة الثلاثية" أن "البشرية أصبحت في ثلاثة أنواع أساسية" والتي يسميها الروحي والنفسي والمادي، انظر روبنسون، ج. م. (1978)، 94. أطلق الغنوصيون النحشية على هذه الفئات الثلاث اسم الأسير والمدعو والمختار، انظر ميد، جي آر إس (1906)، 199، 496. يكرر كليمنت هذا النظام نفسه بطريقة معدلة قليلاً. وهو يعتبر المسيحيين الذين لم يصلوا بعد إلى الغنوص من ثلاثة أنواع مختلفة، يتم تعريفها من خلال علاقتهم بالله كعبد، وعبد أمين، وصديق، انظر كليمنت الإسكندري، ستروماتا، 3. يعتبر الغنوصيون النَحَشية "الأسرى" واقعين في وهم العالم. يصف كليمنت هيلي: "مادي". بأنهم "عبيد" الله لأنهم يطيعون إرادة الله رغماً عنهم. هؤلاء هم "قساة القلوب" الذين يدربهم المعلم من خلال "التأديب التصحيحي". كان الغنوصيون يعتبرون "المدعوين" هم أولئك الذين دُعوا لاتباع الطريق وبدأوا في الاستيقاظ الروحي. يصف كليمنت سيكك (نفسي) بأنهم "عبيد الله المخلصون"، لأنهم يتبعون إرادته عن طيب خاطر. هؤلاء المسيحيون هم "مؤمنون" بحاجة إلى علامات ومعجزات لتقوية إيمانهم، والذين يدربهم المعلم من خلال "الأمل الصالح". كان الغنوصيون يعتبرون "المختارين" هم أولئك الذين يسلكون المسار الصوفي الأعلى الذي يقود إلى ما وراء الإيمان إلى الغنوص. يُطلق عليهم كليمنت اسم "الأصدقاء" لأنهم على علاقة وثيقة بالله. هؤلاء المسيحيون هم غنوصيون طموحون يقوم المعلم بتدريبهم من خلال "الأسرار". يقوم أوريجانوس بتطوير عمل كليمنت ويربط هذه الأنواع النفسية الثلاثة بقدرتها على الاختراق إلى التفسير الصحيح للأناجيل، انظر فيدلر، د. (1993)، 120، نقلاً عن أوريجانوس، فيلوكاليا 1.8.

111 الشخص الهيلي لا يدرك وجود الديمون (التوأم السماوي أو الذات العليا). يدرك المتأهل سيكك (نفسي) وجود الديمون (التوأم السماوي أو الذات العليا) باعتباره ملاكًا حارسًا. يدرك المتأهل بينيوماتك (روحي) أن الديمون (التوأم

السماوي أو الذات العليا) هو ذاته العليا. إنّ المتأهل الذي حقق الغنوص يدرك ذاته كتعبير عن الديمون (التوأم السماوي أو الذات العليا) الكوني.

112 مثل كلمة "غنوصي"، تعني كلمة "بوذا" أيضًا "العارف"، وهي مشتقة من الكلمة السنسكريتية "budh" التي تعني "أن يعرف".

113 يقدم إنجيل فيليب تفسيراً للتعاليم التي أشار إليها القديس بولس في كورنثوس الأولى 13: 13 حول الصفات الروحية التي يمكن تطويرها في هذه الحالات الأربع للوجود التي ترمز إليها العناصر الأربعة. إن رعاية الله هي ... من خلال أربعة: الإيمان، والأمل، والمحبة، والغنوص. أرضنا هي الإيمان الذي نتجذر فيه. الماء هو الأمل، الذي نتغذى من خلاله. الريح هي الحب، ومن خلالها ننمو. لكن النور هو الغنوص، الذي من خلاله ننضج إلى مرحلة النضج. انظر باجلز، إي. (1975), 80.

114 في النظام الوثني، كان يتم توجيه المتأهل عبر هذه الحالات من الوعي من خلال ثلاث طقوس التأهيلات. في الأسرار الوثنية، أطلق عليها اسم كاثارموس، أي "التطهير"، وبارادوسيس، أي نقل العقيدة الباطنية، وإيبوبتيا (الأسرار العظيمة)، أي الرؤية من خلال الحقيقة. ويسمي كينغسلي، ب. (1995)، 367، هذا "السمات الأساسية للأسرار ومراحل التأهيل في العالم اليوناني القديم". يؤكد سيرفيوس أنه في عمليات التأهيل، "يتم إجراء كل عملية تطهير إما بالماء أو بالنار أو بالهواء"، انظر إيسلر، ر. (1920)، 208. كما علم النظام الغنوصي أنه من أجل أعلى الأسرار، يلزم معمودية ثلاثية، من الماء والنار والروح، انظر أنجوس، إس. (1925). , 83.

توجد هذه العقيدة أيضًا في العهد الجديد. يخبرنا متى 3: 11-12 أن يوحنا المعمدان جاء بالمعمودية بالماء، بينما جاء يسوع بمراحل المعمودية الأعلى بالنفخ (الهواء) والنار.

115 ميد، جي. آر. إس. (1906)، 522

116 يوحنا 1: 8

117 أوريجانوس، فيلوكاليا، 1.8، نقلاً عن فيدلر، د. (1993)، 120

118 دورن، ر. (1995)، 76

119 إنجي، دبليو. آر. (1899)، 89

120 باجلز، إي. (1975)، 106

121 ورد في بارنستون، دبليو. (1984)، 626 وما بعدها

122 ورد في Inge, W. R. (1899)، 56. كما علّم ديونيسيوس الأريوباغي أن الكتب المقدسة تحتوي على حقائق لا يمكن فهمها إلا من قبل أولئك الذين تحرروا من القصص التي تتضمنها. بالمقارنة مع الحقائق الصوفية المشفرة، يصف ديونيسيوس (الذي تكرمه الكنيسة الرومانية كقديس) هذه القصص بأنها "أساطير صبيانية"! ويوضح أن الذات الدنيا تدرك الإلهي عن طريق الرموز التي من خلالها يمكن للمتأهل أن "يرتقي إلى الحقيقة الواحدة غير المنقسمة عن طريق القياس". من هذا المستوى الرفيع من الوعي، يمكن للذات العليا أن تدرك الإلهي بشكل مباشر. انظر إنجيي، المرجع السابق، ص 109.

123 إيرينيوس، ضد الهرطقات، 1.23.2-4

124 أعمال الرسل 8: 9-24. بحسب أعمال بطرس المنحولة، كان هناك تمثال أقيم لسمعان بحلول الوقت الذي جاء

فيه بطرس إلى روما. هنا انخرط الرسول الشجاع في معركة قوى سحرية مع الهرطقي العظيم، بما في ذلك مسابقة طيران فوق المنتدى! سمعان يخسر بالطبع، ويسقط على الأرض، انظر بارنستون، دبليو (1984).

426 وما بعدها.

125 إيسلر، ر. (19311، 576)

126 ميد، جي. آر. إس. (1906)، 162 وما بعدها. تشير الأدبيات المنسوبة زوراً إلى كليمنتين إلى هذا.

127 متى 27: 51-4. ويشير جيبون إلى أن هذه الأحداث يقال إنها وقعت خلال حياة سينيكا وبليني الأكبر، وهما رجلان "سجلا جميع ظواهر الطبيعة، من زلازل ونيازك ومذنبات وكسوف". ومع ذلك، يلاحظ جيبون أن "هذا الحدث المعجز، الذي كان من المفترض أن يثير الدهشة والفضول والإخلاص لدى البشرية، مر دون أن يلاحظه أحد في عصر العلم والتاريخ". انظر جيبون، إي. (1796)، 512.

الفصل السابع: الرجل المفقود

1 ورد في ويلسون، آي. (1984)، 37. قد تُعتبر كلمات شفايتزر، التي كُتبت في بداية هذا القرن، بمثابة رثاء لقرون من العمل الذي قامت به الكليات اللاهوتية الألمانية.

2 المؤرخ الروماني ديو كاسيوس، الذي كتب في عام 229 ميلادي، لم يذكر يسوع ولم يشر إلى المسيحيين مطلقاً.

3 ورد في باجلز (1979)، 94: "لم أشارك قط في تحقيقات مع المسيحيين: وبالتالي لا أعرف ما هي الجريمة التي عادة ما يعاقب عليها أو يتم التحقيق فيها، أو ما هي التسهيلات التي يتم تقديمها."

4 سويتونيوس، حياة نيرون، 16.2. وفي الوقت نفسه نسمع أن نيرون طرد من المدينة جميع ممثلي البانتوميم وأتباعهم.

5 سويتونيوس، حياة كلوديوس، الخامس والعشرون

6 تاسيتوس، حوليات روما الإمبراطورية، 365. من المؤسف أن السنوات من 29 إلى 32 ميلادي مفقودة من حوليات تاسيتوس، ولكن إذا كانت هذه السنوات تحتوي على إشارة إلى يسوع، فمن غير المعقول ألا يتم حفظها من قبل مسيحي روماني مبكر مثل جاستن الشهيد.

7 ويلز، جي. أ. (1975)، 14. نقش تم العثور عليه عام 1961 يقول: "تيبيريوس بونتيوس بيلاطس، والي يهودا". انظر سكلارد، هـ. هـ. (1959) , 476.

8 كينغزلاند، دبليو. (1937)، 105

9 غريبر وكيرستن (1985)، 6

10 كتاب آثار اليهود، 18.63-4، هذا المقطع، المسجل فقط في كتاب الآثار، يُعرف باسم شهادة فلافيانوم. يتفق العلماء على أنها عانت على أيدي المفسرين المسيحيين اللاحقين وأن الصياغة الأصلية قد ضاعت الآن. انظر ويلسون، آي. (1984)، 60.

11 يوسيفوس، الحرب اليهودية، 406. تقتصر المقاطع الزائفة على ملحق يُعرف باسم "الإضافات السلافية".

12 المرجع نفسه، 407

13 ينبغي على كل من لا يزال يشك في هذا أن يقرأ كتاب المسيح يسوع ويوحنا المعمدان للدكتور إيسلر: "في الواقع، لم يصل إلينا أي نص يوناني أو لاتيني أو سلافي أو غيره من نصوص يوسيفوس إلا وقد مر عبر أيدي الكتبة المسيحيين والمالكين المسيحيين"، إيسلر، ر. (1931)، 38. وفيما يتعلق بالإضافات، يقول إيسلر: "إن منتقدي المقطع هم علماء اللغة، ومدافعوه هم علماء اللاهوت"، المرجع نفسه، 41.

14 غريير وكيرستن (1985)، 6، وانظر ويلز، جي. أ. (1975)، 11.كان يوسيفوس مليئاً بالازدراء تجاه العديد من "المسيحيين" الذين كانوا نشطين في عصره. انظر يوسيفوس، الحرب اليهودية، 135.

جمع بين "المحتالين الدينيين واللصوص" واعتبرهم سبباً في تدمير أورشليم.

15 يوسيفوس، الحياة وكونترا أبيون، التاسع

16 المرجع نفسه، الحادي عشر. كان يُنظر إلى عمل يوسيفوس في روما على أنه "بيان مستوحى من رعاته الإمبراطوريين، ويهدف إلى تحذير الشرق من عبثية المزيد من المعارضة". حظي يوسيفوس برعاية فسبازيان وتيتوس ثم إيبافروديتوس، الذي أهدى إليه العالم جميع أعماله اللاحقة. ويشير محرر سيرته إلى أن يوسيفوس تمكن حتى من البقاء على قيد الحياة في ظل الطاغية دوميتيان عندما فضل كتاب مثل تاسيتوس وبليني وجوفينال التزام الصمت.

17 كانت النبوءة أن ملكاً سيظهر في الشرق ويجعل روما تركع. انتشرت نبوءات مماثلة مفادها أن كليوباترا ستترأس إمبراطورية شرقية مُعاد إحياؤها ستغزو روما.

18 براندون، إس. جي. إف. (1969)، 307. يذكر ديو كاسيوس أن فسبازيان تم إعلانه إمبراطورًا في الإسكندرية، لكن يوسابيوس يكرر ادعاء يوسيفوس بأن هذا حدث في يهودا.

19 جيبون، إي. (1796)، 529، الحاشية 36. اعتبر جيبون أن "التزوير المبتذل" قد حدث "بين زمن أوريجانوس وزمن يوسابيوس".

20 ورد في ويلسون، آي. (1984)، 62

21 المرجع نفسه، ص 66: "في القرن الأول الميلادي كان سيكون اسمًا شائعًا للغاية." من بين يسوع المذكورين من قبل يوسيفوس، كان بعضهم ثوارًا، مثل يسوع بن صفياس، الذي قام مع 600 من أتباعه بمذبحة جميع السكان اليونانيين في طبرية، انظر يوسيفوس، الحياة وضد أبيون، 29. إن أكثرهم إثارة للدهشة هو بالتأكيد يسوع المجنون، ابن حنانيا. لمدة سبع سنوات قبل تدمير الهيكل، كان يتجول في الشوارع وهو يصرخ: "ويل لأورشليم!" حتى جاء يومٌ تحولت فيه صرخته إلى "ويلٌ لي!" عندما أصابه فجأة حجر من آلات الحصار فأرداه قتيلاً، انظر يوسيفوس، الحرب اليهودية، 328.

22 انظر إلى كتاب يوسيفوس، الحرب اليهودية، 403، حيث تظهر هذه الحيلة المخادعة بشكل واضح للغاية. تم ترجمة يسوع المجنون في الفصل 21 بشكل غير مفهوم باسم يشوع، بينما يستخدم المحرر اسم يسوع في الإضافات السلافية الزائفة. وفي معرض دفاعه عن هذه الإضافات، يقول إن أولئك العلماء الذين يعتبرون هذه المقاطع مزيفة هم ببساطة "مصممون على التدمير"! من الغريب سماع لغة أحد أنبياء العهد القديم من باحث في الدراسات الكلاسيكية كتب في عام 1959.

23 ويلز، جي. أ. (1975)، 12

24 وكما عبر اللاهوتي الألماني هارناك في عام 1896، "يمكن كتابة جميع الشهادات غير المسيحية عن يسوع وأصل المسيحية على صفحة واحدة من الحجم الرباعي". انظر إيسلر، ر. (1931)، 3

25 متى 1: 1-18

26 لوقا 3: 23-38

27 متى 1 :23

28 ويلسون، آي. (1984)، 52، 55. يكتب ويلسون عن هذا التناقض: "بصراحة، لقد لجأ لوقا إلى الاختراع".

29 ستانتون، ج. (1995)، 8

30 ويلز، جي. أ. (1975)، 144

31 المرجع نفسه، 174

32 كثيراً ما يشير بولس إلى "المسيح المسمر على الصليب"، لكن في غلاطية 3:

13 يذكر أن المسيح تحمل لعنة العهد القديم لكل "المعلق على المشنقة". 33 لم يذكر سفر أعمال الرسل الصلب، بل استخدم بطرس هذا الوصف مرتين، في أعمال الرسل 10: 39 و 5: 30. ويبدو أن هذا يؤكد شكوك العلماء بأن سفر أعمال الرسل قد كتب في روما حيث يظهر فجأة قرب نهاية القرن الثاني في يد إيرينيئوس. كان من شأن أي عملية صلب رومانية أن توحي بأن يسوع قد مات في مصير مجرم مذنب بالتحريض على الفتنة. ومن الجدير بالذكر أنه لا توجد في أي مكان في سراديب الموتى في روما صورة ليسوع المصلوب، وهو تصوير لم يتم العثور عليه في أي مكان في الأيقونات المسيحية قبل القرن الخامس الميلادي. إن الصورة الذكية المستخدمة في سفر أعمال الرسل، والتي يعرفها أي روماني شاهد آتيس يُحضر إلى روما مقيدًا بشجرة، تشير إلى موت إله، وليس موت مجرم عادي. تم تقديم يسوع لجمهوره الروماني الجديد على أنه يحقق في الواقع مصيراً لم يقم به إلا الإله آتيس بشكل أسطوري.

34 متى 27: 5. وتتم مناقشة المزيد من التناقضات في ويلسون المرجع السابق، 32.

35 أعمال الرسل 1: 18

36 متى 27: 46

37 مرقس 15: 34

38 لوقا 23: 46

39 يوحنا 19: 28-30

40 تمت مناقشة جميع هذه الاختلافات في كلمات يسوع الأخيرة في دورن ر (1995)، 6.

41 مرقس 15: 44

42 بحسب يوحنا، وُجد أن يسوع قد مات بالفعل، لكنه طُعن برمح على أي حال. لقد كُسرت أرجل رفاقه المصابين، لكن ساقه لم تُكسر، انظر ويلز، جي. إيه. (1975)، 51.

43 متى 12: 40

44 مرقس 6:5

45 لوقا 24: 4

46 متى 28: 3-4

47 مرقس 16: 9

48 متى 28: 9

49 لوقا 24، أعمال الرسل 1: 4

50 براندون، إس. جي. إف. (1969)، 228. يجمع براندون مجموعة كبيرة من التناقضات المتعلقة بظهورات يسوع بعد القيامة

51 مرقس 9: 40

52 متى 12: 30

53 متى 18: 22

54 متى 18: 15-17

55 لوقا 21: 12-36. وبنفس الروح، يبدأ سفر رؤيا يوحنا بـ: "رؤيا يسوع الممسوح، التي أعطاه إياها الله لكي يري عبيده ما لا بد أن يحدث قريباً جداً". لاحظ شفايتزر أن القليل من نبوءات يسوع قد تحققت بالفعل، انظر ويلز، جي. أ. (1975)، 73.

56 متى 16: 28

57 متى 24: 34

58 ويلز، المرجع السابق، ص 74. في إنجيل مرقس 7: 1-23، يستخدم يسوع حجة تستند إلى النسخة اليونانية من الكتاب المقدس اليهودي، وفي سفر أعمال الرسل يفعل بطرس الشيء نفسه (ويلز، 125)، وفي سفر أعمال الرسل 15: 13 يفعل يعقوب الشيء نفسه (ويلز، 125).

141). بل إن متى 27 الآية 9 يستشهد خطأً بإرميا بدلاً من زكريا، انظر ستانتون، ج. (1995)، 8. 59 ليدمان، ج. (1995)، 219: إن النظرة إلى الكتاب المقدس باعتباره كلمة الله أو الكتاب المقدس تنتمي إلى زمن ماضٍ. اليوم يعيق ذلك الفهم. الكتاب المقدس هو كلام البشر. يرى ليدمان أن هذا يجب أن يصبح بديهياً إذا أردنا معالجة الأزمة الحالية في دراسات العهد الجديد. في هذا التخصص يوجد الآن "انفصال بين التقوى والمعرفة يرقى إلى مستوى الفصام"، مقدمة، 13.

60 ويلسون، آي. (1984)، 32

61 المرجع نفسه. لم يتم إدخال معظم هذه "التحسينات" إلا في العصور الوسطى.

62 في ذلك الوقت كانت اللغة اليونانية هي اللغة الأولى في الجليل، كما كانت عليه الحال لأكثر من ثلاثة قرون. سفر المكابيين الثاني 15: 29، مكتوب باللغة اليونانية. يعتبر عام 150 قبل الميلاد لحظة مهمة عندما قام الثوار اليهود في فلسطين، بعد انتصار صغير، بتمجيد الله "بلغتهم الأم". من الواضح أنها كانت حالة نادرة وجديرة بالذكر. في الإسكندرية، تخلى اليهود تماماً عن لغتهم الخاصة واعتمدوا اللغة اليونانية بحلول منتصف القرن الثالث قبل الميلاد. لم يتم تهلين روما، على عكس أورشليم، بالقوة بل بالاستيعاب التدريجي. ومع ذلك، كانت الطبقة الأرستقراطية الرومانية تتحدث اليونانية في منتصف إلى أواخر عهد الجمهورية.

63 ستانتون، المرجع السابق، 35

64 المرجع نفسه.

65 نقلاً عن المرجع نفسه.

66 المرجع نفسه، 34

67 المرجع نفسه، 43. بين النسخة الأصلية والنسخة التي تحتوي على "نهاية مطولة"، لدينا العديد من المخطوطات المبكرة التي تضيف الآية التي تروي فيها النساء قصتهن لبطرس. تم ذلك لأسباب سياسية واضحة وعلى حساب الآية السابقة، التي تنص بوضوح على أن النساء لم يقلن "شيئاً لأحد".

68 طالب لوثر بالسماح للناس العاديين بقراءة الكتاب المقدس بأنفسهم، وهو تحدٍ للفاتيكان ساهم في إشعال شرارة الإصلاح الديني.

69 يؤكد أستاذ دراسات العهد الجديد في جامعة غوتنغن أن هذا لا يزال هو الحال في الكليات اللاهوتية الألمانية حتى اليوم، انظر:ليدمان، جي. (1995), 4

70 ويلسون، آي. (1984)، 33. تطلبت هذه المساعي العلمية شجاعة كبيرة، لأنها كانت تواجه اعتقاداً راسخاً في دقة الأناجيل، بل وفي قدسيتها. في القرن الثامن عشر، كتب هيرمان صموئيل ريماروس، أستاذ اللغات الشرقية في جامعة هامبورغ، عملاً يشكك في مصداقية روايات الأناجيل، لكنه أوصى بنشره فقط بعد وفاته. تم فصل د. ف. شتراوس، 1808-1874، وهو محاضر في جامعة توبنغن، من منصبه عندما رفض قصص المعجزات باعتبارها زائفة وخارقة للطبيعة. ومن الجدير بالذكر أن عبارة "حقيقة الإنجيل" تعود فقط إلى القرن التاسع عشر، عندما أصبحت هذه الشكوك حول الأناجيل معروفة على نطاق واسع، انظر ستانتون، ج. (1995)، 7.

71 ويلسون، المرجع السابق، 37

72 المرجع السابق، 35. يؤكد إيرينيئوس أن المؤلف هو يوحنا، التلميذ المفضل ليسوع. لكن من غير المرجح أن يكون هذا الصياد البسيط من الجليل قد تلقى تدريباً في الفلسفة أو اللغة اليونانية، على عكس كاتب إنجيل يوحنا. يشير كامبل، ج. (1955)، 170، إلى أن العلماء اتفقوا على أن إنجيل يوحنا والرسالة الأولى ربما يكونان من تأليف نفس المؤلف، ولكن هذا ليس التلميذ يوحنا. الرسالة الثانية من تأليف مؤلف آخر، والثالثة من تأليف مؤلف آخر أيضاً. سفر الرؤيا، الذي يُقال أيضاً أنه من تأليف يوحنا، هو نسخة مسيحية من رؤيا يهودية متأخرة كُتبت تحت اسم مستعار.

73 ويلسون، المرجع السابق، ص 36. "الاكتشاف اللاهوتي الأكثر قبولاً على مستوى العالم في هذا العصر"، بحسب ويلسون.

74 ويلز، جي. أ. (1975)، 78 وما بعدها. من المستحيل أن نكون أكثر دقة من هذا. ففيما يتعلق برؤية الأناجيل الأولى، فإننا نعتمد على شهادة الآباء الرسوليين الأوائل، رجال مثل بوليكاربوس وبابياس وإغناطيوس. وبالإضافة إلى

استخدامها بشكل غير نزيه من قبل كتّاب القرن الثاني مثل إيرينيئوس وترتليان، فقد تم أيضًا إقحام رسائلهم وإضافة نصوص إليها في القرنين الرابع والخامس. إن التدقيق في هذه الفوضى يتركنا مع الرأي السائد بأن الفترة الزمنية بين 70 و 135 قد تكون صحيحة.

75 ستانتون، ج. (1995)، 102. في القرن الثاني، تم التعبير عن الشكوك حول مرقس ولوقا ويوحنا - مرقس لأنه كان مجرد سكرتير لبطرس، ولوقا لأنه قيل إنه كان مساعدًا لبولس (الذي لم يرَ يسوع بنفسه)، ويوحنا لأن إنجيله كان معروفًا على نطاق واسع بأنه من عمل الغنوصي سيرينثوس. كان متى وحده فوق الشبهات. لكن متى الذي نتحدث عنه ليس هو الشخص الذي كان معروفًا لبابياس من هيرابوليس، والذي يقال إنه كان نشطًا بعد عام 70 ميلاديًا في آسيا الصغرى. لقد جمع معلومات عن المسيا من اللاجئين الذين تدفقوا من يهودا، لكنه يشير إلى إنجيل متى الخاص به على أنه كتاب "نبوءات". يشير هذا إلى وجود كتاب من النصوص الدليلية المستندة إلى العهد القديم، والتي تستخدم كنبوءات أو "وحي" لدعم قصة يسوع. كما دافع بابياس عن نفسه ضد الانتقادات الموجهة إلى مرقس لأنه لم يكن شاهد عيان على الأحداث التي يرويها.

76 ويلسون، المرجع السابق، 36

77 المرجع نفسه.

78 المرجع نفسه، 33

79 انظر المرجع نفسه، 191، ملاحظة إلى 88. ومن الأمثلة على ذلك معجزة التغذية التي تظهر مرتين في إنجيل مرقس، مرة لأربعة آلاف ومرة لـ

5000 كما أشار الدكتور تايلور، يبدو من غير المرجح أن تكون هاتان حادثتان منفصلتان، خاصة وأن التلاميذ في الثانية يسألون: "من أين يمكن لأحد أن يحصل على خبز لإطعام هؤلاء الناس في مكان مهجور كهذا؟"، وبالتالي فهم يجهلون على ما يبدو الحادثة الأولى التي ورد أنهم شهدوها.

80 ماك، ب.ل. (1993)، 24

81 ويلسون، آي. (1984)، 37، وانظر ويلز، جي. إيه. (1975)، 72

82 ويلسون، المرجع السابق. 39

83 نقلاً عن المرجع نفسه.

84 يذكر الفصل 21 من إنجيل يوحنا "أبناء زبدي"، لكنه لا يسميهم يعقوب ويوحنا، كما تفعل الأناجيل الأخرى. علاوة على ذلك، يتفق الجميع الآن على نطاق واسع على أن هذا الفصل كان إضافة لاحقة وأن الإنجيل الأصلي انتهى عند الفصل 20.

85 ويلز، المرجع السابق، 125

86 المرجع نفسه، 122

87 المرجع نفسه، 125

88 المرجع نفسه، ص 141. تم ذكر الاثني عشر في الفصول الافتتاحية. في الفصل التاسع نسمع أنهم قادة كنيسة أورشليم. حسب الفصل

15 إنهم يتقاسمون هذه القيادة مع "الشيوخ"، ومن الفصل 16 فصاعدًا لا نسمع عنهم بعد ذلك، وتدار كنيسة أورشليم بواسطة "يعقوب والشيوخ".

89 تم توضيح التناقضات في روايات الرسل بشكل واضح في ويلز، المرجع السابق، الفصل 5: "الاثنا عشر".

90 جاوس، أ. (1991) ,217

91 المرجع نفسه، ص 235

92 المرجع السابق نفسه، 243.

93 أعمال الرسل 21

94 أعمال الرسل 10: 9-16

95 أعمال الرسل 16: 4، 6، 10 و11. كما أن سرد الفصلين 27 و 28 ينتقل بشكل مفاجئ وعنيف من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم.

96 أعمال الرسل 9: 7

97 أعمال الرسل 21: 7

98 أعمال الرسل 9: 10

99 أعمال الرسل 9: 27

100 أعمال الرسل 22: 17-21

101 غلاطية 1: 15-17

102 أعمال الرسل 15: 13-41

103 ويلز، جي. أ. (1975)، 125

104 ميد، جي. آر. إس. (1906)، 164. كما أن جاستن لا يستخدم إنجيل يوحنا إلا قليلاً، ربما لأنه كان يحظى بتقدير كبير من قبل الغنوصيين في ذلك الوقت، انظر ستانتون، ج. (1995)، 103.

105 ليدمان، ج. (1995)، 196

106 انظر بارنستون، دبليو (1984)، الحادي عشر، أعمال الرسل المنحولة، أعمال يوحنا، أعمال بطرس، أعمال بولس، أعمال أندرو، أعمال توما، وانظر روبنسون، جيه.

م. (1978)، 287، أعمال بطرس والرسل الاثني عشر

107 بارنستون، المرجع السابق، 411

108 جاوس، أ. (1991)، 224-5

109 ويلسون، آي. (1984)، 154. تم تزوير الرسالتين الأولى والثانية لبطرس باسم بطرس في القرن الثالث لإعطاء مظهر من مظاهر الوئام بين بطرس وبولس، على الرغم من أنهما كانا على خلاف خلال حياتهما. يكتب "بطرس" بشكل متملق وغير مقنع عن "أخينا بولس ... العزيز علينا" (2 بطرس 3: 15). اعتبر يوسابيوس رسائل يعقوب ويهوذا وبطرس الثانية ويوحنا الثانية والثالثة كتبًا متنازعًا عليها، انظر ميتزجر، ب. م. (1987)، 202، وأعلن ديديموس في عام 398 م أن رسالة بطرس الثانية مزورة.

110 ويلز، المرجع السابق، 40

111 ليدمان ، المرجع السابق، 135: "من حيث تاريخ القانون، لم يتم توثيقها إلا في وقت متأخر نسبيًا، ولكن دائمًا كوحدة واحدة". إيرينيئوس (190 م) هو أول من عرفها واستخدمها. في الواقع، يعتمد عنوان كتابه ضد الهراطقة، "كشف ودحض الغنوص المزعومة زوراً"، بشكل صريح على رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس 6: 20. تم رفض أعمال الرسل والكتب الرعوية من قبل مرقيون الغنوصي، انظر ليدمان، 196. يُعتقد الآن أن هذه النصوص كانت مجهولة قبل نهاية القرن الثاني.

112 يكتب ليدمان عن الوضع الحالي للبحث (1995): "إن الإجماع بين العلماء اليوم هو أن بولس التاريخي لا يمكن أن يكون مؤلف الرسائل الرعوية، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر"، 288.

113 غلاطية 1: 12

114 كورنثوس الأولى 2: 8

115 يقول بولس فقط إن يسوع قُتل على يد اليهود (رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي).

2). هذا بالإضافة إلى ذكر بيلاطس في رسالته إلى تيموثاوس، وهي إحدى الرسائل الرعوية التي فقدت مصداقيتها، انظر ويلز، جي. أ. (1975). , 18.

116 ويلز، المرجع السابق، 157

117 المرجع نفسه، 152

118 المرجع نفسه، 20. يعتبر العديد من أساتذة العهد الجديد أن "ضآلة تقليد يسوع عند بولس" أمر "مثير للدهشة"

و"صادم" و"مسألة تثير قلقاً بالغاً". يقول ستانتون، ج. (1995)، 131: "إن إخفاق بولس في الإشارة بشكل متكرر وبإسهاب أكبر إلى أفعال وتعاليم يسوع أمر محير". وكما يلاحظ ويلز، فإن صمت بولس التام بشأن يسوع التاريخي "لا يزال يمثل مشكلة فقط لأولئك الذين يصرون على وجود يسوع تاريخي يجب الصمت عنه"، ويلز، 21.

119 رومية 8: 26

120 كورنثوس الأولى 11: 24-25. يشير بولس إلى (لكنه لا يقتبس) العديد من أقوال يسوع في رسالة كورنثوس الأولى. لكن، كما يشير ستانتون، فإنه يقوم بتعديل هذه التعاليم بحرية تامة. ويلاحظ هذا الباحث أيضًا أن: "بولف فشل في الإشارة إلى قول ليسوع في النقطة التي كان من الممكن أن يحسم فيها حجته بفعل ذلك". انظر ستانتون، ج. (1995)، 130.

121 متى 19: 12

122 ويلز، جي. أ. (1975)، 25

123 مرقس 12: 25

124 متى 28: 10

125 يوحنا 20:17

126 ورد في روبنسون، ج. م. (1978)، 260

127 يشير ميتزجر، ب. م. (1987), 181, إلى "التمايز الغريب بين سيفا وبطرس" في هذا النص.

128 غلاطية 2: 11

129 المرجع نفسه.

130 مرقس 2: 15-17

131 غلاطية 2: 13

132 ويلز، جي. أ. (1975)، 125

133 مرقس 8: 33

134 كورنثوس الأولى 15: 5

135 غلاطية 3: 1-3

136 يكتب ويلز، جي. أ. (1975)، 206، في حالة من الإحباط: "إن إدراك أن بولس جاء أولاً لم يترسخ بعد".

137 2 يوحنا 7

138 كامبل، ج. (1955)، 342. في ألمانيا، كانت أوجه التشابه بين الأسرار المقدسة والمسيحية معروفة منذ زمن طويل. على مدى قرون عديدة، تلقى العلماء في الكليات اللاهوتية الألمانية تعليمًا كلاسيكيًا، وبالتالي، بالتوازي مع اكتشافاتهم حول أصول المسيحية، اكتسبوا أيضًا فهمًا أفضل للعالم اليوناني الروماني الذي ولدت فيه. قام أودو كاسيل

ورهبان ماريا لاخ بطرح هذه النظرية المحددة لتفسير الأدلة التي اكتشفوها.

الفصل الثامن: هل كان بولس غنوصيًا؟

1 باجيلز، إي. (1975)، 9-10

2 المرجع نفسه، 2

3 باجلز، إي. (1979)، 62. يسجل كليمنت، ستروماتا 7.17، الادعاء الغنوصي بأن ثيوداس قد تلقى تعاليم سرية من بولس - "الأسرار الأعمق" التي احتفظ بها بولس بعيدًا عن تعليمه العلني ولم يعلمها إلا لعدد قليل من التلاميذ سرًا، انظر باجلز، إي. (1988)، 61.

4 كينغزلاند، دبليو. (1937)، 35

5 ميتزجر، ب. م. (1987)، 90 وما بعدها. أُجريت أبحاث حديثة على أقدم مجموعات رسائل بولس، والتي تحتوي جميعها على مقدمات. سبع من هذه الرسائل متشابهة لدرجة تشير إلى أصل مشترك، ولأنها تعتبر بولس "الرسول الحقيقي" ومعادية لليهود بشدة، فإنها تُعتبر الآن من عمل المرقيونيين. هذه المقدمات السبع مرتبطة بنفس رسائل بولس التي يتم قبولها الآن على أنها أصلية، ومن المعروف أن الكنائس التي وُجهت إليها هذه الرسائل كانت معاقل للمرقيونيين في منتصف القرن الثاني. كل هذا يشير إلى أن مرقيون، كما ادعى، كان بالفعل الوريث الحقيقي لبولس. بحلول الوقت الذي ازدادت فيه رسائل بولس إلى

13، كانت هناك حاجة لكتابة مقدمات أخرى. يعود تاريخ هذه "الأعمال الخرقاء" إلى القرنين الرابع والخامس.

6 هولرويد، إس. (1994)، 39

7 روبنسون، ج. م. (1978)، 256. يقدم سفر رؤيا بولس رؤى الرسول في 10 سماوات - سبع سماوات سفلية وثلاث سماوات علوية - وليس فقط الثالثة التي يصفها في رسالة كورنثوس. نص آخر، بعنوان "أيقونة الأركونات"، يسمي بولس "الرسول العظيم" ويشرح تعاليمه في كولوسي 1: 13 حول "سلطات الظلام"، انظر روبنسون، 163. ويوضح النص أن هذه هي الكواكب والنجوم التي تتحكم في المصير والقدر - تمامًا كما هو الحال بالنسبة لبولس.

8 بارنستون، دبليو. (1984)، 652. يشكو إبيفانيوس، صائد الهرطقات الحرفي في القرن الرابع، قائلاً: "إنهم يختلقون كتاباً صغيراً آخر باسم بولس الرسول، مليئاً بأشياء لا توصف، يستخدمه ما يسمى بالغنوصيين، ويسمونه صعود بولس؛ والذريعة (لتسميته كذلك) هي أن الرسول يقول إنه صعد إلى السماء الثالثة وسمع كلمات لا توصف، لا يجوز للإنسان أن يتكلم بها". ويقولون إن هذه هي الكلمات التي لا توصف.

9 المرجع نفسه، 445

10 يصف ليدمان، ج. (1995)، 198-9، هذه الأعمال المزيفة بأنها "متهورة"، لأنها لم تنجح إلا في تسليط الضوء على الصراعات بين الغنوصيين والكنيسة الأرثوذكسية للمطالبة بشخصية بولس القوية. يكتب مؤلف رسالة تسالونيكي الثانية، في محاولة بائسة للإيحاء بالأصالة، قائلاً: "تحية لكم بخط يدي، وهو ما يميز جميع رسائلي: هكذا يبدو خطي". هذا أحد الإضافات العديدة لرسائل بولس التي كتبها الكتبة، وعادة ما تكون لإصدار تهديدات ضد المعارضين. انظر رسالة كورنثوس الأولى

16: 4-21، حيث يطمئن الكاتب القارئ قائلاً: "هذه التحية بخط يدي - بولس". أكثر هذه الأمور سخافة هي تلك الواردة في غلاطية 6: 11-18، حيث ينطلق كاتب في جدال ضد اليهود ولكنه يقدمه بكلمات بولس المزعومة: "انظروا إلى حجم

الحروف، الآن وأنا أكتب إليكم بخط يدي".

11 ليدمان, المرجع السابق، 61 . فيما يتعلق برسائل بولس، يكتب ليدمان: "يتفق العلماء عمومًا على أن سبعًا من الرسائل الثلاث عشرة الموجودة أصلية (رسالة بولس إلى أهل روما، ورسالتا بولس الأولى والثانية إلى أهل كورنثوس، ورسالة بولس إلى أهل غلاطية، ورسالة بولس إلى أهل فيلبي، ورسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي، ورسالة بولس إلى فليمون)، بينما كُتبت الرسائل المتبقية بواسطة التلاميذ اللاحقون باسم الرسول. انظر ويلز، جي. أ. (1975)، 17، والذي يشير إلى دليل شميثال على أن جميع رسائل بولس الرئيسية، باستثناء رسالة غلاطية، مركبة بالمثل. في الكنيسة الأولى، لم يكن خصوم بولس يمانعون في التلاعب برسائله. على سبيل المثال، يقتبس كل من إيرينيئوس وترتليان من رسالة غلاطية لكنهما يحذفان كلمة "لا" في مقطع رئيسي، مما يحول معنى بولس من السلبي إلى الإيجابي، انظر باجلز، إي. (1975)، 104.

12 ويلسون، آي. (1984)، 154. أكدت الاختبارات الحاسوبية الشكوك التي طالما راودت علماء اللاهوت بأن من كتب رسائل بولس إلى تيموثاوس وتيطس لم يكن بولس نفسه، انظر ليدمان . اقتباس , 288.

13 باجلز، إي. (1975)، 5. لا يستشهد الغنوصيون الفالنتينيون إلا برسائل رومية، وكورنثوس الأولى والثانية، وغلاطية، وأفسس، وفيلبي، وكولوسي، وتسالونيكي الأولى، والعبرانيين. تتطابق هذه القائمة تمامًا مع أقدم مجموعة معروفة من كتابات بولس التي تم توثيقها من الإسكندرية.

14 ليدمان، المرجع السابق، 135

15 يقول ميتزجر، ب. م. (1987)، 202، عن محاولة يوسابيوس لتحديد قانون مقبول: "أقصى ما يمكن أن يسجله يوسابيوس هو شكوك كبيرة لدرجة أنه يبدو مرتبكًا عند الإدلاء ببيان حول هذا الموضوع". ومع ذلك فهو يعترف بأن صحة رسائل يعقوب ويهوذا موضع شك، انظر يوسابيوس، (1965)، 61، وكذلك 2 بطرس و2 و3 يوحنا. يعتبر الرؤيا زائفة. بعد أن نشق طريقنا عبر تصريحاته المحفوظة جيدًا، نصل في النهاية إلى مجموعة من الأناجيل الأربعة، ورسائل بولس باستثناء الرسائل الرعوية، ورسالة بطرس الأولى ورسالة يوحنا الأولى.

16 تشير باجلز إلى أن إيرينيئوس يفتتح بشكل لافت للنظر رسالته ضد الهرطقات، مدعياً "سلطة الرسول في معارضة الغنوصيين - من خلال الاستشهاد بكل من تيموثاوس وتيطس"، انظر باجلز، المرجع السابق، 5. كما أنها تسجل موقف ترتليان الدفاعي بشأن هذه القضية وتعتبره أمراً مفيداً. ويشير إلى أن الهراطقة تجرأوا على الطعن في صحة الرسائل الرعوية، لكنه يصر على أن "بولس نفسه" الذي كتب رسالة غلاطية كتب أيضًا رسالة تيطس.

17 باجلز. , اقتباس ., 163. حصل الرعاة على اسمهم بسبب اهتمامهم الرئيسي بكيفية تنظيم الكنيسة. وكما تشير باجلز، فإن الرسائل الأصلية مثل "أفسس وكولوسي والعبرانيين"، من ناحية أخرى، تتجاهل فعلياً دور بولس كمنظم للجماعات الكنسية.

18 تيموثاوس 4: 7

19 رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس 1: 3-4

20 1 تيموثاوس 6: 20

21 1 تيموثاوس 5: 20

22 2 تيموثاوس 2: 17-18. يُطلق النص على هذه العقيدة تحديداً اسم "الغرغرينا".

23 بارنستون، دبليو. (1984)، 445. كان تقليد رفيق بولس، ثيكلا، الذي كان يعمد ويبشر، جزءًا من تقليد شفوي راسخ في سوريا.

24" 1 تيموثاوس 2: 8-15

25- باجيلز، إي. (1975)، 8-10

26 ويشير ليدمان إلى أمثلة أخرى على العداء الذي أبداه بولس في القرن الثاني بالإضافة إلى الجدل القوي الذي أثاره كليمنت. يحتوي سفر أعمال الرسل على نقد مبطن لبولس. وفقًا لمعايير أعمال الرسل 1: 2، إذا لم يكن بولس مؤهلاً كرسول لأنه لم يكن مع يسوع خلال حياته ولم يرَ يسوع القائم من بين الأموات، انظر ليدمان, جي . (1995), 54, 57, 199. يشير باجلز إلى أن المسيحيين الكنسيين ربما فضلوا استبعاد رسائل بولس "لكن الوقت قد فات، فقد كان بالفعل رسولًا رئيسيًا ويحظى بتقدير كبير"، انظر باجلز، المرجع السابق، 161. ومع اقتراب نهاية القرن الثاني، اتخذ أصحاب التفسير الحرفي للنصوص نهجاً آخر. تم تزوير الرسائل الرعوية، ورسالة تسالونيكي الثانية، ورسالة كورنثوس الثالثة، وغيرها من الوثائق لدحض عقائد غنوصية/بولسية محددة باسم الرسول نفسه، انظر ليدمان، المرجع السابق، 201.

27 العظة، 17.15.2، نقلاً عن ليدمان، المرجع السابق، 57. كما ذكر أعلاه، فقد تم استخدام حجة مماثلة بالفعل في سفر أعمال الرسل.

28 المرجع نفسه. 19.1-7، نقلاً عن ليدمان، 58

29 المرجع نفسه، 2.17.4، نقلاً عن ليدمان، 59

30 باجلز. ، المرجع السابق، 9-10، وانظر الصفحة 161: "المصادر الكنسية التي تشير إلى بولس غالباً ما تعبر عن العداء؛ تشير رسائل كليمنت الزائفة إلى أنه، مثل سمعان الساحر، هو مقسم مستوحى من الشيطان للمجتمع الروماني الذي يرأسه بطرس بشكل صحيح."

31 دورن، ر. (1995)، 5، الذي يصف بولس بأنه "نقطة اشتعال" في التقاليد المسيحية المتنامية. براندون، إس. جي. إف. (1969)، 31 أوف، يصفه بأنه "الشخصية الإشكالية للمسيحية البدائية"؛ ليدمان، المرجع السابق،

6Iff، يصفه بأنه "الهرطقي الوحيد في الفترة المبكرة".

32 ليدمان، المرجع السابق. ., 65. كانت اللغة الأم لبولس هي اليونانية، وهو يستخدم فقط النسخة السبعينية من العهد القديم. انظر براندون، إس. جي. إف. (1969)، 313، الذي يشير إلى أن بولس في غلاطية 1 يذكر أن تعاليمه صُممت خصيصًا لتكون مفهومة لأولئك الذين لم يكونوا يهودًا. يلاحظ ليدمان أنه في حين أن الأناجيل هي "روايات من منظور الشخص الثالث"، و"غالباً ما تكون متناقضة" و"لا تأتي من شهود عيان"، فإننا في بولس "نسمع صوته بلغته الأم، خالياً من كل ضوضاء الخلفية، ومتاحاً لكل من لا يتردد في عناء قراءته". انظر ليدمان، المرجع السابق، 61.

33 ويلز، جي. أ. (1975)، 183

34 أولانسي، د. (1989)، 68 وما بعدها. يكتب سترابو: "لقد كرس أهل طرسوس أنفسهم بحماس شديد، ليس فقط للفلسفة، ولكن أيضًا لدورة التعليم بأكملها بشكل عام، لدرجة أنهم تفوقوا على أثينا أو الإسكندرية أو أي مكان آخر يمكن ذكره حيث كانت هناك مدارس ومحاضرات للفلاسفة." بل إن أثينودوروس الطرسوسي أصبح معلماً للإمبراطور أغسطس. كان أثينودوروس بدوره تلميذاً لبوسيدونيوس، الذي يمكن القول إنه أعظم فيلسوف في القرن الأول قبل الميلاد. انحرف بومبيوس مرتين عن حملاته في آسيا الصغرى لزيارة بوسيدونيوس، ويصفه شيشرون بأنه صديق. وهو أحد أوائل علماء الفلك الذين صنعوا نموذجًا للنظام الشمسي، والذي يقول شيشرون إنه "يُظهر في دوراته حركات الشمس

والنجوم والكواكب، ليلاً ونهارًا، تمامًا كما تظهر في السماء"، انظر شيشرون، طبيعة الآلهة، 159. خلال رحلاته إلى بريطانيا، اكتشف أن القمر يتحكم في المد والجزر. لا بد أنه اعتبر هذا دليلاً قاطعاً على البديهية الأولى لعلم التنجيم، وهي أن للأجرام السماوية تأثيراً مباشراً على العالم المادي. لقد ساهمت جميع المعارف الفلكية والتنجيمية التي اكتسبها المثقفون الطرسانيون، ولا سيما اكتشاف تقدم الاعتدالين بواسطة أبرخش، الذي عمل في رودس القريبة، مساهمة كبيرة في مذاهب الميثرائية. في هذه المدينة ولد بولس، في وقت كانت فيه طرسوس في أوج قوتها ونفوذها.

35 أولانسي، المرجع السابق، 68. كانت طرسوس عاصمة كيليكيا، حيث كان يتم ممارسة أسرار الميثرائية وفقًا لبلوتارخ في وقت مبكر من عام 67 قبل الميلاد. يعتبر أولانسي أن ظهور الميثرائية يتزامن تقريبًا مع حياة بوسيدونيوس ويقع في نفس الجزء من البحر الأبيض المتوسط. كشف اكتشاف أبرخش ترنح مداري الاعتدالين أن الشمس في الدورة المعروفة باسم "السنة العظيمة" كانت تنتقل من برج الحمل إلى برج الحوت عند الاعتدال الربيعي. تصور أيقونات الميثرائية ميثراس على أنه الإله الذي يدير عجلة السنة العظيمة، وبالتالي يبشر بالعصر الجديد. يُظهر بولس نفسه مدركاً لـ "زوال العمر" في رسالة كورنثوس الثانية 4: 4.

36 هابولد، إف. سي. (1963)، 186؛ انظر أيضًا القديس بولس والأديان السرية بقلم إتش. كينيدي. جميع مصطلحات بولس للمسيحيين "الناضجين" أو "الكاملين" هي اختلافات في الكلمة اليونانية telete - "التأهيل". "ناضج" هو teleion، و"إلى مستوى النضج" هو ten teleioteta، و"الرجل الكامل" هو andrateleion، و"الرجل الناقص" هو ateles. انظر أيضًا: باجلز، إي . (1975), 148،

.123 ,149

37 كورنثوس الأولى 12: 28

38 يكتب بوركيرت، دبليو (1992)، 93: "إحدى السمات الرئيسية للأسرار هي الماكاريزموس، أي مدح مكانة "المباركين" لأولئك الذين "رأوا" الأسرار". قد يهتم المسيحيون الكاريزماتيون بمعرفة الأصل القديم لاسمهم.

39 كورنثوس الأولى 4: 1

40 ويلز، جي. أ. (1975)، 23. كانت عبادة سيرابيس وزوجته إيزيس في الإسكندرية منتشرة على نطاق واسع في العالم اليوناني الروماني في ذلك الوقت. ومن المحتمل تمامًا أن يكون بولس "وكيلًا للأسرار" الخاصة بسيرابيس. يكتب الإمبراطور هادريان عن مواطني الإسكندرية: "هنا ترى مسيحيين يعبدون سيرابيس، وعباد سيرابيس الذين يسمون أنفسهم أساقفة المسيح"، انظر دالفيلا، جي. (1981)، 103. لعل هذا يلقي الضوء على مقطع في العهد الجديد ترك العلماء في حيرة من أمرهم. في كنخريا، بالقرب من كورنثوس، بينما كان بولس ينتظر الصعود على متن سفينة متجهة إلى أفسس، قام بقص شعره لأنه كان قد نذر نذراً. هذا تقرير غريب ولا يتوافق مع الشريعة اليهودية، التي تنص على أنه لا يجوز حلق الشعر إلا في أورشليم. لكن بالقرب من سينشريا كان يوجد معبد لإيزيس حيث كان البحارة اليونانيون يقصون شعرهم ويهدونه للإلهة باسم "ستيلا ماريس" على أمل عبور آمن.

41 أعمال الرسل 17: 28

42 في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس 15: 37، يستخدم بولس أكثر الصور انتشارًا من الأسرار، وهي حصاد وزرع المحاصيل كرمز للموت الصوفي وقيامة متأهل. يتحدث عن إنبات حبة قمح كصورة للقيامة ويكتب: "البذرة التي تزرعها لا تحيا إلا إذا ماتت أولاً".

43 أفلاطون، الدفاع، 23ب: "إن أحكم الناس هو من يعرف، مثل سقراط، أن حكمته لا قيمة لها".

44 كورنثوس الأولى 8: 2

45 أفلاطون، فيدروس، 250ب: "لأنه لا يوجد نور للأفكار العليا التي هي ثمينة للنفوس في النسخ الأرضية منها، فهي تُرى من خلال مرآة بشكل خافت."

46 كورنثوس الأولى 13: 12

47 ترجمة فيليب، كما وردت في هابولد، إف. سي. (1963)، 194

48 أفلاطون، الجمهورية، الكتاب السابع

49 يوربيدس، الباتشي، 207، سطر 501

50 ورد في أنجوس، س. (1925)، 61

51 جاستن الشهيد، حوار مع تريفو، 2.3، نقلاً عن دودز، إي. آر. (1951) , 249

52 أفلاطون، فيدو، 111 ج. كتب الغنوصي فالنتينوس أيضًا عن اللوغوس "الذي تحدث عن الحقائق وجهاً لوجه"، انظر ميد، جي. آر. إس. (1906)، 299.

53 1 تيموثاوس 6: 13

54 رومية 8: 3: "أرسل الله ابنه في شبه جسد الخطيئة" وفيلبي 2: 7: "حاملاً شبه الإنسان".

55 كان من الواضح لسيلسوس أن المسيحية والميثرائية كانتا تُعلّمان نفس العقيدة، انظر هوفمان، ر. ج. (1987)، 95. كما يشير أولانسي، فإن المسيحية والميثرائية كانتا "ديانتين شقيقتين، نشأتا في نفس الوقت وفي نفس المنطقة الجغرافية"، انظر أولانسي (1989)، 4.

يكتب براندون: "إن إشارات بولس العديدة إلى الأركونات و الرواقية و بليروما تشير جميعها إلى سهولة إلمامه بالمفاهيم الباطنية للتسلسل الهرمي الغنوصي للقوى الخارقة للطبيعة"، انظر براندون، إس. جي. إف. (1969)، 44.

56 رومية 14: 1-5: «واحد يراعي أياماً معينة، وآخر يعتبر كل يوم سواء...» أعلم أنه لا شيء نجس في ذاته، ولكن إذا اعتبره أحد نجساً بالنسبة له فهو نجس. فيلبي 3: 3: "... نحن الذين عبادتنا روحية، واعتزازنا بالمسيح يسوع، ولا نثق بأي شيء خارجي." كولوسي 2: 20-22: لماذا تسمح للناس أن يملي عليك "لا تلمس هذا، ولا تذق ذاك، ولا تلمس الآخر" - في إشارة إلى الأشياء التي يجب أن تفنى جميعها بمجرد استخدامها؟ ذلك يعني اتباع القواعد والأنظمة البشرية. كما هو مذكور، بشر الغنوصيون بنفس الحرية من التشريعات البشرية - وخاصة القوانين الدينية. استشهد سمعان السامري بدفاع بولس عن حريته، قائلاً: "الناس يخلصون بالنعمة، وليس بسبب أعمالهم الصالحة". أعلن أتباع كاربوقراط أنهم قد خلصوا "بالإيمان والمحبة" واعتبروا كل الأشياء "ليست جيدة أو شريرة في حد ذاتها، ولكن فقط عن طريق العرف"، انظر باجلز، إي. (1975)، 44-5.

57 كورنثوس الثانية 3: 12-18. إن الصور التي يستخدمها بولس هنا تشبه بشكل غريب طقوس التنشئة في الأسرار اليونانية. كانت المبتدئات يرتدين الحجاب، ومن هنا جاء لقبهن "العرائس". في هذه المرحلة كانوا يُعرفون باسم "مستاي" - أي أولئك الذين لديهم "عيون مغلقة". فقط في أعلى مراحل التأهيل تم رفع الحجاب وأصبح ميستاي هم أولئك الذين "الإيبوبتاي" فهموا الأسرار الباطنية. هذه هي المرحلة التي يصر بولس على أن أهل كورنثوس كان ينبغي أن يصلوا إليها.

58 رومية 1: 9-14، نقلاً عن باجلز، المرجع السابق، 15

59 رومية 1: 13

60 باجلز، المرجع السابق، 15

61 كورنثوس الأولى 2: 9

62 ورد في باجلز ، المرجع السابق، ص 58. يسجل هيبوليتوس هذا على أنه قسم السرية في جماعة جوستينوس الغنوصية. كما ورد ذلك في إنجيل توما، القول 17، وفي الرسالة الأولى لكليمنت، انظر لوث، أ. (1968). , 37.

63 كورنثوس الأولى 2: 6-9

64 كورنثوس الأولى 2: 6-8

65 براندون، إس. جي. إف. (1969)، 327

66 إنجي، دبليو آر (1899)، 81. يشير إنجيي إلى استخدام بولس لمصطلحات غنوصية أخرى مثل بليروما (الإمتلاء).

67 فيلبي 1: 9. في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس، يبدو أنه يقلل من أهمية الغنوص، مدعياً أن "الغنوص يتضخم". لكن كليمنت يوضح أن هذا لا ينبغي فهمه على أنه "متضخم"، بل يعني في الواقع "أن يحمل مشاعر عظيمة وحقيقية"، انظر ستروماتا، 68. بالنسبة للغنوصيين، بمن فيهم كليمنت، كانت الغنوصية بمثابة التأهيل بينيوماتك (روحي) للنَفَس أو الروح المقدسة.

68 كولوسي 2: 3

69 أفسس 3:3

70 كورنثوس الثانية 12: 4

71 2 كورنثوس 3: 6

71 غلاطية 4: 24

73 كورنثوس الأولى 10: 6

74 انظر ليدمان، جي. (1995), 26. بشر كل من إيرينيئوس وترتليان، وهما من أتباع التفسير الحرفي للنصوص، بقيامة الجسد. لقد فعلوا ذلك من خلال تفسير ملتوٍ لرسالة كورنثوس الأولى 15، والذي مع ذلك فشل في التغلب على مشكلة إنكار بولس القاطع لهذه العقيدة.

كورنثوس الأولى 15: 50.

75 كورنثوس الأولى 15: 50. من الواضح أن إيرينيئوس كان محبطًا بشأن هذه الآية واشتكى قائلاً: "جميع الهراطقة يقدمون هذا المقطع دائمًا"، انظر باجلز، إي. (1975)، 85. لمواجهة أتباع بولس الغنوصيين، كتب أحدهم في القرن الثاني رسالة كورنثوس الثالثة للتشكيك في كورنثوس الأولى، انظر كروس، ف. ل. (1958)، 1031. وهذا يقول: "أما الذين يقولون لكم إنه لا قيامة للجسد، فلن تكون لهم قيامة". كورنثوس الثالثة 5 24، انظر ليدمان، المرجع السابق،

224. إن انتصار الحرفيين في القرن الرابع جعل رسالة كورنثوس الثالثة غير ضرورية وتم استبعاد النص المزور من القانون.

76 ورد في باجلز، المرجع السابق، 5، 14

77 2 كورنثوس 6: 2

78 أفسس 2: 4-7

79 رومية 6: 4 و 8: 11، نقلاً عن إنجي، دبليو آر (1899)، 64. يشير إنجيي إلى أن "اللغة بولس الصوفية حول الموت والقيامة أثارت جدلاً واسعاً".

80 فيلبي 3: 10-11

81 غلاطية 2: 20

82 رومية 6: 3-7. انظر كامبل، ج. (1955)، 238: "يكمن في طبيعة عبادة الأسرار أن يخوض أتباعها نفس التجربة التي يخوضها إلههم، وأنهم، كما يقول القديس بولس، يموتون معه، ويدفنون معه، ويولدون معه، ويقومون معه".

83 كولوسي 1: 25-8

84 غلاطية 1: 15

85 1 كورنثوس 12: 12؛ انظر أيضًا رومية 12: 4

86 أفسس 4: 25

87 ورد في إنجي، دبليو آر (1899) 69. يشير إنجيي إلى أن الهراطقة زعموا أن هذا بمثابة "اعتراف صريح بأن عبادة "الرجل المسيح يسوع" هي مرحلة يجب المرور بها ثم تركها وراءنا".

88 ورد في باجلز، إي. (1975)، 7

89 المرجع نفسه، 5

90 كورنثوس الأولى 2: 2

91 رومية 1: 3 وكورنثوس الأولى 2: 2، كما ورد في باجلز المرجع السابق 5

92 كورنثوس الأولى 2: 14-15

93 باجلز، المرجع السابق، 7

94 يسمي بولس نفسه "رسول الأمم" في رسالة رومية 1: 5 لأنه معلم روحاني للأسرار الباطنية. ومع ذلك، فهو يأتي ليعلم المسيحيين من جميع المستويات، سواء "الحكماء [الروحانيات] أو الحمقى [النفس]"، انظر رومية 1: 14.

95 باجلز، المرجع السابق، 7

96 نقلاً عن المرجع نفسه، ص 59. وبالمثل، في رسالته إلى العبرانيين 5: 11-14، يشعر بولس بالنفاد صبر لأن

أتباعه ما زالوا غير مستعدين للانتقال من التعاليم الأولية. ويكتب: "في هذا الأمر لدينا الكثير من التعليم الذي يصعب تفسيره، لأنكم أصبحتم صماً في سمعكم". ففي الحقيقة، كان ينبغي أن تكونوا معلمين الآن، ولكنكم تحتاجون مرة أخرى إلى من يعلمكم الأمور الأولية لبداية كلام الله: أنتم تحتاجون إلى اللبن لا إلى اللحم. كل من يتناول اللبن فهو عديم الخبرة في كلمة البر؛ إنه لا يزال غير ناضج. اللحم مخصص للبالغين الذين هذّبوا حواسهم على التمييز بين الخير والشر. انظر باجلز، المرجع السابق،

.148-9

97 مقتبس في باجلز، المرجع السابق، 148-149، مع تعديل طفيف

98 في غلاطية 3: 2-3 يسأل بولس: "هل جاءكم الروح من خلال عمل الناموس أم من خلال السماع والإيمان؟" هل يُعقل أن تكون عديم الإحساس لدرجة أن تُنهي على المستوى المادي ما بدأته على المستوى الروحي؟

99 في رسالة بولس إلى أهل فيلبي 3: 5-6، يقدم بولس سردًا كاملاً لتبريره وفقًا للشريعة اليهودية - مختون في اليوم الثامن، من نسل بني إسرائيل، من سبط بنيامين، وفريسي غيور - "بمعيار الشريعة بار بلا عيب". والمثير للدهشة أنه يقول في الآية 8 إنه يعتبر كل هذا "كثيراً من القمامة".

100 عبرانيين 8: 13

101 2 كورنثوس 3: 14

102 رومية 14: 1-15

103 كورنثوس الأولى 6: 12

104 غلاطية 3: 6-11

105 غلاطية 3: 13-14

106 رومية 7: 6

107 غلاطية 3: 19-20؛ انظر أيضًا باجلز، إي. (1975)، 107-108

108 2 كورنثوس 4: 4

109 كورنثوس الثانية 11: 4

110 فيلبي 3: 2

111 غلاطية 5: 2

112 غلاطية 5: 12

113 فيلبي 3: 3

114 ورد في روبنسون، ج. م. (1978)، ص 132، القول 53

115 براندون، إس. جي. إف. (1969)، 268

116 ليدمان، ج. (1995)، 31. ويبدو أن هذه المجموعة من المرتدين كانت كل ما تبقى من كنيسة القدس التي حفظها الله بعناية من الدمار في عام 70 ميلادي. لا يترك لنا إيرينيئوس أي شك في أن الإبيونيين كانوا غنوصيين، انظر ليدمان، 247، الحاشية 111. يخبرنا إبيفانيوس أن الإبيونيين كانوا نباتيين، انظر بارنستون، دبليو (1984)، 203، وهي ممارسة مرتبطة بشكل شبه عالمي بالفيثاغورية في العالم القديم.

117 بارنستون، المرجع السابق، 333

118 ميد، جي. آر. إس. (1906)، 129

119 ينبغي التذكير بأن هؤلاء الناصريين لم يكونوا على دراية بأسطورة الناصرة، التي طورتها لاحقًا مدرسة المؤرخين "الكي تتحقق"، انظر المرجع نفسه، 128-9.

120 المرجع نفسه، ص 126. كان الناصريون لا يزالون منتشرين في جميع أنحاء سوريا والمدن العشر في أواخر القرن الرابع.

الفصل التاسع: الأسرار اليهودية

1 تاسيتوس، التاريخ، الكتاب 5.5، 274. يشير تاسيتوس إلى ديونيسوس باسمه الروماني ليبر.

2 يقدم مارتن هينجل، أستاذ اليهودية المبكرة في جامعة توبنغن، في كتابه "اليهود واليونانيون والبرابرة"، صورة مذهلة عن المدى الكامل للتأثير الهيليني في يهودا في القرنين الأولين قبل الميلاد.

3 ستانتون، ج. (1995)، 113. يستشهد ستانتون بعالم العهد الجديد ج. يقول مورفي أوكونور، الذي يكتب عن المسرح الذي تم اكتشافه حديثًا في صفورية: "إن التفسير الأكثر طبيعية لاستخدام يسوع لكلمة "المنافق" (ممثل مسرحي) في انتقاد الزعماء الدينيين في عصره (مرقس 7: 6) هو أنه ذهب إلى هذا المسرح، الأقرب إلى الناصرة". إن هذه الكلمة، التي ليس لها مقابل سامي، لم تكن لتكون جزءاً من مفردات الحرفي القروي. يشير كتاب "أسرار يسوع" إلى أن "التفسير الأكثر طبيعية" لذلك هو أن الكلمات وضعت في فم يسوع من قبل يهودي متأثر بالثقافة اليونانية بشكل كامل. إن اختلاق تفاصيل سيرة ذاتية جديدة ليسوع، بما في ذلك رحلاته إلى المسرح المحلي، ليس تاريخاً جيداً.

4 هينجل، م. (1980)، 117. كانت مدينة جدارا في القرنين الأولين قبل الميلاد "مهدًا للثقافة اليونانية". يذكر المؤرخ سترابو أربعة كتاب وفلاسفة مشهورين قدموا من هذه المدينة، بمن فيهم الشاعر ميلياجر ومعلمه الساخر منيبوس. يذكر سترابو أيضًا فيلوديموس من جدارا، الذي تم اكتشاف مكتبة البردي الخاصة به في هيركولانيوم في إيطاليا، انظر هينجل، 118. تم تدمير جدارا بالكامل على يد ملك القدس ألكسندر جانيوس كجزء من عملية التهويد القسري للأراضي المحيطة. هاجر معظم الشعراء والفلاسفة اليهود المتأثرين بالثقافة اليونانية إلى الغرب، وخاصة إلى إيطاليا. لعل هذه هي الطريقة التي عرف بها ديودوروس الصقلي الاسم اليهودي الغامض إياو، الذي نشره في كتابه "التاريخ" عام 50 قبل الميلاد، وكيف أدرج فرجيل صورًا يهودية من سفر إشعياء في قصيدته "المسيانية" التي كتبها عام 1990.

40 قبل الميلاد.

5 ماكيورو، ف. د. (1930)، 188 وما بعدها: 'كانت يهودا محاطة بدين ديونيسيا. تُظهر العملات الفينيقية لصيدون وبيريتوس وأورثوسيا شخصية إلهية مثل الإله الفينيقي إسموم ممثلاً على أنه ديونيسوس. كان الأنباط، الذين امتدت سيطرتهم من الجزيرة العربية إلى دمشق، يعبدون إلهاً يُدعى دوساريس والذي يبدو أنه كان ديونيسوس الأورفي. في عصر يسوع، كانت آسيا الصغرى مليئة بالأخويات الأورفية التي تسمى سبيرائي. كان طرسوس على دراية جيدة بالأساطير والعقائد الأورفية، وكان يعبد ساندان، الإله الذي يموت ويبعث والذي كان يشبه إلى حد ما ديونيسوس الأورفي. بشكل عام، كانت يهودا محاطة، في القرن الأخير قبل الميلاد، بحزام ديونيسي وأورفي. أسفرت الحفريات في المقابر الفلسطينية القديمة عن العثور على العديد من التمائم التي تحمل أسماء يهودية إلى جانب تماثيل آلهة مصر وسوريا وبابل، انظر كامبل، ج. (1964)، 274.

6 هينجل، المرجع السابق، 26

7 المرجع السابق نفسه، 118. كانت لاريسا وعسقلان على بعد أقل من 40 ميلاً من أورشليم. فر فيلو لاريسا إلى روما عام 88 قبل الميلاد وقام بتدريس الفلسفة لرجلي الدولة الرومانيين لوكولوس وشيشرون، انظر ليمبرييه، ج. (1949), أصبح تلميذه أنطيوخوس من عسقلان صديقًا ومستشارًا للسياسي الروماني بروتوس. في وقت مبكر من القرن الثاني قبل الميلاد، كانت فينيقيا المجاورة تضم مدارس فلسفية شهيرة، وقد أنتجت بوثوس وزينون والفيلسوف/الشاعر الكلبي ميلياجر. في جميع هذه المدن، كان اكتساب الحقوق المدنية يعتمد على التعليم في المدارس الثانوية العامة بالمدينة. هنا كان يتم تعليم شباب الطبقة الأرستقراطية المحلية الطموحة على يد فلاسفة وخطباء ونحويين محترفين. كان رئيس

الصالة الرياضية، أو ما يُعرف بـ"الجيمنازيارخ"، بمثابة عمدة المدينة.

8 موميليانو، أ. (1971)، 106

9 سفر المكابيين الثاني 4: 7 وما بعدها

10 لم تعد الدولة اليهودية موجودة حتى عام 1948.

11 في عام 588 قبل الميلاد، عندما سحقت بابل يهودا، فر العديد من اليهود إلى مصر، حيث كان معبد يهوه وإله وإلهة مجهولين لا يزال قائماً في جزيرة الفنتين في عام 450 قبل الميلاد. في عام 538 قبل الميلاد، سمح كورش الفارسي للإسرائيليين المستعبدين من قبل البابليين بالعودة إلى وطنهم. لكن معظمهم بقوا في بابل، حيث ظل المجتمع المزدهر موجودًا بعد قرون. يسجل شاهد قبر من أثينا دفن امرأة يهودية، ربما كانت عبدة محررة، في عام 400 قبل الميلاد، وهو أقدم إشارة إلى يهودي في أوروبا، انظر هينجل، المرجع السابق.

88. خلال حملة الإسكندر، تم بيع 30 ألف يهودي كعبيد، انظر المرجع نفسه، 5. في تدمير أورشليم عام 70 ميلادي، تم استعباد 100 ألف يهودي. وبحلول نهاية القرن الأول، شكل العبيد والمرتزقة اليهود أساس الشتات اليهودي في مناطق واسعة من العالم المتوسطي.

12 دانلاب، إس. إف. (1866)، 158؛ يوسيفوس، آثار اليهود، 1.4؛ فيلو، عن إبراهيم، 18

13 هينجل، مرجع سابق. المصدر نفسه، 167، الحاشية 52. ادعى هيرميبوس، وهو يهودي إسكندري وتلميذ الشاعر الإسكندري العظيم كاليماخوس، في عام 220 قبل الميلاد أنه يمتلك كتبًا فلكية لـ "أبراهام الأكثر تميزًا". وقد كرر علماء يهود لاحقون مثل أرسطوبولس وفيلو ويوسيفوس الادعاء بأن إبراهيم الكلداني هو مخترع علم التنجيم.

14 بحلول عصر الدولة الحديثة، حوالي عام 1550 قبل الميلاد، اندمج تموز البابلي في فينيقيا مع عبادة أوزوريس لإنتاج أدونيس. وفي العهد القديم، يُروى مرارًا وتكرارًا كيف أغوى الفينيقيون (الكنعانيون) اليهود بعيدًا عن عبادتهم الصحيحة ليهوه.

15 حزقيال 8: 14: «ثم أحضرني إلى مدخل البوابة الشمالية لبيت الرب، وهناك جلست النساء يبكين تموز». يكشف أحد تعديلات هذا النص أنه كان يوجد في الواقع مذبح لتموز عند البوابة الشمالية، انظر ياروسلاف، ب.، التناخ.

902. العهد القديم مليء بالإشارات إلى انشقاق إسرائيل إلى الطوائف الوثنية لجيرانها: سفر العدد. 25.3.5 (حيث يأمر الرب موسى بصلب قادة الطائفة علنًا)؛ تثنية.

23.18؛ ملوك الأول 15.12؛ المزامير 28، 105، 106؛ إرميا. 16.5؛ هوشع 4.14؛ عاموس

7.9؛ الحكمة 12.3، 14.5. على الرغم من تصوير هذه الانشقاقات على أنها إهانة ليهوه، إلا أنها كانت على الأرجح إهانة لسلطات أورشليم، وكان تدمير طوائف "الأماكن المرتفعة" جزءًا من محاولة إقامة طائفة مركزية في أورشليم، لأسباب سياسية وضرائبية واضحة.

16 فرايزر، ج. (1922)، 346

17 مارتن، ل. هـ. (1987)، 110: "إن الظهور اللافت للرموز الديونيوسية الأورفية في اللوحات الجدارية التي تعود إلى القرن الثالث الميلادي في كنيس دورا أوروبا في شرق سوريا يؤكد أن إشارات فيلو إلى الرموز والصور الباكوسية في سياق يهودي (المعالجون) لم تكن شذوذًا لبعض الجماعات اليهودية المصرية الهامشية. في الواقع، تم تحديد الإله اليهودي من قبل البعض على أنه سبزيوس، وهو إله تراقي فريجي قديم تم تحديده في أغلب الأحيان على أنه

ديونيسوس / 18 ويلز، جي. أ. (1975)، 194. في آسيا الصغرى اندمجت عبادة سبزيوس مع عبادة اليهود السوريين ليهوه ساباوث، رب الجنود، انظر كامبل، ج. (1964)، 273.

19 توركان، ر. (1992)، 316. يخبرنا فاليريوس ماكسيموس، في كتابه "الكلمات والأفعال التي لا تنسى"، 1.3.3، أنهم طُردوا مع المنجمين الكلدانيين.

20 ميد، جي. آر. إس. (1906)، 534. عندما قام اليهود بإعداد النسخة اليونانية من العهد القديم، قاموا بترجمة الاسم الذي لا يمكن نطقه YHVH إلى Yahaveh (Jehovah) عن طريق إضافة حروف العلة من Adoni إليه. في البداية، كان اسم حرف العلة هذا على الأرجح سراً، ولكن بحلول القرن الأول قبل الميلاد أصبح معروفاً على نطاق واسع. كتب ديودوروس الصقلي في عام 50 قبل الميلاد: "بين اليهود، أشار موسى [هكذا ورد] إلى قوانينه إلى الإله الذي يُدعى باسم إياو"، انظر الكتاب 1.94. كان الاسم الغامض القديم لديونيسوس في اليونان وإيطاليا هو "ياشو"، ومنه اشتُق اسم "ياكوس" في اليونان و"باكوس" في إيطاليا. ويشير دنلاب إلى أن كلمة Iacho كانت تُنطق بحرف "ch" صامت كما في كلمة "loch". إن ما إذا كان إياو وإياكوريل مرتبطين حقًا بأصل بعيد لا يزال موضوعًا لم يتم بحثه بشكل كافٍ، ولكن لا شك أن مثل هذه المعادلة وفرت لليهود في الشتات فرصة أخرى لإثبات قدم دينهم والإشارة إلى أن الأسرار اليونانية مستمدة منها.

21 ماكيورو، ف. د. (1930)، 189

22 هينجل، م. (1980)، 102. يسجل لين فوكس أيضًا الرأي السائد بأن اليهود كانوا يعبدون ديونيسوس تحت اسم آخر، انظر لين فوكس، ر. (1986)، 487.

23 هينجل، المرجع السابق، 71

24 المرجع نفسه، 17. هاجر رئيس الكهنة اليهودي حزقيا والعديد من أصدقائه إلى الإسكندرية عام 270 قبل الميلاد بسبب الوضع المواتي الذي كان يحظى به اليهود.

25 فونج، سي دي (1993)، المقدمة، 1

26 ميد، المرجع السابق، 102. جلب بطليموس الأول الفيلسوف ديمتريوس فاليريون من أثينا لتأسيس المكتبة والمتحف، وتيموثيوس، كاهن إليوسيس، لتأسيس الأسرار المقدسة. 27 أثناء غزو يوليوس قيصر، اشتعلت النيران في المكتبة. وقد تم إصلاح الضرر لاحقاً من قبل مارك أنتوني الذي تبرع بـ

200 ألف مخطوطة من مكتبات آسيا الصغرى واليونان.

28 كيريني، سي. (1967)، 116. يصف كليمنت الإسكندري الدراما المذهلة في الإسكندرية بأنها "دراما غامضة". تمثل مستوياتها العديدة السماوات والأرض والعالم السفلي.

29 المرجع السابق نفسه، 118. ومن هنا جاءت معرفة العديد من الآباء المسيحيين بهذه الأمور.

30 أنجوس، س. (1925)، 19-20: "كان التوفيق الديني، على نطاق هائل، نتيجة مباشرة لاختلاط الأعراق في عهد الإسكندر". كانت جميع الديانات السرية توفيقية.

وقد ساهم في التوفيق الديني غياب التعصب شبه التام، والمطالبة العالمية بآلهة مخلصة، ووجود لغة مشتركة، وذلك المزيج من الأعراق الذي لا يمكن العثور عليه اليوم إلا في الولايات المتحدة. وقد ازدادت هذه النزعة التوفيقية حدةً في ظل الإمبراطورية الرومانية. مهدت هذه الأحداث الطريق أمام هيمنة الطوائف الشرقية على الغرب، ونجاح المسيحية نفسها.

31 المرجع نفسه، ص 22 وما بعدها. وقد أدى ذلك أيضاً إلى معاداة السامية بين اليونانيين، الذين اعتبروا هذا النوع من الحصرية أمراً مسيئاً. بدأت معاداة السامية في القرن الثالث قبل الميلاد، لكنها أصبحت متوطنة بحلول العصر الروماني.

32 وفي إشارة إلى النقوش اليهودية القليلة المكتوبة بالآرامية أو العبرية في مصر، مقارنة بمئات النقوش المكتوبة باليونانية، كتب هينجل: "من المدهش مدى سرعة تخلي اليهود في مصر البطلمية عن لغتهم الآرامية المألوفة واعتمادهم للغة اليونانية". يُعد الكتاب المقدس المترجم إلى السبعينية دليلاً على هذا التحول الجوهري. إن الأسماء الموجودة على شواهد القبور من أواخر العصر البطلمي وأوائل العصر الروماني في الإسكندرية هي وحدها التي تكشف أن أصحابها كانوا يهوداً. وإلا فإنهم يتحدثون عن مفاهيم وثنية تماماً عن الحياة الآخرة، وموير ا التي تجلب الموت، وهاديس بظلامه الأبدي والهبوط الكئيب إلى ليثي. انظر هينجل، م. (1980)، 101.

33 أنجوس، المرجع السابق، 30: "قرأ يهود الشتات الأدب اليوناني، وتحدثوا اليونانية، واستخدموا اليونانية في خدمات الكنيس والعبادة العائلية، في حين أن اليونانيين الفضوليين لم يكونوا يمانعون في دراسة طائفة جديدة". واجهت هاتان القوتان الروحيتان، ديانة إسرائيل وفكر اليونان، بعضهما البعض في الإسكندرية، عاصمة الشتات الغربي والهيلينية.

34 هينجل، المرجع السابق، 98. يعتقد هينجل أن هذه المسرحية ربما تم عرضها في الفناء الكبير لأحد المعابد اليهودية. كانت المعابد اليهودية في الشتات مختلفة تماماً عن أي شيء في أورشليم. كانوا يُعرفون باسم "بروسوشاي"، ولم يحتفلوا بأي طقوس أو تضحيات، بل كانوا يتألفون بالكامل من الصلوات وقراءات من الترجمة السبعينية. كان من الممكن، وفي بعض الأحيان كان، الخلط بينها وبين أماكن اجتماع الفلاسفة. بل إن اليهود في برقة المجاورة كان لديهم مدرج تحت تصرفهم.

35 كان التفسير الرمزي لهوميروس وهسيودوس وأساطير الآلهة والإلهات سمة من سمات التقاليد العلمية الهلنستية. ابتداءً من أرسطوبولس، حوالي عام 150 قبل الميلاد، بدأ اليهود أيضاً في تأويل نصوصهم المقدسة بشكل رمزي. ثم استخدم جميع خلفائه هذه التقنية، وخاصة فيلو. ثم قام كليمنت وأوريجانوس بدورهم بتبني أعمال فيلو وأصبحت لا غنى عنها للمسيحية المبكرة، التي وجدت نبوءاتها عن يسوع من خلال تفسير رمزي للعهد القديم.

36 هينجل، المرجع السابق، 96. تقدم الترجمة السبعينية أفضل دليل على ذلك. من خلال ترجمة اسم الله الغامض في العهد القديم (خروج 3: 14) على أنه "أنا هو الذي أنا"، قام مترجمو السبعينية، على حد تعبير بيكرمان، بتشويه صورة الرب نفسه. وفي الوقت نفسه، تم إجراء العديد من التغييرات الأخرى لجعل العمل يتماشى مع الفكر اليوناني.

37 ميد، جي. آر. إس. (1906)، 116

38 يوسيفوس، الحياة وكونترا أبيون، 359. بحلول القرن الأول الميلادي، أصبح هذا التحديد أمراً شائعاً في الدفاع عن اليهودية. يكتب يوسيفوس عن تعاليم موسى عن يهوه: "لقد صوره على أنه واحد، غير مخلوق وغير متغير إلى الأبد، بجمال يفوق كل فكر بشري". من الصعب التوفيق بين هذا الإله الأفلاطوني ويهوه الغيور والمتحيز والقاسي في العهد القديم، ولكن بما أن الترجمة السبعينية تم تقديمها الآن على أنها رمزية ضخمة، فقد تم تحييد عنفها بذلك. كما يكرر يوسيفوس الرأي الذي أصبح الآن شائعًا بين العلماء اليهود، وهو أن «أحكم اليونانيين [جميع الفلاسفة بمن فيهم أفلاطون وفيثاغورس وأناكساغوراس والرواقيين] تعلموا تبني هذه المفاهيم عن الله من المبادئ التي زودهم بها موسى»، انظر ضد أبيون، 2.163-8. هينجل، م.، المرجع السابق، 100.

كان هيرميبوس، في عام 220 قبل الميلاد، أول من ربط بين فيثاغورس واليهود.

39 المرجع نفسه، 99

40 المرجع نفسه، 97-9. يُعد فيلو جزءًا من هذه السلسلة الطويلة من الفيثاغوريين اليهود. يكرر هنا مزاعم أسلافه، بل ويقتبس من وصية مزورة لأورفيوس لإثبات تهمة "سرقة" اليونانيين! وفي نهاية المطاف، أصبحت هذه الدعاية عقيدة لا جدال فيها. وقد كرر قسطنطين في خطابه في نيقية اتهام الفلاسفة اليونانيين بسرقة أفكار موسى، انظر لين فوكس، ر. (1986).

646

42 هينجل، المرجع السابق، 96. إن الأسطورة التي تقول إن بطليموس الأول وديمتريوس فاليريون قد رعيا ترجمة السبعينية هي أسطورة خيالية تم اختلاقها في منتصف القرن الثاني في رسالة كتبها أريستياس الزائف. يصفها مارلو بأنها "أسطورة خلابة"، انظر مارلو، ج. (1971) , 83. ومن الأمور الأسطورية أيضاً أن 72 كاتباً يهودياً منفصلاً أنتجوا 72 نسخة اتفقت جميعها على ترجمتها الأمينة للنصوص المقدسة. في الواقع، تمت الترجمة على أجزاء على مدى قرنين من الزمان: التوراة على مدار القرن الثالث، وإشعياء وإرميا خلال النصف الأول من القرن الثاني، والمزامير وبقية الأنبياء خلال النصف الثاني، انظر مارلو.

83. الترجمة اليونانية التي ورثناها كعهد قديم مسيحي قامت بتحديث وإعادة تفسير النصوص اليهودية بما يتماشى مع الثقافة اليونانية. لقد قامت بتحديث صورتها الجغرافية للعالم، وقامت بتكييف بعض المقاطع لتناسب المناخ السياسي السائد في الإسكندرية، وغيرت تفاصيل شريعة موسى لتلائم الممارسات القانونية الحالية في مصر. وقد أزالت هذه النسخة التشبيهات البشرية المسيئة، وشرحت الكلمات الغامضة في الأصل في ضوء المفاهيم اليونانية، وأضافت إشارات إلى الأساطير اليونانية، وجعلت فلسفتها متناغمة مع المذاهب الأفلاطونية.

43 يكتب هينجل عن المواد التي تم تأليفها بين العهد القديم والعهد الجديد: "إن جميع الأدبيات اليهودية تقريبًا من هذه الفترة التي وصلت إلينا هي في الأساس دعاية دينية وسياسية". مكتوبة في الغالب باللغة اليونانية، باستخدام أساليب بلاغية يونانية، وهي تقدم صورة لليهودية غالباً ما يصعب تمييزها عن الوثنية. انظر هينجل، م. (1980)، 51.

44 بارنستون، دبليو. (1984)، 243. كُتبت رسالة أريستياس حوالي عام 130 قبل الميلاد على يد يهودي إسكندري، ولكنها نُسبت إلى أريستياس الذي عاش قبل ذلك بأكثر من قرن.

45 المرجع نفسه، 154. كُتب سفر المكابيين الرابع في عام 40 ميلادي كدفاع عن اليهودية. وقد شكلت فيما بعد نموذجاً لقصص الاستشهاد المسيحية. بخلاف سفري المكابيين الأول والثاني، تم استبعاد هذا السفر من الأسفار الأبوكريفية للعهد الجديد. يقتبس سفر المكابيين الأول، الفصل 12، رسالة من "يوناثان رئيس الكهنة ومجلس شيوخ اليهود" إلى "إخواننا في إسبرطة". ويشير إلى أنه: "ظهرت وثيقة تُظهر أن الإسبرطيين واليهود أقارب، وكلاهما ينحدر من إبراهيم". كُتبت هذه الوثيقة في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد، وهي شاهد على التحالفات الغريبة التي تم تشكيلها في هذا الوقت المضطرب.

46 بارنستون، المرجع السابق، 485. يعيد كتاب أخنوخ الأول، الذي كتب في القرن الثاني قبل الميلاد، ابتكار شخصية العهد القديم كصورة لهرمس اليوناني المصري، وهو كاتب إلهي وعالم فلك ورسول من الله. وكما كتب هرمس 365 كتابًا، يقال إن أخنوخ كتب 366 كتابًا وعاش 365 عامًا. يصف بارنستون سفر أخنوخ الأول بأنه يمثل "تطور ذلك الجانب من اليهودية الذي تدين له المسيحية تاريخياً إلى حد كبير بوجودها". في منتصف القرن الأول، كتب يهودي إسكندري كتاب أخنوخ الثاني، الذي يقدم أخنوخ على أنه مسيح "الإله غير المرئي". انظر بارنستون، المرجع السابق، 3.

47 المرجع نفسه.

48 وتشمل هذه الأعمال، التي كُتبت في القرون القليلة الأولى قبل الميلاد، سفر الجامعة، وسفر يشوع بن سيراخ، وأناشيد سليمان، ومزامير سليمان. غالباً ما يتم تجسيد الحكمة كجانب أنثوي من الرب، وهناك العديد من الإشارات إلى "ابن الإنسان"، الذي يظهر أيضاً في سفر دانيال الذي يعود إلى القرن الثاني.

49 بارنستون، المرجع السابق، 50 وما بعدها. انتشرت نبوءات العرافات اليهودية على نطاق واسع في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية.

50 مارلو، ج. (1971)، 243. ويوضح باحث آخر قائلاً: "إن تجسيد هذا الكون الهلنستي ونظيره الأنثوي أو قرينته، استند بشكل عام إلى السمات المميزة للآلهة الهلنستية، وخاصة على صور أحكم الآلهة، إيزيس". فكما عارضت إلهة الكون الهلنستية تايك/فورتونا الفوضوية وعارضتها، كذلك عارضت صوفيا اليهودية، المبدأ الكوني للنظام، شخصية "المرأة الحمقاء" أو الحماقة، المبدأ الكوني للفوضى. هذا التركيب المتناقض مذكور في سفر الأمثال التوراتي، ويتحدث عن أختين، الحماقة والحكمة. انظر مارتن، ل.هـ. (1987)، 108.

51 مارتن، المرجع السابق، 108-109، نقلاً عن أمثال 3: 19

52 إنجي، دبليو. آر. (1899)، 84

53 مارلو، المرجع السابق، 241: "آخر وأعظم ممثل للتقاليد اليهودية الإسكندرية لليهودية الهلنستية". في أعقاب أعمال الشغب العنيفة التي اندلعت في الإسكندرية بين اليهود واليونانيين عام 38 ميلادي، تم اختيار فيلو سفيراً إلى روما من قبل الجالية اليهودية. لم يزر القدس إلا مرة واحدة في حياته، خلافاً للشريعة اليهودية التي كانت تقتضي الحضور ثلاث مرات سنوياً.

من خلال الأدلة المستقاة من كتاباته، يتضح أنه لم يكن يعرف اللغة العبرية.

54 ورد في كينغزلاند، دبليو. (1937)، 106

55 ويلوبي، إتش. آر. (1929)، 228؛ انظر أيضًا فونج، سي. دي. (1993)، مقدمة. كان قول "إما أفلاطون فيلونيس" أو "فيلو أفلاطونيسيس" مقولة شائعة في القرون القليلة الأولى من القرن الأول الميلادي.
56 كليمنت الإسكندري، ستروماتا، 1.15.72 و 2.19.100. يُطلق كليمنت تاوايس على فيلو لقب "الفيثاغوري"

على الرغم من أنه يعلم أنه "يهودي".

57 مارلو، المرجع السابق، 243: "كان لدى فيلو إيمان لا شك فيه بأن دراسة الرياضيات وعلم الفلك ستؤدي إلى إدراك الحقائق الروحية."

58 بوردمان، غريفين وموراي (1986), 703: 'من المفارقات أن أوضح وأغزر الشهود على الأفلاطونية الوسطى هو الكاتب اليهودي فيلو.'

59 إنجي، المرجع السابق، 355

60 المرجع نفسه، ص 84. فيلو، مثل نظرائه الوثنيين، لا يهتم بالاسم المعطى للوغوس: "وهناك أسماء كثيرة تنتمي إلى اللوغوس، لأنه يُدعى اسم الله، والإنسان على صورته"، انظر واليس، ر.ت (1992)، 244.

61 غريغوري، ج. (1987)، 26. هناك العديد من أوجه التشابه بين أفكار فيلو وأفلوطين، بما في ذلك الرأي القائل بأن هدف الحياة البشرية هو رؤية الله. كل هذه الأفكار موروثة من الأسرار الوثنية التي، كما يلاحظ أحد الباحثين المعاصرين، "تثبت أعمال فيلو أنها مدينة لها بشكل ملحوظ". ويلوبي، المرجع السابق، الفصل 9: "تصوف فيلو": أقر فيلو بأنه قد تم تلقينه الأسرار المقدسة من قبل موسى. لم يتردد في وصف نفسه بأنه كاهن كبير، وحث الآخرين على العمل بصفة مماثلة مع غير المتأهلين.

62 المرجع نفسه، ص 255 وما بعدها. اتبع فيلو ممارسة الغموض من خلال إلقاء مسؤولية السرية على عاتق تلاميذه. كان يُنظر إلى أولئك الذين كانوا بارعين في معرفة طائفته على أنهم جماعة باطنية، وكان يخاطبهم بصيغ مألوفة لدى متأهلي الأسرار. وضع فيلو قاعدة مفادها أنه لا يجوز إدخال أي من "تلاميذ موسى" في الطوائف الوثنية، حيث توجد أسرار في دينهم ينبغي عليهم أن يطمحوا إليها.

63 المرجع نفسه، ص 256. في كتاب "حياة موسى"، 2.71، يقول فيلو إن الله هو الذي أمر موسى بالصعود إلى الجبل. في كتابه "العمالقة"، صفحة 54، يقول إن موسى أصبح بعد ذلك كاهنًا.

64 فيلو، عن الكروبيم، 42-8، نقلاً عن بوركيرت، دبليو. (1992)، 80. يلاحظ بوركيرت أن هذا المقطع من كتابات فيلو "مشبع بالاستعارة الأسرار".

65 ورد في ويلوبي، إتش. آر. (1929)، 257

66 المرجع نفسه، ص 248. انظر أيضًا مارلو، ج. (1971)، 249، حيث يعتبر مارلو فيلو "سلفًا للغنوصية، والأفلاطونية المحدثة، والتصوف المسيحي".

67 نقلاً عن ويلوبي، المرجع السابق، 247-248

68 يوسابيوس، تاريخ الكنيسة (1965)، 2.17 وما بعدها. يدافع يوسابيوس عن نظريته منذ البداية. أما عن سبب تسمية فيلو لجماعته باسم المعلاجون، فقد كتب: "لأن لقب المسيحي لم يكن مستخدمًا بشكل عام بعد"، وينتهي بشكل ضعيف بالقول إن هذا "لا داعي لمناقشته الآن".

69 فيلو الإسكندري، الكتاب التاسع، 107

70 يوسابيوس، المرجع السابق، 2.17. يؤكد محرر هذه الطبعة بشكل قاطع أن هذه النظرية خاطئة، انظر الصفحة 406. انظر أيضًا فيلو الإسكندري، المرجع السابق، 107، حيث يذكر محرر لوب: "في الوقت الحاضر يبدو من غير الضروري الجدال بأن النظرية ليس لها أساس على الإطلاق".

71 فيلو الإسكندري، المرجع السابق، انظر مقدمة لوب

72 يقتبس ميد، جي. آر. إس. (1906)، 64، رأي كونيبير بأن "الحياة التأملية هي واحدة من أقدم أعمال فيلو". إذا كُتبت في الثلاثينيات من عمره، فسيكون ذلك بين عامي 5 و 15 ميلادي.

73 المرجع نفسه، 62. عندما أدرك العلماء البروتستانت لأول مرة أن كتاب يوسابيوس "المسيحيون" سبق المسيح، جادل البعض بأن الرسالة كانت من عمل راهب من القرن الرابع. لم تحظ هذه النظرية بأي مؤيدين، ولا تزال مفارقة المسيحيين قبل المسيح بحاجة إلى تفسير.

74 فيلو الإسكندري، المرجع السابق، 131، 30-1

75 المرجع نفسه، 121، 13، 66

76 المرجع نفسه، 131، 32

77 كيرك ورافين، (1957)، 264. في القرن الخامس قبل الميلاد، تم تحويل الفيلسوف بارمنيدس إلى الحياة التأملية على يد زميل له من أتباع فيثاغورس. يكتب ألبينوس الأفلاطوني: "هناك طريقتان للحياة، التأملية والفعالة"، لكنه يضيف: "الحياة التأملية تحتل مكانة الشرف"، انظر ريدي، ج. (1.991)، 21. كتب سينيكا، الفيلسوف الروماني الفيثاغوري، عن المسارين في كتابه "في الخدمة"، 5.1.

78 فيلو الإسكندري، المرجع السابق، 125

79 أطلق الفيثاغوريون على الرقم سبعة اسم "العذراء". من بين الأرقام العشرة الأولى، هو الرقم الوحيد الذي لن يقسم 360 درجة من الدائرة إلى أجزاء متساوية.

80 فيلو الإسكندري، الكتاب التاسع، 153، 65. يشير فيلو بشكل غامض إلى الرَّابوع، وهو أهم رمز فيثاغورسي.

82 المرجع نفسه، 115 3-9

83 فيلو الإسكندري، في الحياة التأملية، 28

84 فيلو الإسكندري، الكتاب التاسع، 129 وما بعدها، 28-9. إن هوس المعالجين بالرمزية يضعهم بقوة في التقاليد الفيثاغورية. تقليديا يعتبر الفلاسفة الرواقيون روادًا في المعالجة

الرمزية للأساطير، ومع ذلك فقد أشار ديلات، بدعم من م. ديتين، إلى أن الفيثاغوريين مارسوا ذلك قبل وقت طويل من بدء الرواقيين في استخدام هذه الطريقة بشكل منهجي، انظر دي فوغل، سي. جيه. (1966)، 109. كان ثياجينس الريجيوم أول من طبق التفسير المجازي على هوميروس ويعتقد أنه كان أيضًا فيثاغورسيًا، انظر بوركيرت، دبليو (1972)، 291، ملاحظة 67.

85 فيلو الإسكندري، المرجع السابق، 119، 11-12

86 المرجع نفسه، 165، 83-5

87 المرجع نفسه، 125، 21-3

88 هيرودوت، التاريخ، الكتاب الثاني، 63

89 فيلو الإسكندري، المرجع السابق، 127، 25

90 المرجع نفسه، 115، 2-3

الفصل العاشر: أسطورة يسوع

1 كامبل، ج. (1988)، 76

2 كان، سي. إتش. (1979)، 219: "بما أن البديهية الأساسية للتقوى اليونانية التقليدية هي أن الآلهة خالدة، فإن الحديث عن موتهم هو أفظع أنواع التجديف/ كان هيرودوت حذرًا للغاية في روايته عن موت أوزوريس-ديونيسوس: "ليس من التقوى أن أقول من يحزنون عليه في هذه المناسبة/

3 يكتب غوثري، دبليو. كيه. سي. (1952)، صفحة 110، مشيرًا إلى الأورفيين، أن من كان لديه رسالة يبشر بها في اليونان كان يفكر في القيام بذلك عن طريق اختراع أساطير أو طقوس جديدة، وبالتالي تنفير العقول المحافظة لأولئك الذين أرادوا التأثير عليهم منذ البداية. وقد تحقق التغيير من خلال إضفاء معنى جديد على الأساطير والطقوس التي كانت جاهزة للاستخدام.

4 ويلز، جي. أ. (1975)، 111-113

5 كامبل، ج. (1964)، 269. لقد وفرت أدبيات اليهود، مثل كتابي أخنوخ الأول والثاني، ووصايا الآباء الاثني عشر، ورؤيا باروخ، وصعود موسى، وما إلى ذلك، المادة المستخدمة لاحقًا في رؤى نهاية العالم المسيحية.

6 ويلز، المرجع السابق، 112. أدى فشل العديد من المخلصين البشريين إلى نقل التوقعات من المستوى البشري إلى المستوى الكوني.

7 مرقس 8: 27-33

8 ويلز، المرجع السابق، 69، الحاشية 28. كان يشوع الذي قاد بني إسرائيل إلى أرض الميعاد نموذجاً للعديد من المسيحين الذين سجلهم يوسيفوس. تنبأت عرافة يهودية سيبيلية من ذلك العصر بقدوم رجل من السماء سيجعل الشمس تتوقف، كما فعل يشوع، كما أن رسالة برنابا 12.8 تربط يسوع بيشوع.

9 أوريجانوس، في المبادئ الأولى، 4.2.9، نقلاً عن دوران، ر. (1995)، 76

10 انظر متى 22: 41-46

11 يوحنا 18: 36-7

12 مرقس 8: 27-33

13 سفر التثنية 21: 23

14 يستخدم بطرس هذا الوصف مرتين، في أعمال الرسل 10: 39 و 5: 30.

15 هيبوليتوس، إلينخوس، 5.8.4 وما بعدها. يشير هيبوليتوس إلى الكنائس الثلاث للغنوصيين، وهي "الملائكية" و"النفسية" و"الأرضية"، وأسماؤها هي "المختارون" و"المدعوون" و"الأسيرون".

16 متى 2: 15

17 يسجل كل من متى 3: 17 ولوقا 3: 21 كلمات الله التي سُمعت عند معمودية يسوع: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت كل الرضا». أما أول نص من نصوص الأهرام، الذي كُتب قبل ألفي عام، فيسجل كلمات الله عند التتويج. مراسم الفرعون: الملك هو ابني البكر الذي شق رحمي، وهو ابني الحبيب الذي أنا راضية عنه تماماً.

18 سفر التثنية 31: 14-30

19 ويلز، جي. أ. (1975)، 52. الاسم يعني "في يهوه الخلاص".

20 يشوع 3: 12

21 زكريا 9:9

22 تستمد المزامير من الشعر الديني المصري في الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين (حوالي 1000-750 قبل الميلاد)، انظر موراي، إم.أيه (1949).

50. تستند الأمثال إلى التعليمات المصرية لأمنحتب، وموسى، كاتب الكتب الخمسة الأولى، ولد في مصر ونشأ ككاهن مصري. كما تم العثور على العديد من معجزاته في النصوص المصرية، انظر هارينغتون، د. ج. (1996)، 9. كان اليهود الإسكندريون، ولاحقاً المسيحيون، حريصين على التأكيد على أصول موسى المصرية في عالم يوناني روماني اجتاحته الهوس بمصر. يقول سفر أعمال الرسل 7: 22: "لقد تلقى موسى تدريباً في كل حكمة المصريين". 23 ميتزجر، ب. م. (1987)، 172. ربما كانت إحدى أقدم "الأناجيل" عبارة عن مجموعة من النصوص الدليلية المستمدة من العهد القديم. ستكون هذه رواية، يمكن التعرف عليها تقريبًا على أنها قصة يسوع، ولكنها مؤلفة بالكامل من "نبوءات" من المزامير والأمثال والأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس. كان علماء الإسكندرية اليهود منهجيين في محاولاتهم لإثبات أن فلسفة الإغريق والأسرار كانت مسروقة من اليهود. قد يفسر وجود مجموعة من النصوص التي تثبت أن قصة ديونيسوس مستمدة من الكتب المقدسة اليهودية سبب اقتناع العديد من العلماء اليونانيين والرومان بأن الإله الذي يعبده اليهود هو ديونيسوس.

24 إشعياء 7: 14. ترجمت الترجمة السبعينية اليونانية الكلمة الآرامية almah asparthenos.

25 مرقس 15: 34؛ انظر مايور، فاولر وكونواي، (1907)، 53

26 المزمور 22:16

27 المزمور 22:18

28 بارنستون، دبليو (1984)، 202: "بما أن الكثير من الكتابات بين العهدين كانت ذات طابع نبوي ومسياني، فإن ظهور شخصية مثل يسوع المسيح لم يكن أمرًا غير متوقع". في الواقع، بسبب الطبيعة الميسيانية للأسفار اليهودية المنحولة، تم تغيير العديد منها و"تطويعها" لتكشف عن حقائق مسيحية.

29 المرجع نفسه، 501-3

30 إلى جانب تأثيرها على قصة يسوع، تم تحويل مقاطع كاملة من هذه النصوص التي تعود إلى ما بين العهدين إلى وثائق مسيحية. يظهر قسم كامل من كتاب أخنوخ الأول في رسالة يهوذا في العهد الجديد، الآيات 5-18.

31 بارنستون، المرجع السابق، 485. توجد نفس الصور في وصف تأليه أمبادوقليس.

32 ويلز، جي. أ. (1975)، 116

33 إن مصطلح "ابن الإنسان" هو مصطلح يستخدم بشكل متكرر في الأدبيات التي تعود إلى ما بين العهدين والتي كُتبت في القرن الثاني قبل الميلاد، في سفر دانيال، وسفر أخنوخ الأول والثاني، وسفر عزرا الرابع، ومزامير سليمان. انظر جاوس، أ. (1991)، 506.

34 بارنستون، المرجع السابق، 485 وما بعدها، وانظر 3 وما بعدها

35 ويلز، المرجع السابق، 55

36 المرجع نفسه، ص 211، نقلاً عن حكمة سليمان 1: 13، 16-18، 20 ومرقس 15: 29، 32؛ و14:

58، 61 وما بعدها

37 المرجع نفسه، نقلاً عن حكمة سليمان 4: 16 ومرقس 15: 37

38 المرجع نفسه، نقلاً عن حكمة سليمان 5: 5 ومرقس 15: 39

39 يناقش بيركنز، ب. (1993)، الصفحات 26-28، العديد من النصوص الغنوصية التي تم تنصيرها لاحقًا، ويعلق قائلاً: "إن إضافة المسيح إلى العصور السماوية لم تتطلب سوى تعديل طفيف للسرد الأساسي"

في العديد من النصوص الغنوصية. تكتب بيركنز عن العديد من الأنظمة التي تدرسها، "من الممكن تصور وحي وعبادة خلاصية بدون المسيحية". في إنجيل المصريين، أُقحم المسيح في رواية سابقة عن فادٍ سماوي يُدعى شيث، انظر

40 روبنسون، ج. م. (1978)، 220 وما بعدها. إن اللقب الوارد في نجع حمادي، يوغنوستوس المبارك، لا يوضح المعنى الكامل لهذا الاسم.

41 المرجع نفسه، وانظر المقدمة، 8: "عملية التنصير التي تجري أمام أعين المرء تقريبًا".

42 وفقًا لتقليد سجله ميد، فإن سمعان الساحر نسب تعاليمه إلى حكيم يدعى دوسيثيوس في عام 100 قبل الميلاد. انظر ميد، جي. آر. إس. (1906)، 162 وما بعدها.

43 ويلسون، آي. (1984)، 37، وويلز، جي. إيه. (1975)، 102. وهذا أمر مثير للسخرية، لأن موت يسوع هو الذي يؤكد أنه ليس المسيح بالتأكيد!

44 فيدلر، د. (1993)، 169. وقد اقترن زحل والمشتري ثلاث مرات خلال عام 7 قبل الميلاد: 27 مايو، 6 أكتوبر، و1 ديسمبر في برج الحوت. كان بدء العصر الجديد لبرج الحوت معروفاً لدى عدد قليل من الفلاسفة قبل أكثر من قرن، ولكن بحلول بداية القرن الأول كان قد انتشر على نطاق واسع. لا بد أن هذا الحدث الفلكي، بالإضافة إلى الأزمة العميقة التي كانت سائدة في ذلك الوقت، قد بدا وكأنه علامة مهمة على أن الأيام الأخيرة قد حلت - برج الحوت هو آخر برج من الأبراج.

45 ويلسون، الأول (1984)، 77: "إدراكًا منه لعدم شعبيته، قام هِيرُودِسُ بتصفية كل من اعتبرهم خطرين محتملين عليه، بما في ذلك زوجته واثنين من أبنائه، وأحاط نفسه بشبكة من المخبرين والشرطة السرية التي كانت سرية وقاسية مثل جهاز المخابرات السوفيتية (كي جي بي). ;

46 براندون، إس. جي. إف. (1969)، 292. تولى بيلاطس منصب الوالي لمدة عشر سنوات من عام 26 إلى عام 36 ميلادي، عندما أُعيد إلى روما ليُحاسب على مذبحة. كان مكروهًا لدرجة أنه الوالي الوحيد من عام 6 إلى عام 41 الذي تناوله يوسيفوس وفيلو بالتفصيل.

47 يوسيفوس، الحرب اليهودية، 126: "نقل بيلاطس، خلال الليل، سراً ودون علم، صور قيصر المعروفة باسم أسجما إلى أورشليم". عندما بزغ الفجر، أثار هذا الأمر حماسة كبيرة بين اليهود: فقد اندهش أولئك الذين كانوا قريبين من المنظر، مما يعني أن قوانينهم قد تم انتهاكها - فهم لا يسمحون بنصب أي تمثال منحوت في المدينة.

48 ماك، ب. ل. (1993)، 5 وما بعدها، 68. كانت الجليل تُعرف باسم "أرض غير اليهود" أو "أرض الأمم".

49 يوسيفوس، المرجع السابق، الفصل العاشر. يسجل يوسيفوس كيف أن معظم مدن الجليل أغلقت أبوابها في وجهه لكنها رحبت بالرومان. بعد الحرب اليهودية، جعلت روما مدينة صفورية الموالية لها عاصمة وخزانة الجليل.

50 ويلز، المرجع السابق، 144، 71 وما بعدها

51 مرقس 1: 16

52 "وكان يمر بجانب بحر الجليل فرأى سمعان وأندراوس." لا يُستخدم الفعل "passing along" مع حرف الجر "by" في اللغة اليونانية. إذا تمت إزالة الجزء المكتوب بخط مائل، فإن المقطع يتدفق بشكل طبيعي ويُنظر إليه على

أنه ما كان عليه في الأصل - قصة تعليمية تدور أحداثها في مكان أو زمان غير محددين.

53 ويلز، المرجع السابق، 71-2. ويستشهد ويلز برأي البروفيسور ناينهام بأن تفاصيل الزمان والمكان هي "من صنع كنيسة القديس مرقس بالكامل".

54 يوسيفوس، المرجع السابق، 337. عادةً ما تكون أرقام يوسيفوس مبالغ فيها، لكن جيبون يعتبر 580 ألف حالة وفاة بسبب العنف والمجاعة والمرض على مدى ست سنوات أمرًا محتملاً، انظر جيبون.

.E. (1796)، 516

55 يوسيفوس، المرجع السابق، 340، الفصل 22: "تدمير أورشليم"

56 بارنستون، دبليو. (1984)، 508، نقلاً عن سفر رؤيا باروخ

57 يوسيفوس، المرجع السابق، 135

58 براندون، إس. جي. إف. (1969)، 294. يستخدم يوسيفوس مصطلح "goetes" للإشارة إلى جميع هؤلاء المدعين المسيانيين. هذه الكلمة المهينة التي تصف مروجي المعجزات لها تاريخ طويل في الخطاب السياسي الروماني.

59 مرقس 12: 13-17

60 براندون، المرجع السابق، 287. يصف يوسيفوس يهوذا بأنه مؤسس إحدى المدارس الأربع للفلسفة، ولكن على الرغم من أنه يحدد المعتقدات المختلفة للفريسيين والصادقيين والإسينيين، إلا أنه يصمت بشأن غيرة يهوذا. وبما أن عمله عبارة عن دفاع يهودي مكتوب للقراء الرومان، فإنه يقلل من شأن مدى استلهام الحماس الديني. كان يهوذا حاخامًا، وكانت حرب الغيورين بمثابة جهاد ضُمن فيه للشهداء التأليه الفوري. وقد استمد هذا التقليد من ثورة المكابيين (173-164 قبل الميلاد)، الذين تم تصوير أبطالها على أنهم شهداء حاضرون في السماء أمام عرش الله. يشير الكتابان الثاني والرابع من سفر المكابيين إلى هذا الاعتقاد، حيث ينص الأخير على أن "الذين يموتون من أجل الله يعيشون لله"، انظر لين-فوكس، ر. (1986)، 436.

61 يرسم سفر عزرا صورة حية لمعاناة اليهود في ذلك الوقت: "أُحرق كهنتنا أحياء، وسُبي اللاويون، واغتصبت عذارانا وانتُهكت زوجاتنا، وسُبي رجالنا الذين يخشون الله، وتُرك أطفالنا، واستُعبد شبابنا، وأُضعف محاربونا الأقوياء"، انظر 2 عزرا 10: 22. هذه هي نفس المشاهد التي سيرويها يوسابيوس لاحقًا بمتعة لا تخفيها، انظر يوسابيوس، تاريخ الكنيسة (1965)، 65 وما بعدها.

62 ماكيورو، ف. د. (1930)، 202، بالإشارة إلى أعمال الرسل 13: 45 وما بعدها، 14: 10 وما بعدها، 17: 10 وما بعدها، 4، 18: 4 وما بعدها، 19: 19

63 المرجع نفسه، 203

64 مقدمة كتاب إيرينيئوس، ضد الهرطقات، نقلاً عن ليدمان، ج. (1995) , 16. يشير إيرينيئوس إلى الغنوصيين الفالنتينيين على أنهم "ذئاب في ثياب حملان". وبعد مرور أكثر من قرن، كان أسقف أوديسا لا يزال يشكو من أتباع فالنتينوس "الذين يسرقون الأغنام من القطيع المسيحي"، انظر ليو، إس. إن. سي. (1985)، 50.

الفصل الحادي عشر: كنيسة مقلدة

1 ورد في روبنسون، ج. م. (1978)، 374، 376

2 ورد في هوفمان، ر. ج. (1987)، 91

3 المرجع نفسه، 70

4 ويلز، جي. أ. (1975)، 61. تصبح الصيغة جامدة في

رسالة تيموثاوس الأولى، التي كما ذكرنا، تم تزويرها خصيصاً لدحض الغنوصية والترويج للحرفية. وسرعان ما أصبح تكرارها "روتينًا تقريبًا" ويمكن العثور عليها في كتابات إغناطيوس، وجوستين، وإيرينيئوس، وترتليان. ويستشهد ويلز برأي القس كيلي بأن جميع هؤلاء المؤلفين ربما يرددون عقيدة معمودية تم إنشاؤها في ذلك الوقت لطمأنة المرشحين "بأن هذه الأحداث لم تحدث في أي مكان وفي أي وقت، وأن الإنجيل ليس مجرد نظام من الأفكار".

5 2 بطرس 1: 16

6 ورد في ويلز، المرجع السابق، ص 58. يؤكد إغناطيوس، حوالي عام 110 م، على أن يسوع عانى في عهد بيلاطس ويؤكد هذا الرأي في ثلاث من الرسائل التي كتبها إلى الجماعات المسيحية. تقدم شهادة إغناطيوس دليلاً واضحاً على وجود "مذهب آخر" يقدم رواية مختلفة عن روايته.

7 المرجع نفسه.

8 1 يوحنا 4: 2

9 2 يوحنا 7-11

10 ويلز، المرجع السابق، 58

11 لوقا 24: 28-43. انظر هوفمان، ر. ج. (1987)، 130، ملاحظة 25، وكذلك ويلز، ج. أ. (1975)، 159، ملاحظة 7. أُضيفت قصة الميلاد وهذه الآيات الختامية إلى إنجيل لوقا لدحض مذهب الدوسيتية لدى الغنوصيين.

12 يوحنا 20:17

13 يوحنا 20:24 -9

14 فيدلر، د. (1993)، 17. يزعم إيرينيئوس أن الخبز والنبيذ يتحولان حرفياً إلى جسد ودم يسوع، وأنه من خلال تناول هذه المادة تتحول أجسادنا المادية بشكل خارق إلى حالة الخلود. انظر دالفيلا، جي. (1981)، 117، الذي يسجل أنه بحلول القرن الثالث، تم تقديم السر المقدس، الذي كان بالنسبة لكليمنت رمزًا صوفيًا، على أنه جرعة سحرية، aphaimakos athansias.

15 هوفمان، المرجع السابق، ص 70

16 2 بطرس 3: 3-10

17 لين- فوكس، ر. (1986)، 267. كان جاستن يرد على صيحات الحيرة من معاصريه قائلاً: "لقد سمعنا هذه الأشياء حتى في أيام آبائنا، وانظروا، لقد كبرنا ولم يحدث لنا أي منها".

18 كامبل، ج. (1955)، 169. هذه الأسطورة المضطربة حول يوحنا، الذي همس عنه التلاميذ الآخرون قائلين: "هذا التلميذ لن يموت"، موجودة في يوحنا 21: 23.

19 لين فوكس، المرجع السالف الذكر، 266 وما يليه. لو كان هيبوليتوس يكتب اليوم، لكان عمله بلا شك سيُسمى "شفرة الكتاب المقدس".

20 المرجع نفسه، 266. عندما تُرجمت رسالة إيرينيئوس ضد الهرطقة إلى اللاتينية في أوائل القرن الخامس، تم حذف الألفية.

21 باجلز، إي. (1979)، 36. يعترف ترتليان بأن خصومه يجدون التفسير الحرفي "مثيرًا للاشمئزاز للغاية، ومقيتًا، ومستحيلاً".

22 ترتليان، جسد المسيح، 5

23 في النصف الثاني من القرن الثاني، دار الجدل على كلا الجانبين من خلال ادعاء النسب من شخصية رسولية، حيث ادعى الغنوصيون النسب من بولس، وادعى الحرفيون النسب من يوحنا وبطرس عبر أساقفة آسيا الصغرى المختلفين. ولإثبات موقعه في سلسلة الخلافة الرسولية، اضطر إيرينيئوس إلى اختلاق تفسير غير عادي إلى حد ما لطول فترة خدمة يسوع. إنه يقلص عدد الأجيال اللازمة لربط زمن يسوع بزمنه من خلال تمديد عصر المسيح وكذلك عصر الرسل. وللقيام بذلك، يجمع بين التقليد الإنجيلي المتوافق الذي ينص على أن يسوع كان يبلغ من العمر 30 عامًا عند تعميده، وإشارة يوحنا إلى زيارات متعددة إلى أورشليم، وادعائه بأن يسوع لم يكن قد بلغ الخمسين بعد (يوحنا 8: 56-7). ويخلص إلى أن يسوع لا بد أنه ظل يعظ حتى تجاوز الأربعين من عمره. وكما يشير بيركنز، "يلجأ إيرينيئوس بعد ذلك إلى شهادة التقاليد الرسولية لتأكيد هذا الادعاء الاستثنائي". انظر بيركنز، ب. (1993)، 180. وهكذا يثبت إيرينيئوس أن شيوخ كنائس آسيا الصغرى في أوائل القرن الثاني كانوا لا يزالون قادرين على تعلم الحقيقة مباشرة من الرسل (أي بوليكاربوس، الذي تعلم مباشرة من الرسول يوحنا). يقول إيرينيئوس ساخراً إن المعلم الغنوصي بطليموس لم يرَ حتى رسولاً في أحلامه! (الدكتور هير.) 2.22.6.) إن الحريات التي أخذها إيرينيئوس فيما يتعلق بطول حياة يوحنا أدت في النهاية إلى ظهور الأسطورة الغريبة التي تقول إنه في الواقع لم يمت أبدًا، ولكنه لا يزال يعيش في باتموس أو أفسس، انظر كامبل، ج. (1955)، 169.

24 باجلز، المرجع السابق، 41

25 المرجع نفسه، 61. وكما تشير باجلز، فإن أبرز المؤيدين لهذه النظرية كانوا، كما هو متوقع، الأساقفة.

26 1 كليمنت 1. انظر 44، حيث يؤكد كليمنت أنه للأسف كان كل هذا معروفًا مسبقًا: "لقد عرف رسلنا، من خلال ربنا يسوع المسيح، أنه ستكون هناك خلافات حول لقب الأسقف".

27 1 كليمنت 63

28 1 كليمنت 41.3

29 ورد في باجلز، إي. (1979)، 61

30 نقلاً عن المرجع نفسه.

31 المرجع نفسه، 117

32 المرجع نفسه، 61

33 المرجع نفسه، 66

34 المرجع نفسه، 67

35 المرجع نفسه، 66

36 ترتليان، وصفة ضد الهراطقة، 41

37 باجلز، المرجع السابق، 83

38 نقلاً عن المرجع نفسه، ص 81

39 ترتليان، في لباس النساء، 1.1.2، نقلاً عن المرجع نفسه، ص 63، وانظر دورن، ر. (1995)، ص 150

40 باجلز، إي . (1979), 117, انظر 69، حيث يؤكد إيرينيئوس أن: الكهنة ... يتلقون في نفس الوقت مع الخلافة الأسقفية هبة الحقيقة المؤكدة.

41 المرجع نفسه، 122

42 المرجع نفسه، 117

43 المرجع نفسه، 69. يحدد إيرينيئوس خطين للخلافة. يستمد المرء من الله وينحدر من خلال المسيح ورسله المختارين، وخاصة بطرس. أما الآخر فيأتي من سمعان الساحر الذي "وضع اسم يسوع المسيح كنوع من الإغراء" ولكن تعاليمه في الواقع "سم خبيث من الحية العظيمة، المؤلف العظيم للردة". ورداً على انتقادات الغنوصيين، كتب إيرينيئوس بغضب: "إنهم يصفوننا بأننا "غير روحانيين" و"عاديين" و"متدينين" ... يقولون إننا نستمر في العيش في العوالم الدنيا، كما لو أننا لا نستطيع رفع عقولنا إلى الأشياء العليا، ولا فهم الأشياء التي فوقها". انظر المرجع نفسه، ص 67.

44 - لين-فوكس، ر. (1986)، 492

45 الصفحات، مرجع سابق. المرجع نفسه، 100؛ انظر أيضًا جيبون، إي. (1796)، 522

46 يهوذا v3ff

47 يهوذا 22

48 2 تيموثاوس 2: 17-18.

49 إيرينيئوس، ضد الهرطقات، 3.15.2

50 ورد في باجلز، إي. (1975)، 158-9

51 ورد في روبنسون، ج. م. (1978)، 448 وما يليها. كُتبت شهادة الحق في الإسكندرية في القرن الثاني. إن حجج مؤلفها (الذي يُعتقد أنه فالنتينوس) تقدم صورة معكوسة لحجج علماء الهرطقة الكنسية.

52 المرجع نفسه، 362 وما يليها ؛ انظر أيسو باجلز، إي. (1979)، 115

53 الرسالة الثانية لشيث العظيم، 60، 20

54 ورد في باجلز، المرجع السابق، ص 65

55 ستيفنسون، ج. (1957)، 209، أوريجانوس عن "رجال الدين غير الجديرين"

56 1 كورنثوس 2: 4، انظر باجلز، إي. (1975)، 54

57 1 كورنثوس 1: 10

58 باجلز، المرجع السابق، 45

59 رومية 14: 2. انظر باجلز، المرجع السابق، 45. يُطلق بولس على فريق "بينيوماتك (روحي)" الاسم الرمزي "الأقوياء".

60 رومية 15: 6 انظر باجلز، المرجع السابق، 45

61 باجلز، إي. (1979)، 126

62 المرجع نفسه، 68.

63 إيرينيئوس، ضد الهرطقات، 3.16.1، نقلاً عن المرجع نفسه، 54

64 المرجع نفسه، 3.15.2، نقلاً عن باجلز، إي. (1975)، 62

65 باجلز، إي، (1979)، 64

66 المرجع نفسه، ص 126. أكد ثيودوتوس، المعلم العظيم للشرق، أن جسد المسيح كان روحياً بحتاً، ويتكون من أولئك الذين تلقوا الغنوص. اختلف بطليموس وهيراكليون، وهما من معلمي المدرسة الغربية، مع هذا الرأي. وعارضوا ثيودوتوس بحجة أن جسد المسيح، أي الكنيسة، يتكون من عنصرين متميزين. يعترف نص الفالنتينية "تفسير الغنوصية" بأن الكنيسة التي كانت في الأصل واحدة قد انقسمت الآن إلى فصائل، ويحاول التوفيق بين المسيحيين الغنوصيين والمسيحيين الحرفيين.

67 أصبحت مقولة أفلاطون "كثيرون يحملون العصا، لكن قليلون يصبحون باكوس" مثلاً شائعاً في العصر الهلنستي، وغالباً ما تم اختصارها إلى "كثيرون يُدعون لكن قليلون يُختارون". وبهذا الشكل يظهر في رسالة برنابا المبكرة، انظر لوث، أ. (1968).

163، وفي متى 20: 16. أضاف الغنوصيون مصطلح "الأسير" للإشارة إلى أولئك "المستعبدين في مصر".

68 باجلز، إي. (1979)، 126

69 المرجع نفسه.

70 المرجع نفسه، 63

71 باجلز، إي. (1975)، 157. وكما تشير باجلز، فإن مقدار الجهد المبذول لدحضها، ثم لإبادتها الكاملة، هو دليل غير مباشر على شعبية الغنوصية - كما هو الحال مع ظهورها المستمر.

72 جيبون، إي. (1796)، 458. يكتب جيبون بأسلوبه المميز: "في الغالب، ظهرت هذه القضايا في القرن الثاني، وازدهرت خلال القرن الثالث، وتم قمعها في القرن الرابع أو الخامس بسبب انتشار الخلافات الأكثر رواجًا."

73 يحذر دورن، ر. (1995)، 75 من أنه يجب علينا أن ندرك "مدى مرونة تسمية المسيحي في روما في القرن الثاني".

74 يذكر إيرينيئوس أن بعض أساقفته وشمامسته قد أصبحوا غنوصيين فالنتينيين [ضد الهرطقات، مقدمة، 4.26.3،

4.41.3-4.5.31). ويأسف ترتليان كذلك لأن الأعضاء البارزين في مجتمعه "حتى الأساقفة والشمامسة والأرامل والشهداء" سعوا إلى الانضمام إلى دائرة فالنتينيان [الوصفة ضد الهراطقة، 3].

75 ترتليان، ضد فالنتينوس، 4

76 ورد في غودوين، ج. (1981)، 85

77 غوثري، ك. س. (1987)، 42، بالإشارة إلى جاستن الشهيد، حوار مع تريفو، 2

78 ميد، جي. آر. إس. (1906)، 253

79 بارنستون، دبليو. (1984)، 621. كان بطليموس، أو بطليموس، رئيس المدرسة الفالنتينية في إيطاليا حوالي عام 160 ميلادي. وهو أول مفسر معروف لإنجيل يوحنا (وربما ليس من المستغرب ذلك، حيث كان يُعتقد على نطاق واسع أن إنجيل يوحنا عمل غنوصي). وهو أيضًا أحد أوائل المسيحيين الذين نعرفهم والذين تم إعدامهم بسبب معتقداتهم، انظر ستيفنسون، ج. (1957)، 30. من الواضح أن إيرينيئوس يدرك أن الغنوصيين قد ماتوا من أجل الإيمان، انظر باجلز، إي. (1979)، 104، على الرغم من أنه يقلل من شأن مساهمتهم بالطبع. لكن الأمر الغريب هو الطريقة التي يدخل بها إيرينيئوس التاريخ الكنسي. كانت أول مهمة له كقسيس في ليون هي حمل رسالة إلى روما يتوسل فيها من أجل العفو عن المونتانيين المضطهدين، انظر كروس، ف. ل. (1958)، 701. وهذا من شأنه أن يشير إلى أن المونتانيين كانوا من بين "شهداء ليون" المشهورين في عام 170 م، وهو الحدث الذي يدعي إيرينيئوس أنه قاده إلى المسيح.

80 يوسابيوس (1965)، 109. يدعي يوسابيوس أنه ألف "ردًا فعالًا للغاية على باسيليدس"، ولكن، كما هو الحال غالبًا مع مصادر يوسابيوس، ليس لدينا دليل مستقل على وجود أغريباس، انظر المرجع نفسه، 341.

81 ميد، جي. آر. إس. (1906)، 148. هذا هو اعتقاد ميد، والذي يبدو أنه مدعوم بفشل مطاردي الهرطقة اللاحقين في نقل أعمال هيبوليتوس الفعلية، مفضلين الاعتماد على إيرينيئوس. تحتوي رسالة هيبوليتوس، التي أعيد اكتشافها عام 1842، على كمية كبيرة من المواد الجديدة، بما في ذلك اقتباسات مباشرة من "الزنادقة" أنفسهم.

82 لودمان، ج.، (1995)، 24

83 باجلز، إي. (1979)، 120. انظر ميتزجر، ب. م. (1987)، 149 ، الذي يصف هيبوليتوس بأنه أول بابا مزيف.

84 جرانت، ر.م. (1959)، 183

85 ميتزجر، المرجع السابق، 99. بحسب ديديموس، كان مونتانوس كاهنًا لسيبيل دخل في غيبوبة وبدأ يتكلم بألسنة. واعتقد أنه مُلهم من الروح القدس (الباراقليت الموعود به في يوحنا 14: 15-17)، فسافر إلى آسيا الصغرى برفقة امرأتين نبويتين. كان يعتبر النشوة هي المسيحية الحقيقية الوحيدة.

86 ورد في باجلز. ، المرجع السابق، 121-2. على عكس هيبوليتوس وإيرينيئوس، لم يتم تطويب ترتليان، على الأرجح لأنه ارتد إلى المونتانية في عام 207 م. انظر جيبون، إي. (1796)، 523، حيث تم تسجيل كيف أن ترتليان، بعد ارتداده، شرع في مهاجمة أخلاقيات الكنيسة التي دافع عنها سابقًا بكل حزم.

87 لين-فوكس، ر. (1986)، 409

88 كروس، ف. ل. (1958)، 133. كان أتباع ترتليان لا يزالون موجودين في القرن الرابع.

89 ميد، جي. آر. إس. (1907)، 162. حاول مرقيون بهذه الطريقة إثبات عدم التوافق التام بين آلهة العهد القديم والعهد الجديد. فشلت مدرسته في الترسخ في الغرب، ولكن في الشرق تم الاستيلاء عليها وتعزيزها من قبل أتباع ماني الغنوصيين. وقد قاموا هم أيضاً بتأليف رسالة تسمى "الأضداد". انظر ليو، إس. إن. سي. (1985)، 39، الذي يشير إلى أن تأثير مرقيون على ماني كان عميقًا وشاملًا على الرغم من أنه لم يتنازل عن الاعتراف بذلك. في أواخر القرن الرابع كتب أسقف أرثوذكسي: "لقد فصل مرقيون خرافه، وانقض ماني عليها وقادها بعيدًا / انظر ليو، 44". كان كل من مرقيون وماني يعتبران نفسيهما من أتباع بولس الحقيقيين، ولا يزالان يحاولان تحرير إخوانهما اليهود من طغيان الشريعة.

90 لين-فوكس، المرجع السابق، 332

91 جودوين، ج. (1981)، 85. ربما تعطينا الرسالة المانوية فكرة جيدة عن محتويات كتاب مرقيون "الأضداد". ويشير إلى أن العهدين متناقضان فيما بينهما، وأن الكاثوليك، من خلال الاحتفاظ بالعهد القديم، تجاهلوا تحذير المسيح ووضعوا "قطعة قماش جديدة على ثوب قديم". وبذلك أعادوا الكنيسة إلى عبودية الختان. لقد انتهكت حياة آباء العهد القديم المبادئ الأخلاقية للعهد الجديد. كان لإبراهيم عشيقة وأعطى زوجته لملوك أجانب، وارتكب لوط زنا المحارم، وطمع داود في زوجة أحد قادته، وكان سليمان متعدد الزوجات. تزوج هوشع من زانية بأمر من الله، وكان موسى قاتلاً. انظر ليو، المرجع السابق،

121

92 ميد، جي. آر. إس. (1906)، 243. من المقبول على نطاق واسع أن نقد مرقيون للمسيحية الغربية كان الدافع وراء المحاولات الأولى لإنشاء قانون نهائي.

93 جيبون، إي. (1796) , 455

94 ترتليان، الدفاع، 19.1، 21.1، نقلاً عن براندون، إس. جي. إف. (1969)،

377. أسوأ إهانة يمكن توجيهها إلى طائفة في العالم اليوناني الروماني هي أنها جديدة. تم ربط جميع منافسي المسيحية بالثقافات القديمة - إيزيس وأوزوريس بمصر، وميثراس ببلاد فارس، ،آأتيس وأدونيس بعبادات الأم العظيمة في آسيا الصغرى. حتى عندما تم إنشاء الطائفة بالفعل في العصر الهلنستي، كما هو الحال في الميثرائية، كان عليها بالضرورة أن تتجذر في الماضي القديم والموقر. هاجم تاسيتوس، وهو أول ناقد للمسيحية، هذا المفهوم جزئياً لأنه كان خرافة، ولكن أيضاً لأنه كان جديداً. يقر يوسابيوس بهذا النقد في بداية كتابه "تاريخ الكنيسة". بالاعتماد بشكل كبير على العهد القديم كشاهد له، يكتب أنه "لا يوجد شيء جديد أو غريب في الدين الذي بشر به"، انظر يوسابيوس (1965)، 14

95 تم ترتيب الكتب المقدسة اليهودية وفقًا لترتيب التوراة (أسفار موسى الخمسة)، والأنبياء (من يشوع إلى ملاخي)، والكتابات (من المزامير إلى أخبار الأيام الثاني). أما في العهد القديم المسيحي، فقد تم تبديل الأنبياء والكتب. والآن فإن نبوءة ملاخي 3: 25 - "ها أنا أرسل إليكم النبي إيليا قبل مجيء يوم الرب الرهيب المخيف" - تؤدي إلى ظهور يوحنا المعمدان، وهو تجسيد لإيليا. 96 براندون، المرجع السابق، 251. ولإكمال هذا العرض للشعور بالذنب اليهودي، يصف مرقس القادة اليهود على جبل الجلجثة بأنهم يسخرون من يسوع المحتضر، بينما كان قائد المئة الروماني هو الشخص الوحيد الحاضر الذي اعترف بألوهية يسوع، معلناً: "حقا كان هذا الرجل ابن الله".

97 متى 27: 24-6

98 براندون، المرجع السابق، 252. يكتب براندون في عام 1969.

99 يشير دورن، ر. (1995)، 57، إلى أنه في القرن الثاني، مع ازدياد عدد غير اليهود الذين اعتنقوا المسيحية، انخفض عدد اليهود الذين اعتنقوها. وقد كتب جاستن الشهيد هجومًا لاذعًا على اليهود بعنوان "حوار مع تريفون". وقد بلغ عدد فصوله 142 فصلاً، وهو أطول كتاب تم إنتاجه حتى الآن بواسطة كاتب أرثوذكسي، انظر ميتزجر، ب. م. (1987), 144. وفي وقت لاحق، كتب الأسقف ميليتو وترتليان كتيبات جدلية ضد اليهود، كما فعل القديس أوغسطين.

100 دورن، المرجع السابق، 58

101 لين-فوكس، ر. (1986)، 482

102 إن الطبيعة المعادية للسامية المتنامية للمسيحية تعكس تماماً المواقف المتشددة للإمبراطورية الغربية تجاه اليهود، وبحلول أوائل القرن الرابع كان يوسابيوس يصف بمتعة كيف كان تدمير أورشليم عقاباً من الله لليهود على قتل ابنه. في نهاية القرن الرابع، كان القديس يوحنا فم الذهب يبشر بأن الشياطين تسكن في المعابد اليهودية وفي نفوس اليهود، وكان القديس أوغسطين يكتب في رسالة ضد اليهود: "أنتم في آبائكم قتلتم المسيح/ انظر دوران، المرجع السابق".

62. في عام 412 أصبح كيرلس بطريرك الإسكندرية وكان من أوائل أعماله تحريض الرهبان على نهب وطرد الجالية اليهودية الثرية التي يبلغ قوامها حوالي 40 ألف فرد من المدينة، انظر مارلو، ج. (1971)، 288. خلال القرن الخامس، حرص الأباطرة على حماية بقاء المجتمعات اليهودية، ولكن كمواطنين من الدرجة الثانية، "حتى يكونوا بمثابة شهادة حية على التفسير المسيحي للكتب المقدسة وعلى انتصار الكنيسة الكاثوليكية"، انظر ليو، إس. إن. سي. . (1985)، 177.

103 جاستن الشهيد، حوار مع تريفو، 16، نقلاً عن دوران، المرجع السابق؛

104 يقدم ميتزجر، المرجع السابق، ص 75 وما بعدها، وجهة النظر التقليدية لتطور القانون. يلاحظ بارنستون، دبليو (1984)، xviii، "يمكننا أن نقول بشكل قاطع أن الكتاب المقدس، مع غياب النصوص المقدسة من فترة ما بين العهدين بأكملها، ومع قبوله لقانون صغير ومتكرر للعهد الجديد، ومع استبعاد جميع الأسفار الأبوكريفية المسيحية اللاحقة، والرفض التام للنصوص الغنوصية، قد أعطانا نسخة خاضعة للرقابة ومشوهة للغاية من الأدب الديني القديم. يُعطي هذا انطباعاً بأن المسيحية قد انبثقت بطريقة ما من تلقاء نفسها ككيان إلهي، بلا ماضٍ، في سياقها التاريخي. يلاحظ ماك، ب. ل. (1993)، 228، حول القانون ما يلي: "إن الأمر اللافت للنظر هو الاختزال الشديد لأدب كبير وحيوي إلى مجموعة صغيرة جدًا من الأناجيل والرسائل". عندما نأخذ في الاعتبار أن الأناجيل نفسها هي في الواقع أربع نسخ من قصة واحدة، وأن الرسائل في المقام الأول كتبها رجل واحد، فإن الفقر الحقيقي للكتب المقدسة الغربية يصبح واضحاً بشكل محبط.

105 وهي حقيقة لاحظها تولاند منذ عام 1699، حيث كتب: "لا يوجد كتاب واحد من العهد الجديد لم يرفضه بعض الكتاب القدماء باعتباره منسوبًا ظلمًا إلى الرسل ومزورًا بالفعل من قبل خصومهم". انظر ميتزجر، ب. م. (1987)، 13.

106 المرجع نفسه، 54. يسجل ميد، جي. آر. إس. (1906)، 254، أن مدرسة باسيليوس في الإسكندرية كانت معروفة بتقاليد ماتياس. ويشير إلى أن هذا ربما كان "سيرة حياة يسوع" مخصصة للتداول العام، ومصممة ليتم تفسيرها لاحقًا وفقًا للمبادئ الداخلية للمعرفة الباطنية. قد لا يكون لهذا أي علاقة بإنجيل متى الحالي، ولكنه ربما كان بمثابة الوثيقة التأسيسية له. إذا كانت أطروحة أسرار يسوع صحيحة، فلا بد أن يكون المؤلف الأول لقصة يسوع غنوصيًا، لأنه في البداية لم يكن هناك سوى الغنوصية. ربما شكلت تقاليد متياس الأساس للتقارير المتضاربة التي جمعها بابياس من اللاجئين اليهود المتدفقين من سوريا إلى آسيا الصغرى.

107 ميتزجر، المرجع السابق، 145. عندما وصف الوثائق التي يعرفها بأنها "مذكرات الرسل"، استخدم جاستن نفس المصطلح الذي صاغه زينوفون قبل خمسة قرون عندما كتب مذكرات سقراط.

108 ستانتون، ج. (1995)، 101-2. في عام 172 ميلادي، قام تاتيان، تلميذ جاستن الشهيد، رداً على هجمات النقاد الذين سخروا من التناقضات بين الأناجيل المختلفة، بدمجها جميعاً في إنجيل واحد.

109 ميتزجر، المرجع السابق، 15 إيف. يوضح إيرينيئوس أنه بالنسبة له هناك أربعة أناجيل وأن القانون قد اكتمل. انظر ستيفنسون، ج. (1957)، 117، حيث يقدم أسبابه: "ليس من الممكن أن يكون عدد الأناجيل أكثر أو أقل مما هو عليه، لأن هناك أربع مناطق في العالم وأربع رياح رئيسية [كذا]". إن هذا المنطق يجعلنا ندرك مدى بعدنا عن عالم الفكر الذي كان يعيش فيه هؤلاء الرجال. كما يشير لوديمان، فإن "الحجج المصطنعة" لإيرينيئوس على الأقل تُظهر أن الفكرة كانت جديدة نسبياً وتحتاج إلى الدفاع عنها. انظر لودمان، ج. (1995)، 196.

110 لين- فوكس، ر. (1986)، 38 إيف، يسمي هذا "جوهرة الكتابات غير الكنسية". يُعتقد أنها كُتبت حوالي عام 90 ميلادي بالقرب من كوماي في إيطاليا، وربما كتبها يهودي تم استعباده في الحملة الرومانية الأخيرة. من السهل أن نفهم سبب استبعادها من القانون، لأنها لا تقدم اقتباسات محددة من العهد القديم أو العهد الجديد، وتقدم مزيجًا غريبًا من الحكمة الهرمسية والسيبلية في شكل رؤيا يهودية/مسيحية. يحمل عنوانها والكثير من صورها صدى واضحاً مع كتاب "راعي هرمس"، وهو نص وثني يُنسب إلى الحكيم المصري هرمس تريسميجستوس.

111 لين-فوكس، المرجع السابق، 381

112 بامستون، دبليو. (1984)، 333

113 كيريني، سي. (1976)، 106، وانظر بارنستون، المرجع السابق، 335، وميتزجر، المرجع السابق، 170

114 ر. أ. ليبسيوس، 1860، ورد في ميد، ج. ر. س. (1906)، 417

115 لودمان، ج.، المرجع السابق، 196. يتتبع إيرينيئوس جميع البدع من سمعان الساحر ويستشهد بأعمال الرسل لإظهار أن بطرس قد رفض الهرطقي بشكل كامل. يذكر جاستن سمعان الساحر مراراً وتكراراً، لكن الغريب أنه لا يشير إلى سفر أعمال الرسل. ويشير لوديمان إلى أن سبب ظهور أعمال الرسل المفاجئ بين جاستن وإيرينيئوس "واضح بذاته". يقول اللاهوتي الألماني كامبنهاوزن: "لا نجد شهادة على أعمال الرسل قبل إيرينيئوس"، انظر لودمان، المرجع السابق، 315. يقدم رأي هارناك بعض الأفكار: "إن سفر أعمال الرسل هو المفتاح لفهم القانون الكاثوليكي وفي الوقت نفسه يظهر "حداثته". يعترف ترتليان نفسه بأن سفر أعمال الرسل قد رُفض من قبل "الزنادقة".

116 ترتليان، في كتابه "في حظر الهراطقة"، 23، على الرغم من، أو ربما ردًا على، توبيخ بولس لبطرس في غلاطية 2، 77 وما بعدها

117 لودمان، ج.، المرجع السابق، 196. أشار المرقيونيون إلى عدم التوافق بين بولس المذكور في الرسائل والشخصية المصورة في سفر أعمال الرسل. وكما يشير ويلز، فإن "كل ما يقوله سفر أعمال الرسل تقريبًا عن بولس هو أمر غير منطقي". انظر ويلز، جي. أ. (1975)، 17.

118 ورد في لين-فوكس، ر. (1986)، 439

119 المرجع نفسه، 436، 420، للمقارنة بين المسيحيين الأوائل وشهداء الإسلام في إيران: "إن التسمم بالغاز والحروق الكيميائية هي الورثة المعاصرين للنيران والوحوش البرية".

120 باجلز، إي. (1979)، 106، نقلاً عن شهادة الحقيقة

121 ترتليان، اعتذار، 50

122 يشير ميتزجر، ب. م. (1987)، 153، بحسن نية إلى أن "إيرينيئوس كان على الأرجح غائباً أثناء الأزمة". انظر جيبون، إي. (1796)، 548، الحاشية 100، حيث يلاحظ جيبون ببرود أن "من المثير للدهشة إلى حد ما أن ترتليان لم يعانِ من الاستشهاد بنفسه". يطرح لين فوكس سؤالاً مماثلاً حول ما كان يفعله يوسابيوس لتجنب الاعتقال خلال ما يسمى بالاضطهاد الكبير - خاصة وأن حوالي 30 مجلداً أو أكثر استمرت في الظهور باسمه خلال هذه الفترة. ويخلص إلى أنه مثل لاكتانتيوس، ربما يكون يوسابيوس قد "تجنب المبالغة في البطولات". انظر لين فوكس ، المرجع السابق، 606.

123 ليو، إس. إن. سي. (1985)، 93

124 باجلز، المرجع السابق، 106

125 رؤيا بطرس، 79، 11-21

126 المرجع نفسه، 78، 1-2

127 كليمنت الإسكندري (38، www)

128 ورد في باجلز، المرجع السابق، ص 99. ينسب ترتليان ظهور الهرطقة مباشرة إلى اندلاع الاضطهاد، وعلى الرغم من أن هذا ليس صحيحًا من الناحية الزمنية، إلا أنه يحتوي على قدر من الحقيقة.

أدى العنف إلى انقسام عميق في المجتمع المسيحي. فقد انفصل الغنوصيون والحرفيون الذين كانوا يجتمعون معًا في

السابق بسبب معتقداتهم المختلفة، كما يتضح من بيان إغناطيوس الحزين.

129 المرجع نفسه، 103

130 يلاحظ لين فوكس، ر. (1986)، 439، أن "هذا النوع من اللاهوت ينفر معظم القراء المعاصرين"، لكنه يشير إلى أنه تم تحديه من قبل الغنوصيين في ذلك الوقت. كان الموت من أجل الاسم مجرد إهدار بشع، فضلاً عن ذلك، ألم يوافق يسوع نفسه على الفرار أثناء الاضطهاد؟ في متى

10: 23 ينصح يسوع قائلاً: "إذا اضطهدتم في مدينة واحدة، فالجأوا إلى مدينة أخرى".

131 ماكمولين، ر. (1966)، 132. تم طرد الفلاسفة (وهو مصطلح شامل يشمل المنجمين والمجوس والكلدانيين وغيرهم من غير المرغوب فيهم) من روما بشكل متكرر، على الأقل 10 مرات في الفترة من 33 قبل الميلاد إلى 93 ميلادي، واعتبر تاسيتوس هذا الأمر "قاسياً وغير مجدٍ"، حيث كانوا يعودون مرة أخرى بشكل حتمي. وكما يلاحظ ماكمولين، فإن الفلسفة والتخريب يسيران جنبا دائمًا، لقد كان تقليدًا يونانيًا مشرقًا وجد أنقى تعبير له في سقراط، انظر ماكمولين، 53.

132 ليفي (1976)، 401. يُعد كتاب ليفي، الكتاب 39، مصدرنا الوحيد لقمع الباكوسية. إن روايته مشوبة بالجدل العدائي والخطاب السياسي الأوغسطي المعتاد. لحسن الحظ، لا يزال مرسوم مجلس الشيوخ الصادر ضد الطائفة محفوظاً ويؤكد اتخاذ إجراءات متطرفة ضدها. أصبح سرد ليفي بمثابة مخطط في العصر الإمبراطوري للإجراءات التي يجب على المسؤولين الرومان اتباعها عند التعامل مع الطوائف الشرقية. جيبون، إي. (1796)،

يسجل النص رقم 502 وجهة نظر تاسيتوس عن المسيحيين ويشير إلى التشابه في الأسلوب مع الأسلوب الذي استخدمه ليفي، حتى في عبارات متطابقة. كانت صورة "شعب آخر" سيظهر ويطرد شعب الروما مصدراً مستمراً للرعب في روما. كان المحظوظون أقلية صغيرة في بحر عظيم من المستعبدين والمحرومين. جلب العبيد واللاجئون الاقتصاديون طقوسهم الصوفية معهم إلى روما، ووجدوا فيها الزمالة والألفة في عالم غريب وعدائي. لا عجب إذن، أنه في نظر النبلاء بدا الأمر كما لو أن التعصب الديني والتخريب السياسي يسيران جنباً إلى جنب.

133 ويلاحظ بوركيرت، دبليو (1987)، 52، "لا يوجد شيء مماثل في التاريخ الديني قبل اضطهاد المسيحيين". ظل حظر أسرار ديونيسوس ساري المفعول حتى تم رفعه صراحة من قبل يوليوس قيصر، انظر كيريني، سي. (1976)، 363. لم يكن كرم قيصر بلا شك سوى نداء ساخر آخر للعامة، الذين انتشرت بينهم عبادة باكوس على نطاق واسع، على الرغم من حظرها الرسمي، أو ربما بسببه. كما يتضح من فيلا الأسرار في بومبي وفيلا فارنيزينا في روما، فقد توغلت هذه العبادة حتى إلى أعلى مستوى في المجتمع الروماني بحلول نهاية العصر الجمهوري. لقد صور مارك أنطوني نفسه على أنه ديونيسوس، وحتى أغسطس الرزين قام تأهيل نفسه في إليوسيس بعد معركة أكتيوم. وقد سلكت طوائف ميثراس ويسوع مساراً مماثلاً من كونها طائفة أقلية مضطهدة إلى رعاية الإمبراطورية، وعلى مدى فترة زمنية مماثلة.

134 ماكمولين، المرجع السابق، 57

135 المرجع نفسه، 84-90

136 المرجع نفسه، 136

137 لين-فوكس، المرجع السابق، 423؛ رد تراجان الشهير على أسئلة بليني

138 انظر دي سانت كروا، جي إي، "الماذا تعرض المسيحيون الأوائل للاضطهاد؟"، الماضي والحاضر 1963، رقم 26، 6 وما بعدها. يستخدم لين-فوكس هذا النص ويعتبره "لا يزال أساسيًا"، انظر لين-فوكس، المرجع السابق، ص 773،

ملاحظة

1، وانظر 150 ،(1981) ،T. D. Barnes، Constantine and Eusebius، للمسح.

139 جيبون، المرجع السابق، 579. كان حساب جيبون هو 2000 شخص. في رأي لين فوكس، فإن الاضطهاد "قد تم تضخيمه في التقاليد المسيحية إلى حد لم يدركه حتى جيبون تمامًا"، انظر لين فوكس، المرجع السابق، 596، 733، الحاشية 1. ومع ذلك، كان جيبون على دراية تامة بتعارض مصادره مع روايات الدعاة المسيحيين، كما توضح الملاحظة 182، الفصل 16. هنا ينتقي طريقه بعناية عبر رواية يوسابيوس - "الإدارة البارعة للمؤرخ"، "يختار ببراعة"، "كلمات غامضة"، "بعد أن وفر بذلك مراوغة آمنة" وما إلى ذلك. ويشير إلى أنه حتى يوسابيوس لم يذكر سوى تسعة أساقفة عوقبوا بالإعدام و92 شهيداً في فلسطين.

140 لين-فوكس، ر. (1986)، 434

141 جيبون، المرجع السابق، 541

142 يسجل لين فوكس ، المرجع السابق، 421، عدة محاولات قام بها الحكام الرومان للتعامل مع المتحمسين.

143 المرجع نفسه، ص 442

144 ماركوس أوريليوس، التأملات، 11.3. في رأي إبيكتيتوس، تم دفع المسيحيين إلى الاستشهاد تقليداً لسيدهم بسبب التعصب الأعمى، انظر الرسائل الجامعية ، 4.6.7.

145 يذكر كتاب تاريخ العصر الأوغسطي (ألكسندر سيفيروس، 29.2) أن إبراهيم وأبولو وأورفيوس وأبولونيوس الطياني والمسيح جميعهم كانوا يختلطون في مصلى الإسكندر الخاص. انظر أنجوس، س. (1925)، 192، وجيبون، إي. (1796)، 553.

146 ستيفنسون، ج. (1957)، 195. كان الاهتمام بالدين في بلاط سيفيري شديدًا. دعا ماميا أوريجانوس لزيارة البلاط ورعى فيلوستراطوس لتأليف حياة أبولونيوس من تيانا.

147 لين-فوكس، المرجع السابق، 441

148 ترتليان، الدفاع، 37.4-8، نقلاً عن ستيفنسون، المرجع السابق، 162. انظر أيضًا لين فوكس ، المرجع السابق، 273، الذي يقول عن ادعائه بأنه يمكن العثور على المسيحيين بين "جميع" القبائل الجرمانية وحتى في بريطانيا، "لا يمكن الوثوق بترتليان". كان ترتليان أيضاً له دور فعال في اختلاق الأساطير حول أعداد الشهداء. انظر دي سانت كروا، 23، الذي يقتبس رواية ترتليان عن زيارة القنصل أنطونيوس إلى محكمة الجنايات في عام 185 ميلادي. ويبدو أن جميع مسيحيي المدينة قد توجهوا إليه وطالبوا بشرف الاستشهاد. وكما يشير دي سانت كروا، "يجب أن نأخذ في الاعتبار مبالغته المعتادة". كان جيبون من أوائل المؤرخين الذين أشاروا إلى التضخيم العبثي لعدد الشهداء من قبل الدعاة المسيحيين. كما يسجل، "كمثال على هذه الأساطير، قد نكتفي بـ 10000 جندي مسيحي صلبوا في يوم واحد، إما على يد تراجان أو هادريان على جبل أرارات / جيبون، 540، ملاحظة 74". وقد ساعدت هذه العملية التشابه بين الكلمة اللاتينية التي تعني "جندي" والكلمة التي تعني "ألف"، وسوء تفسير كلمة "شهيد"، والتي تعني ببساطة "شاهد". لقد عمد المدافعون المسيحيون إلى إدامة مثل هذه "المفاهيم الخاطئة".

149 لين فوكس، المرجع السابق، 587: "يقع عبء الإثبات على عاتق نظريات التقدم المسيحي العظيم". إذا كان هناك مثل هذا التغيير في هذه الفترة، فأين يمكننا أن نراه؟ إن الأدلة من أي نوع ليست وفيرة، لكن الأدلة على تزايد

الوجود المسيحي ضعيفة للغاية في الواقع.

150 المرجع نفسه، ص 269

151 المرجع نفسه.

152 يوسابيوس، تاريخ الكنيسة، 6.43.11

153 لين-فوكس، ر. (1986)، 317

154 المرجع نفسه، 592

155 المرجع نفسه، 588

156 جيبون، إي. (1796)، 56

157 كيريني، سي. (1967)، 74. يمثل القرن الثاني ذروة الإمبراطورية الرومانية. في عهد سلسلة من الأباطرة المتبنين من هادريان في عام 117 ميلادي، بدأت فترة طويلة من السلام والازدهار والحكم المعتدل نسبياً. كان جميع هؤلاء الأباطرة مهووسين إلى حد ما بالثقافة والفلسفة اليونانية. أصبحت "الطريقة الفلسفية للحياة" تُعرف بأنها الحياة الأفضل. وقد أشاد فيلوستراطوس بالقرن الثاني في وقت لاحق (في عام 225 م) باعتباره "العصر السفسطائي الثاني"، تكريماً للعصر الأول الذي حدث في أثينا الكلاسيكية قبل سبعة قرون. خلال هذه الفترة انتشرت جميع أنواع الطوائف والفلسفات على نطاق واسع. يبدأ جيبون، إلى جانب مؤرخين آخرين، سرده لكتاب "انحطاط وسقوط الإمبراطورية الرومانية" بوفاة الفيلسوف/الإمبراطور ماركوس أوريليوس في عام 180 ميلادي.

158 يلاحظ هوفمان، ر. ج. (1987)، 24، أنها تعكس النفور الروماني الشائع من كل ما هو جديد وغير معتمد.

159 نقلاً عن المرجع نفسه، ص 115

160 نقلاً عن المرجع نفسه، ص 29. كما انتقد جالينوس المسيحية الحرفية لتعليمها أتباعها قبول كل شيء بالإيمان. لكنه كان على استعداد لتحملهم، لأنه كما قال متحسراً: "معظم الناس غير قادرين على متابعة أي حجة توضيحية بشكل متسلسل ويحتاجون إلى الأمثال".

يستمد المسيحيون إيمانهم من الأمثال والمعجزات، ومع ذلك يتصرفون أحيانًا بنفس طريقة أولئك الذين يمارسون الفلسفة.

161 نقلاً عن المرجع نفسه، ص 57

162 لوسيان، بيريجرينوس بروتيوس، 13-15

163 أوريجانوس، عظات عن الخروج، 13.3، نقلاً عن دوران، ر. (1995)، 11

164 المرجع نفسه. انظر أيضًا ستيفنسون، ج. (1957)، 209: "انتشار المسيحية يؤدي إلى الطموح في الكنيسة".

165 جيبون، إي. (1796)، 556، ملاحظة 127. وكما يشير جيبون بشأن الانتصار المسيحي، "كان الرخاء أكثر خطورة على فضيلتهم من أشد أنواع الاضطهاد".

166 المرجع نفسه، 556

167 واليس، ر.ت. (1992)، 122

168 لين-فوكس، ر. (1986)، 258

169 انظر واليس ، المرجع السابق، 11 وما بعدها، والذي يعيد بناء أجزاء من حجة بورفيريوس من الأدلة الداخلية الموجودة في العديد من الأعمال المسيحية التي كُتبت لمهاجمتها. كتب مؤلفون مسيحيون، من بينهم ميثوديوس الصوري، وأبوليناريس اللاوديقي، ويوسابيوس القيصري، وفيلوستورجيوس، العديد من المجلدات رداً على ذلك، وهو دليل واضح على الذعر الذي أحدثه كتاب فَرفوريوس. تم حظرها وحرقها عندما أصبحت الإمبراطورية مسيحية، لكنها ظلت تخضع للرقابة في أربعينيات القرن الخامس الميلادي. انظر واليس، 126، ولين فوكس، المرجع السابق، 586.

170 كومون،ف. (1903)، 82

171 انظر أولانسي، د. (1989)، 4، الذي يكرر الادعاء الذي يتم الاستشهاد به كثيرًا وهو "لو توقفت المسيحية عند ولادتها بسبب مرض مميت، لكان العالم قد أصبح ميثرا".

172 كومون، المرجع السابق، 83. كثيراً ما تذكر المعالم الأثرية العبيد والمحررين جنباً إلى جنب، وغالباً ما يكون العبيد في مرتبة أعلى من حيث التلقين مقارنة بأسيادهم السابقين.

173 المرجع نفسه. ويلاحظ كومون قائلاً: "لو لم تكن هذه الأدبيات قد ضاعت منا إلى الأبد، لكنا بلا شك قد قرأنا فيها قصة أسراب رومانية كاملة انتقلت إلى الإيمان، وقصة سادة كبار اهتدوا على يد عبيد مؤسساتهم الخاصة".

174 سكار، سي. (1995)، 151

175 مارلو، ج. (1971)، 262: "لا شك في أن تحول قسطنطين إلى المسيحية كان تحولًا سياسيًا". كانت أهدافه أولاً الحصول على دعم المسيحية في صراعه ضد منافسيه، ولاحقاً استخدام المسيحية التي بدت أكبر منظمة وأكثرها توحيداً في الإمبراطورية، كوسيلة لممارسة سلطته في جميع أنحاء الأراضي الموحدة بشكل هش. (قبل قسطنطين، كان هناك ستة أباطرة متنافسين يتقاتلون فيما بينهم من أجل السلطة العليا.) لكن، كما يشير مارلو، "كانت وحدة المسيحية أكثر وضوحًا من كونها حقيقية". بمجرد أن تحررت من ضغوط الاضطهاد، وبمجرد أن تمكن قادتها من التفكير في احتمال الوصول إلى السلطة، كادت انقساماتها الكامنة، التي تفاقمت بسبب التنافسات الشخصية والإقليمية والعرقية، أن تمزقها إرباً، وفي هذه العملية، أغرقت العالم المتوسطي بأكمله في جدل وإراقة دماء.

176 لين-فوكس، ر. (1986)، 616. يتساءل لين فوكس: "هل اقترح مستشارو الإمبراطور هذا الاختصار الذكي للمسيح (كريستوس)؟" ومثل الرموز الأخرى في السنوات التي تلت التحول الديني، كان له معنى مزدوج، معنى للوثنيين، ومعنى للمسيحيين.

177 المرجع نفسه، 613

178 المرجع نفسه، 621. لا يزال بالإمكان رؤية القوس الذي أقيم احتفالاً بانتصاره في روما. لا يعرض سوى صور وثنية. حتى ليتزمان يضطر إلى الاعتراف بأن رواية لاكتانتيوس عن الأحداث التي أدت إلى انتصار قسطنطين "تتناقض مع الحقائق الواضحة"، انظر ليتزمان، هـ. (1961). , 142

179 جودوين، ج. (1981)، 58

180 دورن، ر. (1995)، 20. كان الإمبراطور غراتيان، تحت تأثير الأسقف أمبروز، أول من رفض منصب البابا الأعظم. كان هذا اللقب يحمله كل إمبراطور منذ يوليوس قيصر، ورفضه يمثل رمزياً نهاية الإمبراطورية الرومانية

وبداية النسخة "المقدسة".

181 كامبل، ج. (1964)، 388

182 ليتزمان، هـ. (1961)، الكتاب 3، 160. أعقب مقتل فاوستا وكريسبوس قائمة طويلة من الأشخاص المجهولين "والكثير من الأصدقاء". يسجل هذا التاريخ الكنسي الأرثوذكسي عمليات الاغتيال هذه ويتساءل: "هل من الممكن أن يتصرف مسيحي بهذه الطريقة؟" وبعد فقرة واحدة، يجد الكتاب، بما يرضيه هو، ولكن ربما ليس بما يرضينا نحن، أن "الاستنتاج المنطقي، وإن كان متردداً، هو أنه كان شخصاً متديناً حقاً".

183 في 22 مايو 337 م، تم تعميد قسطنطين، مرتدياً الرداء الأبيض الخاص بـ "المولود الجديد"، وتوفي بعد ذلك بوقت قصير.

184 كان على قسطنطين أن يكتفي بلقب "العظيم".

185 يلاحظ لين-فوكس، ر. (1986), 674 أن اكتشاف كهوف الميلاد، والقبور المقدسة، وحتى أشجار البلوط المقدسة المذكورة في سفر التكوين "يدين بالكثير إلى "اكتشافات" النساء الإمبراطوريات".

186 كروس، ف.ل. (1958)، 619

187 ويلسون، آي. (1984)، 172. كما ذكرنا، يوجد أسفل الفاتيكان معبد ميثراس المهدوم.

188 لين- فوكس، المرجع السابق، 664. أمر الإمبراطور بحرقهم جميعاً.

189 المرجع نفسه، 644، 646. انظر أيضًا ليتزمان، المرجع السابق، ص 160. حتى ليتزمان يصف لاهوت قسطنطين مراراً وتكراراً بأنه "هاوٍ". يشير لين فوكس إلى أن خطابه في مجمع نيقية قد تعرض لانتقادات باعتباره "غير متماسك"، انظر لين فوكس، 643.

190 المرجع نفسه، 656

191 يسجل ويلسون، المرجع السابق، 168، استخدام قسطنطين الماهر للعصا والجزرة الذي جذب توقيع رجال مثل يوسابيوس. لين فوكس، المرجع السابق، 654، يمنح قسطنطين شرف كونه "أول من أتقن فن عقد مؤتمر دولي وإفساده".

192 ورد في ويلسون، المرجع السابق، ص 168

193 كروس، المرجع السابق، 752

194 فيدلر، د. (1993)، 383

195 دورن، ر. (1995)، 62. تسجل الأسطورة المسيحية كيف أحبط الله نفسه هذه المحاولة. أمطرت النار من السماء، وكثرت الزلازل، وشوهد صليب عظيم في السماء، إلخ، إلخ. التفسير الأكثر ترجيحاً هو قصر مدة حكم جوليان التي دامت 20 شهراً، حيث قُتل على يد مسيحي من صفوفه أثناء حملته ضد الفرس - وفقاً لإحدى الأساطير المشكوك فيها.

196 ورد في جيبون، إي. (1796)، 785

197 دورن، المرجع السابق، 14-15؛ وهو شرف منحه هيلاري، أسقف بواتييه، للإمبراطور قسطنطين. يقتبس لودمان، جي، (1995)، 209، رثاء ألفريد لويزي: "أعلن يسوع ملكوت الله، وكانت الكنيسة هي التي أتت".

198 المرجع نفسه، ص 277، الحاشية 349

199 ميتزجر، ب. م. (1987)، 183 وما بعدها

200 المرجع نفسه، 184

201 المرجع نفسه، 201-207؛ انظر أيضًا يوسابيوس (1965)، 61

202 للاطلاع على الأعمال المزورة باسم يوستينوس الشهيد، أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث، انظر الصليب.

ف. ل. (1958)، 757. تمت كتابة ست رسائل مزيفة في القرن الرابع ونُسبت إلى إغناطيوس الأنطاكي، انظر 44. يقر يوسابيوس بأن الرسائل المنسوبة إلى كليمنت قد ظهرت مؤخراً، انظر يوسابيوس (1965)، 101.

203 ستيفنسون، ج. (1957)، 201. قام روفينوس بتغيير النص اللاتيني من أجل الدفاع عن عقيدة أوريجانوس.

204 لين-فوكس، ر. (1986)، 678. تم استبدال عبادة الأبطال الوثنيين بـ "رجال ذوي سير ذاتية وهمية".

205 هولرويد، إس. (1994) , 67

206 بوتر، د. (1994)، 85، 90. استشهد قسطنطين بأكثر من 100 بيت من نبوءات العرافة السيبيلية في خطابه في نيقية عام 325. ويشير بوتر إلى أنه لا يمكن العثور على هذه في مجموعة لاكتانتيوس الموجزة التي تم إعدادها في عام 308 ويشتبه في أنها مزورة في وقت ما بين هذين التاريخين. وفي وقت لاحق، جادل كل من قسطنطين ولاكتانتيوس بأن النبوءات لم تكن مزيفة - ببساطة لم يتم التعرف على الآيات من قبل على حقيقتها، انظر ماكمولين، ر. (1966). , 151.

207 غوثري، دبليو. كيه. سي. (1952)، 255. يُجبر أورفيوس على إنكار تعاليمه السابقة بشأن تعدد الآلهة في نص استخدمه القديس كيرلس لاحقاً.

208 يحتوي كتاب فيلو الإسكندري، الكتاب التاسع، 447، "في العناية الإلهية"، على إضافات مسيحية "تم تعديلها بيد غير ماهرة" وفقًا لمحرر لوب.

209 رونيا، د. ت. (1993)، 4-5. يقدم لنا يوسابيوس، 2.17.1، هذه "الحقيقة"، والتي يضيف إليها جيروم المادة المتعلقة بيوحنا. بمرور الوقت، اعتنق فيلو المسيحية بشكل شبه كامل. ولحسن الحظ، ضمن ذلك بقاء جميع أعماله تقريباً.

210 إيسلر، ر. (1931)، 72-3

211 جيبون، إي. (1796)، 529، الحاشية 36. اعتبر جيبون أن "التزوير المبتذل" قد حدث "بين زمن أوريجانوس وزمن يوسابيوس"، أي بين عامي 240 و300 ميلادي. يقتبس يوسابيوس تأكيد يوسيفوس بأن يسوع هو المسيح دون تردد، انظر يوسابيوس (1965)، 29.

212 إيسلر، المرجع السابق، 72-3. كانت هذه الحقيقة معروفة للعالم البيزنطي فوتيوس الذي عاش في القرن التاسع.

213 ليدمان، ج.، (1995)، 112-13. يعتبر ليدمان أن "من الغريب أن تلفت رسالة تسالونيكي الثانية الانتباه إلى نفسها باعتبارها تزويرًا مضادًا!"

214 المرجع نفسه، 114-115، يقيم الأدلة على نسبة تزوير رسالة تسالونيكي الثانية إلى هيبوليتوس. يعتبر

إيسلر أن تبييض صورة يوسيفوس على أنه مسيحي يعزى إلى الأسقف المنشق.

215 ترتليان، الدفاع، 21.24، نقلاً عن براندون، إس. جي. إف. (1969)، 266

216 يعامل جيبون، المرجع السابق، 550-1، رواية ترتليان بازدراء تام.

217 المرجع نفسه.

218 برنشتاين، أ. إي. (1993)، 275. انظر أيضًا جيبون، المرجع السابق، 550، الحاشية 105، حيث يفصّل جيبون أيضًا "التحسينات المتتالية" لهذه الرواية.

219 إنجيل نيقوديموس، مقتطف في بارنستون، دبليو. (1984)، 359 وما بعدها

220 كروس، إي إل. (1958), 1,072

221 يوضح براندون، المرجع السابق، ص 267، أن أحد المواضيع الرئيسية للأناجيل هو تحويل اللوم عن موت يسوع من الرومان إلى اليهود. يذكر ويلز (1975)، 64، أن "العلماء لا ينكرون أن أحد الدوافع الكامنة وراء قصص الإنجيل هو الرغبة في وضع المسيحية في الضوء الصحيح في نظر الطبقة الحاكمة والمسؤولين الرومان بشكل عام".

222 يوسابيوس (1965)، الحادي عشر. وصل يوسابيوس إلى مجمع نيقية بصفته مهرطقًا مدانًا، ومؤيدًا لأريوس الذي أدين مؤخرًا في مجمع أنطاكية. لقد غادر بصفته كاتب السيرة الرسمي لقسطنطين، بعد أن وقّع على العقيدة وأدان آريوس.

223 دورن، ر. (1995)، 13. احتفالاً بالذكرى الثلاثين لحكم قسطنطين عام 336، تم تعيين أبنائه كقيصر. ويشيد يوسابيوس بهذا باعتباره تحقيقاً للنبوءة الكتابية "قديسو الله العلي سينالون الملك". وبطبيعة الحال، لم يذكر إعدام العديد من الأبناء الآخرين على طول الطريق.

224 يصف أندرو لوث أعمال يوسابيوس في التملق بأنها "عديمة الذوق"، انظر يوسابيوس، المرجع السابق، 11.

225 يسرد يوسابيوس برنامجه المكون من خمس نقاط في بداية تاريخه: أ) إنشاء خطوط الخلافة من الرسل إليه؛ ب) مهاجمة أتباع "المعرفة، الذين يطلق عليهم زوراً اسم المعرفة"؛ ج) تفصيل كيف "أدت المؤامرة ضد مخلصنا إلى سحق الجنس اليهودي بأكمله"؛ د) سرد حملات المضطهدين؛ هـ) بطولة الشهداء. وتشهد نقطته الثانية على الخطر الذي كان يُنظر إلى الغنوصيين على أنهم ما زالوا يشكلونه على تنظيم الكنيسة. لقد ثبت زيف نقطتيه الأولى والأخيرة من قبل العديد من المصادر، وقد أضفت نقطته الثالثة شرعية على قرون من اضطهاد اليهود. ولا يزال تاريخه سجلاً قيماً لتلك الفترة، وإن لم يكن ذلك للأسباب التي قصدها يوسابيوس.

226 لين-فوكس، ر. (1986)، 605

227 ليتزمان، هـ. (1961)، الكتاب 3، 163، نقلاً عن حياة بوركهاردت القسطنطينية. يكرر بوركهارت الاتهام، انظر بوركهارت، ج (1949)، 283

228 كينغزلاند، دبليو. (1937)، 39. كان من بين مهام يوسابيوس جعل تاريخ الأمم يتناسب مع التسلسل الزمني للكتاب المقدس. وبفضل هذا، يستطيع القديس أوغسطين أن يثبت، على سبيل المثال، أن أفلاطون قد تلقى الحكمة اليهودية من النبي إرميا.

229 المرجع نفسه، ص 39، بنسن يقتبس من سينسيلوس

230 جيبون، إي. (1796)، 577 يشير جيبون إلى أن يوسابيوس قد "انتهك بشكل علني أحد القوانين الأساسية للتاريخ".

231 يوسابيوس (1965)، 11

232 كينغزلاند، دبليو. (1937)، 39

233 يُعد كتاب يوسابيوس "تاريخ الكنيسة" هو السجل الوحيد الباقي عن الكنيسة خلال القرون الثلاثة الأولى. كما يشير أندرو لوث (يوسابيوس، الثاني عشر)، "لم يحاول أحد قط القيام بعمل يوسابيوس مرة أخرى". يستكمل مؤرخو الكنيسة اليونانية اللاحقون القصة من حيث توقف يوسابيوس.

234 المرجع نفسه، الحادي والعشرون

235 المرجع نفسه، الصفحات 22-23. يتم التعامل مع قوائم الأساقفة التي وضعها يوسابيوس للقدس وروما هنا بالشك الذي تستحقه. عند قراءة كتابات يوسابيوس، يحصل المرء على انطباع عن جميع الرجال والنساء الذين يشكلون الكنيسة المسيحية عبر العصور. لكن إذا تعمقنا في البحث، يبدو أن الصورة أكثر تحيزاً بكثير مما قد يوحي به هذا.

236 المرجع نفسه، الصفحة الثالثة والعشرون

237 يسجل ماكمولين، ر. (1966)، 92، كيف أعيدت كتابة أعمال الشهداء الوثنيين كقصص يهودية عن المقاومة قبل أن يتم استخدامها في النهاية كسجلات شهداء مسيحيين. يكتب عن قصص الشهداء عند يوسابيوس: "هنا في كتابات يوسابيوس يمكن رؤية، أحيانًا بشكل واضح، وأحيانًا بشكل أكثر مهارة مخفية، النطاق الكامل تقريبًا للزخارف الغريبة تمامًا المستوردة إلى سجلات الشهداء من الكتابات الوثنية."

238 يوسابيوس، المرجع السابق، 25. أسس أوريجانوس أول أكاديمية مسيحية في قيصرية. وهنا واصل تلميذه بامفيليوس عمل أستاذه، وانضم إليه لاحقاً يوسابيوس. على الرغم من إخلاصه السابق لكل من بامفيليوس وأوريجانوس، إلا أن يوسابيوس لم يذكر أيًا من المذاهب التي كان أوريجانوس يعلمها بالفعل.

239 المرجع نفسه، ص 68 وما بعدها

240 براندون، إس. جي. إف. (1969)، 268. إن يوسابيوس وإبيفانيوس، وهما من أتباع التفسير الحرفي للنصوص، هما مصدرنا الوحيد لما حدث لما يسمى "كنيسة القدس" بعد "موت" يسوع. يقول براندون: "لقد قام الكاتب الحالي بإخضاع كل من هذه الروايات لتحليل مفصل، وهو مقتنع بذلك بطابعها غير التاريخي". ثم يصفها بأنها "عديمة القيمة". يقول يوسابيوس إن مسيحيي أورشليم عادوا بأمان إلى أورشليم عام 130. كيف يمكن أن يحدث هذا عندما أعيد بناؤها كمدينة وثنية تسمى إيليا كابيتولينا، والتي تم استبعاد اليهود منها تحت طائلة الموت، يبقى الأمر غير مفسر.

241 يوسابيوس، المرجع السابق، 31

242 وكما قال أ. ن. وايتهيد: "عندما قبل العالم الغربي المسيحية، انتصر قيصر وتم تحرير النص المقبول للاهوت الغربي من قبل محاميه".

243 ورد في باجلز، إي. (1979)، 103

244 Quoted in Gibbon, E. (1796), 471. يختصر جيبون بقية هذا الوصف قائلاً: "الذي يسعى إليه الأفريقي المتحمس في مجموعة متنوعة من النكات المصطنعة وغير الحساسة".

245 لين-فوكس، ر. (1986)، 671، 672

246 يسجل كومون، ف. (1903)، 204، الهياكل العظمية المقيدة بالسلاسل التي تم اكتشافها في معابد ميثرا. ويشتبه في أن النية كانت تلويث الموقع وجعله غير قابل للاستخدام.

247 ليندسي، ج. (1970)، 367 وما بعدها، يروي جريمة قتل هيباتيا وآخرين في الإسكندرية. يسجل بالتفصيل الرواية المؤلمة لحادثة معينة يمكن اعتبارها رواية واقعية ما حدث مراراً وتكراراً. اقتحم المسيحيون معبداً بالقوة، فقاومهم رجال الدين، واستدعوا الرهبان، ثم شرعوا في تحطيم المعابد وقتل الوثنيين.

248 لين- فوكس، المرجع السابق، 671. في ديديما، تم القبض على أحد أنبياء أبولو من قبل المسيحيين وتعذيبه. حدث الشيء نفسه في أنطاكية، حيث اعترف النبي المسكين تحت التعذيب بأنه محتال. وفي أيجاي، في كيليكيا، قاموا بتسوية ضريح أسكليبيوس العلاجي بالأرض. في عام 389 اندلعت أعمال شغب بين المسيحيين والوثنيين في الإسكندرية بعد نشر مرسوم إمبراطوري يأذن بتحويل معبد باكوس القديم إلى كنيسة مسيحية. هرب الوثنيون إلى معبد سيرابيس الذي تم الاستيلاء عليه بعنف كبير ثم هدم. انظر مارلو، ج. (1971)،

.283-5

249 ورد في ماكمولين، ر. (1966)، 136

250 لين- فوكس، المرجع السابق، 326. أُعيد تصنيف الوثنية كنظام شيطاني.

251 واليس، ر. ت. (1992)، 50: "كان لتحول الآلهة إلى شياطين عواقب نفسية كبيرة". أصبحت الحياة ساحة معركة يجب على الرجال فيها أن يقاتلوا من أجل الله ضد العدو... لقد ملأت المسيحية العالم بالأرواح الشريرة. وكما يشير هذا المؤلف، فإن هذا الرأي سيمهد الطريق لنظرة أوغسطين الكئيبة للبشرية باعتبارها "لعبة للشياطين" و"شجرة فاكهة الشيطان، ملكه الخاص، التي يمكنه أن يقطف منها ثماره".

252 فيرميكوس ماتيرنوس، خطأ الأديان الوثنية، 29.1-2، مقتبس في دوران، ر. (1995)،

253 نقلاً عن المرجع نفسه، ص 20. وقد أجاب الأسقف أمبروز على نداء سمرناخوس قائلاً: "ما لا تعرفه، نعرفه من خلال صوت الله؛ وما تبحث عنه بالتخمينات، وجدناه من حكمة الله وحقيقته". طرقكم لا تتفق مع طرقنا.

254 ليبانيوس، الخطبة، 33.8-9، نقلاً عن المرجع نفسه، 21-2

255 ورد في ماكمولين، المرجع السابق، ص 151.

256 دورن، المرجع السابق، 22: "لا يدع أحد يتجول حول المعابد، ولا يدع أحد يكرم الأضرحة". بالطبع، لم تختفِ الوثنية على الفور. حتى عام 691، كان صانعو النبيذ في اليونان لا يزالون يرتدون أقنعة غامضة ويصرخون "ديونيسوس!" بينما كانوا يدوسون العنب، ولكن تم حظر ذلك في النهاية، انظر كيريني، سي. (1976)، 67. في نهاية القرن السابع، كان المجمع المسكوني الثالث في القسطنطينية لا يزال يفكر في كيفية قمع أولئك الذين يمارسون أسرار ديونيسوس في البلقان، انظر ستويانوف، ي. (1994)، 117. حتى القرن العاشر اضطر الإمبراطور ليو السادس إلى قيادة حملة صليبية ضد الوثنيين الذين ما زالوا يمارسون عقيدتهم في البيلوبونيز، انظر ستويانوف.

.118 على مدار العصور الوسطى، تعرضت مئات الآلاف من النساء للاضطهاد بتهمة السحر بسبب ممارساتهن الوثنية. يمثل علم التنجيم أوضح دليل على بقاء الآلهة الوثنية عبر تاريخ الغرب.

257 مارلو، ج. (1971)، 283-5

258 ورد في إيسلر، ر. (1931)، 594

259 يونابيوس، حياة السفسطائيين، نقلاً عن توركان، ر. (1992)، 126

260 مارلو، المرجع السابق، 288

261 See ibid., 263. في عام 400 ميلادي، تم تشكيل هيئة من الكهنة والرهبان تُعرف باسم البارابولاني في الإسكندرية. لقد عملوا كحراس شخصيين وجماعة من البلطجية بشكل عام للبطاركة المتعاقبين في الإسكندرية في اضطهادهم لليهود والوثنيين والزنادقة. انظر مارلو، ج. (1971) , 263. في عام 412، عندما تولى كيرلس منصب البطريرك، كان من أوائل أعماله تحريض الرهبان على نهب وطرد الجالية اليهودية الثرية التي يبلغ قوامها حوالي 40 ألف فرد من المدينة.

262 ليو، إس. إن. سي. (1985)، 112. في ذهن ثيودوسيوس، كانت المسيحية والمواطنة متلازمتين، وأي شخص ينكر المسيح يجعل نفسه تلقائيًا خارجًا عن القانون في المجتمع الروماني. وكما يلاحظ كامبل، "في عهد قسطنطين، حظيت المسيحية بمكانة متساوية". كانت لها مكانة مماثلة للديانة الوثنية للإمبراطورية، ولكن بعد نصف قرن في عهد ثيودوسيوس (379-395) أُعلن أنها الدين الوحيد المسموح به، وبذلك بدأت الفترة التي عُرفت منذ ذلك الحين بالعصور المظلمة بمرسوم إمبراطوري. انظر كامبل، ج. (1964)، 389.

263 كامبل، المرجع السابق، 393

264 ليو، المرجع السابق، 39

265 المرجع نفسه، 146، وانظر لين - فوكس، ر. (1986)، 602

266 واليس، ر. ت. (1992)، 91-2. يوضح سينيسيوس القيرواني (365^14؟) آراءه الغنوصية، ويكتب عن الإلهام الإلهي للكتاب المقدس، "لأن روحًا واحدة أوحت للنبي والرسول، وعلى غرار الرسامين القدماء البارعين، رسم الخطوط العريضة ثم صور لاحقًا بتفاصيل دقيقة، ملامح المعرفة الغنوصية." درس الفلسفة الأفلاطونية المحدثة مع هيباتيا في الإسكندرية، ثم تزوج لاحقاً من مسيحية وأصبح في النهاية أسقفاً عام 410.

267 يصف واليس، 86-7، سينيسيوس بأنه "وثني تعددي من القرن الرابع" لديه "قناعة بأن الدين الحقيقي الوحيد هو الدين الفلسفي، وأن قصص وممارسات الدين غير الفلسفي، في أحسن الأحوال، ليست أكثر من تعبيرات شعبية مفيدة عن الحقيقة الفلسفية لغير الفلاسفة".

268 المرجع نفسه، ص 85: "تعبير عن نيته في سرد قصة مسيحية للجماعة والاحتفاظ بالحق في فهم طبيعة الأشياء وفقًا للعقيدة الأفلاطونية".

269 المرجع نفسه، 93. يكتب بريغمان عن عظة سينيسيوس في عيد الفصح: "إن اللغة والاستعارة والمعنى هنا أقرب إلى الأورفية والأفلاطونية والهرمسية منها إلى المسيحية". إنه يحول فعلياً "حفل عيد الفصح إلى طقوس بدء غامضة يتم تفسيرها على أساس أفلاطوني حديث أو هرمسي".

Pagels, E. (1988), 62 270

Quoted in Wilson, I. (1984), 172 271

272 ورد في باجلز، إي. (1979)، 93 ولكن لأن الدوائر الهرطقية استمرت في نسخ هذا النص وإخفائه، فقد انعقد مجمع نيقية الثاني،

.years later, had to repeat the judgement 300

273 ورد في ماكمولين، ر. (1966)، 210. يُعدّ الهراطقة موضوعًا لأكثر من 100
قانون جديد في قانون ثيودوسيوس.

274 روبنسون، ج. م. (1978)، 20، نقلاً عن كيرلس كدليل على الوضع السياسي في مصر الذي أدى إلى دفن مكتبة نجع حمادى.

275 باجلز، إي. (1988)، 124، أغسطينوس "كتب التبرير الكامل الوحيد في تاريخ الكنيسة المبكرة لحق الدولة في قمع غير الكاثوليك". كان أعداؤه هم المسيحيون الدوناتيون الذين نددوا بـ "التحالف غير المقدس" بين المسيحيين الكاثوليك والدولة الرومانية. لقد جادلوا عبثاً بأن الكنيسة يجب أن تستخدم العقوبات الروحية، لا القوة.

276 ورد في لين-فوكس، ر. (1986)، 265

277 استمرت الغنوصية في البقاء طوال العصر المسيحي، وكانت دائماً على هامش المجتمع وكثيراً ما تعرضت للاضطهاد الشديد. استمر نسخ الأناجيل الغنوصية وتداولها، واستمر حظرها وحرقها في القرن الثامن، انظر هولرويد، إس. (1994). , 68. ازدهر أتباع بولس الغنوصيون على الرغم من الاضطهاد المستمر من الكنيسة الأرثوذكسية حتى نهاية القرن العاشر، انظر كينغزلاند، دبليو. (1937)، 35. إن حقيقة أن مصطلح "البولسي" أصبح يُستخدم كاسم عام للغنوصية تشير إلى أن تقليد تعاليم بولس السرية قد تم الحفاظ عليه في هذه الطوائف. في عام 1211 م، اتُهم البوغوميل بأداء "طقوس غير مقدسة مثل الطقوس الوثنية اليونانية" في الأناضول والقسطنطينية، انظر ستويانوف، ي. (1994)، 184. أصبحت الغنوصية الكاثارية، الذين كانوا على اتصال مع البوغوميل في الشرق، الشكل السائد للمسيحية في مناطق جنوب فرنسا خلال القرن الثاني عشر. أُنشئت محاكم التفتيش سيئة السمعة خصيصًا للقضاء على الهرطقة. لا يزال المندائيون، وهم طائفة معمدانية معرفية، على قيد الحياة في مستنقعات جنوب العراق حتى يومنا هذا، انظر ليو، إس. إن. سي. (1985)، 30، وبارنستون، دبليو. (1984)، 123.

278 متى 20: 16

279 كما يشير لين فوكس، "لم يكن التعصب متجذرًا أبدًا في التاريخ الطويل للفلسفة الوثنية والفكر الديني". بعد قسطنطين، استطاع العديد من الوثنيين أن يتقبلوا العبادة الجديدة التي رفضت حصريتها أن تشملهم. انظر لين- فوكس، ر. (1986)، 673. ويلاحظ أنجوس، الذي عادة ما يعتذر، قائلاً: "بالتزامن مع انتصارها السياسي، تحولت إلى مضطهدة للوثنيين واليهود والزنادقة". سعت المسيحية الكاثوليكية إلى القضاء على الهرطقة ليس فقط بالجدال، بل بالسيف والنار. ويسجل رأي باحث آخر: "لم يسبق أن وُجد مجتمع أظهر بوضوح أكبر التعصب الذي سيتبع انتصاره بالضرورة". انظر أنجوس، س. (1925)، 282.

280 دورن، ر. (1995)، 13. بالإضافة إلى ذلك، كان على قسطنطين أن يشرع مرتين ضد الوثنيين الذين يدعون كذباً أنهم رجال دين من أجل تجنب الواجبات المدنية، انظر لين فوكس، المرجع السابق، 667.

281 ورد في فيدلر، د. (1993)، 180. وقال القديس أوغسطين كذلك: "لم أكن لأؤمن بالإنجيل لو لم تجبرني سلطة الكنيسة الكاثوليكية على ذلك". فيدلر، 320.

282 شيشرون (1972)، 159

283 ميتزجر، ب. م. (1987)، 233. كان هذا رأي فيلاستر، أسقف بريشيا (توفي حوالي عام 397 م). كما قام فيلاستر بتأليف رسالة للهجوم

28 بدعة يهودية وما لا يقل عن 128 بدعة مسيحية، انظر بوتر، د. (1994)، 105. يقدم كتاب دبليو هايد، "من الوثنية إلى المسيحية في الإمبراطورية الرومانية"، 1946، صورة قاتمة عن الطبيعة المعادية للفكر للكنيسة الأولى، وتدمير الكتب والمعابد، وإغلاق المدارس، وقتل أتباع الديانات الأخرى.

284 أعاد الباحث الكلاسيكي فرانك بناء المراحل الرئيسية لعلم الفلك اليوناني، بترتيب يبدو ضرورياً: تطور فهم الفضاء والهندسة الفراغية والمنظور بواسطة أناكسغوراس وديموقريطوس، واكتشاف كروية الأرض و"حركات الكواكب في شكل مدارات مثالية هندسياً" بواسطة الفيثاغوريين في دائرة أرخيتاس، وأول تفسير رياضي لحركة الكواكب بواسطة إيدوكسوس، واكتشاف دوران الأرض حول محورها، وأخيراً "الرؤية الكوبرنيكية للعالم" في نظام فيلولاوس. انظر بوركيرت، دبليو (1972)، 302. إن أقدم ذكر للأرض الكروية في الأدبيات الموجودة هو في كتاب فيدو لأفلاطون، 110ب، انظر غوثري، دبليو. كيه. سي. (1962)، 295، لكن بيون من أبديرا، تابع ديموقريطوس، كان على دراية في عام 400 قبل الميلاد بالنتائج الرياضية للشكل الكروي للأرض، وفي عام 430 قام أبقراط من خيوس بإسقاط الدوائر السماوية على الأرض، مفترضًا بشكل واضح كرويتها، انظر بوركيرت، 305. حدثت كل هذه التطورات في العصر الكلاسيكي. شهد العصر الهلنستي اكتشافات بالغة الأهمية بنفس القدر. قام إراتوستينس بحساب ميل مسار الشمس وقطر الأرض بخطأ أقل من 1 في المائة، انظر مارلو، ج. (1971)، 71. قام أبرخش، خليفته في مكتبة الإسكندرية، بتحديد تقدم الاعتدالين، وحجم الشمس ومستوى أوجها، والحركة المتوسطة للقمر، ونقطة الحضيض، وأوج القمر، وميل مداره، كما قام بحساب خسوف القمر، انظر مارلو، 75. ثم فجأة مع انتصار المسيحية، أعلن القديس أوغسطين، بناءً على معرفته المحدودة بعلم التنجيم المانوي، أن الأرض مسطحة. وباعتبارها عقيدة مسيحية لا تقبل الجدل، فقد استمرت هذه المعتقدات طوال العصور المظلمة. كما لاحظ دريبر، "لم يفعل أحد أكثر من هذا الأب لإدخال العلم والدين في حالة عداء"، انظر كرانستون إس. (1977), 149.

الفصل الثاني عشر: أعظم قصة على الإطلاق

1 ورد في إنجي، دبليو. آر. (1899)، 8 7

2 ورد في هابولد، إف. سي. (1963)، 115. مع الاعتذار لتوينبي، قمنا بتغيير الإله "المينوي" زاجريوس إلى ديونيسوس. على الرغم من احتمال وجود أصل كريتي قديم لاسم زاجريوس، إلا أنه كان معروفًا منذ العصور الكلاسيكية باسم ديونيسوس الأورفي. لقد حذفنا أيضًا عبارة "من أجل عالم شيعي مثل الحسين".

3 سالوست (1926)، 1

4 إنجيل توما، 108. نقلاً عن روبنسون، ج. م. (1978)، 137